

الاصناف في اللغة

محمد حسين آل ياسين

مدرس مساعد في قسم اللغة العربية في كلية الآداب
بجامعة بغداد

سأدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب

● الطبعة الاولى

● ١٩٧٤م - ١٣٩٤هـ

● حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

● مطبعة المعارف - بغداد

الاضحى في اللغة

محمّد حسين آل ياسين

مدرس مساعد في قسم اللغة العربية في كلية الآداب
بجامعة بغداد

سأدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب

هذا الكتاب رسالة جامعية قُدمت لنيل
درجة ماجستير آداب في اللغة العربية ؛ وقد
ناقشتها مناقشة علنية صباح يوم
١٩٧٣/٦/٢١ م لجنة مؤلفة برئاسة
الدكتور ابراهيم السامرائي (المشرف) ،
وعضوية الدكتور مهدي المخزومي ،
والاستاذ كمال ابراهيم . وقد منحت بعدها
الدرجة العلمية بتقدير (امتياز) في حقل
فقه اللغة .

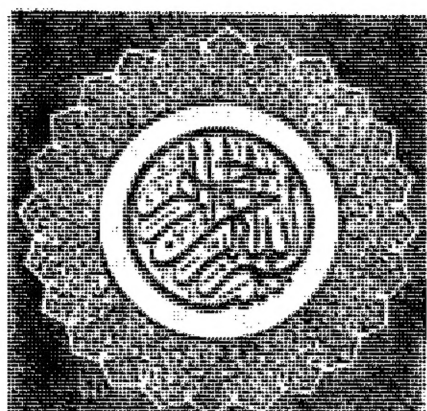
الأهداء

❶ الى استاذي الكبير الدكتور ابراهيم السامرائي الذي وجدت في اشرافه على اعداد هذه الرسالة كل ما كنت أرجوه من رعاية وتسايد وعلم وتوجيه .

❷ والى استاذي العلامة الدكتور مهدي المغزومي الذي كان لي من شرف مناقشته للرسالة وما أشار به عليّ في اثائها ما يضع قدمي على عتبة الدرب المنور الطويل .

❸ والى استاذي الباحث كمال ابراهيم الذي يحلو لي - كما حسلا لغيري - ان اسميه (الشهيد الجامعي) لانه فارق انحياة ملتحقاً برّبّه وهو يتمم بتقدير الدرجة لهذه الرسالة .

محمد حسين آل ياسين



المقدمة

كنت قد قدمت بحثاً في السنة التحضيرية من دراسة الماجستير عن (الفعل في القرآن الكريم) ، أدرس فيه استعمالاته الخاصة وصيغه المختلفة وطريقة استخدامه في الجملة وازمته المتغيرة ، في لغة الكتاب المقدس . فأوقفتني هذه الدراسة - في جملة ما أوقفني عليه - على اختلاف القدماء في معاني طائفة من أفعال القرآن ، وتباين آرائهم في تحديد مؤداهها في مصدر التشريع الأول ، حتى انهم لمسوا في هذه الأفعال شيئاً من التضاد في انصرافها الى معانيها ، فشوقني ذلك الى زيادة الاطلاع على ما عند القدماء من بحوث تتصل بدراسة هذه الناحية من دلالة الألفاظ . فاذا بـ (الأضداد) ظاهرة لغوية أكثر من الوقوف عندها العلماء ، وصنفوا فيها كتبهم ووضعوا لجمع ألفاظها معجماتهم ، ولم يقصروا جهودهم على تلمس صورها في القرآن وحده بل تعدوا ذلك الى الحديث والشعر والامثال ولغة التخاطب ، مدفوعين الى ذلك بدافعين : استطراف هذه الألفاظ من جهة ، وخدمة لغة القرآن من جهة اخرى .

فكان ذلك حافزاً دفعني الى بحث ظاهرة الأضداد في اللغة ، بعد أن وجدت ان ما تركه لنا القدماء من آثارهم في دراستها يصلح أن يكون مادة أولية غنية لمثل ما أقدمت عليه . وعمق هذا الحافز في نفسي ما أحسست به من رغبة قديمة في ولوج هذا الميدان من الدراسة اللغوية والخوض فيه لكشف اسرار اللغة وغوامضها وفقه أساليبها ومخلفاتها التاريخية . ثم تبلورت هذه الرغبة في دراسة الأضداد ، عندما ألفت ان

الحاجة الى مثلها لدى الدارسين والمعنيين بالعربية قائمة حتى الآن بالرغم من تزايد مقالاتهم وتوالي بحوثهم المختصرة فيها • فهذا (فايل) مثلا يتكلم على الأضداد ويعرض لآراء المستشرقين ، مطلقا على أهم ما ألفه القدماء فيها وما فسروه منها ، ومع ذلك فهو يصرح بعدم كفاية كل ذلك في دراسة الأضداد ، ويسجل حاجة الدراسات العلمية الحديثة الى بحث جديد ، ويقول : « وان رسالة تجمع الأضداد وتتميز بالاستقلال في البحث ، مع العناية باللهجات المختلفة واللغات المتقاربة ، لتمدنا بمعلومات هامة ، تعيننا في فهم تاريخ الحضارة : دائرة المعارف الاسلامية ٢/٢٩٥ ».

* * * *

وحين توجهت الى الموضوع أرسم منهجه وأحدد جوانبه ، وجدته بطبيعته منقسما الى ذين كبيرين : الأول للأضداد وهي فكرة ، والثاني للأضداد وهي آثار • ولما كنا في هذه الدراسة بصدد ظاهرة لغوية تتعلق بتاريخ العربية القديم ، وهي ايضا من طرائق نمو العربية وتوسعها ، كان لا بد من الوقوف على تاريخ العربية العام ، وتاريخ نقوشها المكتشفة ولهجاتها البائدة والمشكلات الناجمة عن انقطاع اسباب العربية المنقرضة بالعربية الحاضرة ، والتعرض من خلال ذلك الى الوسائل التي توسلتها اللغة في نموها وتوسعها وزيادتها ، فكانت هذه هي مفردات التمهيد الذي مهدت به لدراسة الأضداد •

وجعلت الباب الاول على ثلاثة فصول ، خصصت الأول منها لبحث الدلالة في اللفظ والصوت ، والعوامل التي تساعد على تطورها وتغير مجالها • وعرضت لنماذج مختلفة من آثار القدماء وتوالي فهم في دلالة اللفظ ، ذلك ان دراسة الأضداد دراسة دلالية قبل كل شيء ، فلا بد من الوقوف على حقيقة الدلالة في اللغة وقوفا شاملا ليتم الفهم الدقيق لفكرة الضدية ، ويسير البحث فيها على هدى هذا الفهم فكان الفصل

الثاني مبنيًا على هذه الصلة ، إذ توسعت فيه لبيان تحديدات القدماء لفكرة التضاد وتقسيماتهم لألفاظ اللغة ، وفهمهم للرابطة التي تربط الاشتراك بالتضاد ، والاختلاف القائم من هذه الناحية بين اللغويين أنفسهم من جهة ، وبينهم وبين المناطقة والمتكلمين من جهة أخرى ، مسجلًا خلال ذلك رأيي الخاص فيما أعرض له من أفكار ، ثم تكلمت على ظروف نشأة الأضداد بشيء من التفصيل في العرض والافاضة بالأمثلة ، للوصول إلى الحقيقة التي تمسكت بها والتي تقضي بعدم أصالة الضدية في هذه الألفاظ . على أن القدماء كانت لهم مواقف متباينة من الأضداد ، فجردت الفصل الثالث لعرض مواقفهم منها وبيان مناهجهم في درسها ، وتكلمت على أدلة المدافعين عن الأضداد وأدلة المنكرين ، جاعلاً كل جماعة منهما طوائف عدة ناظرًا في ذلك إلى اختلاف المنهج وتغير الأدلة وخصوص النية . ثم عرجت على المحدثين من المستشرقين والعرب أعرض لأرائهم وتوصلاتهم في بحوثهم عن الأضداد ، وذلك لاكسب البحث صفة الأمانة والوفاء لمن سبق إلى دراسة شيء يتصل بأحد جوانب الرسالة .

أما الباب الثاني فقد جعلته على ثلاثة فصول كالباب الأول ، تكلمت في الفصل الأول على تدوين اللغة وتاريخه ومكان تدوين الأضداد منه ، وقدمت مسردًا بأسماء مؤلفي كتب الأضداد الذين استطعت أن أقف عليهم في المصادر والفهارس القديمة والحديثة ، مرتبًا إياهم حسب تواريخ وفياتهم ، ناصًا على المظان التي ذكرت كلا منهم ، مشيرًا إلى ما كان ذكره نتيجة وهم أو خطأ . ثم درست رواية الأضداد : متى بدأت ، وكيف تطورت واتسعت ، ومن هم أوائل الرواة ، وعمّن أخذ الأضداديون ، وما أشبه ذلك مما يتصل بالرواية ، خاتمًا ذلك بتخطيط شجرة للرواية البصرية للأضداد وأخرى للرواية الكوفية وثالثة عامة ، توضيح ما تكلمت عليه . وجعلت الفصل الثاني الذي يليه خاصًا بدراسة كتب الأضداد ،

أدرس في كل منها منهج المؤلف ومصادره وأثر المدرسة اللغوية التي ينتمي إليها وطبيعة المواد التي يبحثها ، وتأثره بمن سبقه وتأثيره في من جاء بعده ، جامعا آراء من لم يصل كتابه في الأضداد ، مكونا منها صورة قريبة من كتابه المفقود نستطيع دراستها وتبين منهجها كما فعلنا ذلك في الكتب الأخرى . ولما كان اعتماد هذه الكتب فيما تورده من الأضداد على الشاهد ، كان الفصل الثالث امتدادا للفصل السابق ، حيث ناقشت فيه هذه الشواهد - شعرية وقرآنية - وحاكت ظروفها التي قيلت فيها ، مينا ما تحتمله من تغير المناسبة واختلاف البيئة والتطور في الاستعمال ودخول التصحيف والوضع ، وما ينشأ عنه الاختلاف في تفسير الآية مقيسة على الشعر . ثم انتقلت الى كلام على المعجمات اللغوية يتصل بالكلام على الشواهد ، من حيث ان هذه المعجمات مصادر تاريخية عن اللغة قبل ان تكون كتباً جامعة لموادها ، يجب الوقوف عندها وتملي حقائقها الى جانب النصوص الشعرية والنثرية القديمة .

وانهت الرسالة بخاتمة قدمت فيها خلاصة البحث ونتائجه العامة والخاصة التي توصلت اليها خلاله ، والجديد الذي أضافه هذه الرسالة الى الدراسات اللغوية بشكل عام ودراسات الأضداد بشكل خاص .

★ ★ ★ ★

أما المصادر التي اعتمدتها في هذه الرسالة فهي - ما كان منها مطبوعاً أو مخطوطاً - تتظم عدة طوائف ، هي :

١ - كتب الأضداد ، وهي مادة البحث الأولية ، وقد رجعنا في الهامش الى اسم المؤلف في كل منها ، وذكرنا رقم الصفحة التي عليها المجموع الذي يضم الكتاب ، أو المجلة التي نشر فيها ، توخياً للسهولة في الرجوع اليه .

٢ - المؤلفات الأخرى للأضداديين ، سواء منهم من وصل كتابه في

الاضداد ومن لم يصل ، لمعرفة ما اذا كان للاول رأي يخالف ما
دونه في كتابه . والوقوف على رأي الثاني في الاضداد في مؤلفاته
الآخرى .

٣ - كتب القرآن التي تبحث غريبه ومجازه ومعانيه ومشكله وتفسيره
وقراءاته .

٤ - كتب فقه اللغة والنحو والبلاغة والمعجمات اللغوية .

٥ - النوادر والامالي ومعاني الشعر والأمثال .

٦ - كتب الطبقات والسير والتراجم والانساب .

٧ - دواوين الشعر .

٨ - فهارس الألفاظ والكتب والمراجع والمعلومات .

٩ - كتب المنطق والوضع والفلسفة .

١٠ - الدراسات المعاصرة في فقه اللغة وأصواتها وابتيتها ، وبحوث
تاريخ الادب ونقدمه .

١١ - الاطالس والخرائط الجغرافية .

١٢ - المجلات .

والرجوع الى الامهات من هذه المصادر لا يخلو من مخاطر
ومشكلات ، ذلك أن القدماء كانوا شديدي التعصب لمذاهبهم العلمية
والدينية ، يرون أن كل ما يخالف آراءهم ومواقفهم مما يجب أن يهمل
ويطرح ، أو يردّ ويناقش على أحسن الفروض ولكن بروح منحازة .
ونحن كثيرا ما نضطر الى أن نستقي آراء كثير من الدارسين الذين لم تصل
اليها مؤلفاتهم في الاضداد - وكان لهم منها موقف خاص - من الكتب
التي تتوفر بين أيدينا ، وفيها هذا الموقف المغاير والروح المنحازة وهي
في معرض الردّ على تلك الآراء ، فما مقدار الامانة في نقل الرأي
المخالف ؟

كما ان بقاء كثير من مؤلفات الأضداديين - الذين لم تصل مؤلفاتهم -

ضائعا ، يلزمنا بعدم القطع بأن آراءهم التي أحصيناها لهم في الأضداد هي كل ما سجلوه وقالوا به ، غير أننا نعذر أنفسنا من هذه الناحية ، لأن ضياع الكتاب لا يد لنا فيه ، وانا استوعبنا ما يجب استيعابه من مؤلفاتهم ومن كتب الأضداد الأخرى • على أننا من جانب آخر نقول : ليس من الضروري أن يكون المؤلف الذي ضاع كتابه في الأضداد قد ضمن هذا الكتاب كل آرائه فيها ، بل سنجد أن من الأضداديين الذين وصلت إلينا كتبهم من لم يضمن كتابه كل آرائه في الأضداد ، كالصغاني الذي دخر معجمه (التكملة والذيل والصلة) أشياء لم يدونها في كتابه •

والمصادر كثيرا ما تحجب عنا حقائق مهمة ، جهلا بها مرة وتجهلا مرات ، ولو كانت قد غنت بذكرها والاهتمام بها لتذلت أماننا صعبا وتوضحت غوامض ، أهمها أنها لا تنص على اختلاف الناطقين وتباين بياناتهم اللغوية في أغلب ما تعرض له من الخلافات الدقيقة في الاستعمال • كما لا تقيد ما تنقله من رأي ومادة بمصدره الذي استقت ذلك منه في أحيان كثيرة • مهمة ذكر الراوي أو مكتفية بكنيته التي تتحد مع كنية راو آخر ، ومعرضة عن نسبة الشاهد الشعري الى قائله تارة ، وناسبة اياه في موضعين مختلفين الى قائلين اثنين ، مما يتسبب عن ذلك كله ضياع معلومات مهمة في سبيل البحث ، وبالتالي بذل الجهود المضاعفة من قبل الدارس لاعادة الأشياء الى نصابها الصحيح •

★ ★ ★ ★

وأخيرا ، فاني أجد لزاما عليّ أن أقدم للاستاذ المشرف الدكتور ابراهيم السامرائي أعظم الشكر على حسن رعايته وتوجيهه • فقد كان لملاحظاته المنهجية السديدة التي أخذت بها في هذه الرسالة الدور الكبير في أن تظهر على الشكل الذي ظهرت به • ومن الوفاء أيضا ان أقدم شكري الى جميع الأصدقاء الباحثين الذين أمدوني بالعون والمساعدة خلال قيامي بكتابة هذه الرسالة • آملا أن يكون الجهد الذي بذلته ، والذي لم أدخر منه شيئا ، قد آتى 'أكله الطيب' • اذ لم أبخل على كل ما في هذه الرسالة باعادة النظر والتدقيق والتثبت •

والله من وراء القصد ، وهو ولي التوفيق •

التمهيد

العربية وطرائق نموها

ربما كانت العربية بدعا من بين اللغات السامية ، وذلك لأننا لا نعرف عن تاريخها القديم مثلما نعرف عن اللغات السامية الأخرى ، حيث أن نقوش النمار الذي يرجع تاريخه الى سنة ٢٢٨ بعد الميلاد لا يمكن أن يكون مادة مفيدة تفصح عن تاريخ العربية . ثم ان العربية التي اكتشفت نصوصها في نقوش اليمن لا يمكن أن تكون بداية للعربية المعروفة وذلك للبون الواسع الذي يفصل العربية المعروفة في الشعر الجاهلي عن هذه العربية الموجودة في نقوش اليمن . ولذلك فان لغات اليمن وان كانت قريبة من اللغات العربية ، فهي شيء قائم بذاته يدرس على أنه لغات يمنية خاصة . ولذلك ايضا لابد من الرجوع الى العربية كما ورثناها في نصوص الشعر الجاهلي . وفي هذه النصوص نلمس مستوى عاليا لهذه اللغة المتطورة الآخذة من الحضارة بقسط كبير وذلك أنها من حيث بناؤها الخارجي اتسعت للفكر العالي ، فهي تفصح عن الحكمة والاخلاق كما نجد ذلك في معلقتي زهير ولييد وهي تسع للكثير من دقائق الأفكار ، وعلى هذا فلا يمكن أن تكون النصوص مفصحة عن مراحل العربية الأولى أو قل عن اللغة البدائية ، وعلى هذا أيضا فلا بد أن تلمس خصائص العربية في مراحلها الأولى في غير هذه النصوص أو أننا تتبع طرائق خاصة في الكشف عن العناصر اللغوية التي تميز بها اللغة القديمة .

والذي يظهر من الدراسات أن هنالك عربيتين احدهما بائدة وهي التي تسمى عربية النقوش التي بادت لهجاتها قبل عربيتنا المعروفة بمدة غير قصيرة ، وكان الخط والطابع الآرامي طاغين عليها ، ذلك لتطرفها عن الموطن الاصيل للعربية في الحجاز ونجد ، ومن هذه اللهجات البائدة : السودية وتاريخ نقوشها يعود الى القرنين الثالث والرابع الميلاديين ، وبها أصوات هجائية قريبة من السبئية ، وهي قريبة في تاريخها نسبيا الى تاريخ

العربية المعروفة ، واذ تكون نقوش هذه اللهجة في وسط الجزيرة يرجح القول بأنها تتبع العرب الذين هاجروا من أقصى الجنوب . ومن هذه اللهجات ايضا : الصفوية وهي التي عثر على نقوشها في منطقة الصفا الصخرية البرية ، وعلى الأخص قرب الحرّة المجاورة لجبل الدروز غير بعيد من دمشق ، وتاريخ هذه النقوش يعود الى ما بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين ، واذ صَحَّ أن بعضها يعود الى القرن السادس الميلادي فانه تاريخ ملتصق بأول عربيتنا الجاهلية . ومن هذه اللهجات : اللحيانية وكانت قبائل لحيان الناطقة بهذه اللحيانية تسكن منطقة العلا شمالي الحجاز قبل الميلاد ، والراجح أن تاريخ نقوشها يعود الى ما بين سنة ٤٠٠ سنة ٢٠٠ قبل الميلاد أي أنها تعود الى العصر الهليني ، حيث شاع الخط الآرامي الذي كتب به النبط في منطقة هذه النقوش وتاريخها بالنسبة للعربية الباقية بعيد جدا (١) .

أما النقش المدون على قبر القيض بنت عبد مناة والذي بناه كعب بن حارثة ، والمؤرخ سنة ٢٦٢ بعد دمار مملكة النبط أي سنة ٣٦٨ ميلادية ، ونقش النمارة الذي أشرنا اليه في صدر هذا الموضوع (٢) ، والذي يرجع تاريخه الى سنة ٢٢٨ ميلادية في مدفن امرئ القيس بن عمرو ملك العرب . أقول : هذان النقشان هما أقرب النقوش لغة الى العربية الباقية ، وان كان بعد العهد يضعف هذا القرب ، الا أن العلماء استأنسوا بهما على وجود سبب بين العربية البائدة والعربية الباقية ، محاولة منهم للوصول بين

-
- (١) انظر اللغات السامية (نولدكه) ٦٩ ، ودراسات في فقه اللغة ٥٥ ، وفقه اللغة (وافي) ٩٢-٩٣ . وفي اللهجات العربية ٣٣-٤٥ وتاريخ اللغات السامية (ولفنسون) ص ١٧٥ وما بعدها .
- (٢) النمارة : قصر صغير للروم في الحرة الشرقية من جبال الدروز ، انظر : دراسات في فقه اللغة ٥٥ وتاريخ اللغات السامية ١٧٨ ، ١٩٠ .

العربية المعروفة الباقية وبين شيء من تاريخ ، على أن علماء الافرنج - كما يقول ولفنسون - يرجحون أن الخط العربي نشأ ونما بين عهد نقش النمارة وبين عهد نقش زبد ، أي في القرن الرابع أو الخامس بعد الميلاد (٣) .

ومهما يكن من أمر فإن عربية الشعر والنثر الجاهليين هي غير تلك من وجوه كثيرة ولا يمكن أن تمتد - بما يتوفر لدينا من نصوص - الى أبعد من أوائل القرن السادس الميلادي ، أو الى ما تحدده روايات مصادرنا العربية بإسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام (٤) . وبالرغم من أن كثيرا من هذه الروايات دخلتها الاسطورة ولعب شغف الاوائل بعريتهم وحبهم لها دوره الكبير فيها ، وكانت رغبتهم في أن تكون العربية قديمة قدم آدم وجليلة جلاله الانبياء ومقدسة قداسة الجنة مما دفعهم الى أن تكون كذلك (٥) . ومن يطالع هذه الاخبار يجدها - وهي غير مؤيدة بالبرهان التاريخي أو العلمي - متناقضة فيما بينها مختلفة فيما تنقله ، فمرة يكون اسماعيل أول من تكلم بالعربية ومرة يكون آدم هو أول من تكلم بها . وإذا كانت هذه الاخبار تشير الى شيء فلعلها تشير الى أن واضعها لمسوا المشكلة وتحسسوها ، أعني مشكلة بدء العربية وتاريخ هذا البدء ومكان انبثاقها والأقوام الاولى التي تكلمت بها وجذورها اللغوية القديمة وما الى ذلك مما هو موضع درس الباحثين والعلماء والمنقذين الى اليوم .

وعلى كل فاللغة العربية كما نعرفها اليوم ، سيطرت على الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي - كما أشرنا قبل قليل - بشكل واسع ، وعلى مستوى الانشاء الفني المتمثل بالشعر الذي ازدهر حينذاك مستخدما

(٣) تاريخ اللغات السامية ٢٠١ .

(٤) المزهر ٣٣-٣٢/١ .

(٥) المزهر ٣٠/١ .

لغة موحدة راقية الى حد بعيد ، وقد انتشرت هذه العربية في أغلب المناطق التي كانت تشغلها من قبل اللغات السامية والحامية ، أي في كل وسط الجزيرة العربية وشماليتها حتى أسفل الفرات وما وراء ذلك . أما كيف احتلت العربية ما كانت تحتله اللغات المذكورة من أقاليم واصقاع ، فقد حدث ذلك عن طريق الصراع اللغوي الطبيعي الذي يحدث تلقائيا بين كل لغتين متجاورتين بفعل الاحتكاك المستمر بينهما ، وتلعب عوامل مختلفة دورها في ترجيح الكفة لاحدى اللغتين فيكون لها النصر والاستتباب كما حدث لهذه العربية التي نتحدث عنها ، أما هذه العوامل فكثيرة منها العامل السياسي والعامل النفسي أو الاجتماعي الذي يشمل النظم والعبادات والتقاليد ، والعامل الجغرافي وغير ذلك من عوامل مساعدة ، وقد عرض لهذا الموضوع - موضوع عوامل انتشار اللغة وصراعها - جملة باحثين قدماء ومحدثين في مؤلفاتهم ومصنفاتهم (٦) .

المهم أن العربية استتب لها الأمر في الجزيرة بشكل نستطيع ان نسميه لغة موحدة بالرغم من وجود الخلافات الصغيرة المتعددة التي نلمحها بين لهجات مختلف القبائل ولدى شعرائها . وبالرغم من علمنا أن كثيرا من الشعراء الذين كانوا يطوفون في أرجاء الجزيرة وبين قبائلها قد طمسوا - اذا صح التعبير - شيئا مهما من هذه الفروق الدقيقة بين اللهجات ، وقد ساعد على هذا الطمس التدوين المتأخر لأشعار الجاهليين » غير أن الصرامة المطلقة لجور الشعر وقوافيه . تضمن لنا صلاحية القوانين اللغوية في مجموعها لهذه الاشعار . ويمكن للمرء أن يظن أن لغة الشعر كانت - على الأقل - بالنسبة لمعظم العرب ، لغة فنية مصنوعة ،

(٦) انظر مثلا : مقدمة ابن خلدون ٣١٨ ، والتطور اللغوي التاريخي ٢١ وما بعدها ، ونشأة اللغة عند الانسان والطفل ٥٠-٥١ ، ودروس اللغة العبرية ١٤-٥ .

وأن بعض القبائل اتخذت لغة القبائل الأخرى لغة للشعر ، وإن ذلك كان يناسب الشعراء الرحالة الذين يتكسبون بالفن مثل النابغة والأعشى » (٧) .
يضاف الى ذلك أنه لو كانت هنالك بين اللهجات لهجة شديدة الانحراف عن هذه العربية المستقرة في نصوص الشعر الجاهلي لتعصت على الخضوع لبحور الشعر المعروفة التي ما كان يمكن لمثل هذه اللهجات أن تفلت من قواعد هذه البحور وصرامة تفعيلاتها .

والعربية بعد - شأنها شأن كل اللغات المتسعة والممتدة خارج حدود رقعتها الأصلية - لم تسلم من الانقسام والتطور والتغير ، ويرجع الباحثون سبب هذه التطور الى : « تأثير اللغات الأجنبية ، التي يمكن أن تكون قد احتكت بها اللغة العربية . ولكن هذا التأثير لا يمكنه أن يشترك في ذلك إلا بقدر ضئيل جدا . ولو فرض أن الأمر ليس كذلك ، لتحتم ألا تتغير اللغة العربية في داخل الجزيرة العربية مطلقا . غير أن المرء يتكلم الآن هناك أيضا لغة تختلف تماما عن قبل ألف سنة مضت » (٨) فالمسألة ليست مسألة احتكاك بلغات أجنبية ، وإنما هو عامل الزمن والبيئة وتطور الحياة والحضارة والميل الفطري المستمر الى سهولة النطق وتطور العقيلة وميلها الى الكناية والاشارة والتلميح والتجريد وغير ذلك مما يؤثر تأثيره الايجابي في تغير اللغة وتطورها . على أن العربية كانت وما تزال صالحة لمعالجة الاشياء المجردة ، وطواعيتها لأن تكون أداة طبيعية لفلسفة علم الكلام ، حيث « يوجد في اللغة البدوية القديمة ميل نحو استعمال المصادر الصريحة بعكس اللغة اللاتينية فمثلا يفضل المرء أن يقول (ضروري جلوسك) على أن يقول (ضروري أن تجلس) وأن يقول (في قتلك برء لنا) على

(٧) اللغات السامية ص ٧٤ .

(٨) اللغات السامية ٧٥ ، والى مثل هذا الرأي كان قد ذهب ابن خلدون في مقدمته ٤٨٩ .

أن يقول (برء لنا أن تقتل) وقد كان هذا الميل خاصيّة كبرى للتعبير الفلسفية « (٩) • وهي خصيصة من خصائص العربية مهمة تدلّ على سعة المدرك وتقبّله للأمور المعنوية غير الملموسة • وهناك خصيصة أخرى لغوية هي على جانب كبير من الاهمية ألا وهي دلالة غير الكلمات في العربية على كثير من المعاني • مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف • ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال الى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى • وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب ، وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بدّ له من ألفاظ تخصّه بالدلالة ، ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما تقدره بكلام العرب « (١٠) •

وللعربية غير هذا خصائص عامّة امتازت بها ربما كانت تعبّر عن مفاهيم العرب وتقاليدهم الاجتماعية منها : انتماء مجموعة من الالفاظ الى أصل واحد في المعنى وأن ذلك جار في جميع مشتقات هذا الأصل مهما اختلف الزمان والمكان قد يقابله عندهم توارثهم لمكارم الأخلاق وان هذه الروابط الاشتقاقية بين الالفاظ تعبّر عن روابط الجماعة وتضامنها فيما بينها عن طريق اللغة • وان هذا الاضطراب في الاشتقاق ووضوح وسائله وثباته مكّن العرب من تمييز الدخيل الملحق الذي لا صلة معنوية له بالمادة الاشتقاقية • وان الكلمة فيها عنصران ثابتان في اللغة : عنصر مادي هو الحروف وعنصر معنوي هو معناها العام الذي تنصرف اليه هذه الكلمة • وان كثيرا من ألفاظ العربية تهدينا الى مفاهيم العرب وعاداتهم القديمة بشكل صريح وواضح ، وذلك بتوسل المجاز والاشتقاق في معرفة هذه الالفاظ • فالمسكن مكان السكنة ، والعقل يعقل صاحبه عن الشر وليس الادراك والنضج فقط • والشريف هو المرتفع بأخلاقه لأن الشرف

(٩) اللغات السامية ص ٧٥ •

(١٠) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٢ •

هو الارتفاع • والجار هو من تمنع عنه الجور • والمرء والمرأة من أصل واحد ومنهما المروءة^(١١) • الى غير ذلك من الصور اللغوية التي تدلنا بوضوح على فكر القوم ونمط معيشتهم •

هذه الأمور بمجموعها هي من الخصائص الكثيرة التي امتازت بها هذه اللغة وعبرت عنها منذ أن وجدت وتكلم بها المتكلمون • والعربية على هذا تعتبر في بعض التقسيمات من (اللغات المرتقية) التي تمتاز « بسعة نطاقها واحتوائها على أكثر ما يحتاج اليه الانسان من أنواع التعبير ، ومنها لغات العالم المتمدّن »^(١٢) ، وهي كذلك من اللغات (المتصرفة) في تقسيم اللغات الى : متصرفة وغير متصرفة^(١٣) • وقد حفلت هذه العربية بشروة ضخمة جدا من الألفاظ التي لو جمعنا ما دونت المعجمات اللغوية منها مضيفين اليها ما فات هذه المعجمات لكان بين أيدينا كمية كبيرة قد لا نجد مثلها في لغة قرية أخرى ، حيث ان العربية ظلت طوال عصورها المديدة تزيد هذه الثروة وتوسعها وتضيف اليها أشياء جديدة لا قبل لها في العصور الأولى بمثل هذه المستحدثات • وقد توسلت العربية لهذا التنامي بوسائل كثيرة نعرض لها الآن واحدا واحدا •

القلب

هو عبارة عن تقديم بعض اصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي^(١٤) ، مثل يؤس وأيس ، وجبذ وجذب وبكل ولبك • • الخ ، ولهذه الظاهرة امثلة لا تحصى كثرة في العربية الفصيحة ، وتعليل ذلك هو ميل الناطق الى السهولة واليسر في كلامه •

(١١) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٧٠ وما بعدها •

(١٢) الفلسفة اللغوية ٢١ •

(١٣) الفلسفة اللغوية ٢١ •

(١٤) انظر : نشوء اللغة العربية ونموها ١٦-١٨ ، ومقدمة لدرس لغة

العرب ٢١٤ ، وتاريخ اللغات السامية ١٦٥ •

ويلاحظ أن بعض الكلمات المقلوبة ، بعد أن تشيع على الالسنه ، تأخذ مجراها الطبيعي في اللغة باستعمال باقي المشتقات منها ، ولما لم يدرك اللغويون العرب ذلك حكموا باصالة بعض المقلوبات ، والظاهر أن النحاة واللغويين كانوا في خلاف فيما بينهم في هذا التفسير^(١٥) ، وقد عدّ ابن فارس القلب من سنن العرب وجعله على شكلين : قلب في الكلمة كجذب وجذب ، وقلب في القصة كقولهم : كان الزناء فريضة الرجم^(١٦) . ونفى ابن فارس أن يكون في القرآن شيء من المقلوب ، ونستشعر من هذا النفي أنه أدرك أن كثيرا مما أسموه بالمقلوب من الألفاظ غير فصيح . وقد ضمت كتب اللغة طائفة من هذه الألفاظ المقلوبة دون أن تنص أنها مقلوبة ، من ذلك : فجر و فرج ، وسلط و سطل و جمر و رجم وغير هذا^(١٧) . والظاهر أن القلب يحدث في الغالب اعتباطا أي دون قاعدة محددة يسير عليها سوى الميل لتخفيف اللفظ أو للتفنن فيه ، وهو أقل من الإبدال عددا وأندر وقوعا في العربية^(١٨) ، على أننا لا نعدم أن نجد له آثارا في بعض اللغات السامية ، ففي العبرية مثلا نقول :

(גַּחַל : גַּחַל) ، (גַּחַל : גַּחַל) ، (גַּחַל : גַּחַل) .

وغير ذلك^(١٩) .

وقد عد كثير من علماء العربية القلب لهجتين مختلفتين ، فكل من صورته لهجة قليلة . وأول من أشار إلى ذلك الخليل بن أحمد^(٢٠) .

(١٥) المزهر ٤٨١/١ ؛ ونقل السيوطي عن ابن دريد هذا المعنى من الخلاف : المزهر ٤٧٦/١ .

(١٦) الصاحبى ١٧٢ وعنه في المزهر ٤٧٦/١ ومثله في فقه اللغة للشعالبي . ٥٦٥ .

(١٧) التطور اللغوي التاريخي ١١٦ .

(١٨) الفلسفة اللغوية ٥٩ وفقه اللغة وخصائص العربية ٦٨ .

(١٩) تاريخ اللغات السامية ١٦٥ .

(٢٠) العين المطبوع ص ٣٢٩ مثلا .

الذي كان في منأى عما أحدث البصريون بعده من خلط بين القلب اللغوي والقلب النحوي حين لم يفرقوا بين القلب في : (جذب وجذب) وبينه في : (هارٍ وهائر) (٢١) . ومن الغريب حقا أن يكون القلب خالقا للتضاد أحيانا ، فقد نقل عن : « ثعلب عن ابن الاعرابي : الرّوش الاكل الكثير ، والورّش الاكل القليل » (٢٢) ، وليس من الضروري لتفسير ذلك ان نذهب الى أن كل واحدة منها هي لغة قبيلة ، لان صورة اللفظين مختلفة ، ويستطيع ابن القبيلة الواحدة استعمال اللفظين في المعنيين دون أن يكون ذلك مشكلة دلالية كما لو كان التضاد في لفظ واحد ، ولكن المسترعي للنظر ان يكون هذان المدلولان المتضادان هما نتيجة القلب اللغوي الذي لحق أصوات اللفظ .

وقد ألف في القلب جماعة من اللغويين القدماء كما ألف بعضهم في ابطاله كابن درستويه ، فقد ألف كتابه (ابطال القلب) منكرا فيه وجود هذه الظاهرة في اللغة (٢٣) ، والراجح - والكتاب مفقود - ان ابن درستويه ذهب في ابطاله مذهب النحاة الذين لم يعدّوا من القلب ما كان لكل صورة أصل اشتقت منه ، وان هذا الأصل هو لغة قوم والأصل الثاني لغة آخريين مشغولة أذهانهم بالقلب النحوي . ومهما يكن من أمر فإن مادة القلب - وهي تؤلف جانبا كبيرا من المعجم القديم - كانت من الوسائل التي توسلتها العربية لتكثير ألفاظها ومعانيها ، أو قل لتكثير ثروتها اللغوية .

الاببدال

ويقصد به ابدال حرف من كلمة ما بحرف يقرب منه لفظا ، ويحصل غالبا بين الحروف التي هي من حيّز واحد او مخارج متقاربة ، وقد يقع

(٢١) انظر : تاريخ آداب العرب ١٨٦/١ - ١٨٧ .

(٢٢) لسان العرب (روش) ٣٠٨/٦ .

(٢٣) المزهر ٤٨١/١ .

الابدال بين الاحرف المتقاربة في حكاية أصواتها ، ولو كانت من مخارج متباينة^(٢٤) ، وعد ابن فارس الابدال أيضا من سنن العرب^(٢٥) ، مشعرا ان العرب تقصدوا وتعمدوا اقامة حرف مكان آخر فصار من سننهم ، وهو أمر بعيد لأن اللغة فطرة وبداهة ، والعربي في كل مكان مطبوع على هذه الفطرة ، فهو حين يقول مدحه لا يمكن أن يقول في وقت آخر مدحه ، اذ ليس من المستساغ أن يستمر هذا الناطق شيئا غريبا عن لغته وقد ذهب هذا المذهب ابن السكيت من الاقدمين أى الى جواز حصول الابدال في لغة القبيلة الواحدة^(٢٦) ومثله ابن سيده^(٢٧) ، الا أن ابا الطيب اللغوى تنبه الى ذلك ووضحه فقال : « ليس المراد بالابدال ان العرب تستعمل تعويض حرف من حرف ، وانما هي لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب اللفظتان لغتين لمعنى واحد ، حتى لا يختلفا الا في حرف واحد »^(٢٨) . ولكن ابن فارس عاد فيخرج ما جاء في قوله تعالى (فانفلق فكان كل فريق) بقوله : « اللام والراء يتعاقدان كما تقول العرب (فلق الصبح وفرقه) وذكر عن الخليل ولم أسمعه سمعا انه قال في قوله جل ثناؤه (فجاسوا) انما أراد (فحاسوا) فقامت الجيم مقام الحاء . وما أحسب الخليل قال هذا ولا أحقه عنه »^(٢٩) . فابن فارس في الوقت الذي لا يمنع ان يكون في القرآن مثل فلق وفرق ابدالا ، يستبعد أن يكون الخليل قد أشار

(٢٤) انظر : الفلسفة اللغوية ٦٠ ومقدمة التنوخي لكتاب الابدال ٩/١ وفقه اللغة وخصائص العربية ٦٦ والتطور اللغوى التاريخي ١٠٦ ونشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها ١٨-٢٠ ومقدمة لدرس لغة العرب ٢٣٩ .

(٢٥) الصاحبى ١٧٣ ومثله في فقه اللغة للثعالبي ٥٦٤ .

(٢٦) التطور اللغوى التاريخي ١٠٨ .

(٢٧) المخصص ١٩/١٤ .

(٢٨) المزهر ١/٤٦٠ .

(٢٩) الصاحبى ١٧٣ .

الى ذلك • ولعل الفارق بين الاثنين هو ان الآية صريحة في احتوائها على المبدل في حين كان المبدل في الثانية من نظر الخليل ، وكأن ابن فارس لم يشأ أن يغير ماور بنص القرآن ، وذلك بدافع تقديس هذا النص واحترامه • وعبارته أعلمتنا عرضا ان الخليل هو اول لغويي العرب اشارة الى امكان وقوع الابدال في اللغة ، واذا رجعنا الى (العين) وجدنا من اشارات الخليل المبثوثة فيه ما يؤيد ذلك (٣٠) الا ان الخليل مع ذلك حار في الذعاق والزعاق فلا يدرى أهى لغة أم لغة (٣١) ، وهو تلميح قديم الى أن في الأمر فوضى أضاعت بعض الحقائق حتى على الخليل ابن أحمد •

وعلى هذا يكون الابدال من حيث حقيقته اللغوية نوعين : الأول هو ماكان لغات مختلفة والمعنى واحد مثل : لعلمي ولألني ، وان فعل وهن فعل ، فلا تعتمد القبيلة الواحدة النطق بالصورتين مبدلة حرفا من حرف ، وانما تكون احدى الصورتين لقبيلة والصورة الثانية لقبيلة اخرى • والثاني هو ماكانت الصورتان في لغة القبيلة الواحدة ، وفي هذه الحالة يكون لكل صورة من صور الابدال دلالة تختلف شيئا عن دلالة الصورة الاخرى مثل لطمه ولدمه فالأولى للضرب بالكف وهي مفتوحة والثانية للضرب بشيء ثقيل يسمع صوته ، ومثل لثم أنفه ورثمه ، فالأولى بمعنى لكمه والثانية بمعنى كسره (٣٢) والى هذه النقطة الاخيرة ذهب أحمد فارس الشديق فقال : « واكثر مايكون القلب والابدال في الألفاظ الدالة على القطع والكسر والخرق والهدم والشق والعزق والتبديد لأنها كلها من جنس واحد وجملتها مأخوذة من حكاية صوت • نحو : قت وقد • وقض

(٣٠) العين (الجزء المطبوع) ٩٥ ، ١٦٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ •

(٣١) العين ١٦٨ •

(٣٢) انظر : تاريخ آداب العرب ١/ ١٨٥ ، ومن اسرار اللغة ص ٥٧ •

وقط • وجدّ وجثّ وجدّ • جزّ • « (٣٣) والخليل نفسه أشار الى ذلك في مقدمة العين وقرّر انه اذا اتفقت الكلمتان في أصلين من أصولها الثلاثة فلا بد أن يكون الأصل الثالث مبدلاً ولا بد أن تكون الكلمتان من أصل واحد ، الا أن ابن جني لا يذهب مذهب الخليل في الجزم بأن أحد الحرفين مبدل من الآخر لمجرد ورود صورتين للفظ الواحد واتفاقهما في الأصلين الآخرين ، وانما يشترط أن يقوم دليل يدل على ابدال الحرف من الآخر (٣٤) •

وكثيرا ما تشترك اللغات السامية في الاتفاق على أصلين من أصول الكلمة الصوتية وتبدل الأصل الثالث نتيجة القوانين الصوتية التي سارت عليها كل لغة من هذه المجموعة ، فكثيرا ما تبدل الباء الآرامية ميماً في العربية ، والجيم السريانية ضاداً في العربية ، وصاداً أو سيناً في العبرانية ، والذال العربية زايماً في العبرانية وما الى ذلك (٣٥) ، ومن الامثلة العملية على هذا : ضوى يضوى فهو ضاؤ في العربية وضوى يضوى بالصاد في اللغات اليمنية القديمة • لذا كانت مادة الابدال صورة من صور تطور اللغة التاريخي وكاشفاً عن أصول كثير من الكلمات وعما يمكن أن يكون بينها من روابط قديمة •

ولانذهب الى ما ذهب اليه محقق ابدال ابي الطيب من تفسير بعض المبدلات بأنها مترادفات ، مستندا الى عدم ترابط صوتي بين الحرفين المبدلين كالذال واللام في (هذب العين هلبها) التي ذكرها ابو الطيب في ابدالها بل سائر ما ذكره ابو الطيب في باب الذال واللام ، وذلك أن الذال نطعية

(٣٣) سر الليال في القلب والابدال ص ٥ • وانظر تاريخ آداب العرب ١٨٤/١ •

(٣٤) سر صناعة الاعراب ٢١٩ •

(٣٥) انظر : مقدمة في الاصول اللغوية المشتركة بين العربية والعبرية ص ٣ - ٥ •

واللام ذليقة وتمتاز الدال بالإصمات والقلقلة لذا فهو يرجح أنهما أصلان مستقلان وإنما بالترادف أشبه منهما بالتعاقب (٣٦) • ولا حَقَّ له في ذلك لأن ابا الطيب نفسه لم يشترط في الابدال تقارب المخارج كما اشترطها ابن السكيت مثلاً ، والعلماء في ذلك على خلاف • كما اختلف اللغويون والنحويون في الابدال نفسه فالابدال عند اللغويين هو غيره عند النحويين اذ هو عند الاخيرين مسائل قياسية مطردة ليست من بحثنا اللغوي هذا (٣٧) • وليس الاصمعي هو أول من اطلق اسم (الابدال) على هذه الظاهرة اللغوية كما ذهب الى ذلك احد الباحثين (٣٨) • فنحن نجد اشارات واضحة لهذه التسمية عند علماء سبقوه كالفراء مثلاً (٣٩) • وكذلك ابن السكيت وهو من معاصري الاصمعي وتلاميذه سمي كتابه في الابدال (القلب والابدال) وكأن القلب من صور الابدال فلم يعن بالأول ولم يلتفت اليه ، ومن يتصفح الكتاب لا يعثر الا على : السدول والسدون ، ولوبة ونوبة ، ومخجت بالدلو ونخجتها ، وعبايد وعبايد ، والمغظمة والمغظطة (٤٠) • وجعل ابن قتيبة نوعاً من الابدال سماه (الابدال من المشدد) مثل تكمكم من تكمم ، وتلمل من تملل (٤١) ، مما لم نجده عند غيره ممن عرضوا للابدال • والحقيقة ان هذا الحرف (المشدد) كما سماه ليس مبدلاً من حرف آخر وانما هو تكرار اقتضته السهولة المتوخاة من فك التضعيف ، والعرب كثيراً ما يفكون التضعيف طلباً لهذه السهولة في النطق •

(٣٦) التنوخي : ابدال أبي الطيب ٣٧/١ • والى مثله ذهب ابراهيم انيس (من أسرار اللغة) ص ٦٥ •

(٣٧) انظر : امالي القالي ١٨٦/٢ والمزهر ٤٦٠/١ •

(٣٨) التنوخي : مقدمة ابدال ابي الطيب ٦/١ •

(٣٩) معاني القرآن ٤١/١ ، ٤٨٠/١ ، ٣٨٤/٢ •

(٤٠) القلب والابدال ٤ ، ٥ ، ١٩ ، ٦٣ ، ٦٥ •

(٤١) ادب الكاتب ٣٦٨ •

وذهب المحدثون الى ان الابدال قد ينشأ نتيجة الخطأ في السمع ،
 « مثل : عميق التي تبدل غميق ومنها غامق ، أو تسمع (حدث) فتصبح (جذف)
 وهي موجودة في القرآن » (٤٢) كما ذهبوا الى أنه قد ينشأ نتيجة التصحيف
 والتحريف (٤٣) ، ومن أمثلة ذلك : أعللت الابل وأغللتها ، وهي تصحيف
 بنص الازهرى (٤٤) . وعد المحدثون الابدال من مظاهر التطور الصوتي ،
 وهو تطور طبيعي وسنة من سنن اللغة يفرضها الزمن كما يفرض كثيرا
 من سننه عليها فتتغير وتتطور ، وفسروا كثيرا من الفاظ الابدال على هذا
 الاساس ، وذلك في الصور التي لم ينص على انها لغات مختلفة ، ومن هنا
 كان للعلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه دور كبير في تبين سير
 هذا التطور الذي كان من وسائل العربية في النمو والثراء .

الاشتقاق

وهو عبارة عن توليد بعض الألفاظ من بعض ، وذلك بأن ترجع
 جميع الالفاظ المشتقة الى أصل واحد يحدد معناها المشترك الأول ، ويشير
 الى المعنى الخاص الجديد (٤٥) . وقد عرفه القدماء بأنه : « أخذ صيغة من
 أخرى مع اتفاقها معنى ومادة أصلية ، وهيئة تركيب لها ، ليدل بالثانية على
 معنى الأصل بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفا او هيئة ، كضارب من
 ضَرَبَ ، وحذر من حذر » (٤٦) وقد جعله ابن فارس قياساً
 مطّرداً في اللغة (٤٧) . وحاول أن يربط بين هذا الذي
 قاله وبين أخذه نظرية توقيف اللغة اذ يقول : « وليس لنا اليوم أن نخترع

(٤٢) محاضرات الدكتور السامرائي (مدونتي) ٣٢ .

(٤٣) من اسرار اللغة ٦٥ .

(٤٤) لسان العرب ١١/٤٦٨ .

(٤٥) انظر : طرق تنمية الالفاظ في اللغة ٤١-٤٤ ومقدمة لدرس لغة

العرب ٢٠٥ .

(٤٦) المزهر ١/٣٤٦ .

(٤٧) «الصاحبي» ٣٣ .

ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه ، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها » (٤٨) • فهو قد سد الطريق على المشتقين أن يشتقوا غير ما سمع من الاوائل ، وهو بذلك ينكر مستحدثات اللغة التي دفعت اليها حاجات المجتمع الجديد ، يريد من ذلك المحافظة على اللغة الموقوفة ، وهي محاولة بعيدة التحقق لأن ما حدث في اللغة كان غير الذى أراد ابن فارس •

والاشتقاق نوعان : أصغر وأكبر ، فالأصغر هو الذى يقصد به رجوع جميع المشتقات المتفرعة عن الأصل الى معنى هذا الأصل ، الذى يكون جامعا مشتركا بينها في اغلب الاحوال الا ما ندر حين نجد أن بعضها يرد الى أكثر من أصل معنوى ، مثل مشتقات الفعل (عرف) التي تفيد جميعها معنى الانكشاف والظهور ، الا أن ابن فارس يرى مثلا : « ان العين والرء أصلان صحيحان يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض والآخر على السكون والطمأنينة » (٤٩) • وعرض السيوطي لهذا النوع من الاشتقاق فقال : « وطريق معرفته قلب تصارييف الكلمة ، حتى يرجع منها الى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطراد أو حروفا غالبا • كضرب فانه دال على مطلق الضرب فقط ، أما ضارب ومضروب ويضرب واضرب فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفا ، وضرب الماضي مساو حروفا وأكثر دلالة ، وكلها مشتركة في (ض ر ب) وفي هيئة تركيبها ، وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحتسب به » (٥٠) • وبالرغم من اطراد الاشتقاق الاصغر في اللغة واجتماع العلماء على أنه وسيلة ثرة من وسائل تكثير الالفاظ والمعاني ، فهناك من القدماء من أنكر وقوعه اصلا بزعم أن الالفاظ كلها أصل (٥١) ، وهذا الانكار

(٤٨) الصحابي ٣٣ •

(٤٩) مقاييس اللغة (عرف) ٢٨١/٤ •

(٥٠) المزهر ٣٤٦/١ •

(٥١) انظر : دراسات في فقه اللغة ١٧٥ •

لايتم لحقيقة المسألة بصلة ، كما أن الایغال في اعتبار كل الالفاظ مشتقة هو الآخر بعيد عن الحقيقة ، ذلك أن الاشتقاق الذي اُسِمناه بـ (الاصغر) ماهو الا توليد ألفاظ من أصل معروف هو الجامع المشترك لمعانيها جميعا ، وكل مشتق من هذا الأصل يحتفظ بجزء من ذلك المعنى الاصيل مخصصا له .

اما الاشتقاق الأكبر فهو عبارة عن قلب المادة الثلاثية الاصلية الى مجموعات صوتية ثلاثية تنصرف كل واحدة منها الى مدلول يشترك مع المدلولات الخمس الاخرى التي ينبثق عنها هذا القلب بشيء من نسب ، يقول السيوطي : « وأما الأكبر فيحفظ فيه المادة دون الهيئة ، فيجعل (ق و ل) و (و ق ل) و (ل ق و) وتقالبيها الستة بمعنى الخفة والسرعة . وهذا مما ابتدعه الامام ابو الفتح ابن جني ، وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيرا ، وليس معتمدا في اللغة ، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب » (٥٢) . اقول : ليس هذا مما ابتدعه ابن جني كما ذهب السيوطي ، وانما اذهب مع من ذهب الى القول بأن أصحاب الاشتقاق الكبير اقتبسوا فكرة قلب الاصول من معجم (العين) للخليل (٥٣) ، فالفكرة نفسها هناك مطبقة أروع تطبيق ، وعلى منهج الخليل سارت معجمات كثيرة بعده كالتهذيب والمحيط والبارع وغيرها . ولا يشترط في هذا الاشتقاق ان تكون جميع قلبياته مستعملة ، فقد يكون بين مشتقاته ماهو مهمل غير مستعمل كما ينص الخليل على ذلك في العين .

النت

هو عبارة عن تكوين كلمة من كلمتين أو اكثر لتدل على معنى جامع

(٥٢) المزهر ١/٣٤٦ وانظر : الخصائص ١/٥٢٧ - ٥٢٨ .
(٥٣) المخزومي : عبقرى من البصرة ٦٠ وما بعدها ، والصالح : دراسات في فقه اللغة ١٨٩ .

لمعاني الاصول التي نحتت منها • وهو قليل الورد في العربية لو قرن بما ورد فيها من اشتقاق أو ابدال او مترادف مثلاً ، ذلك أن العرب لم يروا حاجة اليه كحاجتهم للاشتقاق ، فقد استغنوا بغيره عنه ، فلم يخلفوا من امثله الا القليل •

والنحت على أنواع منها : نحت من جملة كقولنا : بسمل وحمدل وحوقل فهي منحوتة من بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله ، وهذا النوع هو مما استحدث بعد الاسلام فلاشواهد قبل الاسلام عليه • ومنها : نحت من مركب اضافي واكثر مايكون في اعلام الاشخاص والقبائل التي ركبت تركيباً اضافياً مثل : عبشمي وعبدري وعقبسي فهي من : عبد شمس وعبدالدار وعبدالقيس ، ومثلها تعبشم وتعبدر وتعبقس ، وهذا النوع مرهون بما سمع فيه من شواهد معدودة قليلة (٥٤) ومنها : نحت من أصليين مستقلين أو اكثر للدلالة على معنى مشترك بين هذه الأصول ، وهذا النوع نادر في العربية بل في كل لغات المجموعة السامية ، شائع في لغات المجموعة الهندية الأوربية شيوعاً لافتاً للنظر ، وهو في العربية لايتجاوز بضع عشرات من الكلمات قيل انها منحوتة من أصليين مستقلين (٥٥) وذلك مثل (بز مخ) التي رأى ابن فارس انها : « منحوتة من زمخ وبزخ ، يقال : بز مخ الرجل : اذا تكبر (٥٦) ، كما أشار الى غيرها في (مقاييس اللغة) وعد ابن فارس النحت جنساً من الاختصار فقال : « العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار وذلك (رجل عبشمي) منسوب الى اسمين ••• وهذا مذهبنا في ان الاشياء الزائدة على ثلاثة أحرف

(٥٤) المزهر ١/٤٨٥ •

(٥٥) فقه اللغة (وافي) ص ١٨٠ - ١٨٣ ، وفقه اللغة وخصائص العربية ص ١٤٨ •

(٥٦) مقاييس اللغة ١/٣٣١ •

فأكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد (ضَبَطَر) من ضبط
وضبر • وفي قولهم (صَهْصَلِق) انه من سهل وصلق وفي الصلدم انه
من الصلد والصدم • (٥٧)

وأول من بحث ظاهرة النحت من اللغويين العرب القدماء هو الخليل
ابن احمد فقال : « فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلا ، قال :

وتضحك مني شَيْخَة عَشْمِيَّة ” كَأَن لَمْ تَرِي قَبْلِي أُسِيرَا يَمَانِيَا
نسبها الى عبد شمس ، فأخذ العين والباء من (عبد) وأخذ الشين
والميم من (شمس) واسقط الدال والشين ، فبني من الكلمتين كلمة ، فهذا
من النحت وهو من الحجة ، وما وجد من ذلك فهذا بابه ، والا فان العين
مع هذه الحروف : الغين والهاء والخاء مهملات » (٥٨) • فالخليل هنا قرر
ما يكون قاعدة لغوية نستطيع بوساطتها أن نكشف النحت في الالفاظ ، وذلك
باجتماع حرفين من الحروف التي نص عليها ، في لفظ واحد • كما أشار
الى النحت تلميذه سيوييه (٥٩) ؛ وعرض له جمهرة من العلماء (٦٠) أكثرهم
توسعا فيه ابن فارس ، غير ان منهم من أغرب في تلمس هذه الظاهرة في
الحروف والادوات فذكر أن (لن) و (لا) و (لولا) واشباهها هي من
المنحوتات من أصليين مختلفين (٦١) •

وإذا كان النحت وثيق الصلة بالاشتقاق وهو — بشيء من التشابه —
نوع منه ، وكلاهما توليد شيء من شيء ، وفي كل منهما فرع وأصل (٦٢) ،

(٥٧) الصاحبى ٢٢٧ ، وعنه في المزهري ٤٨٢/١ ، وفقه اللغة (الثعالبي)
ص ٥٧٨ •

(٥٨) العين ٦٨ — ٦٩ •

(٥٩) كتاب سيوييه ٨٨/٢ •

(٦٠) المزهري ٤٨٢/١ •

(٦١) سر صناعة الاعراب ٣٠٤ •

(٦٢) دراسات في فقه اللغة ٢٤٣ •

فانهما يفترقان في ان الاشتقاق في اغلب صورهِ عملية اطالة لبنية الكلمات ، في حين ان النحت اختزال واختصار في الكلمات والعبارات (٦٣) . وان الاشتقاق يشبه في طريقة توالده توالد الاحياء في زيادتها ونموها ، بخلاف النحت فطريقته أشبه بطريقة الجوامد في زيادتها ونموها عن طريق اللصق والاضافة (٦٤) . هذا عدا اختلافهما في الاسلوب ، ففي الاشتقاق استخراج كلمة من كلمة ، وفي النحت استخراجها من كلمتين أو جملة . الا أن بعض دارسي اللغة المحدثين ذهب الى ان النحت يقع في الثلاثي ايضا ومثل له بقولهم : نبض الماء اذا سال ، فانه يصح أن يكون من (نبض) و (نبض) وكلاهما بمعنى نبض (٦٥) . وذلك وهم لاننا رأينا ابن فارس قد اشترط أن يكون النحت فيما كان أكثر من الثلاثي أى في الرباعي والخماسي (٦٦) ، ومثل لذلك بـ (ضَبَطَر) و (صَهَصَلِق) وغيرهما . ويمكن أن يفسر المذهب الاول بالنائية واختلاف الاصلين مما سنعرض له في تفسير الأضداد . وهناك من ذهب الى ان الحروف في العربية منحوتة هي الاخرى وانها بقايا كلمات ، ونصوا على أحرف المضارعة ، فالهمزة من (أنا) والنون من (نحن) والتاء من (انت) وهكذا ، بل راحوا يتلمسون ذلك في اللغات السامية أيضا مقارنين بينها وبين العربية (٦٧) .

واصطلح المحدثون على ظاهرة حذف بعض الاصوات من الكلمة اختصارا لها وتسهيلا للنطق بها (هابلولوجي) واعتبروا ذلك ميلا عاما في تطور بنية الكلمات ودليلهم ان لغات الامم البدائية تكون أكثر كلماتها متعددة المقاطع ، وهي تمثل المرحلة السابقة لمرحلة الاختصار والحذف ،

(٦٣) من اسرار اللغة ٧١ .

(٦٤) فقه اللغة وخصائص العربية ١٤٩ .

(٦٥) تاريخ آداب العرب ١/ ١٨٨ .

(٦٦) الصاحبي ٢٢٧ .

(٦٧) تاريخ آداب العرب ١/ ١٨٩ .

وان ذلك - عندهم - ميل ما يزال سائدا في اللغات الحديثة ، والنحت هو الاختزال والاختصار الذي يقصدون اليه • وتدل الامثلة التي رويت عن النحت ان لفتنا العربية قد قطعت شوطا بعيدا في التطور اللغوي في هذه الناحية (٦٨) • ومهما تكن الآراء المطروحة في النحت فهو عامل من عوامل نمو العربية ، وان كانت نسبته أقل من نسبة العوامل الاخرى •

الاتباع

عرفه ابن فارس فقال : « وهو ان تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها اشباعا وتأكيذا » ثم قال « وروى ان بعض العرب سئل عن ذلك فقال : هو شيء تدب به كلامنا • وذلك قولهم : ساعب لاعب • وهو خب • ضب • وخراب يباب • وقد شاركت العجم العرب في هذا الباب » (٦٩) • والاتباع انواع بينها ابن فارس في كتابه الذى وضعه لهذا الفن فقال : « الاتباع على وجهين : أحدهما أن تكون كلمتان متواليان على روى واحد • والوجه الآخر أن يختلف الرويان » (٧٠) ، هذا من الناحية الشكلية التي تتصل بالروى ، أما من ناحية المعنى والدلالة فالمسألة ايضا : « على وجهين : أحدهما ان تكون الكلمة الثانية ذات معنى • والثاني ان تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بيّنة الاشتقاق الا انها كالاتباع لما قبلها » (٧١) ، وهذا التقسيم الأخير هو الذى ذكره القالي في أماليه •

ومن هنا كان الاتباع من طرق تنامي اللغة واتساعها ، ففي الاتباع تأكيد لمدلول الكلمة المتبعة بالكلمة الاخرى ، فاذا كانت الثانية مما تعرف العرب مدلولها فيها والا فهي تمتص من الأولى دلالتها شيئا فشيئا ، حتى

-
- (٦٨) انظر : من أسرار اللغة ٧٩ ومقدمة لدرس لغة العرب ٢٣٦ •
 (٦٩) الصاحبي ٢٢٦ وعنه في فقه اللغة للشعالبي ٥٦٦ والمزهر ٤١٤/١ •
 (٧٠) الاتباع والمزاوجة ٢٨ •
 (٧١) الاتباع والمزاوجة ٢٨ •

تتكمّل لها الدلالة كما هي في الكلمة الاولى ، وحينئذ تكون في صف الكلمات التي اتبعت ولها معنى معروف كما يسميها اللغويون ، وهكذا بالنسبة للباقيات من الكلمات ، واللغة خلال هذا تستحدث الكلمات الثانية التي ليس لها معنى معروف باستمرار ، حتى تزخر بالفاظ جديدة ومعان جديدة (٧٢) ، وقد أُلّف في الاتباع جماعة منهم ابن فارس - وقد اشرنا الى تأليفه - وايو الطيب اللغوي (٧٣) ، والسيوطي (٧٤) ، وغيرهم .

المجاز أو الاستعارة

هو عبارة عن نقل كلمة الى غير ما وضعت له اصلا في المعنى لسبب بين الموضوعين هو وجه الشبه . وعد ابن فارس الاستعارة من سنن العرب يوضرب لها الامثلة (٧٥) . ومن طريق المجاز اتسعت المعاني في العربية ، لان الكلمة أو العبارة التي تنقل من موضعها الى موضع ثان تختلف دلالتها لاختلاف القصد الجديد الذي تطلق للدلالة عليه ، وقد استكثر العرب من المجاز حتى انا نستطيع أن نقول ان المجاز هو العامل الأكبر الذي بواسطته رأينا هذه الكثرة من المعاني في العربية « وعمدتنا في ذلك النقل المتواتر عن العرب لانهم يقولون : استوى فلان على متن الطريق ولا متن لها . وفلان على جناح السفر ولا جناح للسفر . وشابت لمة الليل ، وقامت الحرب على ساق . وهذه كلها مجازات ومنكر المجاز في اللغة جاحد للضرورة ، ومبطل محاسن لغة العرب » (٧٦) .

(٧٢) مقدمة لدرس لغة العرب ٢١٧ .

(٧٣) كتاب الاتباع : حققه عز الدين التنوخي وطبعه المجمع في دمشق ١٩٧١ م .

(٧٤) كتاب الاماع في الاتباع : ذكره في المزهري ٤١٤/١ وهو اختصار لكتاب ابن فارس (الاتباع والمزاوجة) واستدراك عليه .

(٧٥) الصاحبى ١٧٣ .

(٧٦) المزهري ٣٦٥/١ .

والواقع ان المجاز جار في كل اللغات الانسانية دون استثناء ، وهو
يعبر عن تطور العقلية التي تستخدمه في كلامها ، واللغة مدفوعة بدافع
الحاجة لهذا المجاز وذلك أن كثيرا من الامور التي يتخرج الناطق من
التلفظ بها حياء تارة وخوفا تارة اخرى ولاسباب متعددة تلجئ المتكلم
الى أن يستعير لها شيئا يقوم مقام اللفظ الحقيقي ، وهذا المستعار هو المعنى
المجازي ، ويدخل فيه ماخالف ظاهر اللفظ معناه لأن : « من سنن العرب
مخالفة ظاهر اللفظ معناه ، كقولهم عند المدح : قاتله الله ما أشعره • فهم
يقولون هذا ولا يريدون وقوعه (٧٧) » • وعلى هذا تكون اللغة مشتملة على
الحقيقة والمجاز معا ، ولا قيمة لقول ابي اسحاق الاسفرائيني : ان لا مجاز
في لغة العرب (٧٨) • ذاهبا الى أن كل الفاظ العرب ومعانيهم حقيقة
لا مجاز فيها ولا انتقال ، ولعله كان يرى هذا بوحى من فكرة التوقيف
لأن في المجاز استحداثا وتجديدا قد ينقضان عليه هذه الفكرة • واننا يجب
ان لا يغيب عن بالنا أن قدم العهد في المستعار يجعله في عداد الالفاظ والمعاني
الحقيقية لا تشابه على ألسن الناس انتشار الحقيقي من كلامهم ، فيحتاج
فيه الى مجاز آخر يكنى به عن هذا المعنى • وهكذا نجد في المعنى الواحد
الفاظا كثيرة قد تصل الى عشرات أو مئات كالالفاظ الدالة على الجنس
وما يتصل به ، فقد حفلت المعجمات بشيء عجيب من ذلك ، وكله في الاصل
مجاز يشيع فيكون حقيقة يحتاج معها الى مجاز آخر وهكذا ، وذلك لأن
معاني هذا الباب مما يستحب فيه الكناية والتلميح ويستحب التلفظ بها •
« ومن هذا يعرف أن الحقيقة قد تصير مجازا وبالعكس فالحقيقة متى قل
استعماله صارت مجازا عرفا ، والمجاز متى كثر استعماله صار حقيقة
عرفا » (٧٩) وهناك حقيقة أساسية أخرى اشار اليها السيوطي في هذا

(٧٧) الصاحبى ١٦٩ •

(٧٨) المزهري ٣٦٢/١ •

(٧٩) المزهري ٣٦٨/١ •

الصدد وهي أنه « قد يجتمع الوصفان في لفظ واحد ، فيكون حقيقة ومجازاً . أما بالنسبة الى معنيين وهو ظاهر ، واما بالنسبة الى معنى واحد ، وذلك من وضعين كاللفظ الموضوع في اللغة لمعنى ، وفي الشرع او العرف لمعنى آخر فيكون استعماله في أحد المعنيين حقيقة بالنسبة الى ذلك الوضع . مجازاً : بالنسبة الى الوضع الآخر » (٨٠) . وهي ملاحظة دقيقة تشير الى تلك الالفاظ التي مثل : كافر وفاسق والحج والصلاة وغيرها مما استجد بعد الاسلام استخدامهما في غير ما وضعت له في الاصل ، فهذه الالفاظ وأضرابها مدلولات في معجمات اللغة هي غير ما عرفت به من مصطلحات نص الشرع على مدلولاتها ، وانتقال هذه الالفاظ من معانيها الحقيقية الى معانيها الاصطلاحية بواسطة الاستعارة هو من صور التطور اللغوي في دلالة الالفاظ بحيث تبقى الصلة بالمعنى الاصلي محفوظة في شكل من الأشكال . وسنجد ان المجاز بهذه الطريقة كان عاملاً مهماً من عوامل نشأة الاضداد .

المعرب والدخيل

المقصود بهما ما استقر في العربية من مفردات اقتبستها من لغات أجنبية على مر عصورها وأصبحت جزءاً من اللغة ، بعد أن تخضع لاسلوب العربية في النطق . والعربية شأنها في ذلك شأن جميع اللغات تتأثر وتتوثر في اللغات المجاورة بحيث يستدعي هذا التجاور الطويل أن تقتصر وتقرض كثيراً من المفردات ، يشجع على ذلك فرص الاحتكاك المادى والثقافى والسياسى بشعوب تلك اللغات . ومثلما صدق هذا التأثير والتأثير بين لهجات العربية نفسها ، يصدق فيما بينها وبين غيرها من اللغات (٨١) .

وان كثيراً من هذه الألفاظ الدخيلة المعربة كان لها ما يقابلها في

(٨٠) المزهر ١/ ٣٦٧ .

(٨١) انظر : فقه اللغة لوافي ١٩٣ وما بعدها ودراسات في فقه اللغة ٣١٤-٣١٥ ونشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها ٣٥-٥٠ .

العربية ، إلا أنها استطاعت ببساطة أصواتها وسهولة نطقها فيما لو قورنت بمرادفاتها العربية أن تشق طريقها الى العربية وتقضى على هذه المرادفات. في الاستعمال وشواهد ذلك كثيرة في اللغة • يؤيد هذا ما نجده في المسألة معكوسة ، أعني أنه لو كانت المفردات العربية مما يستسهل العربي نطقها مقارنة بالمفردات الدخيلة التي تفتقر لهذه البساطة والخفة ، لوجدنا العربي ملتزما بمفرداته في الاستعمال مهملا تلك الالفاظ المعربة^(٨٢) • اذ لاشك في أن انتشار المفردات المعربة يتوقف على مدى خضوعها للاساليب الصوتية المتبعة في العربية ، لذا نجد كثيرا من هذه الالفاظ ما يبتعد عن صورته الأولى من ناحية أصواته ووزنه وطريقة نطقه ، حتى يصير بالشكل الذي « تنفوه به العرب على منهاجها » كما يقول الاقدمون^(٨٣) •

وأول من أشار الى المعرب في اللغة هو الخليل ، فقد نص على الالفاظ المعربة في العين ، مثل قوله « عمصت العامص وأمصت الآمص : أي الخاميز ، معربة »^(٨٤) • وهي أول اشارة في معجم فتحت الطريق لوضّاع المعجمات بعده أن ينصوا على الالفاظ المعربة في اللغة كالجوهري في الصحاح وابن دريد في الجوهرة وغيرهما • وإشارة الخليل في العين تدل على أن الدخيل قديم في العربية ، ولعلنا لانغالي اذا قلنا ان العربية آوت الدخيل منذ جاور العرب الشعوب الاعجمية في أطراف الجزيرة واتصلوا بها عن طريق تجارة او غيرها •

وانبرى اللغويون للمعرب والدخيل من الالفاظ يؤلفون فيها كتبهم ، ولكن الملاحظ على هؤلاء انهم كثيرا ما نفوا أعجمية لفظ لأن القرآن نزل به ، وليس في القرآن عندهم دخيل ، ولعلمهم كانوا مدفوعين لذلك بدافع تنزيه

(٨٢) انظر : فقه اللغة لوافي ١٩٦ للوقوف على الامثلة •

(٨٣) المزهر ١/٢٦٨ •

(٨٤) العين (الجزء المطبوع) ٣٦٩ •

القرآن وتنقيته مما قد يكون مأخذا عليه ، من حيث أنه خالف دعواه بأنه قرآن عربي على حد قوله ، بهذه الألفاظ الأعجمية الدخيلة^(٨٥) .

ويدخل في باب المعرب والدخيل ما أسماه اللغويون بالمولد « وهو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتاجون بالفاظهم • والفرق بينه وبين المصنوع ان المصنوع يورده صاحبه على انه عربي فصيح وهذا بخلافه »^(٨٦) . وقد نصوا على الألفاظ المولدة في المعجمات اللغوية وكتب اللغة ، فقد ذكروا أن الاصمعي كان يقول : « التحرير ليس من كلام العرب وهي كلمة مولدة »^(٨٧) . وان ابن دريد كان يقول « سميتهم الأتشي من القروء مئة ، مولد »^(٨٨) . وحاولوا أن يحددوا عصر توليده في اللغة في مثل قولهم : « أيام العجسوز ليس من كلام العرب في الجاهلية ، وانما ولد في الاسلام »^(٨٩) . وقد عرض للمولد وجمع الفاظه ودرس أساليبه جمهرة من اللغويين في مصنفاتهم ، وعلى رأسهم مؤلفوا لحن العامة ، فهم قد حفظوا لنا بذلك جانبا مهما من جوانب التطور التاريخي للغة ، اذ لولا هذا الاهتمام بتسجيل المولد والنص على ألفاظه لضاع تحديد معالم هذا التطور في خضم المفردات اللغوية الكثيرة ، ولأصبحت هذه المولدات جزء من اللغة القديمة وخسر الباحث في التطور اللغوي معالم مهمة في هذا الميدان ، وواضح ان العربية اغتنت كثيرا بفتحها باب التعريب والتوليد ونمت بهما نموا كبيرا واتسعت على صعيد الدلالة اتساعا ملحوظا • ولا يفوتنا أن نذكر ان بعض الباحثين المحدثين ذهب الى ان التصحيف والتحريف من مولدات المعاني ، وانهما ساعدا على انتشار المولد ، فكانا من وسائل تكثير العربية^(٩٠) .

(٨٥) دراسات في فقه اللغة ٣١٨ •

(٨٦) المزهر ٣٠٤/١ •

(٨٧) المزهر ٣٠٤/١ •

(٨٨) المزهر ٣٠٤/١ •

(٨٩) المزهر ٣٠٤/١ •

(٩٠) الكرملی : نشوء اللغة العربية ونموها ٢١-٣٥ •

الترادف

الترادف في المصطلح اللغوي عبارة عن انصراف عدة ألفاظ الى المعنى الواحد أو المسمى الواحد ، مثال ذلك اسماء الخمر ، فمنها العقار والصهباء والمدامة والسلافة والنشوة وما الى ذلك من أسماء تنصرف جميعها للدلالة على الخمر وحدها • وقد ذهب بعضهم الى تعريفه تعريقات منطقية تعتمد التفريع والتقسيم الفلسفي مما ليس مكانه البحث اللغوي الوصفي (٩١) •

عرض له ابن جني وبحثه بشيء من التفصيل ضاربا له الامثلة (٩٢) ، ومثله ابن فارس الذي عقد حوارا مصطنعا بينه وبين القائلين بأن المترادفات متحدة المعنى تماما ، وهو يرى ان الاسم منها واحد وهو الدال على ذلك المعنى دون غيره ، والبواقي صفات وفي كل واحدة من هذه الصفات معنى ليس موجودا في الاخرى ، ودلل على ذلك بالفرق المعنوي بين قَعَدَ وجَلَسَ (٩٣) • وهذا هو مذهب شيخه ثعلب كما نص هو على ذلك • والى مثله ذهب مجد الدين ابن الاثير من ان السيف هو اسم للذات لا للمعنى فيها ، والصارم هو اسم لصفة الحدة في السيف (٩٤) • وانكار الترادف على هذه الشاكلة ربما كان ملقنه الاول هو ابن الاعرابي استاذ ثعلب ، فقد روى عنه انه كان يقول : « ان كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ، ففي كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه » (٩٥) • فالمترادفات عند هؤلاء من المتباينات في صفاتها كما في الانسان والبشر (٩٦) ، وهذا صحيح فقد يسمى المسمى الواحد بأكثر من صفة من صفاته وبأكثر من وجه من وجوهه

(٩١) المزهر ٤٠٢/١

(٩٢) الخصائص ١١٣/٢

(٩٣) الصاحبى ٦٥-٦٦

(٩٤) المرصع ٣٥٢

(٩٥) تاريخ آداب العرب ١٨٩/١

(٩٦) المزهر ٤٠٣/١

ومثال ذلك: « تسمية الدار دارا ومنزلا ومسكنا وبيتا ، باعتبار كونها مستديرة في الأصل أو كونها مكان النزول بالنسبة لأهل البادية أو المسافر ، أو كونها موضعا للسكنى والاطمئنان أو كونها مكانا لليتوتة » (٩٧) . ومسألة ابي علي الفارسي لابن خالويه عن أسماء السيف في مجلس سيف الدولة معروفة (٩٨) .

وارتأوا أن يسمى هذا النوع من الالفاظ المترادفة التي تدل على تعدد الصفات بـ (التكافئة) ، ومنها اسماء الله تعالى وأسماء النبي (٩٩) . وعلى مثل هذه الفكرة تقريبا سارت معجمات كثيرة كالمخصص وفقه اللغة . فان صوت الماء اذا جرى خرير ، واذا كان تحت ورق أو قماش قسيب ، واذا دخل في مضيق فقيق ، واذا تردد في الجرة أو الكوز بقبقة ، واذا استخرج شرابا من الآنية قرقرة (١٠٠) .

الا ان ورود كثرة مدهشة من الاسماء للمسمى الواحد ، كورود خمسمائة اسم للأسد مثلا ، هو الذي أوقف الباحثين حيال مفردات العربية موقف الشك . فقد أشار الدكتور طه حسين : « الى ان هذا غير طبيعي أو أنه على الأقل اسراف » . وهو يرجح أن كثرة المترادفات الى هذا الحد ليست الا أثرًا من عبث الرواة ولعبهم بالجماهير . ويرى انها ترجع الى السياحات العديدة التي كان يرمي بها الرواة واللغويون الى جمع ما تفرق في أحشاء البادية من مختلف الصفات والأسماء ليعودوا الى الحواضر مثقلين بمادة المكاثرة والتعجيز ثم لايتخرجون من أن يقولوا ان العرب تعرف للأسد خمسين ومائة اسم وللسيف خمسمائة وللحبة مائتين » (١٠١) ، ومن

(٩٧) فقه اللغة وخصائص العربية ١٩٩ وانظر : فقه اللغة لوافي ١٦٨ .

(٩٨) المزهر ٤٠٥/١ .

(٩٩) المزهر ٤٠٥/١ .

(١٠٠) فقه اللغة للشعالبي ٣٢١ .

(١٠١) النشر الفني في القرن الرابع ٤٦/٢-٤٧ .

القدماء من كان يعدّ هذه المترادفات من دلائل فضل العربية تفخر بها على غيرها ، كما ذهب الى ذلك الباقلاني ^(١٠٢) ، في حين كان هناك من ينظر الى المسألة من الناحية الثانية وهي ناحية تلب العربية على هذه الكثرة من المترادفات ، ومن امثلة هؤلاء المسيو مرسيه في تقريره المطول الذي وصم العربية فيه بأنها لغة (مائعة) لا تعرف تحديد الألفاظ ولا الصفات ^(١٠٣) . حتى دعا بعضهم الى « اطراح كثير من المترادفات من المعجمات العربية ، فنحن لانتحتاج في نظرهم الى أن يكون لكل من السيف والاسد والجمال والفرس والعسل والمصيبة وغيرها عشرات أو مئات من الاسماء المترادفة » ^(١٠٤) . واذا كان لهؤلاء بعض الحق فلأن كثيرا من هذه المترادفات كان مشكوكا في صحته وفي وروده عن العرب ، ذلك أن بعض شواهد المعتمدة في هذا الموضوع مما ثبت أنها موضوعة ومتحولة ، وأن التصحيف والتحريف لعبا دورا بارزا في مدونات العلماء بسبب أخذ كثير منهم عن الكتب والصحف . في وقت كان الاعجام في الكلمات لم يأخذ طريقه بعد الى هذه المدونات ، فتقرأ الكلمة على هذا بعدة وجوه ^(١٠٥) ، فتشأ في اللغة من جراء ذلك مترادف كثير . يضاف الى ذلك ميل الناس الفطري الى محو كثير من فروق الدلالة الجزئية بين الكلمات فتقرب اللفظتان من بعضهما في الدلالة حتى تتحداه وتكونا شيئا واحدا ، ولا يبعد ان كانت أذهان المتكلمين تفرق بين قعد وجلس ، ولا تستعمل كلا منهما مكان الآخر ، فتقول قعد اذا كان بعد قيام وتقول جلس اذا كان بعد اضطجاع ، الا أنهم بدأوا يقربون في الاستعمال بين الدالتين حتى صارتا شيئا واحداً وترادفت اللفظتان ^(١٠٦) ، وقد تنبه الى هذه الناحية

(١٠٢) اعجاز القرآن ٣٤ .

(١٠٣) النشر الفني ٦٤/٢ .

(١٠٤) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٣٩ ج ٤ ص ٥٢٩ وما بعدها (مشكلات العربية واقتراح المرحوم أحمد أمين) .

(١٠٥) فقه اللغة (وافي) ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(١٠٦) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢١٧ وفقه اللغة لوافي ١٦٨ .

ابن درستويه ونعى على العلماء جهلهم بحقيقة المسألة وتأولهم على العرب من ذات أنفسهم بوحدة دلالة المترادفين وعدم معرفة الفروق الدقيقة بينهما (١٠٧) • وهي اشارة قديمة الى هذه الفوضى في تدوين اللغة الذى لا يعتمد المشافهة والنقل المباشر عن العرب بقدر ما يعتمد الاصطناع والافتعال وبالتالى المفارقة والمكاثرة •

وفسر المترادف بكونه لغات مختلفة (١٠٨) ، وبذلك قسّر ماورد منه في القرآن مثل : أقسم وحلف ، بعث وأرسل ، فضل وآثر ، الواردة جميعها في آياته الكريمات ، والى هذا التفسير ذهب ابن جني (١٠٩) • ويصح تفسير المترادف بهذا في المترادفات القليلة للمعنى أو المسمى الواحد أما في تلك التي تصل الى الالوف من الاسماء فلا يصح هذا التفسير بحال ، لأنها أكثر من عدد القبائل وبطونها وافخاذها أضاعاف المرات من جهة ، وواضح فيها انها صفات للمسمى الواحد وانها تختلف في الدلالة الجزئية من جهة اخرى • أضف الى هذا ان بعض المترادفات هي من لغات اخرى غير العربية كاللغات السامية مثلا ، انتقلت مفرداتها الى العربية فدونت مع نظائرها في المعنى فكانت من مترادفاتهما ، مثل (عنبسة) التي جعلوها من اسماء الأسد ، وهي اسمه في الحبشية (١١٠) •

وفسر ايضا بالمجاز ، ذلك ان كثيرا من الالفاظ المترادفة هي في حقيقتها ليست اسما اصيلا للشيء وانما استخدمت فيه استخداما مجازيا وعلى سبيل الاستعارة ، وأكثر ما يكون ذلك في أسماء الحيوانات حين يستعيرون الفاظاً مختلفة لحيوان معين قاصدين بذلك الكناية عن بعض طبائعه وصفاته (١١١) •

(١٠٧) تاريخ آداب العرب ١٩١/١ •

(١٠٨) المزهر ٤٠٥/١ •

(١٠٩) الخصائص ٣٧٤/١ •

(١١٠) تاريخ آداب اللغة العربية ٤٥/١ •

(١١١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤٥/١ •

«وهو شائع كذلك في ألفاظ الميل الجنسي - كما مر في الحديث عن المجاز -
وقد عللنا ذلك أن موضوع الجنس من المواضيع التي يقتضي فيها الحياة ،
فلا بد من استعارة تلمح للشيء ولا تصرح به .

وعدوا من اسباب ورود المترادف ان تكثر طرق الاخبار عما في النفس ،
فقد ينسى أحد اللفظين ، أو يصعب لفظه ، فيلجأ الى الآخر تسهيلا
وتخفيفا (١١٢) . وقد يكون السبب هو التوسع في طرق الفصاحة والبلاغة ،
والاستعانة به على السجع والقافية والتجنيس والترصيع ، اذ لا يمكن أن
يتأتى كثير من ذلك لولا المترادفات (١١٣) . وقد يكون سبب المترادف هو
الحاجة الى شرح الخفي بمعنى أنه يمكن شرح أحد المترادفين بالآخر
وهذه المسألة نسبية في الناس فقد يكون الشارح مشروحا عند جماعة غير
الجماعة التي تشرح اللفظ الاول بالثاني (١١٤) . وهكذا نجد ان هذه
الافتراضات المعتمدة في فوائد وضع المترادف ليست مما يحفل به لأن الأساس
الذي بنيت عليه هار ، فلا يعقل أن يضع واضع واحد أو قبيلة واحدة كل
هذا المترادف لأسباب من هذا النوع .

وقد عرض لظاهرة المترادف في اللغة الاصوليون والمناطق ، لان المترادف
يدخل عند هؤلاء في مباحث الالفاظ التي تناولوها في كتبهم . وكان لهم في
ذلك آراء وتعليقات كثيرة ، حيث قسموا الالفاظ تقسيمات تختلف عن
تقسيمات اللغويين ، وأطلقوا على تقسيماتهم هذه مصطلحات لا نجد نظيرها
عند اللغويين كمصطلح (المتوارد) الذي يقصدون منه الى (المترادف) عند
اللغويين ، ومصطلح (المترادف) الذي يعنون به (المجاز والاستعارة) عند
غيرهم (١١٥) . على اننا نجد احيانا مصطلح المترادف في كتبهم يعنون به ما

(١١٢) المزهر ١/٤٠٥ .

(١١٣) المزهر ١/٤٠٥ .

(١١٤) المزهر ١/٤٠٥ .

(١١٥) المزهر ١/٤٠٥ .

يعني اللغويون الآٲ انه يقابل (التباين) في الألفاظ عندهم^(١١٦)؛ أما اللغويون فقد درسوا الترادف دراسات كثيرة معظمها على شكل معجمات لألفاظ الترادف ، والقليل منها ما كان يحوي تحليلا وتفسيرا •

وقد ذهب احد الباحثين الى ان وضع العرب المبكرين لهذا النوع من المصنفات الخاصة في المترادف كان من أثر دراسات لغويى الهنود في هذا المجال من البحث^(١١٧) ، وهي دعوى لايسندها دليل ولا تقوم على ساق ، ذلك ان هذه الكتب والدراسات العربية بحثت في ظواهر لغوية شائعة في العربية ، لفتت انتباه اللغويين العرب وشغلت أذهانهم ، وكانوا قد تحسسوا مشكلاتها ، فاندفعوا يسجلون ويبحثون بدافع الغيرة على اللغة مرة وبدافع المفاخرة بالبضاعة مرة اخرى ، ولكن الاساس هو هو ، ولا يمكن أن يكونوا في هذا كله متأثرين بما فعل الهنود أو مدفوعين بدافع التقليد والمحاكاة •

أما المعاصرون فقد عرضوا للمترادف بشكل أكثر عمقا واوسع دراسة ، ومادتهم الاولى هي تلك المصنفات التي وضعها القدماء في ألفاظ الترادف ، وطبيعي أن تكون دراساتهم أدق وأشمل بسبب تطور أسباب البحث اللغوي وانكشاف كثير من الحقائق التي كانت خافية على اولئك الاوائل ونمو علم الدلالة والأصوات واللهجات ، فكان صدى ذلك انهم اشتروا في المترادف الاتفاق بين الكلمتين اتفاقا تاما ، والاتحاد في البيئة اللغوية والاتحاد في العصر ، وألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر^(١١٨) ، والآٲ فالكلمتان ليستا من الترادف في شيء • ولا يخفى بعد هذا ما للترادف من أثر واضح في نمو اللغة واتساع ألفاظها وكثرة مفرداتها بشكل ينذر معه أن تتسع لغة اخرى سعة العربية في هذا السيل •

(١١٦) المنطق للمظفر ٤٨/١ •

(١١٧) أحمد مختار عمر : البحث اللغوي عند الهنود ١٣٣ •

(١١٨) انظر : في اللهجات العربية ١٧٨ وما بعدها •

المشترك

يقصد به انصراف اللفظة الواحدة الى معنيين أو أكثر بدلالة متساوية على المعاني (١١٩) ، وإلى مثل هذا الحد ذهب أهل الاصول (١٢٠) والمناطق في تقسيماتهم للألفاظ الدالة على المعاني المتعددة بشرط ألا يسبق وضعه لمعنى من هذه المعاني على وضعه للمعنى الآخر (١٢١) ، وهو عندهم قسيم (المختص) و (المنقول) و (المرتجل) و (الحقيقة والمجاز) ، فلكل من هذه المصطلحات دلالة خاصة فيما تصرف إليه الفاظها من معان متعددة •

ومن أشيع الامثلة المضروبة للمشترك لفظ (العين) فهي تصرف في العربية الى معان كثيرة (١٢٢) ، يمكن ان ترجع جميعها الى معنى النفاسة والحرص ، كالذهب والنبع وخيار الشيء والشمس وعضو البصر والنقد وما اشبه ذلك • إلا ان كثرة ورود المشترك في العربية بحيث يكون لبعض الالفاظ خمسون أو ستون معنى هي التي قسمت العلماء الى منكر للمشترك بومثبات له ، ولكل من الفريقين حججه وأقواله في هذا الشأن وعند أكثر هؤلاء : « أنه واقع ، لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ ، ومن الناس من أوجب وقوعه ، قال : لأن المعاني غير متناهية والالفاظ متناهية فاذا وزع لزوم الاشتراك • وذهب بعضهم الى أن الاشتراك أغلب ، قال : لان الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة ، والافعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء ، والمضارع كذلك وهو أيضا مشترك بين الحال والاستقبال ، والاسماء كثير فيها الاشتراك ، فاذا ضممنها الى قسمي الحروف والافعال كان الاشتراك أغلب » (١٢٣) • وعلى رأس من اثبت المشترك وتوسع فيه الخليل وسيبويه وأبو عبيدة والاصمعي مستندين الى الشواهد العربية التي لا سبيل الى الشك

(١١٩) انظر : في اللهجات العربية ١٩٥ - ١٩٧ •

(١٢٠) المزهر ١/ ٣٦٩ •

(١٢١) المنطق للمظفر ١/ ٤٤ •

(١٢٢) انظر : فقه اللغة للثعالبي ٥٦٢ والمزهر ١/ ٣٧٣-٣٧٤ •

(١٢٣) المزهر ١/ ٣٧٠ •

فيها (١٢٤) • وكان سيبويه قد نص على أن من كلام العرب : اتفاق اللفظين
واختلاف العينين مشيرا الى المشترك ؛ (١٢٥) الا أن منكري المشترك وعلى
رأسهم ابن درستويه قد ردّوا ذلك ورفضوه (١٢٦) •

وتفسير المشترك باللهجات أوسع المذاهب التي أخذ بها القدماء
والمحدثون وذلك « بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى ثم يضعه الآخر لمعنى آخر
ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في افادته المعين » (١٢٧) • وابن درستويه
نفسه الذي أنكر الاشتراك اعترف بمجيء النادر منه وعلمه بـ : « انه انما يجيء
ذلك في لغتين متباينتين » (١٢٨) • ومثله ابو علي الفارسي الذي رجعه الى
تداخل اللغات (١٢٩) ، ذلك ان تداخل اللغات لعب دورا خطيرا في استعمال
الألفاظ المشتركة ، لان واضعي المعجمات ضموا لهجة هؤلاء الى لهجة هؤلاء
دون أن يعنوا في كثير من الأحوال بنسبة كل معنى الى القبيلة التي كانت
تستخدمه ، فكثير من المعاني اختلف باختلاف القبائل قبل ان تتوحد اللغة ،
ولكنها ضاعت بعد توحدها عندما أصبحت اللفظة تطلق على جميع هذه
المعاني المختلفة ، كما سيأتي تفصيل ذلك في قابل الدراسة ، ذلك ان تفسير
المشترك باللغات مذهب علمي ، لانه لا يعقل ان الرجل في بيئته اللغوية كان له
من الحرية والاختيار بحيث يطلق الكلمة المشتركة على هواه وهو يقصد
معنى واحدا من معانيها المتعددة ، لان شرط اللهجة في البيئة الواحدة الاطراد
والانسجام بين جميع الأفراد في كلامهم ونطقهم •

وفسر المشترك بأن معانيه مجازية في الأصل استخدمت اللفظة فيها

(١٢٤) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٢٣٣/٢ - القاهرة ١٩٣٥ م •

(١٢٥) كتاب سيبويه ٧/١ •

(١٢٦) المزهر ١/٣٨٤ •

(١٢٧) المزهر ١/٣٦٩ •

(١٢٨) المزهر ١/٣٨٥ •

(١٢٩) المخصص ١٣/٢٥٩ •

حتى صار انصرافها اليهن اصيلا ، مثل لفظة (الهلال) التي اطلقت على عدد من المعاني والمسميات تشترك جميعا في وجه شبه مجازى في صورة الهلال أو ضآلته (١٣٠) ، ثم لما شاع هذا الانصراف المجازى ورسخ في الاستعمال صار من قبيل الحقيقة فاشتركت هذه المعاني في اللفظ . ومثل هذا استعارة اسماء بعض الحيوانات لاجزاء حيوان آخر لوجود شبه بين الاثنين في الشكل كنقل أسماء الطير لأجزاء الفرس (١٣١) . وهذا هو الذى أشار اليه ابو علي الفارسي في تعليقه اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين بقوله : « أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل » (١٣٢) . وقريب من ذلك ما علله ابن درستويه في المشترك الذى أقر بأنه قد يجيء « لحذف واختصار وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ » (١٣٣) ، وقد يكون استعمال المشترك في المجاز « لغرض الابهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة » (١٣٤) . وحينما يتداول هذا المعنى الذى ابهم به عن المعنى الحقيقي ويشيع ، يصبح من المعاني التي تنصرف اليها الكلمة انصرافا حقيقيا ، وتصبح الكلمة على هذا من المشترك ، حتى كانت الالفاظ المشتركة مادة صالحة للتورية والتجنيس والتعمية عند المشغوفين بالمحسنات اللفظية والبدعية .

وقد ذهب المحدثون من دارسي اللغة مذاهب اخرى في تفسير ظاهرة الاشتراك اللغوي ، تختلف عما ذهب اليه الأقدمون . فقد رأوا أن كثيرا من الالفاظ المشتركة انما كانت بسبب التطور الصوتي الذى طرأ عليها ، وذلك بأن تمر لفظة من الالفاظ في أطوار صوتية خاصة يترتب عليها ان

(١٣٠) انظر : فقه اللغة لوافي ١٨٤

(١٣١) تاريخ آداب العرب ١٩٤/١

(١٣٢) المخصص ٢٥٩/١٣

(١٣٣) المزهر ٣٨٥/١

(١٣٤) المزهر ٣٦٩/١

تصادف الاشتراك بينها وبين غيرها من الالفاظ متحدة معها لفظا ومختلفة عنها مدلولاً ، واكثر مايكون ذلك في الالفاظ التي لا يوجد بين معانيها المتعددة أي رابط معنوى قريب ولا بعيد (١٣٥) . واذا صحّ هذا التفسير فانه يصدق على كثير من ألفاظ المشترك اللغوى التي لانلمح صلة ما بين معانيها المختلفة ، وان هذا التطور الصوتي قد شمل كلمات كثيرة أكسبها هذا الاشتراك الصوتي مع كلمات أخرى بعيدة عنها في المدلول . وأصحاب هذا المذهب لا يعدّون مثل هذا من المشترك ، بل لا يعدّون من المشترك كل لفظة لا توجد علاقة واضحة بين معانيها ، كلفظة (اللّيث) مثلاً ، فقد ذكر أنها تأتي بمعنى الأسد وضرب من العنكبوت واللسن البليغ ، ولمّا كانت هذه المعاني مفترقة افتراقاً كبيراً فلا بد من أنه كان اضطراب في روايتها عند القدماء فقرروا أنه : « من التعسف حيث أن نعدّ مثل هذا من المشترك اللفظي الذي يشترط فيه وضوح العلاقة بين المعنيين كالانتقال من الحقيقة الى المجاز أو التطوّر المعقول المقبول في المعنى ، وغير ذلك من عوامل المشترك اللفظي » (١٣٦) ، والظاهر أن أصحاب هذا الرأي فاتهم أن يلحظوا شيئاً مهماً وهو « أن الروابط المشتركة بين هذه التسميات يمكن أن تلمح باحدى طريقتين سلبية أو ايجابية فاذا كان في اللّيث معنى القوة الحسيّة ففي اللّسن البليغ معنى القوة اليبانية وفي العنكبوت معنى الضدّ المقابل ، فكان الرابط منها سلبياً عكسياً » (١٣٧) .

والواقع أننا يجب ان نذهب الى ماذهب اليه المستشرق (لسروا) في موقفه من هذه الالفاظ ، فهو يرى : « أننا حينما نقول ان لاحدى الكلمات اكثر من معنى واحد في وقت واحد انما نكون ضحايا الانخداع الى حدّ

(١٣٥) من اسرار اللغة ص ٤١ ، وفقه اللغة (وافي) ص ١٨٦ ، وفي اللهجات العربية ص ١٩٥ وما بعدها .

(١٣٦) من اسرار اللغة ص ٤١ .

(١٣٧) دراسات في فقه اللغة ٣٠٧ .

غير قليل ، اذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدلّ عليها احدى الكلمات الاّ المعنى الذي يعينه سياق النص ، (١٣٨) وبهذا نستطيع أن نفسر المشترك في البيئة اللغوية الواحدة واستعماله في لغة التخاطب دون أن يورث لبسا أو ارتباكاً ، فالسياق هو الذي يعين أحد المعاني المشتركة للفظ الواحد ، لأن السياق لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الذهن ، وانما يقوم على تركيب يوجد الارتباط بين اجزاء الجملة ، فيخلع على اللفظ المعنى المناسب . وهذا المذهب كان قد أخذ به ابن الانباري من القدماء ودافع به عن الاضداد كما سيأتي بحثه .

وقد ألف في المشترك جملة من العلماء وضعوا مصنفاتهم على شكل معجمات لغوية أحصوا فيها الفاظ الاشتراك اللغوي كالاصمعي وابي عبيد وابي العميشل وكراع وغيرهم . كما عرض كثير من القدماء لهذه الظاهرة في كتبهم على شكل فصول أو آراء متناثرة . ومن الظلم اتهام هؤلاء جميعا بمحاكاة الهنود فيما صنفوا وفيما بحثوا لرصد هذه الظاهرة وتفسيرها في اللغة ، كما يذهب الى هذا بعض الدارسين (١٣٩) . ونحن نقول هنا ماقلناه في ردّ الشبهة نفسها في المترادف ، من أن هؤلاء العرب لم يطلعوا على مصنفات الهنود من جهة ، وانهم صدروا الى وضع آثارهم في ذلك من ملاحظتهم لظاهرة الاشتراك في اللغة ومحاولة درسها وتدوين مفرداتها ، حرصا على لغة التنزيل من جهة اخرى .

ومهما يكن من أمر المشترك فإن فيه تنوعا في المعاني بسبب تنوع الاستعمال وان في اشتغال العربية على هذا القدر الكبير من الألفاظ التي تتنوع معانيها بتنوع السياق ، لدليلا على سمعتها في التعبير عن طريق الاشتراك

• (١٣٨) دراسات في فقه اللغة ٣٠٦ .

• (١٣٩) احمد مختار عمر : البحث اللغوي عند الهنود ١٣٣ .

كسعتها فيه عن طريق الترادف • وقد نمت بهما نموّاً كبيراً على صعيدي
الألفاظ والدلالة •

نخلص من كل هذا الى أن العربية قد توسّلت بهذه الوسائل التسمع
لنموها وتكثير الفاظها ومعانيها ، وقد رأينا كيف ساهم كل سبيل من هذه
السبل في الوصول الى هذه النتيجة ألا وهي التنامي والزيادة ، وكأنها جميعا
روافد تصب في مصب كبير يزداد خصبه وثرأؤه كلما استمرت هذه الروافد
في العطاء • وبالرغم من كونها تتفاوت في نسبة عطائها وما يمكن أن تفقد
به على اللغة ، كالنسبة مثلا بين الاشتقاق والنحت أو بين المجاز والدخيل ،
الا أنها جميعا تساهم في النماء والزيادة • غير أن هناك وسيلة أخرى من
وسائل نمو اللغة لعلها من أهم هذه الوسائل ان لم تكن أهمها جميعا ، لم
نعرض لها بين ما عرضنا له من وسائل ، ألا وهي (الأضداد) التي نعقد لها
صلب الرسالة ، لدراسة مشكلتها في اللغة ، ذلك أن وجود الأضداد يختلف
عن وجود غيرها من ظواهر اللغة لأن التّضاد في دلالة اللفظة ليس - كما
يبدو - طبيعيّ الوجود •

البَابُ الْأَوَّلُ

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

الدلالة وتطورها في اللفظ والصوت

الدلالة

الدلالة هي علاقة اللفظ بالمعنى ، ودلالة أى لفظ هي ما ينصرف إليه هذا اللفظ في ذهن من معنى مدرك أو محسوس • والتلازم الضروري بين الكلمة ودلالاتها أمر لا بد منه في اللغة ، وهو ما يعتمد المتحدث والسامع للوصول الى الغرض من الكلام • والبحث في الدلالة علم خاص من علوم اللغة تطور الدرس فيه على أيدي المحققين من علماء هذا الفن ، ووضعت فيه الآراء والنظريات العديدة وألفت فيه الكتب والمعجمات ، صحيح أنه لم يعن به القدماء كما عنوا ببحثي الاشتقاق والأبنية المتعلقين بشكل الكلمة ومادتها ، ذلك ان علم المفردات كان علامة القوة والسحر والمغيبات (١) ، الا أنهم مع ذلك عالجوا كثيرا من المسائل المتعلقة بمعاني الألفاظ وان أول ما ألفت في العربية من باب اللغة تلك الرسائل التي جمع فيها رواة اللغة الألفاظ التي ترجع الى موضوع واحد كالابل والخيول والشجر والنبات والأنواء - وسيأتي فيما بعد تفصيل ذلك - وليس هذا العمل الا تصنيفا للغة بحسب الموضوعات والمعاني وكان ذلك بداية انتهت الى المعجمات الكبرى الجامعة التي رتب على أساس معاني الألفاظ لا على أساس الأصول والمواد كالمختص لابن سيده ، وفقه اللغة للشعالبي وغيرهما (٢) • وعلم الدلالة العام طريق الى معرفة قوانين اللغات ، من تطور معاني الألفاظ ، وأسباب تبدلها ، والصلة بين اللفظ ومدلوله ، وصلة اللغة بأصحابها بوجه عام ، وعلم الدلالة في لغة من اللغات طريق الى معرفة أسرار تلك اللغة وطرائقها الخاصة في تسمية الأشياء وتطور ألفاظها ومعانيها ، ووسيلة لمعرفة عقلية الشعب الذي يتكلم بها وبيئته وعاداته ومراحل تفكيره كما في العربية

(١) انظر : دلالة الألفاظ العربية وتطورها لمراد كامل ٥ •

(٢) انظر : المرجع السابق ١٧ وفقه اللغة وخصائص العربية ١٥٤ •

مثلا ، وسنرى مصداق ذلك في العوامل النفسية والاجتماعية لنشأة
الاضداد .

دلالة اللفظ

اللغة مؤلفة من الألفاظ ، والألفاظ تقسم باعتبار الدلالة الى ذات دلالة
(مطلقة) ، وهي التي تصح الدلالة بوحدة منها على أىّ موجود حسيا كان
أم معنويا ، وتشمل : الضمائر واسماء الاشارة والاسم الموصول وما شاكل
ذلك . والى ذات دلالة (مانعة) أى لا يمكن الدلالة بأحداهما الا على قسم
من الموجودات أو على نوع واحد من المعنى . والألفاظ المانعة تقسم الى
(دالة على معنى في نفسها) وتتحصر في الفعل والاسم ومشتقاتهما ، و (دالة
على معنى في غيرها) وهي الحروف وماشابهها (٣) .

والحق أن اللغة الانسانية لا يمكن أن تحصى مفرداتها احصاء رياضيا ،
اذ لا قيمة للفظ لم يجربه الاستعمال ، ولا مدلول للفظ شاع باستعمال معين
اذا قسر على ايجاء غير معناه الشائع الجارى ، انما اللفظ الذى تلمس دلالة ،
ويستشعر ما بينه وبين دلالة من التناسب الطبيعي ، هو اللفظ الذى جرى به
الاستعمال حتى شاع فيه ، وأطلق عليه وعرف به . وان علينا حين نفهم دلالة
الألفاظ على هذه الصورة أن نفرق بوضوح بين القيمة التعبيرية الذاتية
وبين القيمة المكتسبة . وأفضل طريقة لمعرفة ذلك تتمثل في تقصي الخطوات
المنسية التي مرّ بها هذا اللفظ حتى شاع بمعنى خاص ودلالة معبرة .
وهذه الخطوات المنسية على صعوبة الجزم بنوع المراحل التي مرّت بها
طولا وقصرا واتساعا وضيقا وتصريحا ورمزا لاتلقي على اللفظ من
الأضواء ما يكفي لتحديد اللحظة التي ولد فيها ، ولا لتعيين المدلول
الذاتي الذي يناسبه بعد أن تمّ ميلاده ، ولا لتبيان القرائن التي حملت
الناطقين به على نقله من مفهوم الى آخر ، أو على توليد معنى جديد من
معناه الأصلي القديم (٤) .

(٣) الفلسفة اللغوية ص ٥٥ .

(٤) دراسات في فقه اللغة ص ١٦٨ .

وهناك ناحية أخرى مهمة هي أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جوٍّ يحدد معناها تحديداً مؤقتاً • والسياق هو الذي يفرض دلالة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي يمكن أن تدل عليها • ويخلص السياق الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها ، ويخلق لها دلالة حضورية • والكلمة بكل معانيها الكامنة توجد في الذهن مستقلة عن استعمالاتها المختلفة التي تتشكل بحسب الظروف الداعية لخروجها •

والاستعمالات التي تصلح لها الكلمة لاتخلع عليها دلالة عامة • فانه لا يوجد بين الدلالات المختلفة التي تصلح لها الكلمة دلالة وسطى الا في النادر الشاذ ، بل كل واحدة منها موجودة لحالها • وليس في الذهن كلمة واحدة منعزلة ، فالذهن يميل الى جمع الكلمات ، والى اكتشاف صلات جديدة تجمع بينها • والكلمة الجديدة لاتطرد القديمة عادة ، لأن الذهن يروّض نفسه على وجود المترادفات والمتماثلات ويوزعها على استعمالات مختلفة • والحياة تشجّع على تغيير المفردات لأنها تهنيء الاسباب التي تؤثر في الكلمات (٥) •

فالكلمة لاتحدّد فقط بالتعريف التجريدي الذي تحددها به المعجمات • اذ يحيط المعنى المنطقي لكل كلمة جوٍّ عاطفي ، ينفذ فيها ويعطيها ألواناً مؤقتة على حسب استعمالاتها التي تكون قيمتها التعبيرية • والكلمة التي تطفو في الشعور لا تكون كلمة منعزلة ، فانها متى مثلت أماناً ، ولو في صفة واحدة منعزلة من صفاتها مع بقاء صفاتها الاخرى في الظلام ، جرت وراءها جحفاً من المعاني والعواطف التي ترتبط بها بعري دقيقة على استعداد دائم للكشف عن نفسها • كما أنه لا يوجد منطق داخلي يحكم التغيرات المعنوية

(٥) دلالة الالفاظ العربية وتطورها ص ٢٣ •

للكلمة • وتأثر الكلمة بالالفاظ من نفس الأسرة اللغوية ، فان هذا الأثر يحدثه في الذهن عمل غير شعورى يثبت الكلمة في بعض المعاني ، ويعدها للاستعمالات التي توجه اليها •

وفي الاستعمال تتعرض الكلمة الى تغيرات اخرى في المعنى ، بعد ان تزود في لحظة استعمالها تزويدا تاما بدلالة وقتية تبعد عنها جميع الدلالات الناتجة من الاستعمالات الاخرى التي تصلح لها الكلمة وتؤثر على دلالتها • اذ ان الذهن يسعى الى تحديد معنى الكلمة بجميع الوسائل التي في متناوله ولكنه يخدع أحيانا اذا وجهته بعض الظروف وجهة غير مستقيمة • ومع ذلك نلاحظ ان معنى الكلمة يزدتعرضا للتغير ، كلما زاد استعمالها وكثرت وودها في نصوص مختلفة ، لأن الذهن يوجه كل مرة في اتجاه جديد ، وذلك يوحى اليه بخلق معنى جديد • وقد تعدد استعمالات الكلمة وتنوع ، ولكن يطفى أحدها غالباً على ما عداه ، وهو الذى يعين معنى الكلمة الأساس ، على النحو الذى يسجل عليه في المعجم • فاذا اتفق أن وجد استعمالان غالبان لكلمة واحدة ، ولا يمكن أن يتداخلا ، فمعنى ذلك أننا أمام كلمتين مختلفتين • والمعنى الغالب لا يستطيع أن يضمن لنفسه البقاء مطلقا ، فان المعاني الثانوية التي تحيط به تتحفز للظهور عليه واحتلال مكانه ، وينمو المعنى الجديد تدريجا ، ويحل محل القديم (٦) •

ومن المعلوم أن قسما عظيما من ألفاظها ولا سيما الأفعال ، مما يستعمل للدلالة الحسية والمعنوية على السواء • « فلا يخلو أن تكون احدى هاتين الدالتين أصلية حقيقية والأخرى فرعية مجازية • وعندي أن الدلالة الحسية هي الاصل والمعنوية الفرع حملت مجازا لتشابه في الصور الذهنية • لان المحسوسات أول ما لفت انتباه الانسان » (٧) • وعندما تخسر بعض

(٦) يراجع تفصيل ذلك في : دلالة الالفاظ العربية وتطورها ص ٢٤ •

(٧) الفلسفة اللغوية ص ١٢٦ •

الألفاظ دلالتها الحسية تكون قد تطورت فيها الى المعنوية مثل (قضى)
بمعنى حكم والأصل فيها القطع الحسي ، وهو من مادة (قض) • ومن
الألفاظ ما لم يستعمل لكلمتا الدالتين نحو (عقل) بمعنى (فهم) مأخوذة
من عقل الناقة أي ربطها •

والمعجمات على أنها مجموعات ضخمة لألفاظ العربية فهي تعكس
لونا من ألوان التطور في استخدام الالفاظ غير أننا نجعل في كثير من
الاحيان الظروف التي تسببت في اطلاق أقوال كتب لها الشيوع ودعت الى
استعمالها استعمالا واسعا ، وربما اجتهدنا الاجتهاد الدقيق في استعادة شيء
من معرفة تلك الظروف ، ومن أمثلة ذلك (أنفه راغم) أو (على الرغم
من) اذ أن النظر في المعجم العربي القديم لا يبصر بهذه العلاقة بين المعنى
الحقيقي والمعنى المجازي الذي انتهت اليه المادة وخلصت له • وعلى هذا
فإن المعنى الحقيقي صار من قليل المواد المهجورة لعدم الحاجة الى
استعماله (٨) •

ومما يزيد في صعوبة هذا الكشف « أن اللغويين الأقدمين تنكروا
للاستعمالات العربية في العصور التي تلت الصدر الاول للدولة الاسلامية ،
وقصروا اهتمامهم بلغة الشعر الجاهلي كثيرا ولغة القرآن وطائفة من
شعراء الصدر الاول الاسلامي • والأخذ بهذا النظر يعني انكارا للحقيقة
اللغوية وهي المذهب الاجتماعي الذي يفصح عن ان اللغة من صنع
الهيئة الاجتماعية ، واذا اعتقدنا بهذه النظرة العلمية الحديثة ، اعتقدنا
أيضا أن هذه اللغة لا بد أن تتطور فتساير الزمان والمكان » (٩) •

وقد عرض لمسألة الدلالة وانواعها وارتباطها باللفظ جماعة من
الفلاسفة والمناطق والاصوليين في مختلف اللغات ، فقد اسهب في بحثها

(٨) التطور اللغوي التاريخي ص ٣٦ •

(٩) التطور اللغوي التاريخي ص ٣٧ •

فلاسفة اليونان والرومان وساءلوا أنفسهم عن العلاقة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها وبين الكلمات نفسها ومدلولاتها ، وعما اذا كانت هذه العلاقة رمزية أو أنها مجرد مصادفة (١٠) ، مما سنعرض له عند الحديث عن دلالة الصوت ، كما خاض فلاسفة الهند هذا الموضوع وتحدثوا عن (الكلمة) و (الادراك) و (المحتوى) وانقسموا في نظرتهم الى العلاقة بين اللفظ والمعنى فمنهم من رفضها ومنهم من قال بها (١١) . وأدلى أصوليو العرب ومناطقتهم دلوهم في هذا الموضوع ، فنقل عن فخر الدين الرازي انه قال : « لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ ، لان المعاني التي يمكن ان تعقل لا تنتهي ، والالفاظ متناهية ، لانها مركبة من الحروف ، والحروف متناهية والمركب من المتناهي متناه » (١٢) . وقد رد هذا الرأي من قبل جماعة : « استدلوا عليه بأن اللفظ يتغير بحسب تغير الصورة في الذهن » (١٣) ، وأجاب صاحب التحصيل عن هذا بأنه « انما دار مع المعاني الذهنية لاعتقادانها في الخارج كذلك ، لا لمجرد اختلافها في الذهن » (١٤) .

وذهب الاصوليون في ابحاثهم في الوضع الى ضرورة وجود المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله ، فقد « نقل أهل أصول الفقه عن عباد بن سليمان الصميري من المعتزلة انه ذهب الى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع ، قال : والا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجح » (١٥) . وهذا المذهب كان جماعة

(١٠) من أسرار اللغة ١٢٥ ودلالة الالفاظ ٦٢ .

(١١) البحث اللغوي عند الهنود ١٠١ - ١٠٤ ، ١١٠ - ١١١ .

(١٢) المزهر ٤١/١ .

(١٣) المزهر ٤٢/١ .

(١٤) المزهر ٤٢/١ .

(١٥) المزهر ٤٧/١ .

من اللغويين قد أخذوا به وتوسعوا فيه كابن جني الذي عقد له بابا في مصنفه الكبير (الخصائص) بعنوان (مناسبة الألفاظ للمعاني) •

الآن أن جمهورا من الأصوليين أنكر مقالة عباد بن سليمان الصيمري بحجة أنه « لو ثبت ما قاله لاهتدى كل إنسان الى كل لغة ولما صح وضع اللفظ للضدين كالقرء للحيض والطهر ، والجون للأبيض والأسود •• وأما أهل العربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عبادا يراها ذاتية موجبة بخلافهم » (١٦) • ومع ذلك - أى مع انها ليست موجبة عند أهل اللغة - فإن الأصوليين المعاصرين مصرّون على انكار هذه الدعوى اللغوية التي لا تدعو إليها أية ضرورة عقلية أو تاريخية على حد قولهم ، وانها لا يجب أن تكون قائمة بين طبعي اللفظ والمعنى بل يكفي فيها أن توجد « ولهذا لا نجد أية ضرورة لالتماس التمحلات في إيجاد المناسبة كما حاول ذلك امثال ابن جني من اعلام اللغويين » (١٧) •

وللمناطق بدورهم باع طويل في مسألة الدلالة اللفظية ، فقد بحثوا هذا الموضوع في كتبهم ومصنفاتهم وقسموا الدلالة الى ثلاثة اوجه متباينة : « الاول (المطابقة) وهي ان يدل اللفظ على تمام معناه الموضوع له ويطابقه ، والثاني (التضمن) وهو أن يدل اللفظ على جزء معناه الموضوع له ، الداخِل ذلك الجزء في ضمنه ، والثالث (الالتزام) وهو أن يدل اللفظ على معنى خارج عن معناه الموضوع له يستتبعه استتباع الرفيق اللازم الخارج عن ذاته » (١٨) • وسرى ان هذه الاقسام تنطبق على أنواع الدلالة في الأضداد فيما بعد •

(١٦) المزهر ٤٧/١

(١٧) الوضع للحكيم ١٠

(١٨) المنطق للمظفر ٣٩/١

أما اللغويون القدامى من المسلمين فقد عرضوا لمسألة الدلالة بشكل مختلف عما عرض له هؤلاء جميعا ، فقد كان لهم من خبرتهم في الدرس اللغوي واستيعاب الأساليب العربية ما عظمهم من التوغل في مثل هذه المناهات العقلية البعيدة عن طبيعة الموضوع ، ومن أوائل هؤلاء اللغويين سيبويه الذي عقد للدلالة فصلا في مصنفه الكبير قسم فيه ألفاظ العربية حسب انصرافها الى دلالاتها معنونا اياه (باب اللفظ للمعاني) يقول فيه : « اعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين • واختلاف اللفظين والمعنى واحد • واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو جلس وذهب • واختلاف اللفظين والمعنى واحد هو نحو ذهب وانطلق واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك : وجدت عليه من الموجدة ووجدت اذا اردت وجدان الضالة ، وأشبه هذا كثير » (١٩) • ومثل هذا التقسيم نجده في جملة كتب ومصنفات اخرى كالذي فعله المبرد بشيء من التفصيل في ضرب الأمثلة (٢٠) ، كما أفادت منه كتب الأضداد محاولة تحديد نوع الدلالة في الأضداد كما سيأتي بيانه فيما بعد ، والظاهر انها نقلت من (الكتاب) المادة الاولى للموضوع ، ولعل سيبويه نفسه قد نقل هذا التقسيم عن استاذة الخليل ، وان لم ينص على ذلك •

ويبدو أن سيبويه في هذا قد فتح الطريق امام الدارسين للوقوف امام هذه الظواهر اللغوية متعمقين في بحثها مستزيدين من صورها وأسرارها ، حتى ان المثل الذي ساقه لاتفاق اللفظين والمعنى مختلف وهو الفعل (وجد) قد أثار انتباه ابن قتيبة لينكشف له ان الاتفاق بين اللفظين لم يحصل بشكل

(١٩) كتاب سيبويه ١/٧ - ٨ •

(٢٠) ما اتفق لفظه واختلف معناه ، فصل (اقسام الاتفاق والاختلاف)

ص ٢-٣ •

تام وانما أوهم بذلك الفعل ، لان المصادر مائزات مختلفة في ألفاظها اختلاف المعاني ، فوضع فصلا سماه (اختلاف المصادر واتحاد الفعل) (٢٢) يدرس فيه هذه المسألة ويضرب الامثلة ، فجمع منها الشيء الكثير .

وهذا التغير في المعنى الذى كان سببه تغير صيغ المصادر دفع الدارسين بدوره الى دراسة تغير المعنى في الالفاظ لأسباب اخرى غير تغير صيغ المصادر ، معتمدين الشواهد الشعرية والآيات القرآنية ولغة العرب ، فوجدوا أن بين (فعل وأفعل) فرقا في الدلالة ولدته الهمزة ، فالعرب يقولون : « ابغني خادما فارها ، يريدون ابتغ لي ، فاذا أرادوا : آبتغ معي وأعني على طلبه قالوا: أبغني ففتحوا الألف الأولى من بغيت ، والثانية من أبغيت » (٢٣) . ووجدوا أن تكرير اللفظ لتكرير المعنى قالوا : والكبكة تكرير الكب جعلوا التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كما قد تغير حركة الصيغة اسما أو فعلا اشعارا بتغير المعنى كما في (دَرَسَ) و (دَرَسَ) فدُرِسَتْ بضم الراء مبالغة في دَرَسَتْ اشتد دروسها وقد يزداد في الصيغة للتفريق بين معنى ومعنى أو لاعطاء زيادة في المعنى كما في (حائض وحائضة وطامت وطامته) . وانما يكون ذلك - اى حائض وطامت - في الصفة الثابتة ، فأما الحادثة فلا بد لها من علامة التأنيث تقول حائضة وطالقة الآن أو غدا (٢٤) .

وفي الفعل وجدوا أن العدول فيه من صيغة الى أخرى انما يكون للمعنى لغوى كما يعدل من المضارع الى الماضي للدلالة على أن المستقبل بمنزلة الواقع الكائن ، والعكس موجود أيضا أى انه يعدل من الماضي الى المضارع لحكاية الحال . ويعدل من الفعل الى الاسم للدلالة على الثبوت

(٢٢) أدب الكاتب ٢٤٤ - ٢٤٧ .

(٢٣) معاني القرآن للفراء ٢٢٧/١ - ٢٢٨ .

(٢٤) انظر : الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٢٨٥ - ٢٨٨ .

والوصفيّة، ويضمّن فعل معنى فعل آخر، ويستعمل الفعل متعديا بنفسه ، وباللام تارة أخرى كشكرته وشكرت له ونصحته ونصحت له ولكل معنى ودلالة ، ويعدل من تعدية الى تعدية لغرض لغوى وللدلالة على معنى خاص ، ويفترض أن الفعل اذا استعمل مع حرف آخر كان له معنى آخر ، وتوضع صيغة مكان صيغة لدلالة معنوية كما في وضع (استعجال) مكان (تعجيل) (٢٥) ، وهكذا بقية ما يعدل عنه الى غيره لاغراض دلالية .

ومثل هذه الصلة المتنوعة بين اللفظ ومدلوله مانجده بين وزن اللفظة ودالاتها فبالغة اسم الفاعل بوزن (فعّال) « تدل بما فيها من تشديد الحرف الثاني على الشدة او الكثرة ، وبألف المدّ فيها على الامتداد والفاعلية الخارجية . وأما (فعّيل) ففيها الحرف المشدد الدال على الشدة أو كثرة الملازمة للفعل ، ولكنّ الياء أنسب للدلالة على أمر نفسيّ داخلي في مثل قول العرب صديق وخيريت وسيكّر فهي تدل على صفة داخلية نفسية أكثر من دالاتها على أفعال خارجية » (٢٦) .

ولتركيب الجملة مدخلة كبيرة في انصراف دالاتها العامة الى الذهن ، فتغير هذا التركيب يستتبعه تغير مدلولها العام ، الا اذا لم يكن تغير التركيب مما يوهّم تغير الدلالة ، يقول الفراء : « وسمعت العرب تقول : قد عمّي علي الخبر وعمي علي بمعنى واحد . وهذا مما حوّلت العرب الفعل اليه وليس له ، وهو في الأصل لغيره . ألا ترى أن الرجل الذي يعمى عن الخبر أو يعمى عنه ، ولكنه في جوازه مثل قول العرب : دخل الخاتم في يدي والخفّ في رجلي ، وانت تعلم أن الرجل التسي تدخل في الخف والاصبع في الخاتم ، فاستخفوا بذلك اذا كان المعنى

(٢٥) المرجع السابق والصفحة نفسها .

(٢٦) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

معروفا ، لا يكون لذا في حال ولذا في حال ، إنما هو لواحد ، فاستجازوا ذلك لهذا » (٢٧) .

تطور الدلالة : عوامله وخواصه

لاحظ علماء الدلالة المحدثون أن الالفاظ تتطور فتكتسب من المعاني أشباه جديدة لم تكن لها من قبل ، ذلك أن اللفظة تحيا حياة متجددة وهي أبدا في تغير في دلالاتها ، وفي طرائق استعمالها ، ولم تكن العربية لتشد عن باقي اللغات في هذا التبدل والتطور ، فهي حية ناشطة تقذف بالجديد في كل حين عندما تحصل الضرورة لاستخدام هذا الجديد في اللفظ ، والالفاظ العربية كما يدلّ البحث التاريخي كانت عرضة للتبدل الذي اقتضاه الزمان وتقلب الأحوال والنظم الاجتماعية ، ومن أوضح الامثلة على هذا مانسميه بالالفاظ الاسلامية ، فما هي الا لون من ألوان التطور الذي اكتنف اللفظة القديمة فاستحالت شيئا آخر تقتضيه الحياة الدينية والبيئية والاجتماعية الجديدة (٢٨) .

وقد بحث الدارسون التطور الدلالي على أسس مختلفة ، فمنهم من لا يخرج عنده عن الناحية التاريخية ومنهم من بحثها من الناحيتين الاجتماعية والنفسية وربط تطور الدلالة بالشعور والارادة والسلوك . ومنهم من رجعها الى المستوى الشعبي ، اذ بوساطة البحث في المدلول يستطاع الوصول الى حلول كثير من مشكلات الانسان (٢٩) « ولكن أمرا جوهريا فات أولئك الباحثين ، وهو ان لهجة أى جهتين أو اقليمين بعد الواحد عن الآخر نحو من مائة ميل أو أكثر من ذلك لا بد أن تكون الواحدة مختلفة عن الأخرى في كثير من الخواص والميزات ولاسيما اذا

(٢٧) معاني القرآن ١٢/٢ .

(٢٨) التطور اللغوي التاريخي ص ٤٠-٤١ ولحن العامة في ضوء الدراسات

اللغوية الحديثة ص ٢٧٩ .

(٢٩) التطور اللغوي التاريخي ص ٤٢ .

كان أهل تلك الجهة ، أو ذلك الاقليم قد عبرت عليهم الأعصار في اقامتهم في ذلك الاقليم أو تلك الجهة ، وقد اثبتت البحوث أنه ليس هناك حدود ثابتة لكل لهجة من اللهجات ، أو قل كل ميزة أو ناحية خاصة للهجة بعينها (٣٠) .

أما اللغويون العرب القدماء فقد وقفوا من التطور الدلالي وقفة الحرص والحفاظ على اللغة القديمة ، وسمّوا الاستعمال الجديد بالمولد ؛ وقصروا قبولهم على لغة القدماء التي حددوها بزمان معين وأمكنة معينة لأن لغة هؤلاء هي التي يحتاج بها دون غيرها ، وما سزاها خروج على أصل اللغة النقي الذي لم تشبه شوائب (اللحن) و (التوليد) و (الفساد) و (الزال) وغيرها ، وقد وضعوا في هذا مصنفاتهم التي اسموها لحن العامة أو مايشير الى ظاهرة التطور الدلالي من أسماء وعناوين أخرى ، حتى قرّر ابن فارس أن أى تغير يطرأ على المعنى موقوف على ما سمع (٣١) ، إلا أن ذلك كله لم يوقف الحركة الدائبة المستمرة لتطور الدلالة اللفظية .

ولتطور الدلالة وتغيرها في اللفظ طرائق مختلفة كثيرة ، نصّ الدارسون على أن أهمّها (٣٢) : -

١ - التعميم : وذلك بأن يتوسع في معنى اللفظ ومفهومه فينقل من معناه الخاص الذي يدلّ عليه الى معنى عام شامل .

(٣٠) المرجع السابق ٣١ .

(٣١) الصاجي ص ٩٦ .

(٣٢) انظر : في اللهجات العربية ص ١٩٥ ودلالة الالفاظ العربية وتطورها ص ٢٥ ودلالة الالفاظ (أنيس) ص ١٢٧ وما بعدها وفقه اللغة وخصائص العربية ص ٢١٨ وما بعدها ولحن العامة والتطور اللغوي ص ٥٨ ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية ص ٢٨١ . واللغة لفوندريس (الترجمة العربية) ص ٢٥٨ وعلم اللغة (السعران) ص ٣٠٩ وما بعدها ، وعلم اللغة (وافي) ص ٢٩٣ - ٢٩٥ .

٢ - التخصيص : وهو أن تقصر الدلالة العامة للفظ على بعض اجزائها ويضيق شمولها ، بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصوراً على أشياء تقل في عددها عما كانت تدل عليه الكلمة في الاصل الى حد ملحوظ . فالتكلم اذا اطمأن من فهم سامعه أعفى نفسه من الدقة والتحديد واكتفى بالتقريب العام . ويمكن لهذا المتكلم أن يضيق من دلالة الكلمة أو يختصها مهما كانت هذه الدلالة موعلة في التخصص . وقد يقع التخصيص نتيجة حذف المضاف اليه أو الصفة ومثاله لفظ (الدنيا) وأصله الحياة الدنيا والتخصيص بعد أوسع من التعميم وأكثر وروداً .

٣ - تغير مجال الدلالة : ويكون ذلك بانتقال اللفظ من مجال دلالاته الى مجال دلالة اخرى لتشابه بين الدالتين أو قرب بينهما أو مناسبة واضحة .

٤ - الاستعارة والمجاز (٣٣) : فالاستعارة علاقتها التشبيه والمجاز (المرسل) علاقتها السببية والحالية والمحلية والجزئية والكلية وغير ذلك ، وهما من أهم العوامل في تغير المعنى ، ومن هنا اعتبر العامل المجازى هذا هو من صور تغير مجال الدلالة فالمجاز هو تغير مجال الدلالة لولا اختلافه شيئاً ما عن ذلك . وليس من الضروري أن يكون الاستعمال المجازى مقصوداً متعمداً ، فقد يلجأ الناس الى مجازات لتوضيح معانيهم وأبرزها في صورة جلية دون أن يعمدوا الى هذا عمداً ؛ المهم أن المعنى الجديد يكون في بادئ الامر مجازياً بحثاً ولكنه بعد كثرة الاستعمال وشيوعه بين الناس تذهب عنه هذه الصفة وتصبح دلالاته على معناه الجديد دلالة حقيقية لا مجازية ، والواضح

(٣٣) انظر : دلالة الالفاظ (أنيس) ص ١٢٧ - ١٣٣ .

من دراسة تطوّر دلالات الألفاظ عن هذا الطريق أن التطور يكون من المعاني الحسية المادية الى المجردة المعنوية •

وهناك عوامل أخرى للتطور الدلالي وهي عوامل نفسية اجتماعية منها : رقي الدلالة وانحطاطها ، والمحظور ، وحسن التعبير ، والتحول نحو المعاني المضادة ، وسوء فهم المعنى ، وتماثل صورة اللفظ ، وتغير المعنى تبعاً لتغير اللهجة ، وغير ذلك مما كان له الأثر الكبير في تطور معاني المفردات ، والسبل التي تسلكها في هذا التطور عبر تاريخها الطويل • ولا يفوتنا أن نذكر أن من العوامل التي أدت الى تطور الدلالة كذلك : إبهام معنى اللفظ وغموضه مما يضعف مقاومته لعوامل الانحراف والتغير ، وانتقال اللغة من السلف الى الخلف اذ يؤدي ذلك الى عدم فهم الجيل الجديد بعض معاني الفاظ الجيل السابق • وانتقال الكلمة من لغة الى لغة يغير من دلالتها في استعمالها في اللغة المنقولة اليها • واختلاف الطبقات والجماعات ينشأ عنه اختلاف في مدلول الكلمات ، وتغير الشيء الذي تدل عليه الكلمة من حيث طبيعته أو عناصره أو وظائفه لا يد أن يستتبعه تغير في مدلول اللفظ المطلق عليه • وقواعد اللغة نفسها تذلل السبيل الى تفسر المدلول وتساعد على توجيهه وجهة خاصة ، مثال ذلك لفظ (ولد) فكون هذه الكلمة مذكرة ربطها بالذكر من البنين • وأخيراً تطوّر أصوات الكلمة وتبدلها يستدعي تغير مدلولها في الأذهان اذ هي تقترب في اصواتها من اصوات كلمة أخرى لها معنى مختلف فتكتسب منها هذا المعنى ، بعد ان ضعفت صلتها الصوتية في الأذهان بأصلها وأسرتها ، الى آخر ما هنالك من عوامل •

والتطور الذي تحدثنا عنه هو ذلك الذي يلحق معنى الكلمة نفسه تخصيصاً وتعميماً وانتقالاً ، ومجازاً واستعارة وسائر العوامل الأخرى • الا أن هناك تطوراً دلالياً يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب

الجمل وتكوين العبارة وما الى ذلك كقواعد الاشتقاق والصرف والتنظيم ، كما حدث كل ذلك في اللهجات العامية العربية اذ تخفت من علامات الاعراب وتغيرت فيها قواعد الاشتقاق واختلفت مناهج تركيب العبارات • كما أن هناك تطوراً ثالثاً يلحق الأساليب ، كما حدث للغة الكتابة العربية الحديثة اذ تطورت أساليبها عن أساليب الكتابة القديمة بتأثير الترجمة والاحتكاك بالأدب الاجنبية ورفق التفكير وزيادة الحاجة الى الدقة في التعبير عن حقائق العلوم المختلفة (٣٤) •

والتطور الدلالي يخضع في حدوثه لقوانين ثابتة مطردة ، هي سنة هذا التطور ومنهجه الخاص من ذلك : أنه يسير ببطء وتدرج ويستغرق وقتاً طويلاً ، فينتقل المعنى الى آخر قريب ، وهذا الى ثالث متصل به حتى تصل الكلمة أحياناً الى معنى بعيد جداً عن معناها الأول ، وسنضرب مثلاً واضحاً لهذا بعد قليل • ومن سنن التطور الدلالي أيضاً أنه تلقائي الحدوث لا دخل لارادة الانسان فيه ، وأنه صارم الظواهر لا يد لاحد على وقفها أو تعويقها أو تغيير ما تؤدي اليه • ومن سننه أيضاً أنه في معظم أحواله مقيد بالزمان والمكان ، فأكثر ظواهره يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص ، وليس هناك تطور دلالي لحق جميع اللغات في صورة واحدة ووقت واحد • ومن سننه كذلك أن أثره يشمل جميع الافراد الذين تضمهم البيئة التي يحدث فيها ، دون أن يقلت من هذا الأثر أحد • وأخيراً ترتبط الدلالة المتطورة بالحالة التي انتقلت منها باحدى العلاقتين اللتين يعتمد عليهما تداعي المعاني وهما : المجاورة والمثابرة • فإذا كانت متقلة باحدى هاتين الحالتين فانتقالها الجديد يكون باحدى هاتين الحالتين أيضاً ، كما هو الحال في لفظ (طعينة) معناه في الأصل المرأة في اليهودج ، ثم

(٣٤) علم اللغة (وافي) ص ٢٨٧ - ٢٨٨ •

انتقل الى معنى اليهودج نفسه والى معنى البعير والى معنى المرأة (٣٥) •

وقد يحذف اللفظ لوجود قرينة دالة عليه ، يقول السيوطي :
« قال ابن يعيش : وذلك أن المراد من اللفظ الدلالة على المعنى ، فإذا
ظهر المعنى بقرينة حالية أو غيرها ، لم يحتج الى اللفظ المطابق ، فان أتى
باللفظ المطابق جاز وكان كالتأكيد ، وان لم يؤت به فللاستغناء عنه » (٣٦) ،
فاذا استمر حذف هذا اللفظ من الاستعمال لوجود قرينة معنوية دالة
عليه انقرض وزال من اللغة وصار في عداد الالفاظ الميتة المنقرضة التي
كان هذا الهجر في الاستعمال أحد أسباب انقراضها مع أسباب أخرى
منها : ثقل الكلمة على اللسان أو عدم تلاؤم أصواتها • ومنها : انعزال
الكلمة وعدم ارتباطها بفصيحة من الكلمات معروفة الأصل متداولة
الاستعمال •

واللغة عندما تخلع عنها ثوبا قديما في انقراض بعض ألفاظها ترتدى
ثوبا جديداً في ميلاد ألفاظ حية تتم نشأتها بوسائل منها : أن تنشأ الكلمة
انشاء كالمصطلحات العلمية وما شاكلها ، ومنها : أن تتقل الكلمة من لغة
أخرى أو لهجة أخرى وهو ما يسمى بالدخيل ، ومنها : أن تعاد الى
الالفاظ المهجورة في اللغة الحياة في استعمالها • ومنها : أن تشق لفظة
غير مستعملة من لفظة مستعملة أو أن تنحت من كلمتين أو أكثر (٣٧) ،
وغير ذلك مما مرّ عرضه في التمهيد •

والآن نأخذ لفظة (اللحن) لنسوقها مثلاً بارزاً من أمثلة تطوّر
الدلالة في لفظ من الألفاظ ، فقد ذكروا لهذه الكلمة عدة دلالات اعتماداً
على شواهد شعرية ونثرية ليست بالقليلة • فمن معانيها (الخطأ في الكلام)

(٣٥) المزهر ٢٠٧/١ •

(٣٦) الاشباه والنظائر ٢٧٣/١ •

(٣٧) علم اللغة (وافي) ص ٢٩٩ وما بعدها •

واستشهدوا له بيت مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة
الفزاري من شعراء الدولة الأموية :

مَنْطِقٌ صَدَّبٌ وتَلَحَّنُ أَحْيَا نَأْ وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا (٣٨)

ومن معانيها كذلك (الفطنة والفهم) فقد روى عن عيسى بن عمر
أنه قال : « قال معاوية للناس : كيف ابن زياد فيكم ؟ قالوا : ظريف على
أنه يلحن . قال : فذاك أظرف له . ذهب معاوية الى اللحن الذي هو
الفطنة ، وذهبوا هم الى اللحن الذي هو الخطأ » (٣٩) ، ومن الشواهد
الشعرية على استعمال كلمة (اللحن) بمعنى الفطنة والفهم قول لبيد :
مَتَعَوَّدَ لِحْنٍ يَعِيدُ بِكَفِّهِ قَلَمًا عَلَى عُسْبٍ ذَبْلَنَ وَبَانَ (٤٠)
وقال ابن أحمد الباهلي يصف صحيفة كتبها :

وتعرف في عنوانها بعضَ لحنِها وفي جوفها صمعا تبلي النواصيا (٤١)
ومن شواهدهم على معنى الفطنة والفهم قول عمر بن عبدالعزيز :
« عجبت لمن لاحن الناس ولاحنوه كيف لا يعرف جوامع الكلم » (٤٢) ، أي
فاظنهم وجادلهم .

ومن معاني اللحن أيضاً (التورية والتعريض والكناية) ، ومن
الشواهد الشعرية المسوقة لهذا المعنى هو بيت القتال الكلابي المشهور :
ولقد وَحَيْتُ لَكُمْ لَكَيْمًا تَفْهَمُوا وَلَحْنْتُ لِحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ (٤٣)

(٣٨) اضداد ابن الانباري ص ٢٤١ ومجالس ثعلب ٥٩٩/٢ وسقط
الآلي ١٦/١ .

(٣٩) اضداد الانباري ص ٢٣٩ .

(٤٠) و(٤١) اضداد ابن الانباري ص ٢٤٠ ، ولسان العرب مادة (لحن) .

(٤٢) اضداد ابن الانباري ٢٤٠ والمحكم ٢٥٨/٣ .

(٤٣) اضداد ابن الانباري ٢٤٠ ، ولسان العرب (لحن) ، وامالي القالي

٦/١ .

ومن معاني اللحن كذلك (الفاء) ، يقول علي بن عميرة الجرمي :

صدوح الضحى معروفة اللحن لم تزل
تقود الهوى من مسعدٍ ويقودها (٤٤)

ويقول الشاعر كذلك :

باتا على غصنٍ بانٍ في ذرا فنٍ يرددان لحونا ذات ألوان (٤٥)

ومن معاني اللحن أخيراً (اللفة أو اللهجة) فقد روى عن عمر ابن الخطاب أنه قال : « تعلموا الفرائض والسنن واللحن » وقال أيضاً : « تعلموا اللحن في القرآن كيما تتعلمونه » (٤٦) ، إلا أن الأزهري ذهب في تفسير اللحن في هذا الحديث الى أنه (المعنى والفحوى) (٤٧) ، وذهب أبو عبيدة الى أنه بمعنى (الخطأ) (٤٨) .

وقد استخدم اللحن بمعنى اللهجة في قول عمرو بن شرحبيل في تفسير قوله تعالى : (فأرسلنا عليهم سيل العرم) فقال : « العرم : المسناة بلحن اليمن » (٤٩) أى باللهجة اليمن ، والمسناة : حاجز يمسك الماء .

وهكذا نجد أن المعاني التي تصرف اليها كلمة (اللحن) لا تربطها رابطة واضحة وليس بينها قرب بين ، وتبدو كأنها بعيدة كل البعد الواحدة عن الأخرى . والشواهد - على كثرتها نسبياً - لاتهدينا الى تحديد عصر كل معنى ، فبالرغم من توزع هذه الشواهد على عصور مختلفة فهي مع ذلك مضللة اذ قد يشترك أكثر من معنى في عصر ؛ كما

(٤٤) اضداد ابن الانباري ٢٤١ وأمالى القالي ٧/١ .

(٤٥) اضداد ابن الانباري ص ٢٤١ وأمالى القالي ٧/١ ولسان العرب (لحن) .

(٤٦) الحديثان في اضداد ابن الانباري ص ٢٣٩ وقد نسب الثاني فيه الى ابي بن كعب .

(٤٧) تهذيب اللغة (لحن) .

(٤٨) النهاية في غريب الحديث ٢٤٢/٥ .

(٤٩) اضداد ابن الانباري ص ٢٤٠ .

في معني (الخطأ) و (الفطنة) في العصر الأموي ، فحين يقصد معاوية (الفطنة) يقصد المجيون (الخطأ) • فكان لابد من البحث عن وسيلة تهدينا الى معرفة طريق التطور الحاصل في هذه اللفظة •

وأهم ما نشر عليه في هذا الصدد هو تحديد ابن فارس لمعنى (اللحن) في الاصل ، وهو المعنى الذى انطلقت منه سائر المعاني بقوله « إمالة شيء عن جهته » (٥٠) وهو صحيح كما سنرى عند تطبيقنا اياه على معاني (اللحن) الاخرى ، الا أن بعض الباحثين أساء تطبيق هذا الاصل على معاني الكلمة (٥١) ، فهو قد افترض أن في كل معنى من معاني الكلمة شيئاً من هذا المعنى الأصلي ففي الغناء إمالة شيء عن جهته وفي التورية كذلك وفي الخطأ كذلك وهكذا حتى في الفطنة إمالة شيء عن جهته ، فالمعاني عنده متساوية الدرجة في احتوائها على قدر من معنى إمالة الشيء عن جهته ، دون أن يحاول الربط بين المعاني نفسها ، لذا فهو قد رتبها هكذا : الغناء - التورية والرمز - الخطأ - اللهجة - الفطنة - معنى القول وفحواه •

وهذا الذى يقوله صحيح لو كانت هذه المعاني مستخدمة في عصر واحد ولسمعتها جميعا في العصر الأموي مثلاً ولما اختلط الأمر بين معاوية وجلسائه في فهم معنى (اللحن) ، فأنا اختلف معه في هذه الناحية وأرى أن كل معنى من هذه المعاني إنما هو متطور عن المعنى الذى سبقه في الاستعمال وشاع في الكلام حتى اقرب منه معنى آخر انتقلت الكلمة اليه منصرفاً لهذا المعنى الجديد استعمالاً وشيوعاً • ذلك أن أقرب معانيها صلة بمعنى إمالة شيء عن جهته هو (التورية والكناية) فهي مصداق إمالة الشيء عن جهته لأنها على غير الأصل ، وكل ما هو على غير الأصل فهو

(٥٠) مقاييس اللغة ٢٣٩/٥ •

(٥١) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية (عبدالعزیز مطر) •

ممال عن جهته ، يؤيد ذلك استطاعتنا بالأصل الثنائي للكلمة وهو (لح)
ف نجد أنه منسجم المعاني وقريبها مما نريده فمنه : لحد ، لحم ، لحف ،
لحن ، لحق ، لحظ ، وكلها تشير الى التغطية والستر والتورية ، فمنها
كان معنى التورية أقرب المعاني للأصل * والظاهر أنه معنى قديم ، وإليه
أشار القرآن (ولتعرفنهم في لحن القول) أي ممّا يكتنون ويعرضون
تلميحاً .

والتورية الجيدة مما يجمل الكلام ويحسنه ، وإذا كان الحديث
مطعماً بالكناية البارة كان حديثاً شيقاً ، وذلك ما لا يستطيع الاضطلاع
به والاجادة كل الناس ، وإنما الفطن الذكي منهم ، لذا كان انصراف
اللحن الى معنى (الفطنة والذكاء) من هذا الباب ، وبالعكس أيضاً إذا
كانت التورية أو الكناية ضعيفة سيئة فقد تعدت من الخطأ في الكلام ، فصار
اللحن (الخطأ في التورية) ثم على قاعدة (التعميم) صار اللحن يعني كل
خطأ في الكلام كناية أو تصريحاً ، وهذا هو الذي أوهم ابن الانباري
ضديتها عندما صرح بجواز كون اللحن يعني الصواب ويعني الخطأ (٥٢) .
وعندما يعتاد المتكلم الحديث بلهجته وتكون لديه كالبديهة فكل خلاف
لغوى من أى نوع كان - حتى لو كان ذلك الخلاف لهجة أخرى - فهي
من وجهة نظر المتكلم خطأ لغوى ، فأصبح اللحن الذى كان يعني الخطأ
يعني (اللهجة) الآن .

والقدماء كثيراً ما استعملوا اللغة بمعنى اللهجة بل كان من النادر
جداً الشور على لفظة اللهجة التي تعني معناها فاذا قالوا : لغة اليمن
فهم قد يعنون لهجة اليمن ، وهكذا بقية اللهجات ، ونظروا لما بين اللهجة
واللغة من صلة وثقى اذ اللهجة - في الدرس اللغوي الحديث - شعبة

من شعب اللغة ، كان انصراف اللحن يعني (اللغة) كانصرافه ليعني اللهجة . وهم كانوا يرون أن للحيوان لغة وللطير لغة ، اذ أشاروا الى ذلك في نصوصهم عند ذكر الورقاء والبلبل والشادن وغير ذلك من الطيور المفردة ، وتغريد الطير لفته ، فأطلق اللحن الذي يعني اللغة على تغريد الضليب توسعا منهم في معنى اللغة ، وهذا التغريد الذي يوقعه الطير محجب الى نفوسهم ومما تطرب اليه اربابهم فكان اذا ارادوا تشبيه الصوت الانساني الجميل شبهوه بتغريد الطير الموقع المنعم ، وأحلى اصوات الانسان وأوقعها على النفس عندما يعني وينغم ما يقول ، فكان هذا مدعاة انتقال المعنى من غناء الطير الى (غناء الانسان) حتى استقر المعنى عند غناء الانسان وصار اللفظ منصرفاً اليه .

هذا ما أردنا بيانه من تطوّر دلالة (اللحن) لتكون هذه الكلمة مثلاً واضحاً لكثير من الكلمات التي مرت بمراحل دلالية كثيرة حتى استقر لها الى جانب معناها الاخير معان اخرى هنّ ممّا احتفظت به هذه الكلمة في تاريخها الطويل الذي حفظته لنا الشواهد الشعرية والنثرية تارة ، وما توحى به دلالات اللفظ من قرب واضح بنبيء عن تطوّر المعاني الواحدة عن الاخرى تارة اخرى ، كما في كلمة (اللحن) مثلاً . وحصر ذلك من واجبات المعجم اللغوي التاريخي الذي عليه أن يعني بهذا الجانب من دراسة الالفاظ وتصنيفها الى جانب جمعها جمعاً معجماً ، وهو ما نتقدمه عربيتنا الان .

دلالة الصوت

اللفظة الواحدة التي مرّ البحث في مدلولها على أنها مجموعة أصوات تنصرف الى معنى خاص يميزها عن سائر الألفاظ ، هي في هذه المرة تبحث على أن لكل صوت من أصواتها انصرافاً جزئياً الى ذلك المعنى وبعبارة أوضح نقول ان لكل صوت دلالة خاصة تحمل في طياتها شيئاً من

المعنى العام لللفظ ، ذلك أن تعريف الوحدة الصوتية - كما توصل إليه تروتسكوى (٥٣) - على أنها أصغر وحدة للصوت تتخذ للتمييز بين المعاني ، ومن الواضح بعد هذا أن نجد الكلمات يختلف بعضها عن بعض في المعنى تبعاً لاختلاف حروفها وأصواتها ، وكل تبدل صوتي فيها يتبعه تبدل في المعنى ، وهذا يدل على أن للحرف أو (الصوت) أثراً في تكوين المعنى وتحديدده ، وأن له بعبارة أخرى وظيفة دلالية ، ومن الطبيعي أن يكون لكل لغة طريقة في تركيب ألفاظها الصوتي ، وقوانين يخضع لها هذا التركيب . وبالرغم من اختلاف اللغات في هذا المجال ، إلا أن العلاقة الطبيعية التي توجد بين أصوات الكلمة العربية ومدلولها يوجد مثلها في جميع اللغات . ويرجع السبب في هذه العلاقة إلى المنشأ الأول للغة عند الإنسان ، الذي رجّحه الرأي القائل بمحاكاة الإنسان لأصوات الحيوانات والأشياء وأصوات الأفعال عند وقوعها ، فلا غرابة إذن أن يبقى في كل لغة ما يمثل الأصل الأول الذي صدرت عنه لغة الإنسان (٥٤) .

وقد أنكر بعض الدارسين هذا المبدأ أعني مبدأ الربط بين الأصوات والمدلولات مستدلين على ذلك بالمشتراك اللفظي وهو انصراف اللفظ إلى عدة معانٍ وبالترادف وهو انصراف عدة الفاظ إلى معنى واحد ، وبالتطور المستمر للألفاظ والمعاني فقد تتطور أصوات اللفظ ويبقى المعنى وبالعكس (٥٥) ، وهو أمر لا يؤيد وجود مثل هذه الصلة بين الأصوات وبين مدلولاتها ، وقد أجاب القائلون بوجود هذه الصلة بأمور منها : وجود هذه الجمهرة من الألفاظ التي لا ينكر أنها محاكاة مباشرة للأصوات الطبيعية - كما أشرنا إلى ذلك قبل قليل - وهي كثيرة ، ومنها أيضاً : الأصوات الناشئة عن حركات الإنسان ونشأة كلمات توحى بهذه الصلة

(٥٣) دلالة الألفاظ العربية وتطورها ص ٩ .

(٥٤) فقه اللغة وخصائص العربية ص ١٧٥ وفقه اللغة (وافي) ص ١٦٩ .

(٥٥) من اسرار اللغة ص ١٢٩ .

بين اللفظ ومدلوله مثل : طرق الباب ، ربت على كتفه ، وكالقطع والقطف والقطم والقضم والخضم ، ومثلها الكلمات التي تعبّر عن الضرب والشمي واللعب •

ومن أدلتهم كذلك : الكلمات التي تعبّر عن الحالة النفسية كالكره والنفور والسخرية مثل : البغض والفضب والنفور والفتور ، الشنآن والشنف وغيرها • ومن الأدلة أيضا : طول الكلمة أو قصرها في الأصوات مثل تضعيف عين الفعل الذي يعبر عن المبالغة في الحدث (كَسَرَ وكَسَّر) والتكرار يزيد المعنى ويشدده (جَرَّ وجَرَجَرَ) و (ثَرَّ وثرثر) وغيرها • ومن الأدلة كذلك : الحركات وما ترمز اليه من معان خاصة ، فالكسرة في اللغة الحامية للقريب والضمّة للبعيد • والكسرة في اللغات الهندية الاوربية تعبّر عن صغر الحجم والرقّة وقصر الوقت والكسرة في العربية رمز المؤث ، والتصغير بالياء التي هي أخت الكسرة (٥٦) • فلهذه الامور جميعا نادى اصحاب هذا الرأى بوثاقه الصلّة بين الصوت والمدلول ، وحيوية العلاقة بينهما •

ونحن حين نميل الى هؤلاء القائلين بوجود الصلة بين الاصوات ومدلولاتها ولو بتحفّظ ودون مبالغة ، نكر أشدّ الانكار ما ذهب اليه أحد الباحثين من أن «خيال الادباء ولا سيّما الشعراء منهم هو المسؤول الأول عما يسمى بوحى الأصوات ، فهم قوم شديديو الاعتزاز بألفاظ اللغة ، وما يستشف في ثناياها من معان ، ويتخذون من أصواتها دلائل وعلامات لا وجود لها الا في مخيلاتهم» (٥٧) ، وأيد هذا الباحث موقفه بقوله : «ولاشك أن الذين ينكرون الصلة بين الاصوات والمدلولات هم أقرب الفريقين الى فهم الطبيعة اللغوية ، فهم الذين يجردون الظواهر اللغوية-

(٥٦) هذا الموضوع بالتفصيل في : من اسرار اللغة ص ١٢٩-١٣٤ •

(٥٧) من اسرار اللغة (ابراهيم أنيس) ص ١٣٤ •

من كل غموض ، ولا يرون فيها أمورا سحرية فوق المدارك والأذهان » (٥٨) ، وانما ننكر عليه هذا فلأن البحث العلمي أثبت صحة النظرية القائلة بوجود الصلة بين الاصوات ومدلولاتها متمثلة بالأدلة التي عرضها أصحاب هذه النظرية ، وهي أدلة لا تقبل الشك ، اذ هي من واقع اللغة نفسها ، أما الأدلة التي ساقها المنكرون فهي قابلة للرد والتفنيد ، ذلك أن احتجاجهم بالمشترك والمترادف ينبئ عن اطراحهم لكل الدراسات العلمية التي قامت لتفسير ورودهما في اللغة ، والتي خرجت بنتائج لا يمكن اهمالها والتعاضي عنها - كما عرضنا لها في التمهيد • وأحسن ما يقال في هذه النتائج أنها لم تقر وجود الا القليل النادر من المشترك والمترادف في اللغة بحيث لا يصح الاعتماد على هذا القليل في انكار ظاهرة أو تأييد أخرى • أما دليلهم أن الاصوات والمعاني تخضع للتطور المستمر على توالي الأيام ، فقد تتطور الاصوات وتبقى المعاني سائدة ، كما قد تتغير المعاني وتظل الأصوات على حالها ، فهو الآخر دليل ضعيف ، فان تتطور الاصوات وتبقى المعاني سائدة فلا أظن - حسب معلوماتي - ان في اللغة دليلا يؤيد هذا ، بل العكس هو الحاصل بكثرة ، فاذا تطور صوت العين في (قطع) الى الميم مثلا فالمعنى ليس هو وانما في (قطم) شيء ليس في قطع ومثل ذلك (قطف) و (قطل) و (قطب) وهكذا ، فاذا اعتقدوا أن معاني هذه جميعا هي واحدة فقد وهموا وبعدوا ، لأن الصوت المتطور هذا قد نوع القطع وصنفه حسبما يوحيه الحرف أو الصوت الجديد من تنويع وتصنيف • وكذلك الحال بالنسبة لتطور المعاني وجمود الأصوات ، ذلك أن تطور المعاني يخضع لقوانين مطردة في كل عصر ومكان ، وانما الذي نعيه من صلة الصوت بالمعنى هو المعنى الأول الأصيل الذي اوحته الأصوات وانصرفت اليه قبل أن يتطور الى

(٥٨). من أسرار اللغة ص ١٢٩ •

معنى آخر يشابهه أو قريب منه أو أخص من الأول أو أعم منه بطريقة من الطرائق التي مرّت الإشارة إليها سابقا ، بالرغم من صلة المعنى الجديد بالصوت صلة أضعف من الأولى وأبعد نوعا ما . والظاهر أن هذا الخلاف حول وجود مثل هذه الصلة قديم فقد « ظلّ فلاسفة اليونان والرومان يحاولون علاج هذه المشكلة بالجدل والتقاش قرونا عدّة ، وانقسموا في هذا الى فريقين : اولئك الذين نادوا بوجود رابطة طبيعية تدركها العقول ، وتقبلها الأفهام بين الأصوات والمدلولات ، وآخرون يرون أن الأمر لا يعدو أن يكون اصطلاحا عرفيا جرى عليه الناس في كلامهم وأن لاعلاقة بين الأصوات والمدلولات الا بقدر ماسمح به العرف والاصطلاح » (٥٩) وممن كان يميل الى هذا الرأي الأخير سقراط وتلميذه أفلاطون فقد رأيا أن الصلة بين أصوات اللفظ ومدلوله غامضة لا تكاد تتضح في اللغة كما عرفت في عهديهما وكما شاعت على الألسنة في أيامهما (٦٠) . في حين أن علماء اللغة الهنود نادوا بالنظرية القائلة بوحدة المعنى بين الكلمتين أو الكلمات المتفقة في حرفين اثنين فقط أو في حرف واحد (٦١) .

والأهم في هذا الموضوع أن علماءنا العرب درسوا هذا الباب وبحثوا فيه وتوسعوا حتى كان جماعة منهم ينادون بنظرية صلة الأصوات بالدلالة وبايحاءها بالمعاني ، وعلى رأس هؤلاء الدارمين القدماء ابن جني فقد عقد لهذا الموضوع فصلا مستقلا في (الخصائص) سمّاه : باب في قوة اللفظ لقوة المعنى ، قال : « هذا فصل من العربية حسن ، منه قولهم : خشن واخشوشن فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو ، وكذا قولهم : أعشب المكان ، فاذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا :

(٥٩) من أسرار اللغة ص ١٢٦ .

(٦٠) المرجع السابق والصفحة .

(٦١) البحث اللغوي عند الهنود ص ١٤٣ .

اعشوشب ، ومثله حلا واحلولى ، وخلق واخلولق وغدن واغدودن ، ومنه باب فعل وافعل نحو قدر واقندر ، فاقتدر أقوى معنى من قدر • كذا قال أبو العباس وهو محض القياس » (٦٢) ، فابن جنى يرى هنا أن زيادة أى صوت في اللفظ لا بد أن يستتبعه زيادة في المعنى ، وأن هذا الصوت يقابل جزءا من المعنى العام لللفظ • وقد تحدث في فصل سماه (تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني) وفصل آخر بعنوان (امساس الالفاظ أشباه المعاني) تحدث في هذين الفصلين عن التقابل بين المعاني والاصوات في الكلمات ، ونبه الى المواطن الكثيرة التي يقع فيها مثل هذا التقابل ، وتكلم في هذا الموضوع كلاما يفهم منه تعميم هذه النظرة في اللغة واطراد القول في التقابل بين كل صوت في الكلمة وجزء من اجزاء معناها ، بحيث أن المعنى العام للكلمة ناشئ عن اجتماع معاني الحروف المركبة لها ، ويأتي ابن جنى بأمثلة يدل بها على صحة نظريته مثل (بحث وشد وجر) (٦٣) •

وأشار كذلك الى التقابل بين صفة الصوت وصفة الحدث ، فالصوت الشديد للحدث الشديد كالقاف ، والصوت اللين للناعم للأشياء والأحداث الرقيقة الناعمة كالسين والحاء كأصوات خلس وسكن ، وأراد المقابلة بين ترتيب أجزاء الحدث وترتيب مخارج الحروف في الكلمة ، فكلمة (خرج) تبدأ من الحلق صاعدة نحو الفم دلالة على الخروج ، وكلمة (دخل) على عكسها ، تبدأ الدال ومخرجها في أول الفم ثم تأتي الحاء ومخرجها الحلق فالفعل يتسجه من الخارج الى الداخل • وهكذا نجد أن للحرف أو الصوت عنده ايحاء خاصا ، فهو ان لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى ، فهو يدل دلالة اتجاه وايحاء ، ويشير في النفس جواً يهيئ لقبول المعنى ويوجه اليه ويوحى به • فلم يشغل ابن جنى وغيره من العلماء من كل حرف أنه صوت

(٦٢) الاشباه والنظائر ١/١٤٤ •

(٦٣) الخصائص ١/٥٥٥ ، ٢/١٥٧ ، ٢/١٦٣ •

بقدر ما شغلهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض وان الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حلّ اجزائها الى مجموعة من الاحرف الدوال المعبرة (٦٤) .

فقد مال ابن جني وغيره الى الاقتناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله في حالتي البساطة والتركيب ؛ ففي حال البساطة رأوا الحرف الواحد - وهو جزء من كلمة - يقع على صوت معيّن ثم يوحى بالمعنى المناسب سواء أكان في أول اللفظ أم وسطه أم آخره . فما وقع في أول الكلمة (صعد) و (سعد) فجعلوا الصاد لأنها أقوى لما فيه أثر مشاهد يرى ، وهو الصعود في الجبل والحائط ونحو ذلك ؛ وجعلوا السين لضعفها لما لا يظهر ولا يشاهد حسا إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجدّ لاصعود الجسم ، فجعلوا الصاد لقوتها فيما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشمة ، وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس وان لم تراه العين (٦٥) .

ومما وقع في وسط الكلمة : التاء والطاء والدال في تركيب (ق ت ر) و (ق ط ر) و (ق د ر) فالتاء خافية مستفلة والطاء سامية متصعدة ، فاستعملتا لتعديهما في الطرفين كقولهم : قتر الشيء وقطره والدال بينهما ليس لها صعود الطاء ولا نزول التاء ، فكانت لذلك واسطة بينهما ، فقل قدر الشيء لجماعه ومُحَرَّنَجِمِه (٦٦) .

ومما وقع في آخر الكلمة : النضج والنضخ ، فالنضج للماء ونحوه والنضخ أقوى من النضج ، قال الله سبحانه (فيهما عينان نضاختان) فجعلوا الحاء لرققتها للماء الضعيف والخاء لغلظها لما هو أقوى منه ، « ولا يقال من

(٦٤) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٦٠ ودراسات في فقه اللغة ص ١٤٢ .

(٦٥) الخصائص ١/ ٥٥٣ .

(٦٦) الخصائص ١/ ٥٥٤ .

النضج فَعَلَتْ ، والحزم من الارض أرفع من الحزن ، والقبض بجميع
الكف ، والقبض بأطراف الاصابع « (٦٧) .

وهكذا الحال في ما يسمى بالتركيب ، فقد لاحظ العلماء القيمة التعبيرية
للصوت مع أخيه في لفظ ثنائي على القول بثنائية اللفظ العربي ، ولاسيما في
نشأته الأولى . ووجدوا في كثير من المواد الثلاثية والرابعة أصولا ثنائية
زيد عليها صوت أو أكثر ، وتلمسوا بين صورتها الأصلية المجردة
وصورتها المتطورة المزيدة جامعا معنويا مشتركا ، حتى اذا وجدوه اقتنعوا
بأن زيادة المادة الصوتية ربما أوحى بفرق معنى جديد ، ولكنها غالبا
تحتفظ بجوهر المعنى الأصلي القديم ، وذلك مثل : جمع وجمل وجمد
وجمر ففيها كلها معنى الجمع ، وقد أشار الكرمللي الى معرفة اللغويين
القدماء لهذه الثنائية فقال : « فمن قال بها ولم يجد عنها قيد شعرة الاصبهاني
صاحب كتاب غريب القرآن ، فانه بنى معجمه على اعتبار المضاعف هجاء
واحدا . ولم يبال تكرار حرفه الأخير ، فهو عنده من وضع الخيال ، لا من
وضع العلم والتحقيق » (٦٨) ، وهذا الصوت الثالث أو المزيد في الاصلين
الثنائيين اما أن يكون في وسط الكلمة ومن أمثله : شلق من شق . فرق من
فق . قرط من قط . واما أن يكون صدرا متوجا للكلمة ومن أمثله : رقت
من فت . لهب من هب . رفض من فخص . (٦٩) .

والاستشهاد بهذه الامثلة من اللغة فيه شيء من وهم ، ذلك أنه قائم
على اعتبار المضاعف الثلاثي ثنائيا ، « فاذا رددنا مثلا فرق الى فق فهو في الحقيقة
(فق) بالتضعيف ، اذ لم تقع في معجماتنا على مادة فق مقطعا صوتيا مؤلفا
من متحرك فساكن . وقس على ذلك لهب مثلا حين نأخذها من هب ، فانها في

(٦٧) ادب الكاتب ص ١٥٦-١٥٧ .

(٦٨) نشوء العربية ونموها واكتهاها ص ٢ .

(٦٩) الفلسفة اللغوية ص ٥٧ ، ٩٩ .

المعجم (هـ) بتضعيف الباء « (٧٠) » .

وأكثر من هذا فقد أمعن العلماء النظر في تتبع الحرف الواحد من الألفاظ ، فوقعوا على عدد من الأمثلة يبدو فيها معنى عام مشترك في الألفاظ التي تشترك بينها في حرف واحد ، وهذه الفكرة التي تجلت عند ابن جني هي التي أوحى إلى بعض الباحثين بنظرية (القيمة التعبيرية أو اليبانية للحرف في الألفاظ العربية) (٧١) إذ أحصوا من ذلك الشيء الكثير ، فحرف العين يدل على الاستتار والغية والخفاء مثل : غاب ، غار ، غاض ، غال ، غم ، غمد ، غمر ، وحرف الراء يفيد معنى الاستمرار والتكرار في مثل : مر ، جر ، در ، رعي ، رقي ، غرف ، وحرف القاف لمعاني الاصطدام أو الانفصال مثل : قد ، قطع ، قرع ، قرف ، دق ، طق ، شق ، وحرف النون يعطي معاني الظهور والبروز مثل : نما ، نطق ، نهض ، نشأ ، نجم ، نزع ، تنزف . وحرف السين يفيد معنى اللبونة والحركة ومن أمثلة هذا : سهل ، سلم ، سل ، سلس ، سال ، سار ، ساب (٧٢) .

وكان لمباحث (الاشتقاق الكثير) أو ما يسمى بالابدال ارتباط وثيق بمذهب القائلين بدلالة الصوت وقيمه التعبيرية ، فعندما رأوا اثبات القيمة الدلالية للصوت البسيط ، وهو حرف واحد في كلمة ، رأوا كذلك اثبات هذه القيمة للصوت المركب كيفما كانت صورة تركيبه . وهو مذهب الخليل وقد كان ابن جني - كما رأينا - على رأس المتوسعين بهذه القيمة التعبيرية للصوت . وكان يخلط أحرف مادة ما ويمزج بعضها ببعض ، ويقبلها في تركيب ثلاثي على جهاتها الست المحتملة ، ثم ينظر إلى الحرف الواحد من أحرفها حيثما كان موضعه منها على أنه صوت ما يزال بسيطاً له دلالة

(٧٠) دراسات في فقه اللغة ص ١٥٩ .

(٧١) فقه اللغة وخصائص العربية ص ١٠٣ .

(٧٢) فقه اللغة وخصائص العربية ص ١٠٣ ، ٢٦٠ .

التعبيرية الخُصّة ، وهذا المعنى العام الذي يتتظم مفردات كل مادة ، كان ابن فارس يسميه في مقاييس اللغة (الأصل) ويصدر به الكلام في كل مادة ، وقد يرجع المادة الى أصلين أو أكثر ، إلا انه يستطيع إعادة هذين الأصلين أو الثلاثة الى أصل واحد بعد امعان النظر ، ومن الأمثلة التي رجع ابن فارس فيها المادة الى اصول ثلاثة مادة (خلف) أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه والثاني خلاف قدام ، والثالث التغير ، ولعل ثلاثتها تنحصر في أصل واحد هو (التابع) ، وبقية المعجمات لا تلاحظ ذلك إلا عرضا في شرح المادة ، وقد تشير الى ما بين ألفاظ المادة من صلة معنوية . يقول ابن فارس مستوحيا من الجيم والنون دلتهما : « وان اسم الجن مشتق من الاجتئان . وان الجيم والنون تدلان أبدا على الستر تقول العرب للدرع : جنة ، وأجنه الليل ، وهذا جنين أى هو في بطن أمه أو مقبور » (٧٣) وعنده أن المسألة كلها توقيف لا يصح فيها الاختراع أو القياس « فان الذي وقفنا على أن الاجتئان التستر ، هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه ، وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ماقلوه » (٧٤) وقد أورد ابن جني في باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) كثيرا من الأمثلة المتعلقة بهذا الضرب من الاشتقاق المعتمد على وحدة المعنى الأصل الذي تحتفظ به الأصوات سواء في المادة الثلاثية التي تنقلب الى مجموعات صوتية ، أو في الاصل الثنائي المشترك في المجموعة التي أبدا الصوت الثالث من كل منها . والصوت الثالث هذا أو ما يسمى بالزيادة ، ربما نوّع المعنى الأصل العام تنويعا طفيفا ، فقط وقطب وقطن وقطع وقطم وقطل جميعها تتضمن معنى القطع ، إلا أن كل واحدة منها استعملت لحالة من حالات الفعل (٧٥) .

(٧٣) الصاحبى ٣٣

(٧٤) الصاحبى ٣٣

(٧٥) الفلسفة اللغوية ص ٩٩

وإذا كان غريبا انكار أحد الباحثين على ابن جني وغيره من العلماء
 هذا المذهب واعتباره ايمانا عقليا منطقيا ومثالا في هذا السبيل^(٧٦) فإن
 اتهام هؤلاء العلماء بسرقة هذه النظرية من الهنود وتطبيقها في العربية بتكلف
 وتعمسف فهو أكثر غرابة وأدعى للاشتقاق ، يقول أحدهم في ذلك : « وإذا
 كان ياسكا أو غيره من لغويي الهنود قد نجحوا في اشتقاقهم هذه ، فمرجع
 ذلك أن الجذور السنسكريتية ترجع في معظمها الى أصل ثنائي • ولكن نقل
 النظرية الى اللغة العربية كان أمرا غريبا ، كما أن تطبيقها أظهر تكلفا
 وتعمسفا ، نظرا لثلاثية الأصول العربية »^(٧٧) • ولا نريد أن نقول أكثر من
 أنه لم ينصف في ادعائه هذا ، والا فهل فاتته أن العلماء العرب القائلين بهذه
 النظرية كانوا قد اتخذوا مادتهم في دراساتهم من العربية نفسها ، التي
 وجدوا فيها بعد استقراءهم لها أنها كانت في طور من اطوار تاريخها اللغوي
 ثنائية الاصل ، وكل الشواهد التي اثبتوها لنا هي مما يؤيد أن المسألة لاتعدو
 العربية القديمة التي تكلم بها العرب • وكون الأصل الثنائي هو مما تشترك
 فيه السنسكريتية فهذا لايعني أنها نقلت للعربية على سبيل التقليد والمحاكاة ،
 ولا أدري أى تطبيقاتها العربية كان متكلفا متعمسفا وجدا لو كان الباحث
 الفاضل قد ضرب لنا أمثلة من هذا التكلف والتعمسف • وعدا هذا فانه وهم
 في اعتقاده أن هذه النظرية قد نودى بها لأول مرة في القرن الرابع اذ الحقيقة
 ان جذور هذه النظرية تمتد الى اواسط القرن الثاني أى الى حياة الخليل
 ابن أحمد عندهما وضع (العين) على طريقة ما سمي بعده بالاشتقاق الاكبر
 المعتمد على التقلبات الست للمادة الثلاثية مستوحيا في ذلك الأصوات وما
 ترتبط به من دلالات وعلى هذا المنهج سار معجمه الكبير ، كما ان الاشارات
 الى الابدال في الصوت الثالث واعتبار الالفاظ مشتركة المعنى في الصوتين

(٧٦) ابراهيم انيس : من اسرار اللغة ٤٧ •

(٧٧) البحث اللغوي عند الهنود ص ١٤٣ •

الاصليين اشارات قديمة اذا قورنت بالقرن الرابع • واذا كنّا نحسن الظن
يعلم هذا الباحث ومعرفته بهذه الأمور ، فنقول ان ارجاع النظرية الى القرن
الرابع انما كان ليتسنى له القول بأنه قرن ترجمة ونقل واطلاع على علوم
الشعوب الاخرى ، فتسنى لعلماءنا العرب الاطلاع على نظرية الهنود هذم
ونقلها الى العربية بتكلف وتصّف ظاهرين !!

والدراسات العلمية الحديثة استطاعت أن تكشف أموراً عجيبة في
موضوع الصوت فقد قررت « بأن ليست كافة الفروق الصوتية ذات أهمية ،
فالهم هو الفروق التي تبلور في الوحدات الصوتية ، يصحّ هذا اذا اعتبرنا
أن الوحدات الصوتية وحدها هي المهمة فيما يتعلق بمعاني الكلمات ،
ولكننا نستطيع ان نستشفّ المعلومات من الشخص المتكلم ليس فقط من
معاني كلماته • ان طريقة القاء الشخص تجعلنا على علم بمزاجه ، وهذا
شيء لا توضّحه الكلمات المستعملة ، والعبارة نفسها يمكن ان تؤدي بطرق
متعددة تبعاً لمزاج المتكلم » (٧٨) فتغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير
من اللغات ، فقد تفيد عبارة من العبارات الاستفهام مرة والتهكم والسخرية
مرة أخرى ، والدهشة والاستغراب مرة ثالثة وهكذا ، كما في العبارة العامية
المصرية (لا يا شيخ) (٧٩) ، وسيمر علينا في التفسير النفسي الاجتماعي
للأضداد شيء من ذلك • ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية ، فالعناصر الصوتية
تستطيع التعبير عن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها المرء ومستواه التعليمي
وجذوره الاجتماعية وعمره وجنسه اضافة الى أشياء أخرى ، ذلك أن العناصر
الصوتية تعتبر اشارات مألوفة تقليدية على حدّ تعبير بعض الباحثين (٨٠) •

نخلص من ذلك كله الى أن موضوع دلالة الصوت هو من المواضيع

(٧٨) اصوات واشارات ص ١٩٤ •

(٧٩) دلالة الالفاظ (انيس) ٤٧ •

(٨٠) كوندرا توف : اصوات واشارات ٢٠٠ •

التي شغلت الدارسين قديما وحديثا ، وكان لهم فيه آراء كثيرة ووجهات نظر مختلفة عرضنا لها في هذا الفصل بشيء من البسط والتفصيل لنستطيع الوقوف على حقيقة المسألة عند هؤلاء ، فبين انكار المنكرين للصلة الموجودة بين الصوت والدلالة ، وبين القائلين بوجود هذه الصلة تنكشف الحقائق ويتوضح السبيل ، ونحن سوف نفيد من هذا كثيرا عند دراستنا لتفسير التضاد في ألفاظ الأضداد ، اذ ان هذا سوف يهدينا لاستشفاف دلالة اصوات اللفظة المتضادة المعنى وسنستطيع من خلال معرفة دلالة اصواتها تبين الدلالة الاصلية من بين الدالتين المتضادتين •

ثلاثة نماذج قديمة من التأليف في الدلالة

الفـ المسلمون منذ عصر مبكر في اللغة ، وكانت مؤلفاتهم تتعرض من قريب او بعيد للبحث في اللفظ وصلته بالمعنى ، وكانت ترد في بعض الكتب دراسات قصيرة في الاشتقاق والبناء والأضداد والاختلاف في اللفظ والمعنى ، وكان لكتب غريب القرآن ومشكل القرآن اكبر الأثر في توجيه البحوث اللغوية في مدلول اللفظ • وكان الحرص على لغة القرآن ودفع الطعن عنها وراء كل بحث من تلك البحوث • وقد يقع لفظ شارد في معنى ما لا أحد العلماء ، ويقع مثله في المعنى نفسه لعالم آخر • ولا يبعد أن يسمع لغوى لفظ من أعرابي في معنى ، ويسمعه آخر في معنى مختلف ، وقد يقع التحريف عن طريق اغلاط اللسان ، او تغاير لهجات القبائل ، وقد يجيء الاختلاف في المدلول عن طريق العلماء أنفسهم ، ولهذا مظاهره المختلفة • اذ نهج اللغويون في بحوث المدلول مناهج مختلفة ، ظهرت فيها محاولاتهم تتضمن كتباً بأسماء عدة ، ولكنها وان اختلفت في التسمية فغير مختلفة في الهدف العام وهو المدلول • ونحاول الآن ان تبين ثلاثة مناهج من هذه الدراسات ، لتكون امثلة واضحة تعكس الوانا من الدراسات الدلالية الكثيرة المتشعبة •

وهو نمط فريد من التأليف في الدلالة ، ذلك ان الدراسات اللغوية لم يكن لها قبل بهذا النوع من التصنيف ، لأن قطربا أول من ألفت في المثلثات ، كما يشير الى ذلك ابن خلكان في ترجمته ، وشاع التأليف فيها بعده على أيدي العلماء ، مثل ابن السيد البطليوسي والخطيب التبريزي وأبي عبدالله القراز وغيرهم . هذا من جهة . ومن جهة أخرى ان قطربا ألفها شعرا (على مجزوء الرجز) ، وفي هذا من الجهد ما فيه لأن الشعر مقيد بقيود التفعيلة والقافية فكأنه اراد ان تكون قصيدة تعليمية يحفظها طلاب اللغة ويسهل عليهم روايتها واشاعتها ، والمقصود بالمثلثات هو الالفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة من مثل قوله :

ان دموعي غَمَرُ
وليس عندي غِمْرُ
يا أيها ذا الغُمَرُ
أقصر عن التَعَتَبِ (٨٢)

وعلى مثل هذا المنهج تسير الأرجوزة اذا صحت التسمية ، بأن تكون اللفظة المثلثة قافية ثلاثة اشطر ويكون الرابع متبها على روى مشترك في كل الأرجوزة وهو الباء . وغمر بالفتح - في المثال السابق - هو الماء الكثير وبالكسر الحقد وبالضم الرجل الجاهل ، ومن الطريف أن يكون الشارح عبدالرحمن السهوري الشافعي قد نظم شرحه شعرا ايضا وذلك بأن يلحق كل مادة شرحها (رجزا) بنفس الطريقة في النظم ، يقول في شرح (غمر) :

يقال للماء الكثير غَمَرُ
والحقد في الصدر فذاك غِمْرُ
والرجل الجاهل فهو غُمَرُ
ان لم يكن حبرا من الأجبار

(٨١) نشره الدكتور اوغست هفتر ضمن (البلغة في شذور اللغة) بيروت ١٩١٤ م

(٨٢) شرح مثلثات قطرب ، ص ١٦٩ .

والمثلثات نوع من المشترك اللفظي الذي مرّ أنه انصراف اللفظ الى عدّة معان قد لايربط بين دلالاتها رابط بيّن • اقول نوع من المشترك لأننا نفترض في المشترك ألاّ يتغير اللفظ صوتا وحركة في انصرافه الى معانيه كلّها ؛ وعدا هذا فهناك فرق بين المثلثات والمشارك هو ان المثلثات محصورة في ثلاثة معان هي من حركات الحرف الأول من اللفظ ، في حين قد تنصرف اللفظة الواحدة من المشترك الى معان كثيرة تصل احيانا الى عشرات ؛ وربما كان كثير من الفاظ المشارك التي تنصرف الواحدة منها الى معنيين أو ثلاثة هي من المثلثات في الأصل لم يلتفت الى حركة الصوت الاول أو أنه التفت اليها ثم تجوّهلت بدافع المكاثرة وزيادة المادة المروية وهو احتمال يقرب من الرجحان اذا عرفنا ان عددا لا يستهان به من الالفاظ قد رويت على أنها من المشارك وهي من المثلثات ، وكذلك الحال بالنسبة للاضداد فربما كان انصراف اللفظة المثلثة الى معان تشبه المتضادة أو متضادة فعلا ، فتروى هذه اللفظة على أنها من الاضداد بعد ان تهمل الحركة عمداً أو جهلاً ، كما حدث بالنسبة لمادة (قسط) ، فقد روى الاضداديون أنها من الاضداد استنادا الى ورود مشتقاتها في القرآن ممدوحة مرة ومذمومة أخرى ، فهي اذن من الاضداد ، في حين يقول قطرب :

طارخني بالقِسطِ ولم يَزِنْ بالقِسطِ
فيه عرف القِسطِ والعنبر المطيب (٨٣)

ويقول الشارح في توضيح كل معنى :

الجور في الاحكام فهو القِسطُ والعدل والاحسان فهو القِسطُ
ثم الذي يباع فهو القِسطُ يفوح طيب نشره في النّارِ
ومن هنا نعرف ان القرآن ذم القاسطين من (القِسط) بالفتح ، ومدح المقسطين من (القِسط) بالكسر وليس في اللفظة تضاد اصيل في الوضع •

وهكذا يحل موضوع المثلثات بعض المشكلات اللغوية بهذه الدقة التي تدعو للاعجاب بالواضع الاول للمثلثات ، وتسميته اياها بهذا الاسم دون اى اسم آخر لاتندرج تحته هذه الالفاظ الا قسراً أو جهلاً كما فعل هو قبل غيره حين عدّ في كتابه الاضداد الفاظاً ذكرها هنا من المثلثات وقلده في ذلك الاضداديون بعده ، كمادة (قَسَطَ) مثلاً التي مرت قبل قليل •

نعود فنقول انه ربّ من يشكّل علينا بوجود لفظة تنصرف انصرف المثلث وهي كذلك تنصرف الى معنى رابع وقل خامس ، ليست هي من المشترك في هذه الحالة ، ولا يكون للتثنية قيمة الحركات ؟ أقول ان هذا المعنى الرابع هو تطور دلالي يحصل لاحدى المعاني الثلاثة الاولى ، وقد يتطور معنى آخر فيكون للفظ حيثُ خمسة معانٍ او ستة وهكذا ، فاللفظة اذن ليست من المشترك بالرغم من انصرافها الى اكثر من ثلاثة معانٍ تحددها الحركات وانما هي - بعد التثبت - من المثلثات التي تطورت معانيها باحدى صور التطور الكثيرة التي مرت في موضوع التطور الدلالي قبلاً ، شريطة التأكد من ذلك •

من هذا يظهر لنا ان موضوع المثلثات من المواضيع التي تصور نمطاً خاصاً من انماط البحث في دلالة اللفظ له قيمته الكبرى في تحديد كثير من المعاني الخاصة باللفظ الواحد التي اختلط الامر فيها على الدارسين في ظواهر اللغة حين عدّوا من هذه الظواهر ما ليس منها ومالا يندرج تحتها بحال •

٢ - المأثور عن أبي العميشل (ت ٢٤٠ هـ) (٨٤)

وهو كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ، الا أن شهرته بالمأثور • وهو كما ينبىء عنوانه معجم

(٨٤) نشره فريتز كرنكو (لندن) ١٩٢٥ م •

للألفاظ المشتركة • ينصّ المؤلف بعد ذكر كل مادة على عدد أوجهها ويقصد بأوجهها معانيها فيقول مثلاً : كذا على أربعة أوجه ، ثم يشرع في ذكر الأوجه الأربعة • أو على ستة أوجه أو ثلاثة ، وهو في كل مرة يبيّن أوجه اللفظة الدلالية • إلاّ أن الملاحظ على المؤلف اغفاله الروابط الدلالية الواضحة بين معاني الكلمة فقد يعتبر ما هو في الأصل معنى واحد عدّة معان هي أوجه اللفظة • مثال ذلك قوله : « القَلْتُ على ستة أوجه : القلت الحفرة أو النقرة تكون في الجبل يجتمع فيها ماء السماء • قال الأصمعي هو ماء يغرق فيه الفيل حكى ذلك أبو نصر • والقلت ما اطمأن من الخاصرة • والقلت ما بين الترقوتين • والقلت عين الركبة • والقلت ما بين الأبهام والسبابة • والقلت النقرة في أصل عين الفرس والبعر ما بين العينين والأذن ، ويقال له أيضاً التغمغة والتغانغ ، وجمعها قلات ، قال الرازي في دلوه :

أى دلاة نهـل دلاتي كأنها قلت من القلات (٨٥)

وواضح من الأوجه التي ذكرها أنها تلتقي في المعنى الحسي الأول وهو النقرة أو الحفرة في الجبل • فمستقر الخاصرة نقرة ، وما بين الترقوتين نقرة ، وعين الركبة نقرة ، وما بين الأبهام والسبابة نقرة ، والنقرة في أصل عين الفرس والبعر ما بين العينين والأذن نقرة بنصه وهكذا • من هنا نظمنا على أن في الأمر تطوّراً دلاليّاً دعت المشابهة مرةً والتخصيص تارة ، حتى صارت اللفظة منصرفة إلى هذه المعاني جميعاً وهي في الأصل شيء واحد وهو النقرة أو الحفرة مهما كان حجمها وسعتها وإنما كانت ، لا كما ادعى الضادادون أنها للنقرة الصغيرة وللنقرة الكبيرة ، فهي إذن من الضداد • وكذا الأمر بالنسبة لكثير من الألفاظ التي استطيع القول بأن من

«التعسف اعتبار الأوجه المذكورة لها هي أوجه أصيلة في انصرافها إليها ،
وانما يكون في الغالب أحد هذه الأوجه هو المعنى الذي تستشعر منه انه
الاصيل لأن فيه شموليةً وعموماً ، ، وسائر المعاني متفرعة عنه ومتطورة
منه . الا انه ليس من الضروري ان نجد هذا التقارب الموحى بالتطور في
معاني اللفظة وأوجهها فقد يذكر للفظ ما أوجها تبعد عن بعضها بعدا كبيرا
كما عرضنا ذلك عند الحديث عن المشترك وأفضنا فيه ، ومن أمثلة هذا عند
ابي الصيثل قوله : « الرَّهْو على اربعة اوجه : الرَّهْو مشي في سكون . . .
والرَّهْو الفجوة بين مكانين . والرَّهْو النظر الساكن . والرَّهْو
طائر . . . » (٨٦) واذا كان بين (مشي في سكون) و (النظر الساكن)
شيء من صلة دلالية ، فأين هذه الصلة مع الفجوة والطائر ، وليس من
اللائق في البحث اللغوي ان نتكلف القرابة وتعسف الصلة ، واذا كنا من
المؤمنين بالتطور الدلالي ايماننا عميقا فنكتفي في مثل هذه الحالة بالقول بأن
تطور مثل هذه المعاني غامض ومضرب ولا يمكن القطع بشيء منه . الا ان
الشيء الذي يمكن أن نفيد منه في مادة (الرهو) هو كشفها لحقيقة
خافية . فقد عدّ الاضداديون الرهو من الاضداد زاعمين انها تصرف
للارتفاع والانحدار على حد سواء ، الا أن أحد وجوها في المأثور وضح
المسألة وهو (الفجوة بين مكانين) أو كما وصف اعرابي رجلا مفلوجا
يقوله : « سبحان الله رهو بين سنامين » (٨٧) . فقصر الفجوة التي بين مكانين
هو الانحدار وهي قعر السنامين ، حين ان المكانين نفسيهما بالنسبة للفجوة
ارتفاع ، والسنامان الارتفاع بالنسبة لما بينهما من انحدار . ومثل هذا الوهم
حدث في جملة مواد آخر : الزَّيْب (٨٨) ، الشَّعْب (٨٩) ، المَقْوِي (٩٠) ،

(٨٦) المأثور ٢٧ .

(٨٧) المأثور ٢٧ .

(٨٨) المأثور ٢٨-٢٩ .

(٨٩) المأثور ٥٨ .

(٩٠) المأثور ٤٣ .

وغيرها ، ومنشأ هذا الوهم كما وضعنا عدم الدقة في النظر في دلالة
الألفاظ .

وهكذا يكون (المأثور) صورة صادقة ومثلاً واضحاً للبحث القديم في
مسألة الدلالة من ناحية انصراف اللفظ الى عدة معان ، أو ماسمونه بـ
(ما اتفقت الفاظه واختلفت معانيه) وقد وضعوا فيه كتباً كثيرة ربما كان
اشهرها كتاب الاصمعي على اختصاره ، وقد سميت هذه الظاهرة بعدئذ
بالمشترك الا ان هذه التسمية اعني ما اتفق لفظه واختلف معناه أقدم من
تلك ووردت لأول مرة عند سيبويه في (الكتاب) في باب : اللفظ للمعاني .
وقيمة هذه البحوث بالنسبة لموضوع الرسالة وهو الأضداد تأتي من اعتبار
كثير من اللغويين الأضداد من المشترك اللفظي وكثيراً ما سقت أمثلة
الألفاظ المتضادة في الفصول المعقودة لما اتفق لفظه واختلف معناه على
أنها منها .

٣ - الملاحن لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) (٩١)

وهو لون آخر من ألوان البحث في الدلالة ، يقوم على مايمكن ان
يرمز اليه اللفظ من معنى غير معناه الشائع المؤلف ، على سبيل الكناية
واللغز والمجاجة ، التي كانت جميعاً الدافع الذي دفع ابن دريد لوضع
مؤلفه الصغير ، ذلك ان الانسان قد يضطر احيانا الى الرمز والتعريض
والتلميح اذا كان في التصريح خطر يحدق به ، ويستطيع الانسان ان
يقسم ويحلف دون ان يشعر بالذنب والحرص والتأنيب على أن مقصوده هو
هذا المعنى الآخر لا المعنى المعروف على حدّ زعم المؤلف . وعنوان الكتاب
يوحى بذلك فالملاحن هي الكنايات أو التوريات - كما مرّ في الحديث عن
كلمة اللحن - أو هي في الاصل امالة الشيء عن جهته كما حدد المعنى
ابن فارس في مقاييسه .

(٩١) نشره ابراهيم اطفيش الجزائري (القاهرة) ، ١٣٤٧ هـ .

وهذه الغاية في وضع مثل هذا الكتاب تستدعي ان يكون المعنى الكاذب اذا صح التعبير هو مما استعمل في اللفظ مرة ، او مما يمكن ان ينصرف اليه اللفظ من غير استعمال سبق مرة اخرى ، وهذه الصلة بين اللفظ والمداول ضرورة جدا لأن في المسألة قسماً ويميناً يلزم ان المتكلم بالصدق ، أو بعبارة اوضح نقول يجب ان يكون المعنى الكاذب مما يتصل اتصالاً دلالياً بالمعنى الصادق ويرتبط فيه • وابن دريد بعد أن يبسط الحديث عن معاني كلمة (اللحن) ويذكر شواهد كل معنى شعراً ونثراً مناقشاً ومؤيداً ومفنداً (٩٢) • ينتقل الى صلب الموضوع فيذكر الالفاظ وما يمكن ان يقسم عليه من معانيها ويمينها المعنى الاصيل والمستعار • من مثل قوله : « وتقول والله ما اخذت لفلان رداء ، ولا املك رداء • فالرداء السيف • قال الاعشى :

وَيَوْمَ يَبِيلُ النِّسَاءُ الدِّمَاءُ جعلتُ رداءك فيه خِمَاراً

يبيل النساء : أى تسقط من هول ذلك اليوم حملها • (٩٣) • وعندى أن الشاهد لا يدعم معنى السيف فقد يكون المراد من لفظ الرداء فيه هو المعنى المعروف للرداء لا السيف • اذ يكون المقصود أنه يجعل من ردائه الذى يلبسه قناعاً وكفناً يلف اجساد أعدائه المقتولين • فيكون التعبير ابلغ في تحمله معنى البطوة ومعنى الكرم ، أى انك بعد ان قتلهم وتعلو عليهم تكرم عليهم بردائك الذى تلبسه كفناً وقناعاً لجراحهم • أما انه يريد ان يتلمس معنى السيف في الرداء من حيث أن متقلده بحمائله مرتد به ، فهذا امر آخر ، وهو عندى اولى من تلمسه في هذا الشاهد •

وقال في مكان آخر : « وتقول والله ما أجلبتُ فلاناً ولا اكرمته • فأمّا أجلبته من الجلبّة أى لم أُعطِه الجلبّة وهي البعرة وأنشد :

(٩٢) الملاحن ٦ ، وذيل الملاحن ٦٩-٧٤ •

(٩٣) الملاحن ١٣ •

عَزَبَتْ قَضَاعَةُ عَنْكُمْ وَتَكَرَّمَتْ عَنْ أَنْ تَنَاسِبَ جِلَّةٌ وَقَمَامَا
كَانُوا الذَّرَى فَمَسُوا إِلَى قَلِيلِ النَّدَى وَتَجَنَّبُوا أَنْ يَنْزِلُوا الْإِهْضَامَا
وقوله اكرمه أى لم اعطه الكرم وهي قلادة» (٩٤)، ولا ادري لماذا
لم يستعن ابن دريد بضدية اجلته في هذا الصدد ، فكان باستطاعته ان يقول
والله ما اجللت فلانا أى ما احتقرته ، ربما لأن ضديتها معروفة بشكل
لا ينفع معه كناية أو تعريض . . أو لأن ابن دريد نفسه كان لا يؤمن
بضديتها . أو لأنه اراد ان يخفي الطريقة التي كان يتوسلها اللغويون في
خلق التضاد في الالفاظ . اذ ان المنهج يوحى بأن كثيرا من الفاظ الاضداد
اكتسبت ضديتها عن هذا الطريق الذى يعتمد التميويه والتستر على
الاسلوب الواضح الذى نستطيع بوساطته تفنيد التضاد في الالفاظ . بمعنى
انه لو عكس الامر وقيل لنا مثلا أن اجللت من الاضداد تنصرف للاحترام
وللاحتقار لقلنا ان معنى الاحترام من الاجلال ومعنى الاحتقار من الجلة
وهي البعرة .

وكذلك هي الحال بالنسبة لسائر الفاظ الملاحن : خلف ، قدام (٩٥)،
راكم ، سجد ، مُصَلِّي (٩٦) ، وغير ذلك ، مما كان الدافع للبحث فيه
اللهو والالغاز والمحااجة والتعمية ، الا انه كان ذا قيمة ليست باليسيرة في
ابحاث الدلالة . وهو نمط لم يسبق به ابن دريد على شكل كتيب مستقل
خاص ، وربما كنت مواده متشرة منبثة في بطون الكتب والمصنفات .

وعلى كل فهذه الكتب الثلاثة هي نماذج من عشرات بل مئات الكتب
المدونة في دلالة الالفاظ اخترناها امثلة تعكس الوانا مختلفة من هذه
الدراسات المتشعبة الكثيرة في هذا الميدان الواسع ، نقيس على منهجها مناهج

٩٤) الملاحن ، ص ٤١ .

٩٥) الملاحن ٦٢ .

٩٦) الملاحن ٢٣-٢٤ .

المصنفات التي سارت على هديها وبحث موضوعاتها وترسّمت خطاها حتى
كان لها هذا الحشد الكبير من التأليف والتصنيف •

وكان من الضروري دراسة الدلالة دراسة موسعة تبسط فيها كل
الآراء والنظريات المتعلقة بدلالة اللفظ ودلالة الصوت وعوامل التطور ،
والتعرف على نماذج مما ألفت القدماء في هذا الموضوع ، ليتسنى لنا فهم
فكرة التضاد في الالفاظ وعوامل هذا الانصراف المتضاد وأساليبه ، ودراسة
تفسير هذه الظاهرة اللغوية المهمة التي شغلت الدارسين قديما وحديثا ،
وتكون دراستنا للاضداد امتدادا لدراسة الدلالة للصلة الوثيقة بين
الموضوعين والبناء الذي ينبنى احدهما به على الآخر • وذلك ان دراسة
الاضداد دراسة دلالية قبل كل شيء ، فنستطيع بعد هذا معرفة ما اذا كان
هناك تطور حصل في دلالة الاضداد وسير هذا التطور وعوامله ، ونستوحي
دلالة الاصوات لتحديد المعنى الاصيل للفظ وما الى ذلك مما يتعلق
بهذا الموضوع •

الفصل الثاني

فكرة الأضداد وتفسيرها في اللغة

الأضداد مصطلح أطلقه اللغويون العرب على الألفاظ التي تنصرف الى معنيين متضادين • وهي - لغة - جمع ضد وهو النقيض والمقابل ، وعليه فليست الأضداد اللفظية التي تتقابل فيها المعاني دون أن يتحد اللفظ كالليل والنهار والطول والقصر والنور والظلمة ، والتي عقدت لها بعض كتب الادب القديمة فصولاً^(١) ، من هذا النوع ، وغلط المستشرق ردسلوب (Redslob) على هذا الاساس في عد الجاحظ ممن أَلَفَ في الاضداد توهما بأن كتابه (المحاسن والأضداد) من هذا الباب^(٢) .

وكان القدماء المعنيون بدراسة اللغة قد التفوا مبكرا الى مايمكن اجراؤه من التقسيمات في الكلمة العربية ، وأوّل هذه التقسيمات تلك التي وضعها سيبويه في كتابه - وقد سبقت الإشارة اليها - حيث قال : « اعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين • واختلاف اللفظين والمعنى واحد • واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين • • • فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هونحو جلس وذهب • واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق • واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت اذا أردت وجدان الضالة ، وأشياء هذا كثير »^(٣) . فالقسم الاول هو الاغلب الاعم من ألفاظ اللغة ، والقسم الثاني هو الخاص بمجموعة الالفاظ التي سميت بعدئذ بالترادف ، والقسم الثالث هو المشير الى ما سمّي بالمشترك اللفظي • واذا لم يُشر سيبويه الى أن هذا التقسيم قد أخذ عن بعض شيوخه أو كان من وضعه هو ، فان العربية لا تفرد باحتواء هذه الاقسام دون غيرها من اللغات ، بل توجد في أغلب اللغات الانسانية المتطورة •

(١) الألفاظ الكتابية ٢٩٦-٢٩٧ •

(٢) في كتابه : (Die arabischen wörter mit) دائرة المعارف الاسلامية ٢/٣٩١ •

(٣) كتاب سيبويه ٧/١ - ٨ •

وكذا قد ذكرنا في بحث (الدلالة) حين عرضنا لتقسيم سيويه
لألفاظ اللغة حسب دلالاتها ، ان الدارسين من بعده نقلوه في مصنفاتهم
اللغوية بالحرف الواحد أو مع شيء من الزيادة والايضاح والاستشهاد
كالمبرد وابن فارس والسيوطي (٤) ، ونذكر هنا قطربا الذي بسط في
مقدمة كتابه (الأضداد) تقسيم استأذه سيويه شارحا له ومفرعا فيه ،
والذي يهمننا من كلام قطرب ما يتصل منه بالقسم الثالث الخاص بالمشارك
من الألفاظ - على أن نعود لدراسة كتابه فيما بعد - اذ قل : « والوجه
الثالث أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين
فصاعدا ... ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما
يكون متضادا في الشيء وضده » (٥) • فيكون المشترك على هذا الأساس
درجتين أو نوعين : الأول هو الذي تختلف فيه معاني اللفظة الواحدة دون
أن تضاد ، والثاني هو الذي تضاد فيه هذه المعاني حيث تشدد درجته
الاختلاف حتى تصل الى التضاد • وبهذا أبان قطرب عن موضع الأضداد
في تقسيم سيويه ، ووصل منه الى نوع الألفاظ التي صنف لها الكتب ولور
بشيء من الابهام والايجاز •

وبقي هذا الاعتبار - اعني اعتبار الأضداد من المشترك اللفظي - قئما
لدى الدارسين ماداموا يتعرضون لبحث الأضداد ، فبعد أن قال به
السيوطي نقل لنا عن أهل الاصول قولهم : « مفهوم اللفظ المشترك اما ان
يتباينا بأن لايمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد كالحيض والطمهر »
فانهما مدلولوا للقرء ، ولايجوز اجتماعهما لواحد في زمن واحد • أو
يتواصلا ، فاما أن يكون أحدهما جزءا من الآخر كالممكن العام للخاص •
أو صفة كالأسود لدى السواد فيمن سمي به » (٦) • ونقل عن صاحب

(٤) ما اتفق لفظه واختلف معناه ٢-٣ ، والصاحبي ٩٦ ، والمزهر ١/٣٨٨ •

(٥) قطرب ٢٤٤ •

(٦) المزهر ١/٣٨٧ •

الحاصل انه قول : « ان النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد ، لان المشترك يجب فيه افادة التردد بين معنيه ، والتردد في النقيضين حاصل بالذات لا من اللفظ » (٧) . وقال الكيا في تعليقه : « المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على الضدين كالجون وجلل ، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين » (٨) . فبحث التضاد يدخل ضمن بحوث هؤلاء الاصوليين في المشترك اللفظي على انه جزء من ظاهرة عامة ينبغي الوقوف على حقيقة دلالتها في نصوصهم التشريعية . وأخذت بهذه الفكرة دراسات المحدثين (٩) ، حتى إن بعضهم قسم الاشتراك قسمين سمي الأول (ملاحن) كعين وحج ، والثاني (أضداد) كبعد ووراء وقال : (وليلاحظ هنا ان الملاحن اللغوية غير الملاحن الأدبية ، لأن الأولى معترجمها الى تعدد الوضع فيها ، والثانية مرتجمها الى لباقة الاستعمال وتصنع الكناية ولو في الموضوع وضما واحدا ... وبالأجمال فالاشتراك الذي بالضد نوع منه ، ظاهرة من ضعف اللغة » (١٠) . ودلل آخر على أن الأضداد ضرب من المشترك حين وجد ان أكثرها يرد اليه بسهولة ، وذلك بمقابلة معاني الكلمات (١١) . وأكثر من هذا ما فعله ابن سيده من القدماء فهو يحتاج منكر الأضداد بوجود المشترك ، لأن الاقرار بوجود هذا اقرار بوجود تلك (١٢) .

والحقيقة أن هؤلاء جميعا قد اسرفوا فيما ذهبوا اليه من الصاق الأضداد بالمشترك الصفا يقوم على التمثل الذي اصطبغت به اقوال المحدثين ،

(٧) المزهر ١/٣٨٧ .

(٨) نفسه ١/٣٨٧ .

(٩) انظر : تاريخ آداب العرب ١/١٩٧ ، وفقه اللغة لوافي ١٨٦ وما بعدها

ودائرة المعارف الاسلامية ٢/٢٩١ ومجلة المجمع الملكي ٢/٢٣١ .

(١٠) العلايلي : مقدمة لدرس لغة العرب ٢٢٦ .

(١١) صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ٣٠٩ .

(١٢) المخصص ١٣/٢٥٩ .

والجدل المنطقي الذي حفلت به أقوال الأقدمين من أهل الأصول وغيرهم ،
 فاختلاق المحاوراة الواردة في المخصص واضح تماما ، ولا نريد ان نبحت
 هنا انكار الأضداد وتأيدها لأن له موضعا آخر من هذه الرسالة ، ولكن
 نريد أن نلفت النظر الى انعدام الدقة في هذه المذاهب ، ذلك انه ليس بين
 المشترك والأضداد من التشابه سوى انصراف اللفظة فيهما الى أكثر من
 معنى ، وبينهما فيما عدا ذلك من عدم التشابه ما بين كل منهما وإى من
 الظواهر اللغوية الأخرى ، وذلك ان اسباب نشأة الأضداد تختلف تماما
 عما هي عليه في المشترك ، ولا تتفق الا في مسائل قليلة ، وأخطأ من عدها
 واحدة يمكن تطبيقها على الظاهرتين (١٣) . ومن أقرب الأمثلة على هذا ما
 يقال في الاستحضار الذهني الطبيعي للمعنى المضاد مما لا يتوفر مثله في
 المشترك ، وما يقال في جنوح المتكلم الى التفاؤل ودرء العين والتهكم والاستهزاء
 مما يستدعي قلب المعنى الأول والنطق بضده ، وهو ما لا يتوفر في
 المشترك أيضا ، وغير ذلك مما سنعرض له في قابل الصفحات ؛ حتى
 ليعجب الدارس استصفح للمعجمات اللغوية من امكانه اعتبار كل ألفاظ
 اللغة من المشترك اذ يندر أن نعر على لفظة لم تلمسها يد التطور الدلالي
 فتصرفها الى معنى آخر مختلف عن الأول من قريب أو بعيد ، والأضداد
 ليست كذلك ، اذ لم يتجاوز عدد ما ذكرته المصادر منها الـ (٤٠٠)
 لفظة .

ومهما يكن فقد ظل تقسيم سيبويه دائرا بين من ألف في الأضداد
 بعد قطرب ، يحاول كل منهم أن ينفذ منه الى تعريف للأضداد يوضح
 فيه طبيعة الالفاظ التي يبحثها في الكتاب ، الا ان أغلب تحديداتهم لم
 تكتسب الشمول والدقة الا بعد زمن ، فقد اكتفى أبو حاتم السجستاني
 بقوله : « فأما المعروف في الضد في كلام العرب فخلافاً الشيء » (١٤) .

(١٣) ابراهيم انيس : في اللهجات العربية ١٩٥ وما بعدها .

(١٤) أبو حاتم ٧٥ .

باسطا بإيجاز فكرة الخلاف • كما اكتفى أبو بكر ابن الأنباري في تحديدها بأنها : « الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين » (١٥) • وكلا الحدين لا يقلان إيجازا وغموضا عما وجدناه عند قطرب ، وإن اتفقا معه على قلة الأضداد في كلام العرب ، كما أنهما لم يقصدا إلى معالجة الاختلاف الذي أشارا إليه ، وإنما قصدا إلى معالجة التضاد وفي كتابيهما ما يدل على ذلك • وأدق الأضداديين تحديدا للأضداد هو أبو الطيب اللغوي الذي قال : « والأضداد جمع ضد ، وضد كل شيء ما نفاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل ، والشجاعة والجبن ، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له ، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ، وإنما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم • فالاختلاف أعم من التضاد إذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين » (١٦) • وبهذا التعريف أزال أبو الطيب الإبهام والاضطراب عن فكرة التضاد التي هي أخص من الاختلاف في معناها العام • وعلى هديه سار التأخرون والمحدثون في تعريفاتهم للأضداد (١٧) • ومن هذا الفهم للفكرة يجب أن يكون المنطلق في دراسة الأضداد والوقوف على حقيقة وجودها في اللغة •

فاذا اخذنا بهذا التحديد الدقيق وحاولنا تطبيقه على مجموع الأضداد تطبيقا صحيحا بعيدا عن الغلو لتضائل عدد هذه الالفاظ حتى لا يبقى منها الا الشيء القليل الذي يعبر عن آثار المراحل التاريخية التي

(١٥) ابن الأنباري ١ •

(١٦) أبو الطيب ١/١ •

(١٧) انظر : كشف الظنون ١١٥/١ وتاريخ آداب اللغة العربية ٤٥/١ والتطور اللغوي التاريخي ٩٠ وفقه اللغة لوان في ١٨٦ ومجلة المجمع الملكي ٢٣٠/٢ ومجلة المجمع العلمي العربي : مجلد ٣٩ : ٥٣٠/٤ - ٥٣١ •

مرت بها اللغة . لاننا نعتقد أن التضاد ليس أصيلاً في الوضع ، وانما دعت الى وجوده في اللغة دواع مختلفة سنعرض لها في هذا الفصل ، وذلك لان فكرته تقوم على ما ينافي الفطرة ويخالف الطبيعة اللتين يفترض ان اللغة صدرت عنهما فكانت صدى لهما ، لان اللغة قائمة على الوفاء بحاجة الناطق الى الكلام ، والتفاهم بوساطتها مع الآخرين ، فلا يعقل بعد هذا أن يكون التفاهم مضطرباً مشوشاً بسبب وجود الأضداد التي ينصرف كل منها الى معنيين متضادين لا يعرف السامع أيهما عنى المتكلم وقصد اليه ، وهذا بعيد عن واقع الحال ، اذ المفروض في الضد لكي يصح وصفه بصفة التضاد ، أن يكون ضداً مستعملاً في الزمان الواحد والبيئة اللغوية الواحدة ، والا فلا غرابة أن يحصل التضاد لو انعدم هذان الشرطان ، بأن تتطور اللفظة ذات المعنى الواحد بظروف معينة الى أن تصبح من ألفاظ التضاد ، أو أن تكون هذه اللفظة عند أهل بيئة لغوية تعني معنى وعند البيئة الأخرى تعني معنى مضاداً وهو ما ندعوه باختلاف اللهجات ، فوحدة الزمان والبيئة اذا تحققت وكانت اللفظة منصرفة الى المتضادين جاز أن تدعى بحق من الأضداد ، مع وجوب ملاحظة جملة ظروف ودواع متعددة تعتبر هي الأخرى من عوامل وجود الأضداد .

يضاف الى هذا أن الحاجة لا تنس إلى ان يجمع المتكلم العربي المعنيين المتضادين في لفظة واحدة ، لعدم افتقار لفته الى أن تختص الفاظ فيها بمتضادين ، بل كان يلجأ الى الاستعارة والمجاز والكناية حين يجد أن ألفاظه تضيق بمعانيه ، فيجد في لفته سعة واستيعاباً ، فماذا كان يصير - لو كان التضاد أصيلاً في الوضع - من أن يضع لكل من المعنيين المتضادين لفظة خاصة ؟ بل هذا هو الحاصل اذ لم تدع الحاجة الى استعمال الأضداد لأنها أضداد ، أعنى انه لم تستعمل وقصد من ذلك الدلالة على المعنيين المتضادين ، فني كل الشواهد التي سيقت لها كانت اللفظة دالة على معنى

واحد ، اصف الى ذلك أن في اللغة نفسها ما يضي عن استعمال هذه الألفاظ ، لوجود ألفاظ من غير الأضداد تنصرف الى معاني الأضداد عنها • فالتضاد اذن ليس قديما في اللغة بحيث يكون سنة من سنن الوضع عند العرب كما يذهب الى ذلك ابن فارس ^(١٨) ، وانما هو حادث في كلام العرب بعد توحّد القبائل وتداخل لهجاتها ، وميل المتكلمين الى التفتن في الحديث والتمذّج فيه عن طريق المجاز والكناية ، والتشبيه ، حتى تتصق بالألفاظ معان جديدة فتعرف بها ويمضي عليها الناس في التعبير ، فتثبت بمدئد على شكل ظاهرة في الميراث اللغوي للعربية ، وبألفاظ هذه الظاهرة وضعت المعجمات التي تعرف بكتب (الأضداد) ، اذ لاتصمد أغلب مواد هذه الكتب أمام البحث العلمي والتفسير الدقيق ، لان ماروي عنها من الشواهد يعوز أكثره النصوص الصريحة القوية ، فاننا حين نحلل امثلة التضاد ونستعرضها جميعا ، ونرجع ما يمكن ارجاعه الى عامل معين ، ونحذف منها ما يدل على التكلف والتعسف في اختيارها ، يتضح لنا أن ليس بينها ما يفيد التضاد الا نحو عشرين كلمة في كل اللغة كما توصل الى ذلك المستشرق (Giese) بعد دراسته للشعر الجاهلي ^(١٩) ، ومثل هذا المقدار الضئيل من كلمات الأضداد لا يشكل مشكلة بالمعنى الدقيق ، وانما يعبر عن مرحلة من تاريخ اللغة كما قلنا قبل قليل ، خصوصا وان مصير هذه الألفاظ الى الانقراض ، وذلك بأن يجري الاستعمال بمعنى واحد من معني الضد مع مرور الزمن ^(٢٠) ، كما كان الامر قبل التدوين الذي رسخ الضدية في هذه الألفاظ •

فمثلا لفظة (اللحن) التي مرت في مبحث الدلالة انها تطوّرت الى

(١٨) الصاجي ٦٦ •

(١٩) في كتابه : -

Untersuchungen über Addad auf Grund von Stellen in Altarabischen Dichtern.

الذي نشره في برلين عام ١٨٩٤ : مجلة المجمع الملكي ٢/ ٢٣٠ •

(٢٠) انظر : في اللهجات العربية ٢١٥ •

معان بلغت العشرة تقريباً، وكل معنى منها متطور عن المعنى السابق لوجود العلاقة السببية بينهما وقرب مجال الدلالة ، وكلها ترجع الى معنى عام قديم هو (ازالة الشيء عن جهته) ، الا أن ابن الانبارى عدّها من الأضداد وقال : « واللعن حرف من الأضداد ، يقال للخطأ لعن ، وللصواب لعن . فأما كون اللعن على معنى الخطأ فلا يحتاج فيه الى شاهد ، وأما كونه على معنى الصواب فشاهده قول الله عز وجل : (ولتعرفنهم في لعن القول) (٢١) ، معناه : في صواب القول وصحته » (٢٢) . فابن الانبارى عدا أنه أفسر تضاد هذه اللفظة التي لم تتمحض للمعنيين المتضادين ، فقد نسي ان الآية التي استشهد بها على معنى الصواب نزلت في شأن المنافقين ، ولا يمكن أن يوصف قولهم بالصواب . وانما أراد القرآن بها التلميح والتورية الخفية التي يشير بها المنافقون الى نواياهم من النبي ، وقد عرض لهذه الآية أحد المستشرقين فقال انها : « في وصف طريقة التعبير المعسولة التي لا يبدو في ظاهر جرسها سوء ، والتي يرمز بها أعداء محمد الى معان يفهمها اخوانهم في الرياء والنفاق » (٢٣) . فالآية اذن لم تسعف ابن الانبارى بمعنى الصواب ، وبمثل هذا اليسر ترد أغلب الألفاظ التي زعموا انها من الأضداد ويرجع بها الى مواضعها الصحيحة من اللغة .

وفكرة الضدية في الحقيقة منوطة بالاصطلاح والاتفاق والتباني ، لأن المصطلحين على أن هذه اللفظة من الأضداد لانصرافها الى معنيين متضادين ، هم الذين اصطالحوا على تضاد المعنيين وتعارفوا عليه . واذا كان ثمة ما يبرر تضاد الأبيض والأسود لغاية الانكشاف في الأول وغاية الستر في الثاني ، وتضاد الحياة والموت لغاية الوجود في الاول وغاية الفناء في الثاني ، فبم

(٢١) سورة محمد ٣٠ .

(٢٢) ابن الانبارى ٢٣٨ ، وانظر سمط اللآلي ١٨/١ .

(٢٣) يوهان فك : العربية ٢٤٣ .

يتردد تضاد الأصفر والأسود أو الأحمر والأخضر الذين يستعملان متضادين الى اليوم ، أو حتى الجمال والقبح وفي كل منهما شيء من الآخر وان ضؤل ، أو الطول والقصر وفي كل منهما شيء من الآخر ايضا ، اذ تكون غاية التناقض التي هي جوهر فكرة التضاد معدومة ، فليس هناك قياس يقاس به هذا الأمر ، والمسألة تقوم على نسبية الاشياء والمعاني التي شاء العرف العام أن يصطلح على حدود ثابتة فيها ، لان في الاخذ بمبدأ التناسب ارهاق للفكر في تحديد هذه النسبة ، فكان لابد من الغائها فيما يجوز من المحسوسات والمدركات ، اراحة للفكر وتنظيما للمفاهيم • ذلك ان أغلب ماتقع عليه حواسنا واذهاننا نسبي ، والحياة قائمة على النسبية ، وتقعيد هذه النسبية - اذا صح التعبير - بقواعد ثابتة مطردة هو من مظاهر تطور العقلية البشرية لتنظيم التفكير ، على أنه لا يمكن تعميم هذا المبدأ على جميع الأشياء ، لوجود ما هو حدى في الأصل سلبا أو ايجابا ، موافقة أو مناقضة •

ولمصطلح (التضاد) عند المنطقة مفهوم آخر يختلف تماما عنه في اللغة ، ففي فصولهم التي عقدوها لبحث فكرة (التداخل والتضاد والدخول تحت التضاد) فسروا التضاد المنطقي وقرعوا فيه ، فقالوا : « ان المتضادتين هما المختلفتان في الكيف دون الكم ، وكاتتا كلمتين • وسميتا متضادتين لأنهما كالضدين يتمتع صدقهما معا ويجوز أن يكذبا معا » (٢٤) • وقالوا : « ان الداخلتين تحت التضاد هما المختلفتان في الكيف دون الكم ، وكاتتا جزئيتين • وانما سميتا داخلتين تحت التضاد ، لأنهما داخلتان تحت الكلمتين ، كل منهما تحت الكلية المتفقة معها في الكيف من جهة ، ولأنهما على عكس الضدين في الصدق والكذب ، أى انهما يتمتع اجتماعهما على الكذب ، ويجوز أن يصدقا معا » (٢٥) • ورأى المنطقة أيضا ان العوارض التصريفية

(٢٤) المنطق للمظفر ١٩٣/٢ •

(٢٥) نفسه ١٩٣/٢ •

التي تعتبر لفظاً ما فتصرفه صرفاً مضاداً كلفظ (المختار) مثلاً للفعل
«المفعول» ، إنما هي من (المغالطات اللفظية) التي قسموها عدة أقسام
ووضربوا لها الأمثلة (٢٦) .

من هذا يظهر أن فكرة التضاد عند أهل المنطق ليست هي الفكرة
اللغوية ، لاعتماد الأولى على التقسيم المنطقي والنظر العقلي ، مما يقطع
صاتها بالبحث اللغوي أساساً ، ولكنها حلت لجماعة من اللغويين أخذوا
بها في دراساتهم اللغوية والنحوية وطبقوها على ما شاهدوه في اللغة من ظواهر
فأفسدوا الدرس وبعثوا به عن مجاله ، حتى أنهم صرحوا بتشبه فكرة
التضاد عند أهل الكلام وأهل اللغة ، فنقل السيوطي عن ابن جني أنه قال :
« اعلم أن التضاد في هذه اللغة جار مجرى التضاد عند أهل الكلام ، فإذا
ترادف الضدان في شيء منهما كان الحكم للطارئ ويزول الأول ، وذلك
كلام التعريف إذا دخلت على المنون ، يحذف لها تنوينه لأن اللام للتعريف
والتنوين للتنكير ، فلما ترادفا على الكلمة تضاداً ، فكان الحكم للطارئ
وهو اللام ، وهذا جار مجرى الضدين المترادفين على المحل الواحد ،
كأبيض يطرأ عليه السواد ، والساكن يطرأ عليه الحركة ، وكذلك أيضاً
حذف التنوين للإضافة وحذف تاء التانيث لياء النسب » (٢٧) . وعرض
السيوطي أيضاً لهذا المذهب في تفسير الظواهر اللغوية في (الأشباه والنظائر)
في عدة مواضع منه ، فقال في فصل (سبب الحكم قد يكون سبباً لضده
على وجه) : « فمن ذلك الإدغام يقوى المفعول وهو أيضاً بعينه يضعف
الصحيح ، ومنه أن الحركة نفسها تقوى الحرف وهي بنفسها تضعفه » (٢٨)
ونقل عن ابن الدهان في فصل (الشئان إذا تضادا تضاد الحكم الصادر عنهما)

(٢٦) المنطق ٤٧٩/٣ .

(٢٧) الاقتراح ٧١ .

(٢٨) الأشباه والنظائر ٢١٣/١ .

انه قال : « ولهذا نظائر في المعقولات وسائر المعلومات مشاهدا ومقيسا . ألا ترى ان الاعراب لما كان ضد البناء وكان الاعراب أصله الحركة والتنقل ، كان البناء أصله الثبوت والسكون . وكذلك الابتداء لما كان أصله الحركة ضرورة كان الوقف أصله السكون » (٢٩) .

وفي هذا كله تمحل وببد عن روح الدرس اللغوى الذى يجب أن يعتمد الوصف والاستقراء والبحث عن التعليل اللغوى في ألسنة العرب واستعمالاتهم وأساليبهم ، لا أن يفرق في المنطق والكلام والفلسفة وهو أبعد مايكون بطبيعته عن طبيعة هذه العلوم الجافة . والسبب في ذلك كما يبدو أن هذه الدراسات جميعا - وبضمنها الدراسات اللغوية - كانت في ذلك الحين متداخلة تعتمد احداها الاخرى وتؤثر فيها بقدر متفاوت قسوة وضعفا ، لأن الدارس لا يجد مناصا من أن يلم بأشياء من هنا وهناك ، لكي يقر العرف العام بأهليته العلمية من جهة ، ولأن هذه العلوم انما قامت فلخدمة العقيدة الاسلامية والذب عن حكمتها في التشريع والتقنين من جهة اخرى ، فلا بد من دراسة الاساليب اللغوية لمعرفة مراد الشارع المقدس في النصوص التشريعية بدقة ، ومن هنا نشأت مباحث (الالفاظ) في المنطق والكلام وقامت الفلسفة الاسلامية ، وغيرها من العلوم التي كان هدفها منصبا على هذه الناحية ، وما تزال دراسات علم الاصول تعتمد على مباحث الالفاظ ودراسة دلالاتها بشيء كبير من التأثير بالفكرة المنطقية في تفسير الظواهر اللغوية . فكان لابد للدراسات اللغوية والنحوية بعد هذا من أن تصطبغ بهذه الصبغة التي ابعدت اللغة والنحو عن طبيعتهما وأفسدت درسهما ، بحيث صار هذا الدرس في بعض مصنفات الأقدمين أقرب شيء لأن يكون منطقيا محضا ، على اننا يجب ألا نعمم هذه النظرية تعميما خاطئا ، فقد اختلفت اندارس اللغوية في تأثرها بذلك ، وفي مدى اصطلاح مؤلفاتها بالصيغة

العقلية ، الا ان المتفق عليه ان البصريين كانوا أميل من غيرهم بكثير الى الروح الفلسفية والمنطقية في دراساتهم اللغوية ، وسنجد مظاهر هذا الميل وما سببه اختلاف المناهج المدرسية عند دراستنا لكتب الأضداد .

أما رواية الأضداد - وسنأتي على ذكرها بالتفصيل في الباب الثاني - فانها بدأت في وقت مبكر نسبيا ، الا أنه بعد الاسلام بأكثر من قرن على كل حال . ولا نستطيع ان نقطع بشيء من تحديد أول من روى ألفاظا من الأضداد ، الا انه يمكن تحديدها بعصر أبي عمرو بن العلاء والخليل ويونس وابي زيد وابي عمرو الشيباني والكسائي ومن في طبقتهم ممن لم يؤلف في الأضداد ، لأن أوائل مصنفات الأضداد وكتب اللغة قد روت عن هؤلاء شيئا من هذه المادة ، وليس في أيدينا كذلك ما يدل على أن هؤلاء الأوائل قد نصوا على أن اللفظة التي يذكرون مضيها هي من الأضداد ، ولكننا نطمئن الى أن أولى مصنفاتهم التي أشارت الى هذه الظاهرة إشارة صريحة فيها شيء من التعجب والدهشة هو كتاب (العين) للخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) اذ قال في مادة (شعب) بعد أن ذكر المعنيين المتضادين : « هذا من عجائب الكلام ووسع العربية أن يكون الشعب تفرقا ويكون اجتماعا ، وقد نطق به الشعر » (٣٠) كما تعجب ايضا من تضاد لفظة (الناشد) وقل : « وهذا من عجيب كلامهم أن يكون الناشد : الطالب والمعرف جميعا » (٣١) . ومع ذلك فان الخليل لم ينص على أن (الشعب) أو (الناشد) من الأضداد ، فقد اكتفى بذكر المعنيين المتضادين وتسجيل دهشته من هذا التضاد ، ولم يحاول تبرير ذلك فقد نطق به الشعر على حد قوله . أما ما عدا الخليل من رواة اللغة ممن عاصروه وتلمذوا له

(٣٠) العين مادة (شعب) وفي الجزء المطبوع ٣٠٦ .
(٣١) نفسه مادة (نشد) ومنقولة عنه في اللسان ٤٢١/٣ وفي التاج ٢٢٠/٩ .

فيعوز النصوص التي نقلت عنهم في الأضداد الوضوح والصراحة ، فقد
 اختلط النقل عن أبي عمرو بن العلاء بالنقل عن أبي عمرو الشيباني ، لذكر
 الكنية عارية عن اللقب في أكثر النصوص الموجودة في كتب الأضداد ، فلا
 يعلم لمن منهما الكلام ، والقليل من هذه النصوص ما كان يذكر اللقب المميز
 لكل منهما ، ولكن الراجح أن أكثرها منسوب للشيباني لان مقارنة النص
 الواحد بين صورته في المصادر يهتدي الى ذلك احيانا . وكذلك يونس بن
 حبيب (ت ١٨٢هـ) فلم يرو عنه أكثر من ثلاثة أو أربعة اضداد عند قطرب
 وأبي الطيب منقولة عنهما في كتب الأضداد الاخرى ، ونصوصها غير
 واضحة في تحديد كلام يونس لاتصاله بكلام قطرب وأبي الطيب ، مثل قول
 قطرب : « قال يونس : الرَغُوث : التي يرغُثها ولدها من الشاء ، فصارت
 في معنى مرغوثه ، والولد أيضا رَغُوث ، والمعنى أنه راغث لها ، فصارت
 رَغُوث للمفعول والفاعل » (٣٢) . فلا يعلم هل انتهى كلام يونس عند ذكر
 المعنى الاول واتصل به كلام قطرب أم استمر الى آخر النص ، فالنقل غير
 واضح في هذه المسألة . وهكذا الأمر بالنسبة لسائر رجال هذه الطبقة ممن
 لم يؤلف في الأضداد أو لم يعاصر التأليف فيها ، فما روى عن لغويي هذا
 الجيل من الاضداد يعتبر ضئيلا لو قورن بما أصبح عليه الوضع بعد ذلك ،
 فهي كلمات قليلة ترد عارضة على الاستاذ في حلقة الدرس فيقتنبه اليها ويحاول
 تفسيرها ، فتعلق في ذهن أحد التلاميذ ويفطن الى ما فيها من تضاد ، ويجمع
 عنده من هذه الالفاظ عدد يدفعه الى تدوينه في كتاب مع شيء من الشرح
 والاستشهاد ، فظهرت كتب الأضداد الأولى صغيرة الحجم قليلة المادة ،
 بسبب تمحض النية لتدوين هذه الالفاظ ، دون محاولة التكرار منها بالتعسف
 والتكلف والاصطناع ، وان لم تخل خلوا تاما من هذه الدوافع ، ولكنها
 أقل بكثير مما نجده في المؤلفات اللاحقة .

ومن التناقض الذى وقع فيه الاوائل ، ما وقع فيه قطرب مثلاً ، فنقرأ
 في أضداده يقول : « وقالوا : القاسط الجائر ، قال الله جل وعز : (وأمساً
 القاسطون فكانوا لِحِجَّتِهِمْ حَطَبًا) (٣٣) ويقال : قد قسط عن الحق
 قسوطاً أى عدل عنه ، وقال العديل بن الفرخ العجلي :
 قَسَطُوا عَلَى النِّعْمَانِ وَابْنِ مُحَرَّرٍ وَابْنِ قَطَامٍ بَعْزَةً وَتَنَاولَ » (٣٤)
 فعدا انه لم ينتبه الى دور (عن) و (على) في صرفهما المنى الى السلب
 والى الايجاب كدور الحرفين في (رغب في ورغب عن) ذاهبا الى الفعل
 (قسط) وتغير معناه في القرآن والشعر ، فهو قد عدّ اللفظة من المثلث في
 كتابه (المثلثات) مبيّناً هناك ان اختلاف المعاني لاختلاف حركة فاء الفعل
 في المصدر ، قال :

طارحني بالقسْطِ	ولم يزن بالقِسطِ
ففيه عرف القُسْطِ	والعنبر المطيب

وقال الشارح في توضيح المعاني الثلاثة :

الجور في الأحكام فهو القسْطُ والعدل والاحسان فهو القِسطُ
 ثم الذى يباع فهو القُسْطُ يفوح طيب نشره في النار (٣٥)
 فاللفظة اذن من المثلثات وليست من الاضداد ، بعد أن رجع قطرب الى
 المصدر في تحديد المعنى ، بعيداً عما يكتنف الفعل من الملابس اللفظية
 والاسلوبية التي تؤثر في معناه لان في المثلثات رجوع الى جذر المادة (قسط)
 الذى منه يمكن معرفة الأصل المعنوى بدقة ، في حين لا يتوفر مثل هذا
 الرجوع في الأضداد ، فيكتفى بأن تؤخذ أى كلمتين متشابهتي الحروف
 الاصلية وتعمد المقارنة بين معنيهما دون ملاحظة الخلافات الدقيقة بين

(٣٣) الجن ١٥ .

(٣٤) قطرب ٢٥٩-٢٦٠ .

(٣٥) شرح مثلثات قطرب ١٧٢ .

الكلمتين ، فحين تنبه الأضداديون بعد قطرب الى دور الحرف في ضدية (قسط) راحوا يفتشون عن شاهد يؤيد تضادها فوجدوه في القرآن ، فذكروا المعنى الجور الآيـة التي ذكرها قطرب ، وذكروا المعنى العدل قوله تعالى : (وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) (٣٦) ، وبهذا المعنى في قول الحارث بن حلزة :

ملكٌ مقسِطٌ واكملٌ من يمـ شي ومن دون مالدية الثناء (٣٧)

ولكنهم غفلوا أو تغافلوا عن أن الفعل في الآية الاولى (قسط) وفي الثانية (أقسط) ناسين دور همزة السلب في قلب المعنى الى ضده • ومثل قسط مادة (الجذ) ذكرها قطرب في الأضداد (٣٨) ، وكان قد ذكرها في المثلثات (٣٩) ، محددا معانيها بدقة ، وعن أضداده نقلتها كتب الأضداد الأخرى ، حيث ذكرها ابن الانباري (٤٠) ، وابو الطيب اللغوي (٤١) ، والصغاني (٤٢) ، بشيء من التفصيل في الشرح والاستشهاد عند الأولين • ومثل هاتين المادتين كثير من المواد التي أخذت أخذ المسلمات عن المؤلف الاول ، لهذا فنحن نحمل قطربا مسؤولية كثير من الألفاظ التي اعتبرت من الأضداد وتلمست لها الشواهد من هنا وهناك تأييدا لهذا المعنى وتوثيقا لذلك لأن قطربا كان قد ذكرها في كتابه معتبرا اياها من الأضداد • وشأن الأضداديين في هذا شأن سواهم من الذين يتصدون للتأليف فيما سبقهم اليه مؤلف سابق ، اذ تكون مادة كتابة هي التي يعول عليها ويزاد فيها وتشرح غوامضها ويفصل في موجزها •

(٣٦) الحجرات ٤٩ •

(٣٧) ابن الانباري ٥٨ وابو الطيب ٥٩٤/٢ •

(٣٨) قطرب ٢٧٩ •

(٣٩) مثلثات قطرب ١٧٢ •

(٤٠) ابن الانباري ٢٠٦ •

(٤١) ابو الطيب ١٧٤/١ •

(٤٢) الصغاني ٢٢٦ •

والاضداد التي حفلت بها كتب القدماء أنواع عديدة غير ان المصنفين فيها لم يحاولوا تقسيمها وتنظيمها على أساس من الاسس ، وانما جمعت مختلطة غير مرتبة ينقصها الفصل الدقيق بين أنواعها ، سوى ما عمله بعضهم في ترتيبها ترتيبا هجائيا صرفا ، كما ان المحاولات الحديثة لتقسيمها غير مكتملة ولم تأت على جميع المواد (٤٣) ، لذلك فنحن نقسمها هنا على أساس لفظي بحث ، فنجد الانواع التالية :

١ - اُضداد في الاعلام : مثل (أيوب) و (إسحاق) و (يعقوب) يكون اعجميا مجهول الاشتقاق ، ويكون عربيا مجرى في حال التعريف والتنكير .

٢ - اُضداد في الاسماء : مثل (البعل) لما تسقيه السماء ولما يشرب بعروقه ، و (الحزور) لليافع القوى والشيخ الضعيف ، و (الزوج) للواحد ولل اثنين .

٣ - اُضداد في المصادر : مثل (البين) للفراق والوصال ، (والتسييد) لتطويل الشعر وحلقه ، و (الاهداد) لمواصلة السير وقطعه ، و (التَّفْطُر) لفراغ الضرع وللحلب .

٤ - اُضداد في المشتقات (اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والمبالغة وغيرها) : مثل (الفاري) للذي يقطع الاديم والذي يخزره ، و (المَسْجُور) للمملوء والفارغ ، و (الأعور) للاعور والصحيح ، و (أعقل الرجلين) اذا كان اعقلهما أو احقهما ، و (منجاب) للقوى والضعيف .

٥ - اُضداد في الظروف : مثل (فوق) للاعظم والأحقر ، و (دون) للاكتر والأقل و (وراء) للامام والخلف .

(٤٣) انظر : عبدالفتاح بدوى : دائرة المعارف الاسلامية ٢/ ٢٩٦ .

- ٦ - أضداد في الضمائر : مثل (نَحْنُ) للواحد والجمع .
- ٧ - أضداد في الأفعال : مثل (تَأْتُم) اذا اتى الاثم واذا تجنبه ، و (ظَنَّ) للشك واليقين ، و (أَمَعَنَّ) بحقي اذا أقر به واذا هرب به .
- ٨ - أضداد في الحروف والادوات : مثل (لا) للجحد والاثبات ، و (ما) تكون نفيًا وموصولًا ، و (هل) للاستفهام وبمعنى قد ، و (إن) للنفي والشرط .
- ٩ - أضداد في المتعلقات : مثل (راغ على وراغ عن) اذا اقبل واذا أدبر ، و (رغب في ورغب عن) اذا أراد واذا ترك ، و (قَسَطَ في وقَسَطَ على) عدل وجار .
- ١٠ - أضداد في التعابير والتراكيب : ففي القرآن مثل (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) و (مكروا ومكر الله) و (لقد هممت به وهم بها) . وفي الشعر : مثل :

أتعرف رسماً كاطرادِ المذاهبِ لعمرةٍ وحشاً غيرِ موقفِ راكبِ
و : وقد أغتدى ومعِيَ القانصانِ وكلُّ بمرْأَةٍ مقتَفِرٍ
و : إنكَ أنتَ المحزون في أثرِ الـ حيٍّ فإن تنو نيهم تقسم
وفي الشر مثل (تهيَّب الطريق وتهيبي الطريق) و (لم أضربَ
عبدالله ولم يضربْ بني زيد) و (ما ظلمتُك وأنتَ تنصفني) .

١١ - اضداد في أصوات لا معنى لها : مثل (طَرَطَبَ طرطبةً) وهي حركة بالشفتين لدعوة الضأن ولزجرها ، و (حاي حاي) لدعوة الغنم وزجرها .

وقد أوردت كتب الاضداد جميعا لكل نوع من هذه الانواع أمثلة كثيرة تختلف قلة وكثرة حسب ورودها في الشواهد والنصوص التي

ذكروها ، ولكن أكثر هذه الالفاظ التي قالوا بضديتها يرد كما قلنا الى أصله بسهولة ، ويرجع به الى الظرف اللغوي الذي هيأ نشأته وعمل على وجوده في اللغة ، ونحن ندرس هنا هذه الظروف لتبين منها علل وجود الازداد ، وبالتالي الغاء مايمكن الغاؤه منها ، بعد أخذ جميع هذه العوامل بعين الاعتبار ، لاننا نحاول أن نصل من دراسة هذه الظروف والدواعي التاريخية الى أن التضاد ليس أصيلا في وضع اللفظة ، وما دام كذلك فلا أزداد في اللغة ، وانما ألفاظ اعتور كلا منها عامل من العوامل المختلفة فجعل منه ضدا •

اختلاف اللهجات واللغة الموحدة

الفرق بين مصطلحي اللهجة واللغة ، ان اللغة تشعب بفعل عوامل معينة الى لهجات قد تكثر حتى تصل الى العشرات ، الا ان علماءنا القدامى كانوا يصطلحون على اللهجة باللغة أو اللحن ، كقولهم مثلا : « الشعب : الافتراق ، والشعب : الاجتماع ، وليس من الأزداد وانما هي لغة قوم » (٤٤) أي لهجة قوم ، وكقولهم : « العرم : المسنة بلحن اليمن » (٤٥) ، أي بلهجة اليمن • ولكنهم اصطالحوا على اللغة باللسان ، يدل على هذا مجيء اللفظة ثمانى مرات في القرآن منصرفة الى معنى اللغة (٤٦) •

واللهجة من حيث هي سلوك لغوي لا تختلف عن اللغة الام ، لانها - في الاصطلاح العلمي الحديث - مجموعة من صفات لغوية تخص بيئة واحدة ، ويشترك جميع أفراد هذه البيئة بتلك الصفات • وتختلف البيئات اللغوية الواحدة عن الاخرى بصفات لهجاتها وظواهرها اللغوية الخاصة الا انها تنتمي جميعا الى لغة عامة مشتركة تنظم جميع هذه الظواهر فتيسر اتصال

(٤٤) المزهر ٣٩٦/١ •

(٤٥) ابن الانبارى ٢٤٠ •

(٤٦) انظر : في اللهجات العربية ١٧ •

افراد البيئات فيما بينهم ، وفهم ما يدور من كلام فهما يتفاوت مقداره حسب قوة الرابطة التي تربط بين اللهجتين^(٤٧) . والظاهر ان الانعزال كان أهم العوامل في نشوء اللهجات ، وهذا واضح في تكون اللهجات العربية القديمة قبل الاسلام ، اذ كانت طبيعة الجزيرة العربية الصحراوية تفرض على الجماعات أن تعزل في أماكن يتوفر فيها الماء والكأ ، وهي مواضع متباعدة منتشرة في أطراف الصحراء ، كما ان الطبيعة الصحراوية في الوقت نفسه تعسر الاتصال المستمر بين هذه الجماعات ، فلا تلبث لغاتهم أن تستقل بمرور الزمن على شكل لهجات ، تتميز بصفات خاصة يفرضها هذا الانعزال اللغوي .

فاللهجات العربية استقلت بعض الشيء بخصائص لغوية متميزة ، إلا انها تنضوي جميعا تحت خصائص عامة في اللغة الام التي قد تصح تسميتها باللغة النموذجية لعامة العرب ، لانه حين تمسكت القبائل بلهجاتها الخاصة في الحديث العادي وفي التخاطب وفي المعاملات ، كانت تلجأ في أحياس كثيرة الى تلك اللغة النموذجية التي نشأت في مكة ، اذا أرادت ان تنظم أو تخطب ، لأنهم يرون ان التمسك بلهجاتهم غير مستساغ في مثل هذا المجال ، فهم يدخرون التكلم بلهجاتهم لبيئاتهم بعد عودتهم اليها^(٤٨) . ومع ذلك فلا يمكننا أن ندعي ان جميع خصائص لهجاتهم اللغوية كانت منزوية انزواء تاماً في أشعارهم وخطبهم ، بل على العكس فقد كشفت لنا هذه النصوص بعد تدوينها عن كثير من تلكم الخصائص بشكل واضح ، خصوصا بعد أن تلمست هذه اللهجات للتوحد بعد الاسلام ، وماترتب على ذلك من زيادة اقترابها من النص القرآني المقدس . ذلك لانه حين فرضت الغلبة للهجة قریش على سائر اللهجات العربية لاحتوائها على أكثر نصوص الدين

(٤٧) انظر : في اللهجات العربية ١٦ والتطور اللغوي التاريخي ٢٨ .

(٤٨) انظر : في اللهجات العربية ٤٦ .

الجديد ، واستثار هذه اللهجة شيئاً فشيئاً بلغة الشعر والنثر ، وطغيانها التلقائي على ألسنة القبائل العربية وانحسار لهجات هذه القبائل من أفواه أفرادها ، فبالرغم من ذلك فقد بقيت آثار ضئيلة من تلك اللهجات القديمة في ميدان التفاهم والتخاطب والمحادثة ، وليس غريباً ان ينال القرشية على ألسنتهم شيء من التحريف بتأثير بداهتم الأولى في النطق . لذلك فقد أباح الاسلام - تأليفاً للقلوب وشداً بالقرآن - أن يقرأ الكتاب المقدس ببعض خصائص تلك اللهجات التي لم يكن ممكناً التغلب عليها في هذه القراءة ، فشأت بذلك قراءات القرآن التي هي مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات العربية في الدلالة والصوت والقواعد الصرفية والنحوية والمفردات وما الى ذلك ، اضيف الى هذا ما يمكن أن يكون سببه القرآن نفسه في احتوائه على آثار من اللهجات العربية بجانب اللهجة القرشية التي نزلت بها أغلب أساليب القرآن وخصائصه اللغوية ، فكان العرب أرادوا أن يقرأوا ما ورد من لهجاتهم في القرآن بلهجاتهم أنفسهم .

فليس لنا بعد هذا أن نعتقد بأن لغة القرآن هي لهجة قريش أو لهجات الحجاز ، لأنه اجتمعت في لغة التنزيل - والتي أصبحت فصحي العربية - آثار كثيرة ومواد مختلفة تعود الى اللهجات العربية ، وعدم النص على القائلين في أغلب هذه الآثار والمواد لا يعني عدم وجودها ، لأن اتساع الدولة الاسلامية وشموله بيئات جديدة مختلفة دفع العلماء الى طمس مظاهر اللهجات في اللغة ، مما قد يزيد وجوده من عصية القبائل ويفرق بينها ، فأهمل أمر هذه اللهجات ولم يرو عنها في المدونات اللغوية والادبية الا شيء قليل ، لأنه أريدَ للغة القرآن ان تكون موحدة شاملة ليتفق المسلمون جميعهم في فهمها والتكلم بها والعمل بموجبها^(٤٩) . وكان من نتائج ذلك

(٤٩) انظر : فقه اللغة لوافي ١١٨ والتطور اللغوي التاريخي ١١٧ وفي اللهجات العربية ٤٧ .

تعسف غير قليل وقع به العلماء ، فهم حين ذهبوا الى توحيد اللغة ، فرقوا بين اللهجات فنبسبوا لاحداها الفصاحة ولم ينسبوها للأخرى ، رافضين أن يأخذوا عما يسمى بالقبائل التي تطرفت مساكنها حدود الجزيرة العربية لمتاخمتهم الاعاجم في هذه الاطراف ، ونصموا على هذه القبائل وعلى الشعوب الاعجمية ، ولهذا « كانت قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتشفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم • وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وايباد وقضاعة وعرب اليمن ، المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة ، فلم تكن لغتهم تامّة الملكة بمخالطة الاعاجم ، وعلى نسبة بعدهم من قريش ، كان الاحتجاج بلغاتهم من الصحة والفساد » (٥٠) •

وزاد من تعسفهم في هذا المجال أنهم يلصقون أحيانا كل استعمال لا يرضونه ولا يستقيم لقواعد وضعوها ومقاييس افترضوها ، يلصقونه بقبائل معينة ولهجات تعارفوا على غرابة استعمالاتها كأزد شنوءة وبلحارث بن كعب وجذام وغيرهم ، عدا ان اشاراتهم الى اللهجات بصورة عامة لم تكن واضحة المعالم ، لاضطرابهم في تحديد اللهجة ، فكثير من الاستعمالات منسوب الى تميم أو الحجاز ، وكل منهما اقليم واسع يضم عدة قبائل وعدة لهجات لايمكن أن تخضع لصفات لغوية موحدة بمجرد تسمية الاقليم المتد الأطراف ، لاننا نعرف ان طريقة نطق مدن الحجاز ليست في كل المواضع متفقة بل توجد بينها اختلافات شديدة في مقابل قواعد اللغة الكلاسيكية (٥١) •

ومن الادلة التاريخية على اختلاف قبائل الاقليم الواحد في دلالة اللفظ أو اسماء الاشياء ، ما روى عن النبي حين سقطت من يده السكين ، فأشار على ابي هريرة أن يسلمها له ، فلم يفهم أبو هريرة مراد النبي (ص) ، لانه

(٥٠) مقدمة ابن خلدون ٤٨٩ •

(٥١) التطور اللغوي التاريخي ٢٨ واللغات السامية لنولدكه ٧٨ •

كان يسمى السكين (مدينة) ، وأبو هريرة من (دوس) التي عاشت على مسافة غير بعيدة من مكة ، وكان أهلها على اتصال بالبيئة الحجازية قبل الاسلام . ولا أمل الى الشك في صحة هذه الرواية بحجة ان لفظة (السكين) قد وردت في القرآن (٥٢) ، ذلك ان الاخبار اعلمتنا بتأخر اتصال ابي هريرة بالنبي ، فلا مانع من ورودها في القرآن وأبو هريرة لم يتدبرها بعد .

وعلى هذا فان اللغة الموحدة التي وصلت إلينا عن طريق النصوص الادبية التي رويت عن العرب قبل الاسلام وبعده ، فهي وان كانت منسجمة الصفات والخصائص ، خالية مما نفر منه العرب في اللهجات كالعنفة والكشكشة والمجعة وغير ذلك ، فهي لم تكتسب خصائصها اللغوية وصفاتها الاسلوبية من لهجة قريش وحدها ، بل منها ومن اللهجات الاخرى بعد أن توحدت وامتزجت فصارت لغة يمكن ان تنسب الى عدة قبائل لأن « الروايات التي تقول ان لهجة قريش هي أحسن اللهجات العربية كلها ، فان بعضها مخترع ، وفي بعضها مجاملة للحكام الذين ينحدرون من قبيلة قريش . غير انها تعارض بكل تأكيد الرأي العام للعرب من قديم الزمان (٥٣) » ، ومع اسراف نولدكه في قوله ، لأن مايتوفر في ايدينا من معلومات يؤيد أن تكون قريش صاحبة الحظ الاكبر من لغة التنزيل على الاقل ، الا انه لا يخلو من الصحة خلوا تاماً ، فقد أضافت العاطفة الدينية والسياسة شيئاً كثيراً من الأهمية لدور قريش في اللغة والسياسة والدين . ومع ذلك فهذا المزيج اللغوي الذي استقرت عليه العربية مزيج منسجم القواعد والأصول ، يتمثل فيما وصل إلينا من النصوص المختلفة ، وعلى رأسها القرآن الكريم والثروة الشعرية والنثرية القديمة التي صحت روايتها عن الجاهليين .

(٥٢) في اللهجات العربية ١٧٧ .

(٥٣) اللغات السامية ٧٨ .

وما هذه الاشارات الواردة في ثنايا كتب اللغة الى استعمالات القبائل ومفرداتها واختلافاتها في الدلالة ، الا من بقايا تلك الحقبة من تاريخ اللغة حين لم تتوحد بعد تحت ظل الاسلام ، فالتصفح لكتب اللغة يعثر على كثير من الألفاظ نص على أن معناه في القبيلة الفلانية كذا وهو خلاف الشائع ، أو معناه عند تلك القبيلة هكذا وهو الأشهر ، واشباه ذلك من الاشارات (٥٤)

الا ان هذه الكثرة مع ذلك تعتبر قلة بالنسبة لما يجب أن يصل إلينا من لهجات القبائل واستعمالاتها اللغوية المختلفة .

والأضداد من تلك الظواهر التي خلفها لنا اختلاف اللهجات الذي أشرنا اليه ، وذلك بأن تكون اللفظة بمعنى في لهجة عربية وبمعنى مضاد في لهجة أخرى ، اجتمع المعنيان في اللفظة بعد توحيد اللغة وتدوين مفرداتها ومعانيها في معجمات الالفاظ الأولى ، واذا كان الأمر كذلك فليست هذه الالفاظ من الأضداد لأن شرط الأضداد أن يكون استعمالها في المعنيين المتضادين في لهجة واحدة حيث يستعمل افراد هذه اللهجة الأضداد في كلامهم فيحصل اللبس في فهم المعنى فيما بينهم وتكون الغرابة بعدئذ من وجود هذه الالفاظ التي تورث الاضطراب والفوضى في دلالة الالفاظ ، اما اذا كان التمييزون جميعا يستعملون (السُدقة) بمعنى الظلمة فلا يمكن أن تسمى هذه اللفظة من الأضداد بحجة أن القيسيين يستعملونها بمعنى الضوء ، لان لغة هؤلاء غير لغة اولئك ، وكل قبيلة منهما قد تعارفت فيما بينها على معنى واحد تنصرف اليه اللفظة في الاستعمال ، فلا يحصل في كلامها لبس ولا غموض ، لأن اللفظة عندها ليست من الأضداد ، وبديهي أن تكون اللفظة من الأضداد في معجمات اللغويين بعد أن يجتمع هذا المعنى بذلك وتدون اللفظة على أنها منصرفة الى المعنيين ، ولكن ذلك في المعجم

(٥٤) انظر : ابن الانباري ٢٤٠ والصاحبي ١٥ والخصائص ٣٩٥/١ ،

٤١١ والمخصص ١١٩/٤ ، ٤١/٩ والمزهر ١٠٦/١ - ١١١ .

فقط لا في لغة التخاطب ، لان العرب بعد أن توحدت لغتهم ونشأ منهم جيل يتكلم هذه اللغة الموحدة وقفوا من هذه الالفاظ موقفين تلقائين : الأول أنهم أماتوا قسما كبيرا منها فزالت من الاستعمال وذلك لعدم حاجتهم الى معانيها ، والثاني انهم استعملوا القسم الآخر منها بأشهر المعنيين المتضادين وخصصوه في الاستعمال . اضيف الى ذلك ان الجيل الجديد علم ان اللفظة انصرفت انصرافا مضاداً بفعل توحد اللغة ، فلم يكثر استعمالها ، وقبل ورودها في نصوصه الادبية بشكل واضح .

وقد تنبه القدماء انفسهم لما يمكن أن يسببه اختلاف اللهجات من تضاد الالفاظ ، فنصوا على هذا المعنى عند تعرضهم لهذه الطائفة من الالفاظ ، وأول هؤلاء إشارة الى الموضوع هو الخليل عند ذكره اللفظة (سَجَدَ) التي عدت بعده من الأضداد للانحناء والانتصاب ، فذكر معناها الشائع في الانحناء ووضع الجبهة على الأرض وقال : انه يعني انتصب في لغة طيء . قال الأزهري : « ولا يحفظ لغير الليث » (٥٥) . ولذلك فهو لم يتعجب من ضديتها كما تعجب من ضدية (الشَّعْب) و (النَّاشِد) لأنه علم أن معنى الانتصاب انما هو في لهجة طيء ، فالعرب لم تستعمل السجود استعمالا متضادا فيما بينها ، وانما استعملته بمعنى واحد هو الخضوع ووضع الجبهة على الارض عند عامتها ، والانتصاب عند طيء . وأوضح من هذا ما نقلناه قبل عن ابن دريد الذي ذكر أن الشَّعْب بمعنى الافتراق وبمعنى الاجتماع ، وقال : وليس من الأضداد وانما هي لغة لقوم (٥٦) . وقد علق السيوطي على هذا بقوله : « فأفاد بهذا أن شرط الأضداد ان يكون استعمال اللفظ في المعنيين في لغة واحدة » (٥٧) . كما بين هذه الفكرة ابن الانباري في مقدمة

(٥٥) تاج العروس ١٧٢/٨ .

(٥٦) الجمهرة ٢٩٢/١ وسمط اللآلي ١٨٩/١ .

(٥٧) المزهر ٣٩٦/١ .

كتابه فقال : « اذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحي غيره » (٥٨) . وقريب من هذا ما قاله ابن الدهان في مقدمة أضداده (٥٩) . لاننا قلنا سابقا ان الرواة عندما شافهوا الأعراب لم يقصروا هذه المشافهة على قبيلة دون أخرى ، فسمعوا من هؤلاء وسمعوا من هؤلاء ، فكانت حصيلتهم من ذلك هذه الجمهرة من الألفاظ التي لم يرووها بادية ذى بدء على أنها من الأضداد في لغات الأعراب ، وانما حلا لقسم من تلاميذهم الذين أرادوا التشبه بأساتذتهم في الابتكار والابداع أن يجعلوها بابا من أبواب اللغة يضعون فيه مؤلفاتهم كما فعل قطرب مثلاً عندما ألف في الأضداد .

ودليل ماقلناه في أن الرواة لم يروا في مثل هذه الألفاظ أضدادا ، أنه لم ينقل عنهم أنهم نصوا على ضديتها ، وانما اكتفوا بالنص على اللهجتين أو إحدى اللهجتين عند ذكر المعنيين المتضادين ، ومن امثلة ذلك قول أبي عمرو الشيباني : « الساجد في لغة طيء المتصب ، وفي لغة سائر العرب المنحني ، وأنشد :

لولا الزمامُ افتحَمَ الأجاردا
بالغربِ أودقَ النعامَ الساجدا » (٦٠)

وقول أبي زيد الانصاري : « السُدفة في لغة تميم : الظلمة ، والسُدفة في لغة قيس : الضوء » (٦١) وقوله : « لمقت الشيء المقه لقا إذا كتبته في لغة بني عقيل ، وسائر قيس يقولون : لمقته محوته » (٦٢) .

(٥٨) ابن الانباري ١١ .

(٥٩) ابن الدهان ٩٢ .

(٦٠) التنبيهات ٢٩٤ والاقتضاب ١٨٦ والبئر لابن الاعرابي ٧٠ .

(٦١) الغريب المصنف ٥١٨ والمزهر ٣٨٩/١ .

(٦٢) الغريب المصنف ٥٠٠ ، وابدال ابي الطيب ٤٠٤/٢ (طرف

منه) والمزهر ٣٨٩/١ .

الآن ان كتب الأضداد عدت هذه المواد من الأضداد بالرغم من عدم نص روايتها على ضديتها ، وأمثال هذه كثيرة في كتبهم • ونحاول الآن أن نحصي هذا النوع من الأضداد لنقول بعده شيئاً :

- ١ - باعَ : للبيع والشراء ، والمعنى الثاني في تميم وربيعة (٦٣) •
- ٢ - شَرَى : للشراء والبيع ، والمعنى الثاني لغة لغاضرة حي من بني أسد (٦٤) •
- ٣ - الرَجَاء : للرجاء والخوف ، والثاني لغة حجازية (٦٥) •
- ٤ - زَبَرَ : كتب وقرأ ، والثاني لغة يمانية (٦٦) •
- ٥ - المَعْصِر : التي دنت من الحيض في لغة قيس وأسد ، والتي تعسفت في لغة الازد (٦٧) •
- ٦ - القُرْءُ : الطهر عند أهل الحجاز ، والحيض عند أهل العراق (٦٨) •

- ٧ - السَّدَقَة : الظلمة عند تميم ، والضوء عند قيس (٦٩) •
- ٨ - لَمَقَ : كتب عند بني عقيل ، ومحا عند قيس (٧٠) •

-
- (٦٣) معاني القرآن ٥٦/١ ونوادير أبي زيد ٣٣ •
(٦٤) ابو الطيب ٣٩٣/١ والالفاظ الكتابية ٢٧٩ •
(٦٥) معاني القرآن ٢٨٦/١ •
(٦٦) اشتقاق ابن دريد ٤٨ •
(٦٧) قطرب ٢٦٠ وابن الانباري ٢١٦ وأبو الطيب ٥١١/٢ •
(٦٨) الاصمعي ٥ وابن السكيت ١٦٣ وابن الانباري ٢٧ وأبو الطيب ٥٧١/٢ •
(٦٩) الاصمعي ٣٥ وابن السكيت ١٨٩ وابن الانباري ١١٤ وأبو الطيب ٣٤٦/١ والغريب المصنف ٥١٨ والمزهر ٣٨٩/١ ولطائف اللغة ١٤٧ •
(٧٠) قطرب ٢٧٠ والاصمعي ٤٠ وابن السكيت ١٩٣ وأبو حاتم ١٠١ وأبو الطيب ٦١٤/٢ •

- ٩ - السَّامِد : اللاهي عند أهل اليمن ، والحزين عند طيء (٧١) .
- ١٠ - سَجَد : انحنى وانتصب ، والثاني في لغة طيء (٧٢) .
- ١١ - الحَائِب : المتدّم والقاتل ، والأخير في لغة بني أسد (٧٣) .
- ١٢ - عَيْن : للخلق والجديد ، والأخير في لغة طيء (٧٤) .
- ١٣ - المقوَرَّ : للمهزول والسمين ، والأخير في لغة الهلاليين (٧٥) .
- ١٤ - القَلَّت : النقرة الكبيرة عند أهل الحجاز ، والنقرة الصغيرة عند تميم وقيس وأسد (٧٦) .
- ١٥ - رَزَق : أنال وشكر ، والأخير في لغة الأزد (٧٧) .
- ١٦ - العَرِيض : الصغير والجذع من ولد الشاة ، والثاني لبني تميم (٧٨) .
- ١٧ - لم أَرَجُ : لعدم الرجاء وعدم المبالاة ، والآخر بلغات كنانة وخزاعة ونضر وهذيل (٧٩) .
- ١٨ - المُشَايِح : الجاد في لغة هذيل ، والمحاذر في لغة أهل نجد (٨٠) .

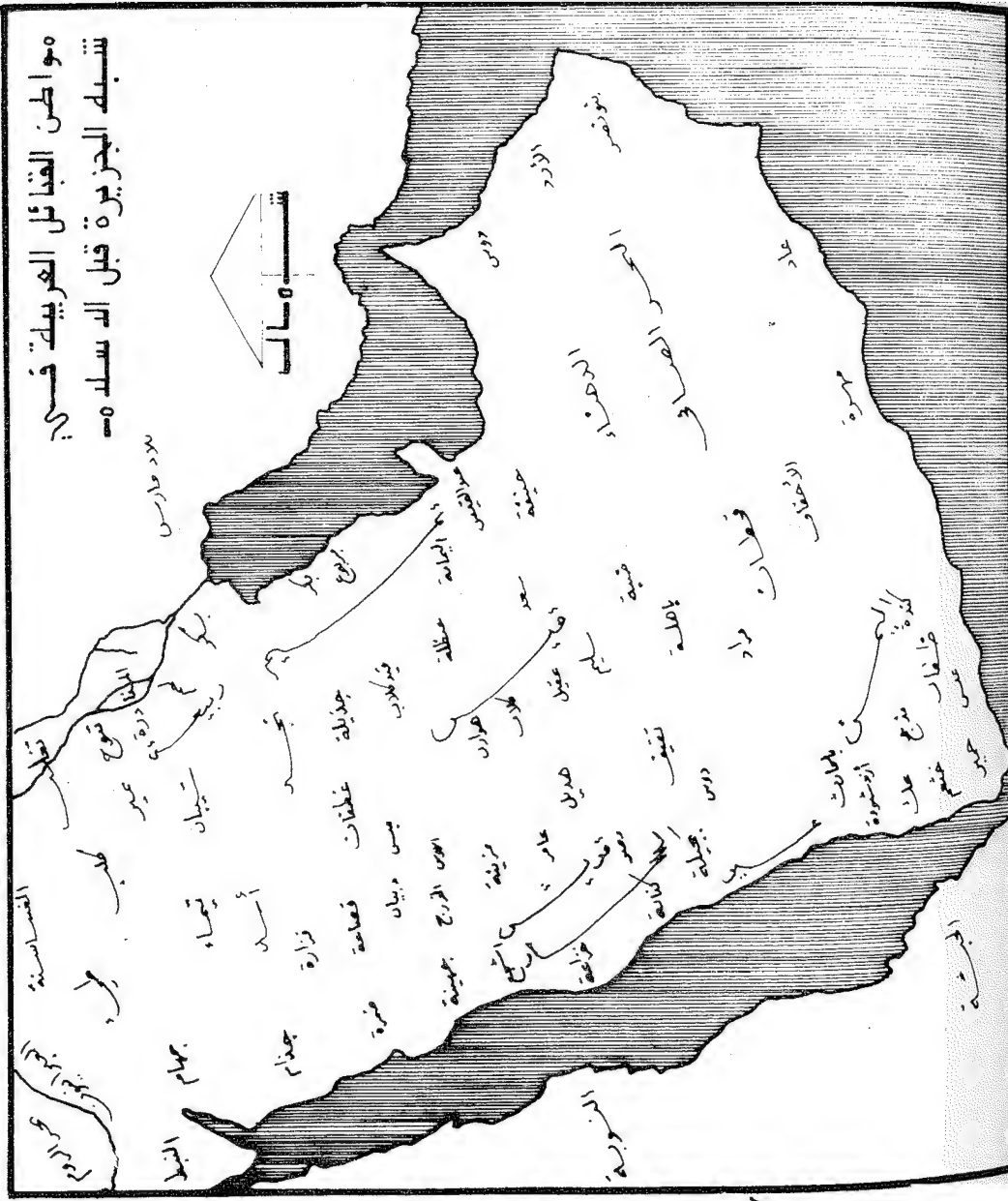
-
- (٧١) قطرب ٢٤٥ وأبو حاتم ١٤٤ وابن الأنباري ٤٣ وأبو الطيب ٣٧١/١ .
- (٧٢) الأصمعي ٤٣ وابن السكيت ١٩٦ وابن الأنباري ٢٩٤ وأبو الطيب ٣٧٨/١ . والافصح في فقه اللغة ٢٩٦/١ .
- (٧٣) ابن الأنباري ١٧٠ .
- (٧٤) الأصمعي ٤٣ وابن السكيت ١٩٧ وابن الأنباري ٢٩٣ .
- (٧٥) الأصمعي ٤٤ وابن السكيت ١٩٧ وابن الأنباري ٢٩٤ .
- (٧٦) أبو حاتم ١٤٩ وابن الأنباري ٤٢٠ - ٤٢١ وأبو الطيب ٥٨٧/٢ .
- (٧٧) تاريخ آداب العرب ٢٠١/١ (لم نجدها في كتب الأضداد) .
- (٧٨) قطرب ٢٧٨ وابن الأنباري ٣١٩ وأبو الطيب ٥١١/٢ .
- (٧٩) أبو حاتم ٨١ وابن الأنباري ١٨ وأبو الطيب ٣٠٠/١ .
- (٨٠) قطرب ٢٦٨ والأصمعي ٣٩ وابن السكيت ١٩٣ وأبو الطيب ٤٠٥/١ .

- ١٩ - العنوة : القهر والطاعة ، والأخير لأهل الحجاز (٨١) .
- ٢٠ - وَثَبَ : قفز وجلس ، والثاني في لغة أهل حمير في اليمن (٨٢) .
- ٢١ - الجَوْنُ : الأبيض والأسود ، والثاني في لغة قضاة (٨٣) .

هذه كل الألفاظ التي ذكرتها كتب الاضداد ومصادر اللغة ناصة على اللهجات التي تقسم معانيها المتضادة ، ونحن نفترض كما بينا قبلا أن عدد الاضداد التي يمكن أن يرجع بها الى اللهجات أكثر من احدى وعشرين لفظة بكثير ، ولكننا لانستطيع التحكم في ذلك مادامت مصادرنا قد أهملت النص على هذه الناحية لاسباب ذكرناها سابقا ، ومع ذلك فنحن نقدر أن نرجع بهذه الالفاظ الى أصول واحدة وجذور مشتركة ، ذلك ان اغلب هذا التضاد في المعنى كان اما بين قبيلتين متجاورتين في الموطن ، مما يشعر أن الأصل المعنوي المشترك لا بد أن يكون قريبا من كليهما في الزمن ، واما بعيدتين الواحدة عن الأخرى بحيث يكون هذا الأصل سحيقا في القدم . فالبيع والشراء لفظتان كانتا تدلان على الطريقة التي يتم فيها البيع أو الشراء قديما وهي المقايضة وتبادل الحاجات والسلع ، بحيث يصح اطلاق لفظ البائع على كلا المتبادلين ، كما يصح اطلاق المشتري على كليهما أيضا ، فلا غرابة ان ترتبط لفظة البيع عند قبيلة من القبائل بمفهوم الشراء الشائع أو ترتبط لفظة الشراء عند قبيلة اخرى بمفهوم البيع الشائع ، لهذا كان البيع بمعنى الشراء عند تميم وربيعة وهما قبيلتان متجاورتان في شـرق الجزيرة ، وكان الشراء بمعنى البيع عند غاضرة وهي حي من بني أسد الذين يتوسطون شمال الجزيرة بشيء من الميل نحو غربها (انظر الخريطة)

- (٨١) ابو حاتم ١٢٦ وابو الطيب ٤٩١/٢ .
- (٨٢) قطرب ٢٦٤ والاصمعي ٤٥ وابن السكيت ١٩٩ وابن الانباري ٩١ ، وانظر : تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة ٧٢ .
- (٨٣) قطرب ٢٥٦ وأبو الطيب ١٥١/١ .

هو اطن القبائل العربية قسمة تتبله الجزيرة قبل الة سلة



- ١- سمار هذه الخريطة :
- ٢- اطلال التاريخ الاسلامي : هساري
- ٣- هازارد وجلافة .
- ٤- الاطلال التاريخي للعالم الاسلامي :
- ٥- عبد النعمي ماجد وعلي البناء .
- ٦- الاطلال التاريخي : عدي يوسف
- ٧- مخلص .
- ٨- في اللهبجات العربية : د . ابراهيم
- ٩- انيس .
- ١٠- مجوفة اليناق السياسية : محمد
- ١١- عبد الله .
- ١٢- CHAIM RABIN, ANCIENT WEST ARABIAN
- ١٣- DJAMBATAN, Historical Atlas of the Muslim Peoples.

فموطن هذه القبيلة بعيد عن موطن تلكما القبيلتين ، ولهذا كان تخصيص
الدلالة مختلفا بينهما •

وكذلك الرجاء والخوف والمبالاة فهي في حقيقتها مشاعر واحدة ،
ففي كل رجاء مبالاة وخوف من عدم تحقق الشيء المرجو ، وفي كل خوف
رجاء في الخلاص منه ، وفي كل رجاء وخوف مبالاة واهتمام ، لهذا كانت
هذه المعاني العاطفية شيئا واحدا في نفس الانسان لا يمكن له ان يفصلها ؛
الا أن تكون طبيعة قبيلة من القبائل وجيلة أفرادها الفطرية هي التي تعمق
الاحساس بالخوف في ساعة الرجاء ، فتصرف لفظة الرجاء بمرور الزمن
عند هؤلاء الى معنى الخوف وحده ، والعكس صحيح أيضا اذ تكون في
هذه الطبيعة قدرة على أن تبلور الاحساس على شكل صمود نفسي وتحمل ،
فيكون معنى (لم أرج) : لم أبال • ولهذا كانت القبائل الآخذة بهذا المعنى
الاخير متقاربة فيما بينها بحيث تصطف خزاعة وكنانة ونضر وهذيل في
غرب الجزيرة العربية على ساحل البحر من اقليم الحجاز (انظر الخريطة) ،
وهذا القرب يقوى أن تكون عوامل الاتصال المختلفة متوفرة بحيث تساعد
على نمو روح متشابهة ونفسية متقاربة الخصائص بين أفراد هذه القبائل •
ولقرب قياس من أسد اتفقتا على معنى (المعصر) ، وخالفتهما أزد
لبعدها عنهما (انظر الخريطة) ، فعند الاوليين بمعنى التي دنت من الحيض ،
وعند الاخرى بمعنى التي تعنست ، ونحن وان كنا نلمح الصلة المعنوية
بين الدالتين وتداخلهما ، فالدنو من الحيض يستتبعه عبور زمن الحيض
وهو التعنس ، الا ان الشيء الذي نريد ملاحظته هو اتفاق القريتين على
تخصيص المعنى ومخالفة البعيدة بذهابها الى تخصيصه من الناحية الثانية •
ومثلها (السُدفة) خصصت تميم معناها بالظلمة وخصصتها قيس بالضوء ،
وهو في الاصل معنى جامع للمعنيين لان السُدفة هي احتلاط الضوء
بالظلمة - كما سيجيء بيان ذلك فيما بعد - والسبب في ذلك ايضا بعد

القيلتين الواحدة عن الاخرى بشكل يجعل كلا منهما بيئة لغوية مستقلة. وشييه بهذا (لَمَق) التي هي بمعنى كَتَبَ عند عقيل، وبمعنى مَحَا عند قيس وعقيل من قيس، لان قيسا كانت تشمل عدة قبائل منها هوازن وكلاب وعقيل وغيرها (انظر الخريطة) ، فاختصاص عقيل من بين أخواتها بهذا المعنى قد يوحى بشدة انزالها عن (سائر قيس) كما يصر القدماء ، وقد يكون ابدال اللام من النون هو سبب هذا التضاد لان (نَمَق) بمعنى كتب بلا خلاف ، وان من التجوز ان تعد عقيل بيئة لغوية مستقلة ، وذلك لقرب موطنها من موطن قيس .

أما تفرد طيء بمعنى الانتصاب في مادة (السُجود) فهو من قيل جريان العرف في تحديد الدلالة ، وليس معنى مضادا كما يبدو لان معنى الفعل في الاصل هو (الخضوع) ومنه خضوع المصلي الذي عبر عنه بالسجود ، واصطلح على الانحناء والتطامن ووضع الجبهة على الارض بالسجود لما يحمل هذا من عمق معنى الخضوع ، وقد يكون هناك انتصاب وخضوع في نفس الوقت ، وهو الذي جرى عليه عرف الطائيين ، فهم اذا خضعوا للملك أو أسر انتصبوا له ولم ينحنوا أو يتطامنوا الى الارض . لهذا يكون الاصل واحدا في كلا المعنيين وانما الذي جعل من اللفظة ضدا هو اختلاف العادة في طريقة الخضوع ليس غير . والى هذا المعنى اشار الزبيدي في التاج ناقلا عن شيخه انه لاتضاد بين الخضوع والانتصاب^(٨٤) .

يضاف الى ذلك ان الفعل موجود في اللغات السامية (ܣܚܝܢ) ، والظاهر ان معناه في جميعها (خَضَعَ) ، وتخصصت دلالاته في العربية بالانحناء بعد الاسلام على الارجح ، لان الاستعمال القرآني للفعل لايمحض المعنى للانحناء، فالسجود لآدم هو بمعنى الخضوع له لا الانحناء والتطامن؛ لان الانحناء المعروف في الصلاة الذي اطلق عليه لفظة السجود هو لله

(٨٤) تاج العروس (سجد) ١٧٢/٨ .

وحده ، ومما يقوى هذا ان السجود الاسلامي غير معروف لدى الاقوام السامية حتى في شعائرهم الدينية ، لان الخضوع في هذه الشعائر يكون بالوقوف الخاشع والانتصاب الروحاني كما هو معروف •

واما (القَلَت) فالصواب أن يقال في معناها أنها النقرة صغرت أم كبرت ، أما انها عند أهل الحجاز الكبيرة وعند تميم وقيس وأسد الصغيرة ، فهذا لا يخلق من اللفظة ضدا ، لان الامر راجع الى اختلاف الخصائص الجغرافية والجيولوجية في البيئات العربية ، اذ أن هذه القلات تنشأ بفعل المياه النازلة من أعلى الجبل فتكون بمرور الزمن وتآكل الصخر حفر صغيرة تتسع شيئا فشيئا حتى تصل في الحجاز الى السعة التي يمكن أن يغرق فيها فيل كما يقولون • فاذا كانت الطبيعة الجغرافية في جبال الحجاز قد جعلت من صخورها أهش وأطرى مما هي عليه في جبال تميم وقيس وأسد ، يكون فعل المياه في هذه الصخور أشد وتكون القلات أكبر ، وكلما كانت الصخور أصلب وأقوى كانت القلات أصغر وأضيق ، ولهذا اطلق الحجازيون لفظة (القَلَت) على نقرتهم ، وأطلق التميميون والقيسيون وبنو أسد اللفظة على نقرتهم ، وعندها جمعت هذه الى تلك وضاعت النظرة الدقيقة ، نشأ ما يوهم بالتضاد وهو في الاصل شيء واحد •

وطيء بحكم تطرفها الى الشمال الغربي من الجزيرة قريبة من مواطن الساميين هناك ، فلا يبعد أن احتكت لهجتها بلغاتهم وتأثرت بها ، مع ما احتفظت به من الاصول السامية ، فلفظة (عَيْن) التي قالوا انها عند عامة العرب تعني الحلق ، وعند طيء تعني الجديد ، هي نفسها لفظة (عَيْن) العبرية التي تعني العين والنبع والغالي والجديد وما الى ذلك مما تنصرف اليه لفظة (العَيْن) العربية التي عدت من المشترك اللفظي ، فمن المحتمل ان تكون طيء قد احتفظت او تأثرت بهذا التشديد في الياء من لفظة (عَيْن) باللغة العبرية المتاخمة • وكذلك مادة (السَّامِد) التي عُدَّت من

الاضداد ، وقيل انها عند طيء بمعنى الحزين وعند أهل اليمن بمعنى
 اللاهي^(٨٥) ، وقد يبدو لاول وهلة بعد الصلة بين اليتيم اللتين تطرفت
 الأولى منهما الى الشمال ، وتطرفت الاخرى الى الجنوب ، ولكن بعد
 ملاحظة ما قلناه من تأثير طيء باللغات السامية القريبة منها ، وبعد تذكر ان
 في اليمن لغات سامية قديمة كالحميرية والمينية والسبئية وغيرها ، وهي
 وان كانت قريبة من العربية قريبا شديدا الا انها شيء مختلف عن العربية ،
 ولا يتصل بها الا في الجذر السامي ، علما بأن كثيرا من الاستعمالات كانت
 تسبب لطيء واليمن في الوقت عينه^(٨٦) ، بعد هذا ندرك انه لا بد أن يكون
 هناك جامع ما بين المعنيين في السامية الأم ، وهذا المعنى المشترك للفعل
 (سَمَد) يتنزع من جملة معان تدور حول (قام بالعمل ، عمد اليه ،
 قصد اليه ، دأب فيه) وهي معان موجودة في العربية والعبرية ، اذ نقول في
 العربية: سَمَد الرجل : دأب ، وسَمَدَت الابل ، جَدَّت ، ونقول في
 العبرية : (שָׁמַד) (شَمِد) : عَمَد الى ، و (שָׁמַד)
 قصد . فالجذر اللغوي مشترك بين اللتين وقديم فيهما ، فاذا رجعنا الى
 الفعل في العبرية ، وجدنا أن اللغة اشتقت من أصله (الشين والميم أو السين
 والميم) - على نحو ما نسميه في العربية بالاشتقاق الكبير - معاني كثيرة
 بابدال الاصل الثالث وهو الدال ، فقالت : (שָׁמַד) : فرح ، طرب ،
 لها ، غنى ، و (שָׁמַד) : انذهل ، تخرب ، بهت ، حزن ، فيكون
 الحرف الثالث منوعا للمعنى بشكل عده اللغويون العرب تضادا في الاستعمال
 العربي ، فاذا كانت طيء قد تأثرت بالاشتقاق الثاني وأخذت منه معنى
 (حَزَنَ) ولم تبدل الاصل الثالث ، وكانت اللغات اليمنية قد تأثرت

(٨٥) انظر : تأثر العربية باللغات اليمنية ٥٣ .

(٨٦) انظر : تأثر العربية باللغات اليمنية مادة (أم) ص ٣١ ومادة

(ذو) ص ٤٧ .

بالاشتقاق الاول وأخذت منه معنى (لها) ولم تبدل الحرف الثالث ،
انجمع في الفعل معنيين اعتبرهما الاضداديون مما تنصرف اليهما اللفظة
انصرافا مضادا ، على ان اللغات العربية واليمنية استعملت سائر المعاني
الآخرى التي حصلت من اشتقاق اللفظتين من الاصل السامي القديم ، ففي
العربية : سمد : قام متحيرا ، بهت ، وفي اللغات اليمنية : « السمود : الغناء
بالحميرية ، يقولون : ياجارية اسمدى لنا أى غني لنا (٨٧) » .

وبمثل هذه المحاولات من الربط بين المعاني والرجوع بها الى
اصولها اللغوية تنكشف حقائق كثيرة ، كانت خافية على الدارسين لعدم
اهتمامهم بهذا الجانب من الدرس اللغوي الذى يقوم على دراسة اللهجات
وأثر اللغات المجاورة فيها ، ومايمكن أن توضحه دراسة الأسر اللغوية
من تفسير لبعض الظواهر اللغوية ، لأن اللغات التي تنتمي الى ارومة
واحدة تتشابه في كثير من ظواهرها اللغوية ودلالاتها ومفرداتها ، فدراسة
لغات الاسرة الواحدة تثير الطريق لدراسة ظواهر كل منها دراسة علمية
متكاملة . حتى ان قسما من علمائنا القدامى كان يصل الى علمهم شيء من
هذا ولكنهم يهملونه ويتجاهلونه ، يقول أحدهم : « صارَ حرف من
الاضداد . يقال : صُرْتُ الشيء اذا جَمَعْتَهُ ، وصُرْتُهُ اذا قَطَعْتَهُ وفرَّقْتَهُ ،
وفسر الناس قول الله عز وجل (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) على ضربين : فقال
ابن عباس : معناه قطعهن ، وقال غيره : معناه ضَمَمْنَهُنَّ إِلَيْكَ . . . وقال
بعض المفسرين : صُرْهُنَّ معناه : قطع أجنتهن ، وأصله بالنبطية :
صِرِيَّة . ويحكى هذا عن مقاتل بن سليمان . فان كان أثر هذا عن أحد
الائمة ، فانه مما اتفقت فيه لغة العرب ولغة النبط » (٨٨) . ومثل هذا
اعتبارهم الفعل (وَكَبَ) من الاضداد يكون للقفز وللقعود ، مدللين على

(٨٧) ابن الانبارى ٤٤ .

(٨٨) ابن الانبارى ٣٦-٣٨ .

ضديته بالقصة التي تناقلتها المصادر المعنية بانه : « خرج رجل من بني كلاب أو من سائر بني عامر بن صعصعة الى ذى جدن ، فأطلع الى سطح والملك عليه ، فلما رآه الملك اختبره فقال له : ثب أى أقعد • فقال : ليعلم الملك اني سامع مطيع ثم وثب من السطح • فقال الملك : ما شأنه ؟ فقالوا : أبيت اللعن ان الوثب في كلام نزار الطفر • فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم ، من ظفر حمر ، أى من أراد أن يقيم بظفار فليتكلم بالحميرية » (٨٩) • والفعل (يَظْفَرُ) موجود في العبرية بمعنى جلس أو أقام ، والظاهر أنه هو المعنى السامي القديم ، فكأن هؤلاء العلماء كانوا يستخدمون ما يعرفونه من معاني المفردات في اللهجات أو اللغات استخداما عكسيا ، فبدل أن تكون هذه المعرفة اداة تفسير والغاء لما يزعم من تضاد المعاني وتقابلها ، تكون لاثبات ذلك وتدعيمه والدلالة عليه ، وربما لو كانوا يعرفون أكثر مما عرفوا لكنا الآن في حرج كبير ، فلو وصلهم مثلا أن لفظة (ܠܥܝܪܐ) تعني في العبرية : الشَّعر الجعد ، لقالوا انها من الأضداد لأن (سَلَسَل) في العبرية قد تشير الى الشَّعر السبط ، ومثلها (ܠܥܝܪܐ) التي تعني في العبرية : ضلال أو فساد ، فقد ترتبط لفظة (سلوك) في العبرية بالهداية والصلاح ، لأن اللفظة يمكن أن تختص بأحد المعنيين وتشتهر فيه ، والرجوع الى المعجم السامي قد يهدى الى كثير من امثال هذه الالفاظ التي يمكن ان تستخدم هذا الاستخدام • ومن الامثلة العملية على ذلك غير التي ذكرنا لفظة (بَسَل) التي قالوا انها من الأضداد تعني الحلال وتعني الحرام (٩٠) واستشهدوا على

(٨٩) المزهر ١/٣٩٦ والقصة في ابن الانباري ٩٢ •

(٩٠) ابو حاتم ١٠٤ وابن الانباري ٦٣ وابو الطيب ١/٣٢ ونوادير

ابي زيد ٤ والالفاظ الكتابية ١٠٧ واعراب ثلاثين سورة ٣٦ والفاضل ٧٩ وامالي القالي ٢/٢٧٩ •

ذلك بأبيات لا يتضح فيها أحد المضين بسهولة كقول زهير بن أبي سلمى :

بِإِلَادٍ بِهَا نَادِمَتْهُمْ وَعَرَفَتْهُمْ فَإِنْ أَوْحِشْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ بَسَلٌ

يقول ابن الأنباري معلقا : أراد حرام • وهو تفسير بعيد ، اذ لا معنى لقوله : فإن أَوْحِشْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ حَرَام • والظاهر أن المعنى الأصلي للفظه هو (الجزء أو المثوبة) وبفعل تطور الدلالة تخصص المعنى في الاستعمال على صور عدة بها يمكن أن يفسر معنيا الحلال والحرام في الشواهد التي سبقت في هذا المجال • ومما يقوى أن تكون (بَسَل) بمعنى الجزء أو المثوبة استعمالها في العربية بمعنى (آمين) السامية التي تعني (اللهم استجب) واستشهدوا لهذا بقول الشاعر :

لَا خَافَ مِنْ نَفْعِكَ مَنْ رَجَاكَ بَسَلًا وَعَادَى اللَّهَ مِنْ عَادَاكَ (٩١)

وقالوا : انه يقال بعد قراءة الدعاء : بَسَلًا بَسَلًا أى آمين آمين ، فيكون على ما قدرناه من معناها كأنه قيل : اللهم جزاء ومثوبة ، اذ لا معنى لأن يقال هنا : حلالا حلالا أو حراما حراما كما حدد ذلك الأضداديون • ثم لما كان الجزاء هو نتيجة العمل وثمرته ، نجد أن المعنى تطور في العربية الى الإيناع والائثار والنضج فالفعل (نَضَجَ) يعني : أَيْنَعَ ، أثمر ، نضج ، ومن هذه المعاني صارت اللفظة تعني (طَبَخَ) أيضا لقرب مجال الدلالة بين النضج والطبخ • اذن فاللفظة سامية وجذرها موجود في الصرية أيضا ، وهي شبيهة بلفظة (آمين) من حيث المعنى والجمود لغرابتهما عن العربية ، يقول أبو حاتم : « يقال للواحد والاثنين والجماعة والمؤنث والمذكر : بَسَلٌ ، بلفظ الواحد » (٩٢) • ولعل مادة (بَلَّ)

(٩١) ابن الأنباري ٦٣ •

(٩٢) أمالي القالي ٢/٢٧٩ ونوادر أبي زيد ٣ •

باللّام المشددة التي تعني (مباح) في اللغات اليمنية لها صلة بلفظة (بَسَل) بأن فك التشديد بالسین (٩٣) . ولكن ذلك لم يكن من عمل القدماء ولا من اهتمامهم وانما كانت الجهود منصبة على تصيد التضاد في الالفاظ بأية وسيلة من الوسائل .

ومن هذه الالفاظ التي ورثتها اللغات السامية عن اللغة الام لفظة (الجَوْن) التي قالوا انها من الاضداد في العربية تكون للأبيض وتكون للأسود (٩٤) . الا انه يظهر من تتبع هذه اللفظة انها كانت تعني في السامية القديمة معنى مطلقا عاما هو (اللون) تخصص في العربية أول الأمر لاختلاط السواد والياض ثم للأسود وحده وللأبيض وحده ، فنقل على انه من الأضداد ، بالرغم من وجود استعمالات في العربية تصرف اللفظة الى معنى الأخضر والأحمر والأدهم وغيرها ، بل تدل نصوص في العربية على استعمال (الجون) بمعنى اللون مطلقا ، كقول النبي يسأل أصحابه في سحابة مرّت فوقهم : « فكيف ترونَ جَوْنَهَا ؟ قالوا : ما أحسنه وأشدّ سَواده » (٩٥) . فلا يمكن أن يكون النبي (ص) قد قال: فكيف ترون سوادها أو بياضها ، فقالوا : ما أحسنه وأشدّ سواده ، لانه أراد معنى اللون المطلق (٩٦) . يدعم ذلك معناها في العبرية فلفظة (7997) تعني (تلوين) ، وكذلك في السريانية فلفظة (7997) تعني (لون) أيضا ، وهكذا يظهر أن الجذر سامي مشترك ، وكان يحمل

(٩٣) انظر : تأثر العربية باللغات اليمنية ٣٤ .

(٩٤) ابن الانباري ١١١ وابو الطيب ١٥١/١ والغريب المصنف ٥١٩ والمزهر ٣٩٠/١ وفقه اللغة للشعالبي ٥٦٥ وامالي القالي ٩/١ ومعاني الشعر ١٤ ، ١٣٦ والابل للاصمعي ١٢٧ وكلّيات مختلفة لغوية (مخطوط) ١١٧ .

(٩٥) امالي القالي ٩/١ .

(٩٦) انظر : القاموس المحيط ج ٤ مادة (جون) .

معنى عاما تخصص في بعض اللهجات العربية بالأسود أو الأبيض في الأكثر وبالأخضر والأحمر والادهم في الأقل ، اضيف الى ذلك ان الالوان بصورة عامة كانت تنصرف فيما بينها انصرافا اعتباطيا ، فقد يعني الأحمر الاسود ، وقد يعني الاصفر الاسود وبالعكس ، وابو حاتم يقول في التعليق على قول الشاعر :

على كلّ خوارٍ كأنّ جذوعها طلّين بزفتٍ أو بحمّاءٍ سابح
• وقوله طلّين بزفتٍ أى أخضر • والأخضر عند العرب :
الاسود ، (٩٧) • ومهما يكن فالجون لفظة سامية قديمة ذات دلالة عامة
تخصصت في البيئات المختلفة ، ولا وجه لاعتبارها معربة عن الفارسية كما
ذهب أحد الباحثين الى ذلك (٩٨) •

ومن المؤكد أن أمر العربية من اللغات السامية شبيه بأمرها من
الفارسية ، بفارق واحد هو انها مع الساميات تشترك ارومة وجذورا لغوية،
ولكنها مع الفارسية تتلاقح وتتداخل ، ذلك ان الفارسية بحكم متاخمتها
للعربية تأثرت بها كثيرا واثرت فيها كذلك ، ودخلت العربية من جراء هذا
الاحتكاك الفاظ كثيرة جرى الاستعمال ببعضها ولم يجز بالبعض الآخر
مثل (الفرّز) و (الفرّهد) و (المائدة) وغيرها (٩٩) • وقد نصت
المعجمات اللغوية القديمة على طائفة من هذه الالفاظ المعربة والدخيلة
وقالوا : فارسي معرب • وأول هذه المعجمات (العين) ففيه نص على
الفاظ أنها معربة عن الفارسية (١٠٠) • والذي يهمنا هنا هو ما يتصل
بالأضداد ، فقد ذكروا ان الفعل (زَبَرَ) من الأضداد يعني كتب ويعني

(٩٧) كتاب النخل للسجستاني (مخطوط) ٣٣ •

(٩٨) ادى شير : الالفاظ الفارسية المعربة ٤٩ •

(٩٩) انظر : الالفاظ الفارسية المعربة : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٤٨-١٤٩ •

(١٠٠) انظر مثلا ص ٣٦٩ من العين للخليل •

قرأ ، ويبدو أن المعنى الأول جاء من زبر المبدلة من (زَبَر) بالذال التي قالوا انها بمعنى كتب لاغير ، مختلطا مع (زَبَر) الفارسية التي تعني قرأ أو حفظ غيا (١٠١) ، فحصل من ذلك ان اجتمع المعنيان في (زَبَر) بهذه الطريقة من التداخل ، وقد يكون من الغريب أن نجد معنى قرأ الذي استفدناه من الفارسية هو في لغة أهل اليمن ، واليمنيون يسمّون كل كتاب (زَبَر) (١٠٢) ، وبين اليمن وفارس بون بعيد ، ولكننا نستطيع أن نرجع به في هذه الحالة الى الفعل (زَبَر) العبري والذي يعني : تكلم ، تحدث ، خطب ، وما الى ذلك مما يتصل بمعنى القراءة والحفظ غيا ، فيكون الاستعمال اليمني استعمال سامي ، وهو غير الاستعمال الذي ولد اختلاط الفعل (زَبَر) بمعنى كتب ، بالفعل الفارسي (زبر) بمعنى قرأ غيا . ثم تطورت دلالة اللفظة فصارت تعني الانتهاء والعقل وطي البشر وغير ذلك (١٠٣) .

وإذا صح أن تتوصل بدراسة اللغات السامية أو اللغات المتاخمة للعربية في محاولة للوصول الى الجذور اللغوية المشتركة والالفاظ الدخيلة، والوقوف من هذا كله على أصول عريبتنا القديمة فينبغي أن يتم ذلك دون تعسف وقسر ، فقد قلنا ان العربية لغة سامية ، فمن الطبيعي ان يلتفت الى روابطها باللغات السامية وقلنا ان العربية جاورت الفارسية منذ القدم وإلى اليوم فمن الطبيعي أيضا أن يلتفت الى آثار هذا التجاور ، أما أن يكون الابتعاد في هذا المجال حتى تلمس وحدة الجذور اللغوية بين العربية والانكليزية مثلا فهذا أمر واضح التكلف ، فحينما ذكر الاقدمون ضدية

• (١٠١) الالفاظ الفارسية المعربة ٦٩

• (١٠٢) تأثير العربية باللغات اليمنية ٥١

• (١٠٣) المأثور لابي العيشل ٢٨-٢٩

الفعل (باعَ) وانه يعني البيع والشراء (١٠٤) . راح أحد الباحثين يعلل ذلك بقوله : « باعَ يفيد في لغتنا معنيين ، معنى اعطى رجلا ما يملكه بدل ثمن يقبضه ، ومعنى اشترى شيئا من رجل ، فباع بالمعنى الثاني هذا يقابله بالانكليزية (To buy) وهي تلفظ كالعربية ما خلا العين ، فانها ليست في لغتهم ، لأنها من أحرف الحلق ، والا فانها تلفظ (باى) والمعنى واحد » (١٠٥) . وفي هذا التوصل كما قلنا بعد ، فأن تتفق لغتان من لغات البشر على لفظ كلمة معينة بنطق متشابه ، لايعني تأثر احدهما بالآخرى أو اتفاقهما على الاصل المعنوي لهذه الكلمة مالم تتوفر الظروف اللغوية والبيئية المشتركة بينهما التي تسوغ عقد مثل هذه المقارنة ، فالانكليزية لاتمت للعربية بأية قرابة لغوية ، ولم تتجاوز اللغتان حين كان البيع يعني الشراء ، واذا كان مدار الأمر أن يتشابه نطق اللفظة لتعقد الصلة بين اللفظتين ، فهناك ألفاظ أخرى كثيرة يمكن أن تعتمد في مثل هذه الحالة .

تطور الدلالة وشمولية المدلول الاول

مرّ علينا في الفصل السابق المعقود لبحث الدلالة ، ان اللفظة العربية تحيا حياة متجددة متغيرة ، شأنها شأن اللفظة في جميع اللغات الانسانية الحية ذلك ان اللغة باعتبارها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لا بد لها من أن تخضع لتطور المجتمع في عقليته وثقافته ووسائل اتاجه المختلفة ، سالكة في ذلك سبلا عديدة تختلف الدارسون في تحديدها وفي مدى قبولهم لنتائجها . والذي نريد ان نقوله هنا أن سنة التطور شملت دلالة مجموعة من الالفاظ متجهة بها اتجاهاين متقابلين ، فخلقت منها أضدادا تنصرف الواحدة منها الى المعنى وضده في الظاهر ، فتكون اللفظة من هذه الطائفة

(١٠٤) ابن الانبارى ٧٣ وابو الطيب ٤٠/١ ومعاني القرآن ٥٦/١

(١٠٥) انستاس الكرملي : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاؤها

ذات دلالة قديمة عامة تشمل المعنيين المتضادين، بحيث يصح أن يكون كل منهما دلالة تلك اللفظة ومعناها القديم ، وهذا ماندعوه ب (شمولية المدلول الاول) والذي سماه اللغويون القدماء بالتداخل على جهة الاتساع كأبي بكر بن الانباري (١٠٦) . إلا ان علماء الاصول كانوا يصطلحون احيانا على مثل هذه الالفاظ ب (المشترك المعنوي) مفرقين بينها وبين الفاظ المشترك اللفظي التي صرحوا باستحالة العمل بمقتضاها لعدم العلم بها (١٠٧) . وعلى هذا فالأضداد التي تدرج تحت هذا العنوان ، والتي يمكن أن يستشعر فيها التطور الدلالي بسهولة ، على طائفتين : الأولى هي الالفاظ التي كان لها مدلول عام تطور على جهة التخصيص الى مدلولين متضادين . والثانية هي الالفاظ التي تطورت مدلولاتها وانتقلت الى مجال آخر لعلاقة مكانية أو سببية بين المدلولين فكانت من الاضداد . ومن أمثلة الطائفة الاولى :

١ - القرء : للطهر والحيض (١٠٨) . والظاهر ان المدلول الاول للفظه هو (الوقت) كما صرح بذلك ابو عمرو بن العلاء فقال : « انما القرء الوقت فقد يجوز أن يكون وقتا للطهر ووقتا للحيض ، وأقرأت الرياح هبت لوقتها ، والقارئ الوقت ، وقال مالك بن الحارث الهذلي : كرهت العقر عقر بني شليل اذا هبت لقاريتها الرياح وأنشد أبو عمرو هذا البيت ، أى هبت الرياح لوقتها في الشتاء » . (١٠٩) ويبدو من كلام أبي عمرو أنه لا يرى اعتبار اللفظة من الأضداد ، وذلك

(١٠٦) ابن الانباري ٨ .

(١٠٧) الاصول للخضري ١٧٦ عن مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٢٤٣/٢ .

(١٠٨) ابن الانباري ٢٧ وابو الطيب ٥٧١/٢ وفقه اللغة للشعالبي ٥٦٥ .

(١٠٩) الاصمعي ٥ وابن السكيت ١٦٤ .

لتأكيد معنى الوقت فيها ، بحيث أدى شمول هذا المدلول الى أن يصدق على طهر المرأة وحيضها ، لأن كليهما وقت معتاد تعرفه هي . فنخصص عند فقهاء العراق بمعنى الحيض وعند فقهاء الحجاز بمعنى الطهر ، وغاب هذا المعنى العام عنهم جميعا ، فبنوا أحكامهم المختلفة تبعا لاختلاف الدلالاتين الخاصتين كما هو مفصل في كتبهم ، وتبعهم في ذلك الاضداديون .

٢ - الصَّريم : الليل والنهار (١١٠) . والمدلول الاول لهذه المادة على ما بينه قطرب هو (المنقطع) ، قال : « ومن ذلك يقال : صريم الزمان أى منقطع من معظمه ، ومنه يقال : الصرمة من البيوت أى القطعة ، ومنه يقال : صرمة من الابل ، ومنه يقال : صرم ما بيني وبينه أى قَطَعَهُ ، ومنه يقال : سيف صارم ، ومنه يقال : صرَم الناس النخل ، ومنه يقال : صريمى أى بذمى وقطعي الأمر » (١١١) . قال ابن الانباري : « فمن ذلك : الصَّريم ، يقال ليل صريم ، وللنهار صريم ، لان الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع » (١١٢) . فعلى هذا تكون الدلالة قد تخصصت بالليل مرة وبالنهار أخرى ، لأن كلا منهما ينقطع عن صاحبه ، فيصح على كلا المنقطعين أن يقال (صريم) ، وبهذا الشكل من النظر نستطيع معرفة منشأ التضاد في هذه اللفظة ، وهو منشأ ولده تطور الدلالة عن طريق التخصيص . ولا وجه لقول أحدهم في هذا الصدد : « وهذا المذهب كما ترى جدلي ، ونظن القائلين به من علماء الكلام » (١١٣) . فلا أثر للجدل فيه ولا القائلون به من علماء الكلام ، فهل

(١١٠) ابن الانباري ٨٤ وابو الطيب ٤٢٦/١ والاصمعي ٤٢ وابو حاتم ١٠٥ وابن السكيت ١٩٥ والصناني ٢٣٥ وقطرب ٢٦٦ وادب الكاتب ١٦١ وفقه اللغة للشعالبي ٥٦٥ والغريب المصنف ٥٢٠ والمزهر ٣٩٠/١ ولطائف اللغة ١٤٧ .

(١١١) قطرب ٢٦٦ .

(١١٢) ابن الانباري ٨ وانظر : فقه اللغة للشعالبي ٤٦٨ .

(١١٣) الرافعي : تاريخ آداب العرب ١٩٨/١ .

البحث في الدلالة القديمة للفظ ودراسة تطور هذه الدلالة وتخصصها في معنيين متضادين ، يسمّى جدلاً أو كلاماً ؟ والدرس اللغوي الحديث أقرّ هذه النظرة وتوسّع فيها كثيراً ، ثم هل أثر عن قطرب وابن الانباري وهما أول من أشارا الى هذه الناحية كما نقلنا ذلك ، هل أثر عنهما انهما من الجدليين أو الكلاميين ؟ فالأول - على اجمال قوله وعفويته - لم يعاصر تضخم الدراسات الكلامية والفلسفية بعد ، صحيح انه تأثر بها في منهجه النحوي على يد سيبويه ، الاّ انه لم يكن من (علماء الكلام) على حدّ تعبير الاستاذ الباحث . أما ابن الانباري فكان بحكم منهجه المدرسي وتلمذته ثعلب وتلقيه علوم الكوفيين ، أبعد ما يكون عن الجدل والكلام خصوصاً في دراسته اللغوية والنحوية .

٣ - السُدْفَة : للضوء والظلمة (١١٤) . وقد مرّ في الكلام على اللهجات ان المعنيين لغتان قيسيتين ، وانهما يرجعان الى معنى عام هو اختلاط الضوء بالظلمة ، ثم تحدد معناها وتخصص عند القيسيتين ، لان المدلول الأول كان يشمل المعنيين المتضادين . ثم بفعل تطور الدلالة عن طريق انتقال مجالها صارت السُدْفَة تعني الباب أو السترة التي على الباب ، وذلك لانهما يمنعان شدة الضوء ويشفان عنه ، فيكون من الداخل حال بين الضوء والظلمة (١١٥) . ثم استعمل منه الفعل (أُسْدِفَ) أى تَنَحَّجَ عن الضوء ، تقال للواقف على الباب يسدّ النور الداخل منها الى البيت المظلم ، تقال له لكي يدخل ضوء فتكون سُدْفَة . ومما يؤكّد ان المدلول الأول كان يعني اختلاط الضوء بالظلمة انهم كانوا يطلقون السدفة على الفجر لاختلاط بقايا ظلام

(١١٤) الاصمعي ٣٥ وابن السكيت ١٨٩ وابن الانباري ١١٤ وابو الطيب ٣٤٦/١ والغريب المصنف ٥١٨ والمزهر ٣٨٩/١ ولطائف اللغة ١٤٧ وابدال ابي الطيب ١٥٥/١ ومجالس ثعلب ٤٢٠/٢ ونوادر أبي زيد ١٧٧ وأدب الكاتب ١٦١-١٦٢ وكليات مختلفة لغوية (مخطوط) ١١٧ .
(١١٥) ابدال ابي الطيب ٣٨١/١ .

الليل بأول ضوء الصبح كما نقل ذلك ابن قتيبة (١١٦) . قال الشاعر :

قد أسدَفَ اللَّيْلُ وصاحَ الحِنْزَابُ

والحِنْزَابُ هو الديك ، وهو يصيح في الفجر حين يسدَفُ الليل

ويختلط ظلامه بضوء النهار ، وقال ابن مقبل :

وليلةٍ قد جعلتُ الصُّبْحَ موعدَها بصُدرةِ العنسِ حتى تعرفَ السَّدَفُ

قال ابن الانباري في تفسيره : « العنس : الناقة . ومعنى البيت اني

كلفت هذه الناقة السير الى أن يبدو الضوء وتراه » (١١٧) . وهو أمر لا يتحقق

الا فجرا . وهكذا نجد أن معني الظلمة والضوء ماهما الا نصفا المعنى

الشامل ، بافتراقهما يكون التضاد الذي وجدناه في (السدفة) .

٤ - عَسَّسَ : اقبل وأدبر (١١٨) . وذلك في قوله تعالى : (والليل

إذا عسَسَ) (١١٩) ، والمعنيان كما يبدو يرجعان الى المعنى الشامل وهو

(أظلم) أو (رقت ظلمته) . قال ابو حاتم يناقش الشواهد التي ذكرت

لمعنى الاقبال ومعنى الادبار : « ولا اظن ها هنا معنى أكثر من الاسوداد ،

عسَسَ : أظلم واسود في جميع ما ذكر » (١٢٠) . وقال ابن دريد :

« عسَسَ الليل ، اذا رقت ظلمته ، وكذلك فسر في التنزيل (١٢١) ،

ومثل ذلك ما قال الصَّاحِبُ بن عباد في معجمه (١٢٢) . وبيان ذلك ان الليل

يرق ظلامه في أوله وآخره ، أي عندما ينصرم منه النهار فيقبل ، وعندما ينصرم

(١١٦) ادب الكاتب ١٦٢ .

(١١٧) ابن الانباري ١١٤ .

(١١٨) قطرب ٢٦٦ وابو الطيب ٤٨٨/٢ والاصمعي ٨ وابن السكيت

١٦٧ وابو حاتم ٩٧ والصغاني ٢٣٩ .

(١١٩) التكوين ١٧ .

(١٢٠) ابو حاتم ٩٨ .

(١٢١) الاشتقاق ٢٤٨ .

(١٢٢) المحيط في اللغة ق ٢ ب .

هو من النهار فيدبر، فرقة الظلمة متحققة في الاقبال والادبار، والتخصيص
انما حدث بعد ذلك ، ولعله منذ تفسير القرآن .

٥ - الجَوْن : للاسود والايض^(١٢٣) . وقد مرّ ان اللفظة تعني
في اللغات السامية (اللون) مطلقا ، وكثر استعمالها في العربية منصرفة الى
الايض والاسود ، الاّ انه يظهر من بعض الاشارات ان اللونين الايض
والاسود كانا يرجعان الى معنى يشملهما جميعا ، بحيث يكون اطلاق
(الجون) على الشيء الذي يتوفر فيه السواد والياض ، من ذلك تسمية
الحمار الوحشي بالجون^(١٢٤) ، لاختلاط السواد والياض في جلده .
وأبو الجون : « هو النمر للسواد والياض الذي فيه »^(١٢٥) فيكون
تخصيص دلالة (الجون) في العربية قد مرّ بمرحلتين : الاولى انتقلت
فيها الدلالة من معنى اللون المطلق الى معنى اخص هو اختلاط الياض
بالسواد والثانية انتقلت فيها الدلالة من معنى اختلاط الياض بالسواد الى
معنيين متضادين كل منهما أخص من معنى اختلاطهما هما الاسود والايض .

٦ - الصَّارِخ : المغيث والمستغيث^(١٢٦) . يقول ابن الانباري :
« سُمِّيَ بذلك لان المغيث يصرخ بالاغاثة ، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ،
فأصلهما من باب واحد »^(١٢٧) . فالصارخ متحقق في الاثنين بل متحقق

(١٢٣) ابن الانباري ١١١ وابو الطيب ١٥١/١ والغريب المصنف
٥١٩ ومعاني الشعر ١٣٦ وابل الاصمعي ١٢٧ ومجالس ثعلب ٣٠٦/١ ،
٦١٤/٢ وادب الكاتب ١٦١ وفقه اللغة للشعالبي ٤٦٨ وشمس العلوم
للحميري ٣٧١/٢ .

(١٢٤) اشتقاق ابن دريد ٢٢٤ .

(١٢٥) المرصع لابن الاثير ١٢١ .

(١٢٦) قطرب ٢٧٣ والاصمعي ٥٣ وابو حاتم ١٠٤ وابن السكيت

٢٠٨ والصغاني ٢٣٥ وابو الطيب ٤٢٩/١ وابن الانباري ٨٠ والغريب

المصنف ٥٢١ والمزهر ٣٩٠/١ ولطائف اللغة ١٥١ .

(١٢٧) ابن الانباري ٨-٩ .

في كل صارخ ، وانما تخصصت الدلالة في المغيث والمستغيث لشهرة صراخهما ؛ ذلك ان المستغيث يعتمد الصراخ لطلب العون والنجدة والاغاثة، فاذا سمع المغيث صراخه ردّ عليه بصوت عال كالصراخ يخبره انه مستعد للاغاثة والمعاودة ، فالصراخ جامع مشترك بين المغيث والمستغيث .

٧ - الجَلَل : للعظيم والحقير^(١٢٨) . والظاهر ان اصل معناها (الغاية) كما ذهب الى ذلك ابن حبيب البصري وقال : « جَلَل : حرف موضوع للغاية في الشيء ، فيوصف به العظيم والحقير ، ثم قام مقام الموصوف فكان ضدا »^(١٢٩) . اما ابن الانباري فانه وان عدّ الجَلَل في الالفاظ التي تداخلت معانيها على جهة الاتساع الا انه اخطأ تأويل المدلول الشامل وقال : « والجَلَل اليسير ، والجَلَل العظيم ، لان اليسير قد يكون عظيما عند ما هو أيسر منه ، والعظيم قد يكون صغيرا عند ما هو أعظم منه »^(١٣٠) فهذا الذي يقوله ابن الانباري ليس بيانا لمدلول عام قديم تطور فاختص بالضدين ، وانما هو تفسير يقوم على فكرة التناسب بين المعنيين المتضادين ، وهو تفسير بعيد عما نحن فيه . ويظهر كذلك ان اختصاص المعنى في الصغرواليسر اقدم من اختصاصه بالكبروالعظم، ذلك ان الاصمعي حين نقل عن ابي عمرو الشيباني ضديتها عاد فقال : « ولا أعرف الجَلَل في معنى العظيم »^(١٣١) . ومن هذا يبدو انها تطورت من الغاية في الشيء، الى الغاية في الصغر ، فالشيء الصغير ، ثم رجع الى معنى الغاية في الشيء، وفي هذه المرة للغاية في الكبر ، فالشيء الكبير .

(١٢٨) قطرب ٢٤٦ والاصمعي ٩ وابو حاتم ٨٤ وابن السكيت ١٦٧ والصغاني ٢٢٦ وابن الانباري ٨٩ وابو الطيب ١٤٥/١ وامالي القسالي ١٠٠/٢ وادب الكاتب ١٦٢ ، وانظر الملاحن لابن دريد ٤١ وشمس العلوم للحميري ٢٨٠/٢ .

(١٢٩) مقدمة لدرس لغة العرب للعليلي ٢٢٤ .

(١٣٠) ابن الانباري ٩ .

(١٣١) الاصمعي ١٠ .

٨ - الوراء : للخلف والقدام (١٣٢) . واصل المعنى من (المواراة والاستتار) وهي دلالة تشمل الخلف والقدام اذا استترا ، يقول الآمدي : « وكذلك وراء انما هي من المواراة والاستتار ، فما استتر عنك فهو وراء ، خلفك كان أو قدامك ، هذا اذا لم تره أو تشاهده ، فأما اذا رأيته فلا يكون أمامك وراء » (١٣٣) وشبه بهذا ما قاله ابن حبيب البصري (١٣٤) ، وعلي بن حمزة (١٣٥) . وقد استعملها العرب في ملاخمتهم وأحاجيتهم بهذا المعنى أيضا (١٣٦) ، وتحفظ أصوات اللفظة نفسها بمعنى المواراة وأصواتها . ويمكن تفسير جميع ما استشهد به على المعنيين بهذه الدلالة العامة بالشرط الذي ذكره الآمدي ، والا فهي متخصصة بمعنى الخلف منذ القديم .

٩ - هوى : بمعنى هبط وبمعنى صعد (١٣٧) . يقول الحريري : « وليس كذلك بل معناه (الاسراع) الذي يكون في الصعود والهبوط ، وفي حديث البراق : فانطلق يهوى به ، أي يسرع » (١٣٨) .

١٠ - المآتم : لاجتماع النساء في الفرح ولاجتماعهن في الحزن (١٣٩) . وانما هو في الاصل (الاجتماع) مطلقا للرجال أو النساء ، في الفرح أو

(١٣٢) ابن الانباري ٦٨ وابو الطيب ٦٥٧/٢ وقطرب ٢٥٩ والاصمعي ٢٠
وابو حاتم ٨٢ وابن السكيت ١٧٥ والجمهرة ٤٩٥/٣ والصحاح
(وري) ٢٥٢٣ والمأثور لابى العميث ٨٣-٨٤ وادب الكاتب ١٦٣

ونوادر ابى زيد ٤٦ .

(١٣٣) الموازنة ١/١٧٣ .

(١٣٤) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٢٤-٢٢٥ .

(١٣٥) التنبيهات ١٣٨ .

(١٣٦) الملاحن لابن دريد ٦٢ .

(١٣٧) قطرب ٢٦٥ وابو حاتم ١٠٠ والصفاني ٢٤٨ .

(١٣٨) درة الغواص ١٩٨-١٩٩ .

(١٣٩) قطرب ٢٧٠ وابو حاتم ١٤٢ والصفاني ٢٢٢ وابن الانباري ١٠٣

وابو الطيب ١٨/١ والاقتضاب ١٠٩-١١٠ .

الحزن • فتخصص أول الامر في اجتماع النساء دون الرجال في فرح أو حزن ، ثم تخصص لاجتماعهن في كل منهما دون الآخر والى هذا التفسير ذهب ابن الانباري وأبو الطيب •

١١ - الطَّرب : للفرح والحزن^(١٤٠) • وهو في الاصل (الحركة) التي تلحق الانسان في حالتي الفرح والحزن • يقول ابن ابي السرور : « ومنه قولهم : حصل لفلان الطرب ، يخصونه (بحركة) الفرح ، وهو يطلق على (حركة) الحزن أيضا •• »^(١٤١) فهو اذن مطلق الحركة ، ولذا قال ابن الانباري في تعليقه على هذه المادة : « لان الطرب ليس هو الفرح ولا الحزن ، وانما هو خفة تلحق الانسان في وقت فرحه وحزنه ، فيقال : قد طرب اذا استخف »^(١٤٢) • وهذه الخفة التي تلحق الانسان هي الحركة ، وهي الدلالة العامة ، قبل ان تخصص في الفرح أو في الحزن وتكاد تكون الان متمحضة لعنى الفرح ، فتكاد تكون دلالتها على الحزن منقرضة •

١٢ - الجَعْفَر : للنهر الكبير وللنهر الصغير^(١٤٣) • وانما هو (النهر) مطلقا كبراً أم صغراً ، وقد جرى الاستعمال في تخصيصه بالكبير أو بالصغير ، يقول ابن دريد : « الجعفر : النهر ، فاذا كان صغيراً فهو فلج ، فاذا جاوز ذلك فهو ينبوع ، فاذا اتسع قليلاً فهو سرتى •• »^(١٤٤) وهكذا ، فالتوسع في الاستعمال هو الذي طور الدلالة بحيث ساغ تخصيص اللفظة بالصغير من الأنهار وبالكبير منها ، واطلق على كل منهما ما يطلق على جميع الأنهار ، وقد حدد ابن دريد أسماء الأنهر حسب كبرها وصغرها •

(١٤٠) الاصمعي ٥٨ وابن الانباري ١٠٢ والصغاني ٢٣٧ والقول المقتضب ١٦ •

(١٤١) القول المقتضب ١٦ •

(١٤٢) ابن الانباري ١٠٣ •

(١٤٣) الصغاني ٢٢٦ •

(١٤٤) الاشتقاق ٦٣ •

١٣ - بَشَرْتُهُ : للاخبار بالخير وللأخبار بالشر • وإنما هي ترجع الى معنى (الأثر في البشارة) الذي وضعه الحريري فقال : « والعلة فيه أن البشارة إنما سميت بذلك لاستبانة تأثير خبرها في بشرة من بشر بها ، وقد تتغير البشارة للمساءة بالمكروه ، كما تتغير عند المسرة بالمحسوب » (١٤٥) •
فالبشارة تصلح أن تكون في الحالين لاحتوائها هذا المعنى الشامل •

١٤ - وَعَدَ : للخير والشر • واستعملت في القرآن لكليهما ، ومعنى (الوعد) شامل جامع لكليهما الحاليتين ، ويصلح ان يكون وعدا في الخير وفي الشر (١٤٦) •

١٥ - دُرْعٌ : لليلي السود الصدور البيض الاعجاز من آخر الشهر واليلي البيض الصدور السود الاعجاز من أول الشهر ، وللغمم البيض المقادم السود المآخر وللغمم السود المقادم البيض المآخر (١٤٧) • وواضح ان المعنى الاصيل هو (اجتماع اللونين في شيء واحد) بحيث يكون اللون الذي في الصدر درعا لذلك الشيء ، فاليلي التي صدورها بيض واعجازها سود تدرع بالبياض فهي درع والعكس صحيح وذلك بأن تدرع بالسواد وكذلك الغم ، وعلى هذا يكون اشتقاق التسمية من الدرع ، والمعنى اجتماع اللونين • وبمثل هذا التفسير نعالج : الرحلاء ، الرثماء ، المطرف ، الاملح ، الوشحاء (١٤٨) •

١٦ - الذَّقَرُ : للرائحة الطيبة والرائحة المنتنة (١٤٩) • وهي في

(١٤٥) درة الغواص ١٤١ •

(١٤٦) درة الغواص ١٤١ •

(١٤٧) قطرب ٢٦٧ وابو حاتم ٩٨ والصفاني ٢٢٩ وابن الانباري ٢٦٥

وابو الطيب ٢٧١/١ •

(١٤٨) ابو الطيب ٣٢٩/١ ، ٣٢٩ ، ٤٦٥ ، ٦٣٢/٢ ، ٦٥٧ •

(١٤٩) قطرب ٢٦٢ والاصمعي ٥٨ وابو حاتم ٩٦ والصفاني ٢٣٠ وابن

الانباري ٨٨ وابو الطيب ٢٧٧/١ •

الاصل (الرّائِحَة) يقول الاصمعي : « والذفر بالذال المعجمة وتحريك الفاء ، يقال لكل ريح ذكية شديدة من طيب أو متن ذفر » (١٥٠) ، وهذا ما دعا قطربا أن يذيل كلامه عليها بقوله « وكأنها من الاضداد » (١٥١) .
 اذ هي بهذا المعنى العام للرائحة لا يمكن أن تكون من الاضداد في الاصل ،
 وانما صرفها الى ذلك التوسع في الاستعمال بتخصيص دلالتها بالمعنيين المتضادين ، ومع ذلك فلا يكفي أن يقال (ذَفَر) لكي ينصرف المعنى الى الطيب والتتن من الرائحة ، وانما يجب ان « يفرق بينهما بما يضاف اليه ويوصف به » (١٥٢) . ومن هذه الطائفة ايضا : (باعَ واشتَرى) و (الزَّوْج) و (دون) و (النَّبَل) و (السُّرُر) و (الأطلال) و (القَلَت) و (العَلَّاقَة) و (الحرْمَة) وغيرها .

ومن اضداد الطائفة الثانية التي قلنا انها تطورت فتغير مجال دلالتها ، وانتقلت الى ما يوحي بان المعنى الجديد ضد المعنى الاول ، فمن امثلتها ايضا :
 ١ - الظَّعِينَة : للهودج وللمرأة . (١٥٣) وكان اطلاق الطعينة أصلا على الهودج ثم انتقلت الدلالة الى المرأة التي في الهودج للعلاقة المكانية بين الاثنين ، ثم على كل امرأة وان كانت في بيتها لتشابهه جنس المرأتين . وقد اشار الى هذا غير واحد من القدماء ، كأبي زيد الانصاري الذي قال : « الظعائن هي الهودج ، وانما سميت النساء ظعائن لانهن يكنن في الهودج » (١٥٤) ، ومثل ذلك ما قاله ابن الانباري في هذه المادة و اضاف

(١٥٠) الاصمعي ٤٢ وابن السكيت ١٩٦ .

(١٥١) قطرب ٢٦٢ .

(١٥٢) الاصمعي ٥٨ .

(١٥٣) الاصمعي ٤٦ وابن السكيت ٢٠٠ وابن الانباري ١٦٤ والصغاني

٢٣٧ .

(١٥٤) الغريب المصنف ٥٤٦ وانظر : الاصمعي ٤٦ وابن السكيت ٢٠٠ .

« والاصل ذاك » (١٥٥) يعني الهودج ، ووضحه ابن دريد بقوله :
« ولا تسمى المرأة ظعينة حتى تكون في هودج ، ثم كثر ذلك في كلامهم
حتى لزم المرأة اسم الظعينة » (١٥٦) .

٢ - الكأس : للأناء وللشراب الذي فيه (١٥٧) . والاصل في
المعنى (الزجاجة المملوءة) ثم انتقل في الاستعمال الى السائل الذي فيها ،
وهذا التطور واضح الترابط والعلاقة ، يقول الفراء : « الكأس الاناء بما
فيه ، فاذا شرب الذي فيه لم يقل له كأس ، بل يرد الى اسمه الذي هو
اسمه من الآية » (١٥٨) ، ويقول الثعالبي : « لا يقال كأس الا اذا كان
فيها شراب ، والا فهي زجاجة » . (١٥٩) ولهذا عبر ابن الانباري في صدر
كلامه على هذه المادة بأنها (من الحروف المشبهة للاضداد) ، فكأنه حين
عرف منشأ هذا التجوز في تسمية الشراب بـ (الكأس) شك بضدية
اللفظة .

٣ - الكُنْتِي : للعاجز وللقوي (١٦٠) . والظاهر ان المعنى تطور
من الفعل (كُنْتُ) الذي يكرره الشيخ العاجز في كلامه للاخبار عن
قوته وقوته التي كانت له ايام شبابه فيقول : كنت وكنت ، فارتبط
حال المتكلم بمعنى العجز فنسب للفعل فقيل (كُنْتِي) ، وبالمقابل ارتبطت
اشارة المتكلم الى الشباب الذي ولّى بالمعنى المضاد فصارت النسبة للفعل

(١٥٥) ابن الانباري ١٦٤ .

(١٥٦) الاشتقاق ١١٧ .

(١٥٧) الاصمعي ٤٦ وابن السكيت ٢٠٠ وابن الانباري ١٦٢ والصغاني
٢٤٣ .

(١٥٨) ابن الانباري ١٦٢ .

(١٥٩) فقه اللغة ٥٠ .

(١٦٠) الحلل في اصلاح الخلل للبطلينوسي ٣٢١ وسر صناعة الاعراب
٢٣٠/١ ولسان العرب ٣٦٩/١٣ وتاج العروس ٧٠/٥ .

تدل على القوة ، حتى جرى الاستعمال بهذين المعنيين للدلالة على القوة
وعلى الضعف ، كقول الشاعر يذكر كبره وعجزه :

فأصبحت 'كُنْتِيَا' وأصبحت 'عاجِنِيَا'

وشرَّ خصالِ المرءِ كنتُ 'وعاجِنُ' (١٦١)

يقول ابن جني معلقا عليه : « فقلوله كُنْتِيَا ، معناه انه يقول : كنت في
شبابي أفعل كذا وكنت في حداثتي أصنع كذا » . (١٦٢) وقريب من هذا
ما قاله الجوهري وابن منظور (١٦٣) . ومن الغريب أن يبلغ التطور في
هذه اللفظة فيكون ضمير اشكلم وهو (التاء) حرفاً أصيلاً في الفعل
وتدخل هذه المادة بعض المعجمات اللغوية مبتعدة عن بابها ، يقول الزبيدي :
« يقال : كُنْتَ فلان في خلقه ، وكان في خلقه أي قوى ، فهو كتي
وكانتي ، وقال ابن بزرج : الكتي ككرسي : القوى الشديد (١٦٤) » .

٤ - المَقْوَى : للمسافر الذي فني زاده وضعف ركابه وللمسافر
الذي كانت ركابه قوية وزاده وفيرا (١٦٥) . والمادة من أقوى المكان اذا
أقفر ، وأرض قواء مقفرة ، وأقوى المنزل خلا من أهله ومنه قول النابغة :
يادارَ مَيَّةَ بالعلاءِ فالسَّنْدِ أقوتُ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ
أي خلت وأقفرت فالمسافر الذي يقطع القواء يفنى زاده ويضعف ركابه
فهو مقو بهذا المعنى . ثم تطورت الدلالة الى عكس هذا المعنى بعد ملاحظة

(١٦١) فتيا فقيه العرب ٣٦ .

(١٦٢) سر صناعة الاعراب ١/٢٣٠ .

(١٦٣) لسان العرب ١٣/٣٦٩ .

(١٦٤) تاج العروس ٥/٧٠ .

(١٦٥) قطرب ٢٥٣ والاصمعي ٨ وابو حاتم ٩٣ وابن السكيت ١٦٧
والصغاني ٢٤٣ وابن الانباري ١٢٢ وابو الطيب ٢/٥٦٩ وغريب
القرآن لابي بكر السجستاني ١٦٥ وما اتفق لفظه واختلف معناه .

ان هذا المسافر لا بد له من أن يتزود بما يكفي من زاد وأن يصطحب الركائب القوية لعبور القواء المقفر ، فهو مقو كذلك بهذا الاعتبار • وقد يكون المعنيان قد جاءا من أصلين مختلفين ، بأن يكون معنى فناء الزاد وضعف الركاب من (أقوى) ومعنى وفرة الزاد وقوة الركاب من (قَوِي) واشتق من كليهما (المقوى) فاختلط ذلك على الاضداديين ، وقد نستشعر هذا التفسير من قول الفراء : « وسمع الكسائي العرب تقول : أصبحت مقويا أي ابلك قوية ، وأصبحت مضعفا أي ابلك ضعاف ، تريد ضعيفة من الضعف » (١٦٦) ، فهذا التقابل الذي ذكره الفراء عن الكسائي بين المقوى والمضعف قد يؤكد ان المقوى من القوة - الذي يقابله المضعف من الضعف كما نص على ذلك - هو غير المقوى من القواء بمعنى الفراغ •

٥ - الرَّهْو : للارتفاع والانخفاض (١٦٧) • وفي الحقيقة ان كلا من المعنيين مرتبط بالآخر ارتباطا سببيا ومكانيا ، ذلك انهم استشهدوا على كل منهما بما يدل على أن الأمرين حاصلان معا ، فقرب كل انخفاض ارتفاع وقرب كل ارتفاع انخفاض ، فكل واحد من المعنيين متطور في الاستعمال عن الآخر ومنتقل اليه ، ومما يؤكد ذلك استعمال الرهو بمعنى الفجوة بين مكانين ، وقد نقل عن الاصمعي انه قال : « مرّ فالج بأعرابي فقال : سبحان الله ، رهو " بين سنامين » (١٦٨) • فلا تكون هناك فجوة بين مكانين ما لم يكن هناك ارتفاع على جانبيهما ، فانتقال مجال الدلالة واضح في هذه المسألة ، ولعل معنى الفجوة متطور أيضا عن معنى (الفضاء)

(١٦٦) معاني القرآن ٢/ ٣٢٥ •

(١٦٧) قطرب ٢٦٢ والاصمعي ١١ وابن السكيت ١٦٩ وابو حاتم ٩٣ وابن الانباري ١٤٨ وابو الطيب ٢٨٤/١ والصغاني ٢٣١ وتفسير القرطبي ١٦/ ١٣٧ وأدب الكاتب ١٦٢ والبارع ٩٤-٩٥ وكميات مختلفة لغوية (مخطوط) ١١٧ •

(١٦٨) المأثور ٢٧ •

فقد ذكر ابن دريد أن : « الرَّهَاء : الفضاء من الارض » (١٦٩) . فمن
 معنى الفضاء انتقل الى معنى الفجوة بين مكانين أو ارتفاعين ، ومن مشاهدة
 الانحدار من أحد الارتفاعين الذي يستتبعه الصعود في الارتفاع المقابل ،
 صارت اللفظة تعني الانحدار على حدة ، والارتفاع على حدة . وبمثل هذا التفسير
 ينبغي أن تفسر : (التلعة) لما ارتفع من الوادي ولما انخفض (١٧٠) .
 و (فرع) اذا أصد و اذا انحدر (١٧١) ، و (نزلات في الجبل) علوت
 وانحدرت (١٧٢) . و (الشرف) للارتفاع والانحدار (١٧٣) . فهي
 جميعا من هذا القيل .

٦ - المائل : للقائم المنتصب وللأطىء بالارض (١٧٤) . فمعنى
 مثل : شخص ، ومنه مثل بين يديه أي شخص وحضر ، والاصل ان يكون
 مثول الانسان وقوفا وانتصابا ، فقيل المائل هو القائم المنتصب اتقالا من
 معنى الشخص والحضور ، ثم لما رأوا أن هذا المائل قد صدع بأمر من
 مثل بين يديه وأخذ يتعد صار المثول يعني الذهاب ، ومنه قيل : « رأيت
 شخصا ثم مثل اي ذهب فلم أره ، قال الهذلي :

- (١٦٩) الاشتقاق ٤٠٥ .
 (١٧٠) قطرب ٢٤٨ والاصمعي ٢٠ وابن السكيت ١٧٥ وابو حاتم ١٠٩
 وابن الانباري ٢١٨ وابو الطيب ١٠٣/١ والصغاني ٢٢٥ والغريب
 المصنف ٥٤٠ وادب الكاتب ١٦٢ .
 (١٧١) قطرب ٢٥٧ والاصمعي ٣٤ وابن السكيت ١٨٨ وابو حاتم ٩٥
 وابن الانباري ٣١٥ وابو الطيب ٥٣٤/٢ والصغاني ٦٠٨ وادب
 الكاتب ١٦٣ وديوان الادب (مخطوط) ق ٢٠٨ وسمط اللآلي
 ٢١٤/١ .
 (١٧٢) الافعال لابن القوطية ١٥١ .
 (١٧٣) قطرب ٢٥٢ وابن الانباري ٢٠٣ .
 (١٧٤) الاصمعي ٣١ وابو حاتم ١١٤ وابن السكيت ١٨٦ والصغاني ٢٤٥
 وابن الانباري ٢٨٨ وابو الطيب ٦٢٥/٢ وادب الكاتب ١٦٢ وأما
 القالي ٥٨/١ والغريب المصنف ٥٢٢ والمزهر ٣٩١/١ .

يُقَرَّبُهُ 'النَّهْضُ' النَّجِيجُ' مَا يَرَى فَمِنْهُ بَدُوٌّ مَرَّةً وَمَثُولٌ' (١٧٥)

أي ظهور وذهاب ، وقد قصر ابو الطيب اللغوي تضاد اللفظة على هذين المعنيين أعني الانتصاب والذهاب (١٧٦) ، خلافا لغيره . ويمكننا أن نلمح في الذهاب بواذر الانتقال الى اللاطيء بالارض ، وذلك لأن عين الناظر لا يمكن أن تحقق انتصاب الرجل من بعيد ، وتحسبه وكأنه لا طيء بالارض من صغر شخصه النائي ومنه قول زهير : (فمنها مستبينٌ ومائلٌ) اي دارس (١٧٧) . ومع ذلك فاني أجد في نفسي ميلا الى تعليل لا يخلو من غرابة لعدم امتلاكه دليلا على صحته ، وهو ان المائل بمعنى اللاطيء قد انتقل الى اتصاف الانسان به من اتصاف الكلب به قبله ، لأن الكلب يمثل لاطئا بالارض بين يدي صاحبه ، وهو أمر مشاهد الى اليوم ، وعندما أجبر العبد على المثول بين يدي سيده على هذه الصورة التي يتحقق فيها عمق الذلة والهوان ، صارت الصفتان (المنتصب) و (اللاطيء) صفتي المائل من الناس .

٧ - الشَّعْبُ : للجمع والتفريق أو للإصلاح والافساد (١٧٨) .

ويبدو ان اصل معناها الذي كانت تنصرف اليه هو (القبيلة) فهي الشعب والجماعة الشعوب (١٧٩) . ثم لما كانت القبيلة الواحدة تنشطر بعد اتساعها وكثافة أفرادها الى قبائل أصغر هي البطون أو الافخاذ صارت كل واحدة منها شعبا ، فداخل في عملية الانقسام هذه معيان : الاول معنى التفرق الذي

(١٧٥) أمالي القالي ٥٨/١ .

(١٧٦) ابو الطيب ٦٢٥/٢ .

(١٧٧) أدب الكاتب ١٦٢ .

(١٧٨) قطرب ٢٦١ والاصمعي ٧ وابو حاتم ١٠٨ وابن السكيت ١٦٦

والصفهاني ٢٣٤ وابن الانباري ٥٣ وابو الطيب ٤٠٠/١ وادب

الكاتب ١٦٣ والمخصص ٢٦١/١٣ والتنبيهات ٦٢ ٠٢

(١٧٩) المأثور ٥٨ .

ولده الانقسام والابتعاد بين بطون القبيلة الكبيرة وافخاذها • والثاني معنى التجمع الذي احتفظت به القبيلة الأم ، فكل (شَعْب) تجمع واتحاد للجماعات في مكان وزمان واحد ، وكل (شَعْب) تفرق وابتعاد لهذه الجماعات ، ومنه قيل للشجرة شعب ولاغصانها شعوب وشعب • فالشعب اذن جمع وتفریق ، وواضح ان معنى الجمع يوحى بمعنى الاصلاح وان التفریق يوحى بمعنى الافساد • وسميت الميَّة شَعُوب لانها تفرق بين الانسان وبين أهله ، وتصدع كل اجتماع •

٨ - الزُبِيَّة : لحفيرة يصاد بها الأسد ، ولحفيرة تحفر في اماكن عالية (١٨٠) • والاصل في معنى الزبية هي الحفيرة التي تحفر للأسد ، وانما اطلقت أيضا على الحفائر المحفورة في الاماكن المرتفعة فلأن زبى الاسد هي مما يحفر في علو لئلا يبلغها السيل فتنتظم ، لذا فان انتقال الدلالة حادث لوجود هذه العلاقة المكانية بين الحفرتين • وقد رد علي بن حمزة بهذا المعنى على ابن ولاد الذي ذكر تضاد اللفظة ، وقال : « وقد هم في هذا القول ، وانما تحفر الزبى للأسد في الاماكن العالية ، فلذلك قالوا : قد بلغ الماء الزبى » (١٨١) • ومثل هذا التفسير ما قاله الفراء (١٨٢) ، والمبرد (١٨٣) ، وابو الطيب (١٨٤) • ومما يقوى ذلك أن : « الزُبِيَّة أيضا : حفرة النمل ، والنمل لا تفعل ذلك الا في موضع مرتفع » (١٨٥) •

(١٨٠) قطرب ٢٧٧ والاصمعي ٥٥ وابو حاتم ٨٧ وابن السكيت ٢٠٦ والصغاني ٢٣١ وابن الانباري ٣٣٨ وابو الطيب ٣٣٠/١ والتنبيهات ٣٣٧ ومعاني الشعر ١٥ ولسان العرب ٣٥٣/١٤ •

(١٨١) التنبيهات ٣٣٧ •

(١٨٢) لسان العرب ٣٥٣/١٤ •

(١٨٣) الكامل ١٢/١ •

(١٨٤) ابو الطيب ٣٣١/١ •

(١٨٥) لسان العرب ٣٥٣/١٤ •

٩ - تَهَوَّد : بمعنى صار يهوديا وبمعنى مشى مشيا رفيقا (١٨٦) .
والاصل هو المعنى الاول ، ومنه انتقل الى الثاني لان اليهود قد عرفوا
بالمشي الوئيد عند الترتيل والذكر ، ولهذا قال الزبيدي في التاج بعد ذكر
المعنى الثاني : « تشبها باليهود في حركتهم عند القراءة » . قال المصنف في
البصائر بعد سياق هذه العبارة : وهذا يعد من الاضداد . قلت : وهو محل
تأمل « (١٨٧) » . فاللفظة عند الزبيدي ليست من الاضداد أو على الاقل
يشك في ضديتها التي زعمها الفيروز ابادي في (بصائر ذوي التمييز) .
ورأى ابن دريد أن اشتقاق (يهود) هو من قوله تعالى : (إنا هُـدُنَا
إليك) (١٨٨) ، فقال : « واشتقاق (أهُود) من السكون ولين الجانب .
وأحسب اشتقاق يهود من هذا ، من قولهم : (إنا هُـدُنَا إِيكَ) أي لان
قلوبنا . والتهويد : التسكين ، تقول هوّدت الرجل من نفاره اذ اسكته ،
والتهويد في السير من ذلك » (١٨٩) ، وأظنه غلط في هذا فالعكس هو
الصحيح . أي ان العرب سموا المشي الوئيد بالتهويد انتقالا اليه من اسم
اليهود لانهم وجدوا اليهود يمشون في صلاتهم وذكرهم مشيا رفيقا . ذلك
لان اسم اليهود اقدم من الاشتقاق ، لان (يهود) لفظ معرب ، وأصله
(يهوذا) وهو في العبرية اسم علم من اعلام بني اسرائيل ، ذكره القرآن
واستعمله العرب بالبدال ومنه اشتق التهويد بمعنى التسكين . حتى ان
الكسائي ابتعد في تفسير قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى) (١٩٠) فجعل (هادوا) من قوله (إنا هُـدُنَا إِيكَ)

(١٨٦) معاني القرآن ٣١٢/١ واشتقاق ابن دريد ٥٤٩ ولسان العرب

٤٣٩/٣ وتاج العروس ٣٥٥/٩

(١٨٧) تاج العروس ٣٥٥/٩

(١٨٨) الاعراف ١٥٦

(١٨٩) الاشتقاق ٥٤٩ ومثله في لسان العرب ٤٣٩/٣

(١٩٠) المائدة ٦٩

لا من اليهودية ، وقد ردّه الفراء محتجا بمجىء التفسير بغير ذلك (١٩١) .

١٠ - ١ الخَجَل : للمرح والنشاط وللكمل والخمول (١٩٢) .

والأصل في المعنى (الامعان في الشيء) الذي يصدق على زيادة المرح وزيادة الكسل ، حتى عدّ هذا الامعان من سوء الخلق الذي يعير به المرء المتصف به ، فقالوا : الخجل سوء احتمال الغنى ، والدقع سوء احتمال الفقر ، ومنه الحديث الشريف : اذا شبعتن خجلتن واذا جعتن دقعتن ، ومنه ايضا قول الكميت :

وَلَمْ يَدَقَعُوا عِنْدَمَا نَابَهُمْ لَصَرَفِ زَمَانٍ وَلَمْ يَخْجَلُوا (١٩٣)

أي لم يسيئوا احتمال الفقر ولا احتمال الغنى ، وفي الامعان معنى الكثرة ، لذلك قالوا : واد خجل اذا كان كثير النبات ، ونبات مخجل اذا كان كثيرا ومنه الخجل الذي يعمرى الانسان وهو شدة شعوره بالحياء والامعان فيه حتى يبقى ساكنا لا يتحرك ولا يتكلم (١٩٤) . وهذا المعنى قريب من معنى الكسل والخمول ومجال دلالتهما متشابه . ومن هذه الطائفة : (اللَّحْن) و (الصَّوَادِي) و (طَوَاهُ) وغيرها .

ومن هذا الباب ايضا : (زَكَنْتُ) و (ظَنَنْتُ) و (حَسِبْتُ)

و (خَلْتُ) و (رَجَوْتُ) التي تستعمل كلها للشك واليقين (١٩٥) .

(١٩١) معاني القرآن ٣١٢/١ .

(١٩٢) قطرب ٢٦٠ والاصمعي ١٥ وابن السكيت ١٧١ والصغاني ٢٢٨

وابن الانباري ١٥١ وابو الطيب ٢٥٠/١ .

(١٩٣) ابن الانباري ١٥٢ والتنبيهات ٣١٢ .

(١٩٤) قطرب ٢٦٠ .

(١٩٥) قطرب ٢٤٤ ، ٢٥٣ والاصمعي ٣٤ ، ٢٣ وابو حاتم ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠

وابن السكيت ١٧٩ ، ١٨٨ والصغاني ٢٣٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

وابن الانباري ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٦ وابو الطيب ٤٦٦/١ ، ١٨٤ ،

٢٢٧ ، ٢٩٠ والاقتضاب ١٠٩ وما اتفق لفظه واختلف معناه ٨

وتأويل مشكل القرآن ١٤٦ ومشكل القرآن وغريبه ٣٠/١ وغريب

القرآن للسجستاني ٢١٧

والحقيقة ان في المعنى الاول مقداراً كبيراً من المعنى الثاني ، بحيث كان انتقال الدلالة من الأول الى الثاني انتقالاً يبرره قرب المعنى من الآخر • يقول ابن السيد البطليوسي : « قد حكى ابو زيد الانصارى : زكنت منك مثل الذى زكنت مني ، قال : وهو الظن الذى يكون عندك كاليقين وان لم تخبر به • وحكى صاحب العين نحواً من ذلك • وهذه الاقوال كلها مقارنة ترجع عند النظر الى أصل واحد ، لأن الظن اذا قوى في النفس وكثرت دلائله على الأمر المظنون صار كالعلم ، ولأجل هذا استعملت العرب الظن بمعنى العلم » (١٩٦) ، وبهذا يبين الفرق بين معني الشك واليقين في (ظَنَّ) ، اذ بمجرد قوة الشك في النفس وكثرة دلائله على التحقق صار علماً و يقيناً ، ولذا فقد تساهلوا في اطلاق الظن على اليقين من هذا الباب ، الا انه قيد في الاشياء غير المادية ، قال السيرافي : « لا يستعمل الظن بمعنى العلم الا في الاشياء الغائبة عن مشاهدة الحواس لها ، لا يقال ظننت الحائط مبنيًا وانت تشاهده » (١٩٧) • فانتقال مجال الدلالة في مثل هذه الالفاظ انما كان للعلاقة الكمية بين الدالتين ، وقد عدها ابن الانباري في الالفاظ التي تداخلت معانيها على جهة الاتساع (١٩٨) •

التطور الصوتي ومظاهر الخطأ والتصحيف

قد تعرض أصوات لفظية من الالفاظ الى التغيير أو الحذف أو الزيادة ، وفقاً لقوانين التطور الصوتي التي عرضنا الى أشياء منها في الفصل السابق ، بحيث يترتب على هذا التطور الصوتي الذي يلحق اللفظة أن تتحد في أصواتها مع لفظة اخرى مضادة لها في المعنى ، فتتشأ بسبب ذلك ألفاظ تعدّ وهما من الاضداد ، ومن الامثلة الواضحة على هذا :

(١٩٦) الاقتضاب ١٠٩ •

(١٩٧) الاقتضاب ١٠٩ •

(١٩٨) ابن الانبارى ٩ وما بعدها •

١ - أَكْعَتَ : تعني انطلق مسرعا وتعني قعد ^(١) . والظاهر أن الفعل (قَعَدَ) قد تطور في أصواته بأن تقدم صوت القاف قليلا حتى صادف مخرج الكاف ، وبأن همست الدال فخرجت تاء ، فنطق الفعل قعد (كَعَتَ) مع احتفاظه بمعناه ، ثم اتحد هذا الفعل ملتبسا بفعل آخر من اصل مختلف وهو (أَكْعَتَ) بمعنى انطلق مسرعا ^(٢) ، فصارت اللفظة من الأضداد . وقال الزبيدي بعد أن ذكر أن اللفظة ضد : « وقد نَظَرَ فيه شيخنا » ^(٣) ، مما يشعر بشكه في ضديتها ولعله لمح الأصل الذي تطورت أصواته فاتحدت بأصوات اصل آخر .

٢ - الْجَوْنُ : للأسود والابيض ^(٤) . والظاهر : « ان الجون التي تعبر عن السواد ، قد اشتقت أولا من الفعل (جَنَ) بمعنى ستر . وهو الذي يستعمل في مثل (جَنَ الليل) أي أظلم ، فهذه المادة تعبر أساسا عن معنى الظلمة . ثم تطورت أصواتها بتأثير عامل المخالفة ، فقلب أحد النونين الى صوت مشابهه وهو الواو ، وبذلك التبس الجون المنحدر من مادة (جَنَ) بالجون التي تعبر أصلا عن النور » ^(٥) . فأصبحت اللفظة على هذا من الأضداد .

٣ - القانع : للراضي بما هو فيه وللمائل المحتاج ^(٦) . وقد ذكر الأضداديون ان المعنى الاول من قنع قناعة والمعنى الثاني من قنع قنوعا . ويبدو ان السبب في هذا التفريق بين مصدرَي الفعلين هو «التطور الصوتي في مادة

-
- (١) لسان العرب ٧٨/٢ وتاج العروس ٦٠/٥ .
(٢) في اللهجات العربية ٢١٤ .
(٣) تاج العروس ٦٠/٥ .
(٤) ابن الانباري ١١١ وابو الطيب ١٥١/١ وشمس العلوم ٣٧١/٢ .
(٥) في اللهجات العربية ٢١٣-٢١٤ .
(٦) الاصمعي ٤٩ وابو حاتم ١١٦ وابن السكيت ٢٠٢ والصغاني ٢٤٣ .
وابن الانباري ٦٦ وابو الطيب ٥٧٧/٢ .

(خَنَعَ) الى (كَنَعَ) اي ان الصوت الرخو وهو الخفاء قد تطور الى نظيره الشديد وهو الكاف ... ثم جاء جامعوا اللغة وذكروا لنا أن كلا من (خَنَعَ) و (كَنَعَ) يفيد ذلّ وخضع • ومصدر (كَنَعَ) هو الكنوع بمعنى الذلّة والخضوع ، ثم اختلط الامر بين القاف والكاف • وترتب على هذا اختلاط الفعلين قنع وكنع • والحقيقة ان مصدر قنع هو القناعة ومصدر كنع هو الكنوع ، فقول القائل (أعوذ بالله من الخنوع والقنوع) لا يعدو أن يكون تكراراً للفظ الواحد • وبهذا يمكن أن نفسر كل الشواهد التي يشتم فيها أن القنوع يعني الذلّة والسؤال « (٧) • ونستطيع ان نفسر الآية الكريمة التي اعتمدها في هذا الصدد (وأطعموا القانع والمُعْتَرَّ) (٨) بمعنى أطعموا من لا يسأل حياء منه لأنه قنع بما هو عليه وما قسم له ، وأطعموا أيضا من يسأل بتلميذ دون تصريح وهو المعتَرَّ (٩) • فلا يكون القانع على هذا بمعنى السائل ، ولا تكون اللفظة من الأضداد •

٤ - زَبَرَ : كتب وقرأ (١٠) • ويبدو أن الفعل (ذَبَرَ) الذي يعني كتب قد تطور صوت الذال فيه الى صوت الزاى على طريق الابدال المعروف فصادف الفعل الفارسي المعرب (زَبَرَ) الذي يعني قرأ أو حفظ غيا - كما مرّ علينا في الكلام على اللهجات - فاتحد معه محتفظا بمعناه ، فاجتمع في (زبر) المعنيان : العربي وهو (كَتَبَ) والفارسي وهو (قَرَأَ) فصارت اللفظة عند الاضداديين من الاضداد بيد التدوين • ومما يدل على الاصل الذي ألمحنا اليه أن شواهد (زَبَرَ) التي بمعنى كتب تروى بالزاى وبالذال ، منها قول أبي ذؤيب :

(٧) في اللهجات العربية ٢١٤-٢١٥ •

(٨) الحج ٣٦ •

(٩) في اللهجات العربية ٢١٥ •

(١٠) اشتقاق ابن دريد ٤٨ وابدال ابي الطيب ٦/٢ •

عرفت الديار كرقم الدواة يزورها الكاتب الحميري (١١)

يقول ابو الطيب اللغوي : ويروى يذبرها (١٢) .

٥ - المنين : القوي والضعيف (١٣) . والصيغة مشتقة من المنّة

بمعنى الضعف ، ولعلها صادفت (متين) بالمشاة التي تعني القوة ، فوحد
التصحيف الصيغتين ، فانصرفت اللفظة الموحدة انصرافا مضادا .

٦ - السَّبَّح : الاضطراب والسكون (١٤) . وقد رويت بالخاء

أيضا ، وقرئ قوله تعالى : (إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) (١٥)

بالوجهين ، ذكرها ثعلب في المجالس بالخاء ، غير ان القرطبي نقلها عنه في
تفسيره بالخاء . ومهما يكن فالظاهر ان الاصلين مختلفان ، فما كان بالمهملة
غير ما كان بالمعجمة ، الا ان تطور صوت الخاء الى الحاء عن طريق الخطأ
في النطق أو التصحيف في الكتابة ولد اجتماع معني اللفظتين في لفظ واحد ،
فقد نقل عن ابن الاعرابي انه قال : « من قرأ سَبَّحًا فمعناه اضطرابا
ومعاشا ، ومن قرأ سَبَّحًا أراد راحة وتخفيفا للأبدان » (١٦) . اذن
فمعنى الاضطراب هو للسبح بالمهملة ، ومعنى السكون هو للسَّبَّح
بالمعجمة . وحين اجتمع للسبح معني الاضطراب والسكون بسبب هذا
التطور الصوتي ، حملت (السَّبَّح) بالخاء عليها ، فكان لها هذان

(١١) ديوان الهذليين ١/٦٤ .

(١٢) ابدال ابى الطيب ٢/٦ .

(١٣) قطرب ٢٦٩ وابن الانباري ١٥٥ وهي في المزهر ١/٣٩٤ بالتاء ولعله
خطأ مطبعي .

(١٤) معاني القرآن ٢/١٠٢ ومجالس ثعلب ٢/٤٧١ وتفسير القرطبي

٤٣/١٩ ولسان العرب ٢/٤٧٠ .

(١٥) المزمّل ٧ .

(١٦) لسان العرب ٢/٤٧٠ .

الغنيان ايضاً ، واعتبرهما الفراء شيئاً واحداً (١٧) ، وكذلك ابن السكيت (١٨) .

٧ - أَسْرَ : كُتِمَ وأُعلن (١٩) . وللتصحيح في هذه المادة دور كبير ، فقد اعتمد الأضداديون بيت امرئ القيس في اثبات التضاد لهذه اللفظة وهو قوله :

تَجَاوَزْتُ أَحْمَاساً إِلَيْهَا وَمَعْشِراً

عَلِيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي (٢٠)

ومعنى (يُسِرُّونَ) فيه يحتمل أن يكون كتماناً وأن يكون اظهاراً ، في حين أن يسرُّون قد صُحِّفَتْ عن يشرون بالشين ، وقد روي البيت بالمعجمة ، وهو على هذا لا يحتمل إلا الاظهار والاعلان كما ذهب الى ذلك ابن كيسان (٢١) وعلي بن حمزة (٢٢) يقول أبو الطيب : « ومن رواه (لو يشرون) بالشين المعجمة ، فليس معناه إلا الاظهار والاعلان . يقال : أسره يشره إذا أظهره وأعلنه ، ومنه قول الشاعر :

فَمَا بَرِحَ حَوْأُ حَتَّى رَأَى اللَّهَ فَعِلِمَهُمْ وَحَتَّى أُشِيرَتْ بِالْأَكْفِ الْمَصَاحِفُ
أَي أَظْهَرَتْ وَأَعْلَنْتْ » (٢٣) . وبهذا يخرج الفعل من حظيرة الأضداد ، لأن تضاده قد بني على هذا الشاهد المصحف وعلى أمثاله .

(١٧) معاني القرآن ١٠٢/٢ .

(١٨) لسان العرب ٤٧٠/٢ .

(١٩) قطرب ٢٤٢ والاصمعي ٢١ وأبو حاتم ١١٥ وابن السكيت ١٧٧ والصغاني ٢٣٢ وابن الأنباري ٤٥ وأبو الطيب ٣٥٣/١ والغريب المصنف ٥٢٤ والمزهر ٣٩١/١ والألفاظ الكتابية ٢١٢ ولطائف اللغة ١٤٣ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٤/٢ وغريب القرآن للسجستاني ٧٣ .

(٢٠) ديوان امرئ القيس ٩ .

(٢١) شرح السبع الطوال لابن كيسان (مخطوط) ص ٤ .

(٢٢) التنبيهات ٢٩٥ .

(٢٣) أبو الطيب ٣٥٥/١ - ٣٥٦ .

٨ - الغابر : للماضي والباقي (٢٤) . ولعلّه في معنى الماضي من (العابر) وبه يمكن أن تفسّر الشواهد التي تعبر عن معنى الماضي ، ويشتم ذلك في قول العجاج :

أعابران نحنُ في العُبارِ أم غابران نحنُ في الغُبارِ (٢٥)
وواضح هنا أن الغابر للباقي لا غير وان العابر للماضي ، فلو كان الغابر يحتمل المعنيين لاستعمله فيهما ، لا كما يذهب ابن الأنباري الى أن المعنى هنا الماضي ، ويؤيد هذا أن العجاج قصد في قوله :

فما ونى محمدٌ مذ أنْ غفر له الإلهُ ما مضى وما غَبَرَ
معنى الباقي كما ذهب ابن الأنباري (٢٦) . لأنه لا يمكن لنفس القائل أن يستعمل الضد في مكانين بمعنيين كما قررنا ذلك قبلاً ، فحين استعمل العجاج (غَبَرَ) بمعنى بقي في هذا الشاهد ، لا يصح أن نعتقد أنه استعمل (الغابر) بمعنى الماضي في الشاهد الأول لأن القائل هو نفسه ، وعلى هذا فان استعمال الغابر بمعنى الماضي قد يكون بسبب التصحيف الذي أعجم العين من (العابر) .

٩ - سَمَلَ : أصلح بين القوم ، وفقاً العين (٢٧) . والظاهر أن سمل بالمعنى الأول هي (سَمَل) بالشين جاءت الى الاضداديين مصحفة في شاهد من الشواهد (٢٨) .

١٠ - بَرَدَ : برَدَ وسَخَنَ (٢٩) . وذلك استنادا الى قول الشاعر :

(٢٤) ابن الأنباري ١٢٩ وأبو الطيب ٥٢٧/٢ والالفاظ الكتابية ٦١
وغريب القرآن للسجستاني ١٤٩ .

(٢٥) ابن الأنباري ١٢٩ .

(٢٦) ابن الأنباري ١٢٩ .

(٢٧) أبو حاتم ١٣٤ وابن الأنباري ٢٨٥ وأبو الطيب ٣٦٧/١ .

(٢٨) في اللهجات العربية ٢٠٦ .

(٢٩) ابن الأنباري ٦٣ وأبو الطيب ٨٦/١ .

عَافَتْ الشَّرْبَ فِي الشِّتَاءِ فَقُلْنَا بِرَدِّهِ تُصَادِفُهُ سَخِينَا
وهو في الواقع (بل رديه) وعلى هذا اللفظ يجب أن يروى البيت ،
ويفك الادغام الذي أُوهم خطأ بالتضاد . وقد أشار ابن الانباري نفسه
الى ذلك ونقله عن ثعلب .

١١ - لَفَأَ : اذا أعطاه حقه كله واذا نقصه حقه (٣٠) . وذكروا لها
معنى ثالثا هو (ضربه بالعصا) ، وبرجعنا الى هذه المادة والوقوف عليها
في كتب الأضداديين نجد أنهم جعلوها بمعنى (لكأ) وان الأخيرة تنصرف
الى عين المعاني السابقة (٣١) . وبعد التثبت من هذه المعاني في معجمات اللغة
يكون في حصيلتنا ما يأتي : ان التصحيف الصق معنى (ضربه بالعصا)
بالفعل لفأ ، وهذا المعنى من خصوصيات لكأ ، وبالمقابل لصق المعنيان
المتضادان بالفعل لكأ وهما من خصوصيات لفأ ، فالتصحيف ولد ضدا جديدا
هو (لكأ) وأضاف معنى جديدا الى ضد من الأضداد هو (لَفَأ) أما
المعنيان المتضادان فيمكن ارجاع احدهما الى الآخر بواسطة التطور الدلالي
الذي حصل في اللفظة ، فكلتا المعنيين من باب واحد ، فالفرق بين أن
يعطى الحق كله وبين أن ينقص منه قليلا فرق يسير ، والعلاقة الكمية
واضحة وضوحها في الظن والحسبان .

١٢ - أَعْلَلْتُ : اذا أصدرت الابل ولم تروها واذا أوردتها ثانية
قرويت (٣٢) ، ففي لسان العرب : « قال أبو منصور : هذا تصحيف ،
والصواب أَعْلَلْتُ الابل بالغين وهي ابل غالة وروى الازهري عن نصير
الرازي قال : صدرت الابل غالة وغوال ، وقد أَعْلَلْتُهَا ، من الغلة والغليل
وهو حرارة العطش ، وأما أَعْلَلْتُ الابل وعَلَلْتُهَا فهما ضدّا أَعْلَلْتُهَا ، لأن

(٣٠) الاصمعي ١٦ وأبو الطيب ٦١٦/٢ والصفاني ٢٤٤ .

(٣١) ابدال أبي الطيب ٣٤٠/٢ .

(٣٢) أبو حاتم ٩٩ (مادة نهل) ولسان العرب ٤٦٨/١١ .

معنى أعللتها وعللتها أن تسقيها الشربة الثانية ثم تصدرها رواء ، وإذا علّت .
فقد رويت « (٣٣) » . فهذا التصحيف الذي نصرّ عليه الأزهري هو الذي
جعل من اللفظة ضدا ، اذ تداخل معنى أعللت بمعنى أغللت وكل منهما ،
ضد الآخر وقد اجتمعا في (أَعْلَلْتُ) كما بينا .

وقد أشار الى دور الخطأ والتصحيف في نشأة الأضداد غير واحد من
الدارسين وذكروا له الامثلة (٣٤) ، وإذا فاتهم أوعز عليهم العُشور على
الأصل الذي ولد هذا الخطأ أو ذاك التصحيف ، نسبوه الى وهم الأجيال
الناشئة على هذا الاستعمال أو ذاك ، والفكرة صحيحة الا ان تطبيقها قد
يكون بعيدا عن الواقع أحيانا ، فمثلا لفظة (الهاجد) بمعنى النائم والساهر ،
فالمعنى الأول من قول المرقش :

سَرى ليلًا خيالًا من سُلَيْمى فارقني وأصحابي هُجُودُ

والمعنى الثاني من قوله تعالى : (ومن الليل فَتَجَهَّدْ بِهِ نَافِلَةً
لَكَ) (٣٥) ، يقول احد الباحثين : « فكيف نفسر وقوع هذا التضاد الا عن
طريق الأخطاء التي يمكن أن تسبب الى الأجيال الناشئة . فقد كان للكلمة
معنى واحد ، ولكن لقلة شيوعها فهتم في بيئة من البيئات على معنى آخر ،
ونما هذا الفهم وذاع في الجيل الناشئ ، ثم أصبح معترفا به في اللغة
النموذجية ، فاستعمل القرآن هذه الكلمة بمعنى ، واستعملها المرقش بمعنى
مضاد للمعنى الأصلي . وقد تم مثل هذا التطور في عصور الجاهلية
قبل نشأة اللغة النموذجية وازدهارها » (٣٦) . وبمقدار صحة ما يذهب

(٣٣) لسان العرب ١١/٤٦٨ .

(٣٤) انظر مثلا : العلايلي : مقدمة لدرس لغة العرب ٢٢٦ و ابراهيم

أنيس : في اللهجات العربية ٢٠٨ .

(٣٥) الاسراء ٧٩ .

(٣٦) ابراهيم أنيس : في اللهجات العربية ٢٠٨ .

إليه هذا الباحث من الفكرة ، كان خطأ اختياره للمثل لأن صيغة السلب
ومعناه متوفران في الفعل (تهجّد) وسنأتي على بحث ذلك فيما بعد • وإذا
كان لابدّ من مثل يلتمس لهذا فنحن واجدوه في مادة (الهجرع) التي
ذكر لها ثعلب معنى الجبان ومعنى الشجاع^(٣٧) • فلجعلنا بحقيقة دلالتها
القديمة فنحن نفترض ان الخطأ في استعمال هذه الدلالة قد ولد معنى
مضادا شاع حقبة من الزمن الى جانب معناها الأول ، ثم مات المعنيان بموت
اللفظة ، لأن أصواتها وجودها الاشتقاقي وانعدام ورودها في نص من
النصوص المعروفة يوحي كل ذلك بقدمها السحيق في اللغة ، بحيث تمثل
تاريخا منقرضا في دلالة الألفاظ • فاذا صح أن نسب الى الاجيال الخطأ
في فهم الدلالة ، فقد يصح أن يكون في مثل هذه اللفظة •

والخلاصة ان نظام التطور الصوتي هيّا ظرفا خاصا نشأت فيه طائفة
من الأضداد ، يرفدها التصحيف الذي وقعت فيه مدونات الاوائل ، والخطأ
الذي سارت عليه استعمالات المتكلمين ، وما رافق ذلك من رغبة في الجمع
والاستزادة التي تشجع المعنيين على الاعراض عن تصحيح الأخطاء والتنبيه
على التصحيف إلا في القليل النادر ، بحيث تجمعت من كل هذا مادة ليست
بالقليلة من مواد الأضداد يمكن ردها بسهولة الى اصولها والمنشأ الاول
بشيء من الدقة والتثبت •

التضاد والدوافع النفسية والاجتماعية

ربما يكون من الغريب القول بأن الضدية بصورة عامة هي نوع من
أنواع العلاقة بين الأشياء أو المعاني ، وهي في المعاني أقوى منها في غيرها ،
اذا تكون في الذهن من أقرب العلاقات • فما ان يرد الى المخيلة معنى من
المعاني ، اسرع التداعي الى تصوّر ضده ، وأجل صور هذا التداعي ما يكون

(٣٧) مجالس ثعلب ٥٢٥/٢ •

في الألوان ، اذ يستحضر السواد في الذهن البياض أو العكس ، فعلاقة الضدية من أوضح الاشياء في استدعاء المعاني ، واذا كان طبعيا أن تداعي المعاني لعلاقة من العلاقات فتعبر اللفظة الواحدة عن أكثر من معنى ، فمن الأولى أن يكون التداعي مضادا فتعبر اللفظة عن معنيين متضادين ، لأن استحضار أي منهما في الذهن يستدعي استحضار الآخر (٣٨) ، وهذا الذي نقرره هنا يتصل بطبيعة النفس البشرية ، وهي طبيعة قديمة قسدم الانسان ، بل تقرب أن تكون غريزة من غرائزه الفطرية ، يتم هذا التصور في أعماقه بصورة لا ارادية في أكثر الأحيان ، فتظهر نتائجه في كلامه بشكل عضوي وتلقائي •

وقد أشار القدماء الى فكرة الحمل على النقيض في اللغة وعرضوا لامثلة من ذلك ، ويبدو أن أول اولئك القدماء الخليل بن أحمد ، وإن كنا لا نملك له نصا يؤيد دعوانا ، وإنما شممنا ذلك من تعرض تلميذه الكسائي وسيبويه الى هذه الفكرة في مباحثهما اللغوية ، ونحن نفترض انهما أفادا ذلك من الخليل (٣٩) ، وذلك لتأثرهما معا بهذه الفكرة وصدورهما عنها • فالكسائي علق على تعدية الفعل (رضي) بعل في بيت القحيف العقيلي :
 اذا رَضِيتَ عليَّ بنو قُشَيْرٍ لعمرُ الله أعجَبَنِي رِضاها
 بقوله : « حمله على ضده وهو سَخَطْتُ ، لأن العرب قد تحمِلُ الشيء على ضده كما تحمله على نظيره » (٤٠) ، ونقل عن أبي علي الفارسي أنه استحسَن قول الكسائي هذا في تخريج الاستعمال ، وقال السيوطي : « وقد سلك سيبويه هذه الطريق في المصادر كثيرا ، فقال : قالوا كذا كما قالوا كذا وأحدهما ضد الآخر » (٤١) • وإن كانت اشارة الكسائي أكثر

(٣٨) انظر : في اللهجات العربية ٢٠٧ - ٢٠٨ •

(٣٩) انظر : العين (المطبوع) ٢٦٨ - ٢٦٩ •

(٤٠) الاقتضاب ٢٤١ •

(٤١) الاشباه والنظائر ١٩٥/١ •

وضوحاً وصراحة من محاولة سيوييه تفسير صيغ المصادر التي لم تجيء على القاعدة بالحمل على صيغ أصدادها في المعنى • ولا نعدم أن نجد بعد الكسائي من أشار إلى فكرة تداعي النقيض في الذهن بشكل واضح ، كقول ابن أياز في (شرح الفصول) : « ربّما جعلوا النقيض مشاكلاً للنقيض لأن كل واحد منهما ينافي الآخر ولأن الذهن يتنبه لهما معاً بذكر أحدهما » (٤٢) • وكقول صاحب (البسيط) يعالج صيغة الجمع في (عجاف) : « والذي حسن جمعها في قوله تعالى (سَبَّحْ عِجَافٌ) حملها على سمان ، لأنهم قد يحملون النقيض على النقيض كما يحملون النظر على النظر » (٤٣) • ففظرية (تصاحب المعاني المتضادة بالذهن) قديمة قدم الكسائي وسيوييه ومن بعدهما من علماء المسلمين وليست من مبتدعات (علم تطور المعاني) الحديث كما يحاول بعض المستشرقين المحدثين تصوير ذلك (٤٤) •

ومهما يكن من أمر فإن هذا الاستعداد النفسي للحمل على النقيض ، لا يحدث اعتباطاً في ذهن الإنسان وإن حدث عفويًا ، فتخلقه في (اللاشعور) اعتبارات اجتماعية ينشأ المتكلم بين ظهرائها ويترعرع على تشرّبها وتمثلها حتى تكون فيه بديهية في التفكير وسجية في الأخلاق ، وتبلور هذه السجاياء الاجتماعية فيه فتتخذ شكل الغريزة التي ترافقه في نشاطاته الفكرية ومزاولاته المنطقية ، « فإذا أراد مثلاً أن يعبر عن معنى سيئ تشاءم من ذكر الكلمة الخاصة به وفرّ منها إلى غيرها » • وأفضل المعاني التي ينبغي أن يفرّ إليها هي أصداد المعاني الأولى ، فيستعملها تفاؤلاً بالخلاص من ذلك السوء ، فكانت الألفاظ الخاصة بالموت والمرض والمصيبة والكارثة هي من

(٤٢) الاشباه والنظائر ١/ ١٩٥ •

(٤٣) الاشباه والنظائر ١/ ١٩٥ •

(٤٤) كوتولدفايل : دائرة المعارف الإسلامية ٢/ ٢٩٣ •

الأضداد بسبب نزعة المتكلم الى التفاؤل بالخلاص من هذه الأمور وكراهية ذكر الألفاظ الأصلية التي تعبّر عن هذه المعاني تشاؤما من هذا الذكر وابتعادا عنه . وقديما تطير العرب من اللون الأسود فعبّر عنه بالأبيض في أحيان كثيرة ، وربما يكون من ذلك تسمية التونسيين للفحم بالياض ، هروبا من سواد الفحم الى الياض الذي يتفاعل به (٤٥) . ومثل ما يقال في نوازع التفاؤل والتشاؤم والتأدّب والتطير يقال في التهكم والاستهزاء ، وواضح أنها جميعا مشاعر مرتبطة الواحدة منها بالأخرى ارتباطا وثيقا في نفس الانسان التي غذتها الاعتبارات الاجتماعية السائدة بمفاهيمها المختلفة ، حتى ان هذه المشاعر كثيرا ما تتداخل فيما بينها ويكتنفها اللبس ، فيصعب على الدارس تحديد احداها في تفسير ضد من الأضداد ، اذ قد يكون تضاد لفظة بسبب عامل التطير وقد يكون بسبب عامل التهكم ، لأن الظروف الاجتماعية التي مهدت لهذه اللفظة ان تسلك هذه الطريق متنوعة ومتعددة بحيث يكون من المتعذر أحيانا تعيين الدافع بدقة ، فقد يكون اطلاق (العاقل) على المجنون تفاؤلا له بالعقل ، وقد يكون في الوقت نفسه تهكما منه واستهزاء به ، ومثله اطلاق (النّجيب) على من يفتقر الى النجابة ، و (الكريم) على البخيل وما الى ذلك مما هو معروف وشائع في الاستعماليين الفصيح والعامي . وجدير بالذكر ان هذا الصدور التلقائي الى التفاؤل أي الانتقال من النواحي السلبية المقيّنة الى النواحي الايجابية في هذه المواد اللغوية القديمة ، هو ليس مما تختص به قبيلة دون أخرى ، بل قد توجد هذه المواد في اللهجة الواحدة ، بأن يعبّر بلفظ واحد أساسه الخير عن الخير والشر ، ولكن يتوقف الامعان في مثل هذا الاستعمال على قوة غريزة التطير أو ضمفها بين أفراد القبيلة ، التي تتوقف بدورها على مدى ما بلغوا من حضارة وفكر .

(٤٥) التطور اللغوي التاريخي ١٠٣ .

ويرجع أحد الباحثين كثيرا من الأضداد التي تفسر بعامل التهكم والاستهزاء الى رغبة الشباب بصفة خاصة في الخروج عن القواعد المألوفة في التعبير ، وحبّهم للتجديد في الكلام ، وإظهار مهارتهم في تخيّر الكلمات ولجوتهم بالتالي الى التعبير عن الشيء بكلمة مضادة هازئين ساخرين (٤٦) . ولعل هذا الباحث قد بعد عن الدقة ، من حيث ان اللغة ليست موقوفة على الشباب دون غيرهم في الاستعمال والتجديد بل ربما كان الأمر معكوسا فالخطباء هم من كبار القبيلة وشيوخهم وكذلك الكهّان والشعراء في الغالب ، وهؤلاء هم صانعو اللغة في القبيلة ، فخصوصية الشباب غير واردة أصلا في هذا الصدد ، هذا من جهة ومن جهة أخرى تسأل : متى كانت اللغة العفوية التي تنطلق بها بديهة القوم تنتظر مثل هذا التصميم المسبق على الخروج عن القواعد المألوفة في التعبير لتنتقل من أفواههم عبارات الاستهزاء أو التهكم التي هي بطبيعتها تحمل معنى العفوية أكثر مما تحمله أية طائفة أخرى من الألفاظ ؟ وإذا كان هناك أعداد للخروج عن القواعد المألوفة ، فلماذا لا يشمل هذا جميع مسائل اللغة وقواعدها وينتها وصرفها واستعمالاتها الخاصة وما الى ذلك ولم تقف رغبة الشباب في هذا عند ألفاظ السخرية والتهكم والاستهزاء ؟

وعلى كل حال فكثيرا ما نعثر في كتب الأضداد التي أوردت هذه الألفاظ على إشارات مؤلفيها أنفسهم الى عوامل التناؤل والتطير والاستهزاء والخوف من العين في نشأة الضد الذي هم في صدد الكلام عليه ونصهم على طائفة من هذا النوع ، ونستطيع أن نحصي من هذه المجموعة من الأضداد عددا ينتظم ثلاث طوائف :

الاولى : ما يفسر بالخوف من العين ، مثل :

(٤٦) د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ٢٠٩ .

١ - امرأة بَلْهَاء : اذا كانت ناقصة العقل واذا كانت كاملة العقل (٤٧) . فكأنهم خافوا على كاملة العقل من أن تصاب بالعين فلجأوا الى درء ذلك بتسميتها بالبلهاء .

٢ - فَرَسٌ شَوْهَاء : اذا كانت جميلة واذا كانت قبيحة (٤٨) . قال أبو حاتم : « لا أظنهم قالوا للجميلة شوهاء الا مخافة ان تصيبها عين ، كما قالوا للغراب أعور لحدّة بصره » (٤٩) .

٣ - الْأَعْوَر : للذهابة احدى عينيه وللصحيح العينين حديد البصر بهما (٥٠) .

والثانية : ما يفسر بالتطير والتشاؤم ، مثل :

١ - السَّلِيم : للسليم واللدنيغ (٥١) . قال ابو حاتم : « وهو غندي على التّفؤل » (٥٢) . ونقل ابن الانباري عن الاصمعي وأبي عبيد أنه : « انما سمي المددوغ سليما على جهة التّفؤل بالسلامة » (٥٣) ، ومثل هذا التفسير موجود في أكثر كتب الاضداد واللغة (٥٤) . على ان ثعلبا نقل عن

-
- (٤٧) ابن الانباري ٣٣٣ والصغاني ٢٢٤ .
(٤٨) الاصمعي ٣٢ وأبو حاتم ١٣٧ وابن السكيت ١٨٦ والصغاني ٢٣٥ .
وابن الانباري ٢٨٤ وأبو الطيب ٤٠٨/١ والبارع ٨١ .
(٤٩) أبو حاتم ١٣٧ وعنه في أبي الطيب ٤٠٨/١ .
(٥٠) قطرب ٢٥٦ وابن الانباري ٣٦٦ وأبو الطيب ٥٠٨/٢ وأبو حاتم ١٣٧ (شوهاء) وتأويل مشكل القرآن ١٤٢ .
(٥١) قطرب ٢٤٨ وابن الانباري ١٠٥ وأبو الطيب ٣٥١/١ والاصمعي ٣٨ (فاز) وأبو حاتم ٩٩ (نهل) و ١١٤ و ١٢٧ (مسجور) وابن السكيت ١٩٢ (فاز) والصغاني ٢٣٣ .
(٥٢) أبو حاتم ١١٤ وعنه في أبي الطيب ٣٥١/١ .
(٥٣) ابن الانباري ١٠٦ وعن الاصمعي في التنبيه على حدوث التصحيف ١١٦ .
(٥٤) قطرب وابن السكيت وتأويل مشكل القرآن ١٤٢ وسمط اللّالي ٤٩٠/١ .

ابن الاعرابي وسلمة والفراء انه انما قيل (سليم) لانه أسلم لما به ، وقد نسب الفراء هذا الى بني أسد من قبائل العرب (٥٥) .

٢ - المَفَازَة : للمنْجاة والمهلكة (٥٦) . قال ابو الطيب : « انما سميت الفلاة مفازة تفاؤلاً ، وانما هي مهلكة » (٥٧) . وقال ابن الانباري : « قال الاصمعي وابو عبيد وغيرهما : سميت مفازة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز » (٥٨) ، والى مثل هذا التفسير ذهب ابن قتيبة ومُعلَب (٥٩) ، وسائر الأضداديين ، غير ان ابن الاعرابي ذهب الى اعتبار التسمية على الأصل ، يقول ابن الانباري : « وقال ابن الاعرابي : انما قيل للمهلكة مفازة ، لأن من دخلها هلك ، من قول العرب : قد فوز الرجل اذا مات . » (٦٠) . ولكن ابن الاعرابي توهم فيما ذهب اليه ، لأن اشتقاق الفعل (فوز) من المفازة وانصرافه الى معنى الموت قد تأخر عن التسمية الأولى والانصراف الأول ، فبعد ان شاعت تسمية المهلكة بالمفازة شاع أيضا تبعاً لذلك انصراف (فوز) الى معنى هلك ، وبهذا المعنى استعملها كعب بن زهير في قوله (فوز جرول) (٦١) .

(٥٥) مجالس ثعلب ١/١٧٠ وابن الانباري ١٠٦ والتنبيه على حدوث التصحيف ١١٧ وسمط اللآلي ١/٤٩٠ .

(٥٦) قطرب ٢٥٨ والاصمعي ٣٨ وابن الانباري ١٠٦ وأبو الطيب ٥٦٠/٢ وأبو حاتم ٩٩ (نهل) وابن السكيت ١٩٢ والضغاني ٢٤١ والمصباح المنير ٦٦٢ .

(٥٧) أبو الطيب ٥٦٠/٢ .

(٥٨) ابن الانباري ١٠٥ وعن الاصمعي في التنبيه على حدوث التصحيف ١١٦ .

(٥٩) تأويل مشكل القرآن ١٤٢ ومجالس ثعلب ١/١٧٠ .

(٦٠) ابن الانباري ١٠٥ وعن ابن الاعرابي في مجالس ثعلب ١/١٧٠ والتنبيه على حدوث التصحيف ١١٦ وما بعدها ولسان العرب ٣٩٣/٥ .

(٦١) أبو الطيب ٥٥٨/٢ .

٣ - النَّاهِل : للراوى والعطشان (٦٢) • ويقول الاصمعي « وابل
نهال أي عطاش يتطيرون بها من العطش فيقولون هذه ابل ناهلة » (٦٣) •
ويقول ابن الانباري : « وانما قيل للعطشان ناهل تفاؤلا بالرئى » (٦٤) ،
ومثل هذا ما يقوله ابن السكيت وابو حاتم وابو الطيب وابن قتيبة (٦٥) •

٤ - البَصِير : للبصير والاعمى (٦٦) • قال ابو الطيب : « وقالوا
للعمية بصيرة على وجه التفاؤل لها بصحة البصر » (٦٧) • وفي الحقيقة
نجد في المسألة شيئاً اكثر من التفاؤل ألا وهو التجميل والتأدب ، فكأنهم
أرادوا أن يشعروا فاقد البصر بأنه يمتلك ما يحرص على امتلاكه فنادوه
بالبصير •

٥ - العَقَوَق : للحامل والحائل (٦٨) • قال أبو حاتم : « أظن هذا
من التفاؤل كأنهم أرادوا انها ستحمل ان شاء الله » (٦٩) • والى مثل هذا
ذهب أبو الطيب في تفسير هذه اللفظة •

(٦٢) قطرب ٢٥٣ والاصمعي ٣٧ وأبو حاتم ٩٩ وابن السكيت ١٩١
والصفاني ٢٤٦ وابن الانباري ١١٦ وأبو الطيب ٦٣٧/٢ والتنبيهات
١٠٥ ومجالس ثعلب ١١٨/١ ، ٣١٣/١ ومعاني الشعر ٥ واشتقاق
ابن دريد ٢٠٥ ونوادر أبي زيد ٥٧ والافصح في فقه اللغة ١/٤٥٠ ،
٧٤٦/٢ •

(٦٣) الاصمعي ٣٧ •

(٦٤) ابن الانباري ١١٦ •

(٦٥) في اضداد الثلاثة الاوائل وتأويل مشكل القرآن ١٤٢ •

(٦٦) قطرب ٢٥٦ وأبو حاتم ١٣٨ وأبو الطيب ٦٣/١ •

(٦٧) أبو الطيب ٦٣/١ •

(٦٨) قطرب ٢٥٥ وأبو حاتم ١٣٨ والصفاني ٢٣٩ وابن الانباري ١٨٥

وأبو الطيب ٤٩٥/٢ •

(٦٩) أبو حاتم ١٣٨ •

٦ - المَطْبُوبُ : للمسحور وللمعالج من السحر (٧٠) • قال الزمخشري : « انه قيل للمسحور مطبوب على سبيل التفاؤل ، كما قيل للديغ سليم ، أى انه يطب ويعالج فيراً » (٧١) •

٧ - المَسْجُورُ : للملآن والفارغ (٧٢) • قال أبو حاتم : « يمكن أن يكون هذا على التفاؤل ، كما يقال للعطشان ريان وللملذوغ السليم » (٧٣) • ونقل كلامه أبو الطيب في أضداده ، وإلى مثل هذا المعنى ذهب ابن الأنباري أيضا ، ولعل أحد المعنيين لغة قوم (٧٤) • ومن هذه الطائفة : (الحافل) و (عزّر) و (المولى) و (أبو يحيى) و (أمّ بيضاء) و (أبو البيضاء) و (أبو الجوّن) و (الآدم) وغيرها •

والثالثة : ما يفسّر بالتهكم والاستهزاء ، مثل :

١ - مَرَحَبًا بِفُلان : اذا اريد قربه واذا لم يرد (٧٥) • وقد صدر ابن الأنباري كلامه على هذه المادة بقوله : « ومما يشبه الأضداد قولهم في الاستهزاء .. » •

٢ - يا عاقل : للعاقل والجاهل (٧٦) • قال ابن الأنباري : « ومما يشبه الأضداد ايضا قولهم للعاقل : يا عاقل ، وللجاهل اذا استهزؤا به : يا عاقل » •

(٧٠) ابن الأنباري ٢٣١ والصغاني ٢٣٧ •

(٧١) الفائق ٧٦/٢ •

(٧٢) قطرب ٢٥٧ والاصمعي ١٠ وأبو حاتم ١٢٦ والصغاني ٢٣٢ وابن

الأنباري ٥٤ وأبو الطيب ٣٦٠/١ •

(٧٣) أبو حاتم ١٢٧ •

(٧٤) انظر : تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة ، وفيه : (سجّرت :

جمعت ، خثعم) ص ٥٢ •

(٧٥) ابن الأنباري ٢٥٧ •

(٧٦) ابن الأنباري ٢٥٨ •

- ٣ - قوله تعالى : (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) (٧٧) .
- ٤ - قوله تعالى : (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ) (٧٨) .
- ٥ - الشَّمْسُ جَوْنَةٌ : لشدة بياضها (٧٩) .
- ٦ - الْأَسْوَدُ : للدرهم الأبيض (٨٠) .
- ٧ - ياحَلِيمُ : للرَّجُلِ الْمُسْتَخَفِّ (٨١) .

وقلنا قبلًا انه قد تلبس مشاعر التطير بمشاعر التهكم أحيانًا فيصعب تحديد ذلك بدقة في تفسير بعض الاستعمالات التي خلقت أضداد هذه المجموعة ، من ذلك مثلاً (المسجور) التي قلنا انها اطلقت على الفارغ تفاؤلاً بامتلائه ، ولكن قد يشتم من قول الجارية الحجازية (إن حَوْضَكُمْ لَمَسْجُور) (٨٢) معنى من معاني السخرية والاستهزاء اذا عرفنا أن الحوض كان فارغاً . كما قد يكون بأطلاق (ابي اليبضاء) على الحبشي شيء غير التأدب والتفاؤل ، وربما يكون على عكس ذلك ، اذ يكون تهكما منه واستهزاء ، وكذلك اطلاق (أبي الجون) على الابيض ، ففيه معنى الاستهزاء كما ذهب الى ذلك ابن قتيبة (٨٣) . كما قد يكون في اطلاق (الحافل) على الناقة الكثيرة اللبن وعلى التي لا لبن لها شيء غير التفاؤل اذا كان أصل المعنى في (الحافل) هو القلة لا الكثرة ، اذ يكون الدافع حينئذ هو درء العين والخوف من اصابتها ، فاطلقت (الحافل) التي تعني في الأصل القليلة اللبن على كثيرة اللبن كما خافوا على الفرس الجميلة

(٧٧) الدخان ٤٩ : ابن الانباري ٢٥٨ وتأويل مشكل القرآن ١٤٢ وتفسير الطبري ٨٠/٢٥ .

(٧٨) هود ٨٧ : ابن الانباري ٢٥٨ وتأويل مشكل القرآن ١٤٢ .

(٧٩) ابن الانباري ١١٢ وتأويل مشكل القرآن ١٤٢ .

(٨٠) ابن الانباري ٣٤٩ .

(٨١) تأويل مشكل القرآن ١٤٢ .

(٨٢) ابن الانباري ٥٦ .

(٨٣) تأويل مشكل القرآن ١٤٢ .

فسموها (شَوْهَاء) وعلى المرأة الكاملة العقل فسموها (بلهاء) •

نخلص من ذلك الى أن هذه الانواع من التعبير ليست من الأضداد في شيء ، ذلك ان المتفائل مثلا يريد من اطلاق (السَّليم) على الملدوغ أن يوهم نفسه وسامعه - دون وعي - بحقيقة معنى اللفظ لا ضده ، لانه يرغب في أن يبعد عن نفسه صورة الملدوغ المتألم ، ويقرّب صورة السليم المعافي ، فيتناول بهذه التسمية سلامة الملدوغ وعافيته ، وكذلك سائر اضداد التفاضل والتشائم • وشبه بهذا ما نقوله في المتهكم المستهزئ الذي يصف الجاهل بالعقل والتشاؤم • فهو لم يصنّه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعقل ، لأنه لم يرد أن يتصور السامع من قوله (يا عاقل) انسانا جاهلا ، بل أراد أن تكون صورة انسان عاقل في الذهن ، لان استحضار هذه الصورة وتطبيقها على الانسان الجاهل الذي اطلقت عليه اللفظة ، هو ما يقصد اليه المستهزئ ، فمن المفارقة بين الصورتين تتم فكرة التهكم والاستهزاء والضحك ، ولو كان العكس أى أنه لو أراد معنى الجاهل في (يا عاقل) لانطبقت الصورتان ولما تمت المفارقة التي هي اساس السخرية (٨٤) • ونحن حين نقول ان المتكلم أراد كذا ولم يرد كذا لا نعني انه كان يتحرّى هذه المفارقة تحريا مستقلا عن بديته ويخطط للاستهزاء ويرسم له حدوده بعيدا عن فطرته ، وانما كان يتم كل ذلك في ذهنه بسرعة وبشكل عفوى وتلقائي ، بحيث لا تأخر عبارة الاستهزاء التي يطلقها المستهزئ على المستهزأ به سوى لحظات قليلة •

اختلاف الصيغ والعوارض التصريفية

أوردت كتب الأضداد ابتداء بكتاب قطرب وانتهاء بالكتب المختصرة المتأخرة مجموعة كبيرة من الأضداد يمكن لدارسها أن يستشعر بوضوح

(٨٤) انظر : مقالة حسين محمد في اللسان العربي ١٢٠/٨ •

دور الاشتقاق الصرفي والتباس الصيغ المختلفة في خلق تضادها المزعوم والايهام بأصلاته في دلالاتها ، واذا كان هذا الدارس قد اطلع على قوانين الاشتقاق في العربية وسعة هذه اللغة فيما تحوى من صيغ يمكن الاستعاضة ببعضها عن البعض الآخر في الاستعمال ، ووقف على ما يعتور الألفاظ المختلفة من عوارض تصريفية تتصل بزيادة الاصوات وحذفها لنكت لغوية تتعلق بالدلالة تارة وبالاسجاء الصوتي تارة اخرى وبسهولة النطق ثالثة ، اذا أدرك كل ذلك ، استغرب من انهماك هؤلاء القوم في تلمس التضاد في لفظة عرض لها التصريف فصرف أصواتها الى مايوهم بضدية دلالتها في الظاهر ، وهي في حقيقتها بعيدة عما يراد لها بالنظرة الدقيقة . ومع ذلك فنحن لا نعدم أن نجد بين هؤلاء الأضداديين من قلّل من شأنها وأفردها بملحق في آخر كتابه ، وسيأتي بيان ذلك في الكلام على كتب الأضداد فيما بعد ، المهم اننا نستطيع أن نقسم هذه الطائفة من الأضداد الى مجموعتين كبيرتين ، تشمل الاولى منهما :

١ - ألفاظ على وزن (فاعل) تتصرف للفاعل وللمفعول ، مثل :

(خائِف) (٨٥) و (عائِذ) (٨٦) و (عارِف) (٨٧) و (نائِم) (٨٨) و (عازِم) (٨٩) و (عاصِم) (٩٠) و (فاطِم) (٩١) و (لائق) (٩٢) و (وامِق) (٩٣) و

-
- (٨٥) ابن الانباري ١٢٥ وأبو الطيب ٢٣٧/١
 - (٨٦) ابن الانباري ١٢٥ وأبو الطيب ٥٠٤/٢
 - (٨٧) ابن الانباري ١٢٦ وأبو الطيب ٥٠٤/٢
 - (٨٨) ابن الانباري ١٢٧
 - (٨٩) ابن الانباري ١٢٧
 - (٩٠) ابن الانباري ١٢٨ وأبو الطيب ٥٠٦/٢
 - (٩١) قطرب ٢٥٠ وابن الانباري ٣٦٣
 - (٩٢) ابن الانباري ٢٦٣
 - (٩٣) ابن الانباري ٣٤

(حَالِق) (٩٤) و (كَاتِم) (٩٥) و (بَائِتة) (٩٦) و (دَاحِضَة) (٩٧) و (رَاضِيَة) (٩٨) و (آشِرَة) (٩٩) وغير ذلك مما تصح تسمية فاعل الفعل به وكذلك الشيء المفعول ، وهو استعمال شائع في العربية يراد به تقوية المعنى حين يصرف الى المفعول ، كما يراد به التفنن في الكلام وتحسينه ، ولم يلتبس على العرب من ذلك شيء ، لأن الاستعمال يوضح دلالة الصيغة من خلال سياق العبارة ، فاذا قيل مثلاً (سِرَّ كَاتِم) أو (عِشَة رَاضِيَة) أو (لَيْلَة بَائِتَة) فالقصد واضح في أن المعنى : سر مكنوم وعيشة مرضية وليلة مبيت فيها ، وقد أشار غير الأضداديين في كتبهم ومصنفاتهم اللغوية الى هذه الألفاظ دون أن يلمحوا فيها شيئاً من التضاد ، كالخليل (١٠٠) ، والفراء (١٠١) ، والثعالبي (١٠٢) ، بل اعتبروا مثل هذه الاستعمالات مما يشيع في لغة العرب ، ذلك أنهم يدعمون كلامهم على كل لفظة من هذه الألفاظ بطائفة من الامثلة المشابهة من القرآن والشعر وكلام العرب .

٢ - أَلْفَاظٌ عَلَى وَزْنِ (مَفْعُول) تنصرف للفاعل وللمفعول ، مثل :
(مَأْتِي) (١٠٣) ولم نجد غيرها في كتب الأضداد ، وقد استدل على ضديتها بقوله تعالى (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا) (١٠٤) اذ المفروض ان تكون

-
- (٩٤) أبو الطيب ٢٠٩/١
 - (٩٥) أبو الطيب ٦١٠/٢
 - (٩٦) أبو الطيب ٨٥/١
 - (٩٧) أبو الطيب ٢٧٤/١
 - (٩٨) أبو الطيب ٣٢٦/١
 - (٩٩) أبو الطيب ٢٦/١
 - (١٠٠) العين ١٥٥
 - (١٠١) معاني القرآن ١٦-١٥/٢
 - (١٠٢) فقه اللغة ٤٩٢
 - (١٠٣) أبو الطيب ٣١/١
 - (١٠٤) مريم ٦١

آتياً ، والحقيقة ان معنى الفاعل مستفاد من السياق وان كان بلفظ المفعول ، وربما يكون في عبارة (وعده) مجاز ما عن مكان الحساب يوم القيامة ، اذ يكون المعنى : كان مكان حشركم الموعد مأتياً • ولكن الفراء عالج الآية بشكل آخر فقال : « وقوله (إنه كان وعده مأتياً) ولم يقل : آتياً • وكل ما أتاك فأنت تأتية ، ألا ترى انك تقول : اتيت على خمسين سنة وات عليّ خمسون سنة ، وكل ذلك صواب » (١٠٥) • ومهما يكن التفسير فان في اللغة سعة في الاستعمال اذا وضع المعنى وأمن اللبس ، وما قلناه في (فاعل) نقوله في (مفعول) ، علماً بأن الأضداديين فاتهم أن يقرنوا الى (مأتياً) لفظة اخرى أشار اليها الثعالبي ، فبعد أن ذكر الأولى قال : « وكما قال جل جلاله : (حجاباً مستورا) أي ساتراً » (١) •

٣ - ألفاظ على وزن (فعول) تنصرف للفاعل وللمفعول ، مثل :
 (ذَعُور) (٢) و (ركوب) (٣) و (فَجُوع) (٤) و (زَجُور) (٥)
 و (رَعُوث) (٦) و (نَهْوز) (٧) و (غَمُوز) (٨) و (عَصُوب) (٩)
 و (شَكُوك) (١٠) و (ضَفُوث) (١١) و (عَرُوك) (١٢) و (ظَوُور) (١٣)
 و (رَحُول) (١٤) و (نَحُور) (١٥) و (طُعُوم) (١٦) و (زُعُوم) (١٧)

(١٠٥) معاني القرآن ١٧٠/٢ •

(١) فقه اللغة ٤٩٢ وانظر : الصاحبي ٢٠١ •

(٢) الاصمعي ٥٥ و ابو حاتم ١١٢ وابن السكيت ٢٠٧ وابن الانباري ٥٧ و ابو الطيب ٢٨٠/١ •

(٣) قطرب ٢٤٩ وابن الانباري ٣٥٦ و ابو الطيب ٣٠٦/١ •

(٤) ابن الانباري ٣٥٦ و ابو الطيب ٥٣٩/٢ •

(٥) ابن الانباري ٣٥٧ و أبو الطيب ٣٣٢/١ •

(٦) ابن الانباري ٣٥٧ و ابو الطيب ٣٠٨/١ •

(٧) ابن الانباري ٣٥٧ و ابو الطيب ٦٥٠/٢ •

(٨) ابن الانباري ٣٥٧ و ابو الطيب ٥٢٦/٢ •

(٩) ابن الانباري ٣٥٧ و ابو الطيب ٥٠١/٢ •

(١٠) و (١١) و (١٢) ابن الانباري ٣٥٧ و ابو الطيب ٤١٦/١ ، ٤٥٦ ، ٥٠٣/٢ •

(١٣) و (١٤) و (١٥) و (١٦) و (١٧) قطرب ٢٤٩ - ٢٥٠ و ابن الانباري

٣٥٨ و ابو الطيب ٣٢٤/١ ، ٣٣٦ ، ٤٦٤ ، ٤٧٩ ، ٦٥١/٢ •

و (مَخْوَض) (١٨) و (خَلُوج) (١٩) و (شُرُوب) (٢٠) و (قَدُوع) (٢١)
و (لَبُوس) (٢٢) و (قُرُون) (٢٣) و (لَبُوس) (٢٤) و (سَحُور)
و (فَطُور) و (سَمُول) و (جَنُوب) و (دَبُور) و (حَلُوبَة)
و (قَتُوبَة) و (جَلُوبَة) و (جَزُوزَة) (٢٥) و (أَكُولَة) (٢٦)
وغيرها ، وهذا الوزن هو الآخر قد عده الأضداديون من الأوزان التي
يطرد فيها التضاد ، لانصراف الفاظه جميعا الى معنى الفاعل والمفعول ،
متكلفين في حمل ما يمكن حمله من الالفاظ على هذا الوزن ، ومشتقين
منه ما لم يجربه الاستعمال أو يرد به النص ، حتى نقل ابن الانباري عن
قطرب انه قال : « فَعُول : من حروف الاضداد » (٢٧) ، على أننا لم نجد
قوله بهذه الصراحة في كتابه ، المهم أننا نستطيع أن نلاحظ في هذه الالفاظ
تقسما كبيرا ، ذلك ان أغلبها من صفات الناقة وهي (المفعول) فلا يمكن
أن يكون (الفاعل) الذي هو الانسان طبعا ، مما يتصف بصفة من صفات
الناقة ، وبالتالي يعد ذلك من الأضداد . والظاهر ان الفراء كان قد تنبه
الى هذه الناحية ، اذ يقول ابن الانباري : « ف (رَغُوث) عند الفراء
وأصحابه ليس من الأضداد ، وكذلك الحروف التي عددها قطرب [يقصد

-
- (١٨) ابن الانباري ٣٦٣
 - (١٩) ابو الطيب ٢٥٨/١
 - (٢٠) ابو الطيب ٣٨٥/١
 - (٢١) ابو الطيب ٦٠٥/٢
 - (٢٢) ابو الطيب ٦١٧/٢
 - (٢٣) قطرب ٢٥٠
 - (٢٤) قطرب ٢٤٩

- (٢٥) المواد من (سَحُور) الى (جَزُوزَة) في ابي حاتم ١١٣
- (٢٦) ابو الطيب ٢٤/١
- (٢٧) ابن الانباري ٣٥٦

ما كان على وزن فَعُول [اذ كان (زَجور) توصف الناقة به ، ولا يوصف به البعير ، ووصف الرجل لا يقع مضادا لوصف الناقة به ، اذ كان من غير جنسها ، فهذان الفرقان بين البابين » (٢٨) هذه ناحية ، وناحية ثانية هي ان وزن (فَعُول) في العربية ، اذا كان للفاعل مذكرا أو مؤنثا لم تلحقه الهاء ، فيقال رجل كفور وامرأة كفور وكذلك غضوب وصبور وقتول .. الخ ، فهي من الصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث اذا عنت (فاعِل) ، فليس في هذا تضاد بين فاعل ومفعول ، أما اذا اريد بهذا الوزن معنى (المَفْعُول) فعند ذاك يفرق بين المذكر والمؤنث بالهاء فيقال : ناقة أْكولة وحلوبة وجزوزة وطمعونة ، الا اذا قصد الى التعمية وهي على غير القاعدة فحيثُذ حذف الهاء ، قال القراء : « اذا كان (فَعُول) للفاعل لم تدخله الهاء ... استوى فيه لفظ المذكر والمؤنث ، واذا كان للمفعول دخلته الهاء في باب التانيث ، ليفرق بين المفعول والفاعل ... وربما حذفوا الهاء من المفعول اذا أرادوا الابهام » (٢٩) • نفهم من ذلك أن العرب فرقوا بالهاء التي تدخل على (فَعُول) للمؤنث ؛ بين المفعول والفاعل ، وحذفوا هذه الهاء اذا أرادوا بمفعول معنى الفاعل لا غير للمذكر والمؤنث ، هذه هي القاعدة كما أوضحها القراء ، أما أن يكون (فَعُول) بلا هاء للفاعل والمفعول فذلك متعمد فيه الابهام ومقصود فيه الغموض ، ولعل أمثله في كتب الأضداد هي اصداء تلك المحاولات التي تكلفها الطموح الأول قطرب لتكثير المادة وحشو الكتاب ليأتي زاحرا بالأضداد •

ولكنهم حين عرضوا للفظ (الأْكولة) قرروا أن (المَفْعُول) منها هو : الشاة يربئها الراعي ليأكلها فهي مأْكولة ، ولكنهم اختلفوا في (الفاعِل) فقالوا : رجل أْكولة والهاء للمبالغة • وقالوا : الأْكولة بمعنى

(٢٨) ابن الانبارى ٣٦٠ •

(٢٩) ابن الانبارى ٣٥٨ - ٣٥٩ •

الآكلين ، وقالوا : يجوز أن يكون الأكلة بمعنى المأكول^(٣٠) ، وهكذا حيث يتضح التخطئ لالتماس الضد ، وذكروا لتأييد التفسير الاول قولهم : رجل عروفة بالأمر ورجل لَجُوجَة^(٣١) . والمسألة كلها مردودة بما يحمل لفظ (أَكُولَة) واضرابه من معنى (المَفْعُول) وحده ، يقول الاصمعي : « الأكلة من الغنم التي تعزل للأكل ، والحلوبة التي يحلبون ، والركوبة ما يركبون ، والعلوفة ما يملفون »^(٣٢) ، والى مثل هذا ذهب أبو زيد أيضا^(٣٣) . ولم يؤثر عن السلف أنهم سموا كثير الأكل من الرجال بـ (أَكُولَة) وانما سموه (أَكُولًا) و (إَكِيلًا) بتشديد الكاف ، صحيح أنه قد يبالغ بالهاء الا انه في غير (الأكلة) .

٤ - ألفاظ على وزن (فَعِيل) تنصرف للفاعل وللمفعول ، مثل : (الأمين)^(٣٤) و (التَّيِّع)^(٣٥) و (السَّمِيع)^(٣٦) و (الصَّرِيخ)^(٣٧) و (الغَرِيم)^(٣٨) و (القَنِيص)^(٣٩) و (النَّهْيَك)^(٤٠) و (الأَكِيل)^(٤١) .

(٣٠) ابو الطيب ٢٤/١ - ٢٦ .

(٣١) الغريب المصنف ٢٨٥ .

(٣٢) الغريب المصنف ٢٨٤ .

(٣٣) نوادر ابي زيد ٢٤٣ .

(٣٤) قطرب ٢٥٥ والاصمعي ٥١ وابو حاتم ٢٠٤ وابن الانباري ٣٤ وابو الطيب ٩/١ .

(٣٥) قطرب ٢٥٨ وابن الانباري ٣٧٢ وابو الطيب ١٠١/١ .

(٣٦) ابو حاتم ١٣٣ وابن الانباري ٨٣ وابو الطيب ٣٦٦/١ .

(٣٧) قطرب ٢٧٣ وابو الطيب ٤٢٩/١ وابن الانباري ٨٠ والمزهر ٣٩٢/١ ولطائف اللغة ١٥١ .

(٣٨) قطرب ٢٥٥ وابو الطيب ٥١٦/٢ وابن الانباري ٢٠٣ ولطائف اللغة ١٤٧ .

(٣٩) ابن الانباري ٢٦٢ وابو الطيب ٦٠٣/٢ ولطائف اللغة ١٤٩ .

(٤٠) قطرب ٢٥٤ وابن الانباري ٣٦٣ .

(٤١) ابو حاتم ١١٣ وأبو الطيب ٣٠/١ .

و (الشَّرِيب) (٤٢) و (النَّحِيز) (٤٣) و (الحَلِيل) (٤٤) و (الأَلِيم) (٤٥) و (الكَّرِيَّ) (٤٦) و (الْوَصِي) (٤٧) و (الرَّيْبِيَّة) (٤٨) وغيرها ، وربما فات كتب الأضداد شيء من هذه الألفاظ كهضم التي ذكرها أبو حاتم في غير أضداده (٤٩) . ويمكننا أن نلاحظ التكلف نفسه الذي لاحظناه في الفاعل (فَعُول) ، ذلك ان الأمر في مثل هذه الألفاظ موكول للاستعمال وشيوعه ، ولا يجوز في هذه الحالة القياس ، فمثلا لا نعلم ان السميع استعملت في غير معنى الفاعل (السامع) ، وكذلك (الأليم) و (الوصي) و (الحليل) ، كما لا نعلم أن الريبة استعملت في غير معنى المفعول (التي تُرَبَّب) وكذلك (القنيص) و (الأكيل) و (الشَّريب) وغيرها ، فدعوى التضاد في ألفاظ هذه الزنة لا يمكن أن يدعمها الاستعمال والا فهي منصرفة الى معنى واحد لا غير ، كما أن للغة أغراض تتصل بالدلالة حين تلجأ الى استبدال صيغة باخرى في الاستعمال ، أو استخدام وزن دون آخر ، فاذا كانت خصوصية (فَعُول) مثلا الدلالة على التفضيل في الطبيعة وتفيد معنى الأكثر ، وخصوصية (فاعل) الدلالة على الفاعل ، فان (فعل) خصوصيتها الدلالة على لزوم الوصف لزوما لا ينفك اذا سمي به (٥٠) . ولهذا فان العرب أطلقوا

-
- (٤٢) ابو الطيب ٣٨٥/١ .
(٤٣) ابو حاتم ١٣٣ و ابو الطيب ٦٤٣/٢ والصغاني ٢٤٦ .
(٤٤) لطائف اللغة ١٤٧ .
(٤٥) ابو حاتم ١٣٣ .
(٤٦) قطرب ٢٥٧ وابن الانباري ١٩٩ و ابو الطيب ٦٠٧/٢ وانظر : اصلاح المنطق ٢٤٣ والامثال للسدوسي ٥٨ .
(٤٧) ابو حاتم ١١٩ والصغاني ٢٤٧ ولطائف اللغة ١٥٢ .
(٤٨) قطرب ٢٥٧ وابن الانباري ١٤٢ و ابو الطيب ٣١٠/١ .
(٤٩) النخل ٣٤ .
(٥٠) مقدمة لدرس لغة العرب للعلايلي ٦٨-٦٩ .

(فَعِيل) على من تلزمه الصفة لزوما لا ينفك عنه سواء أكان المطلق عليه فاعلا أم مفعولا وبهذا جرى القرآن ، فكان الله : (سَمِيعاً) (عَلِيماً) (خَبِيراً) .. الخ لانها صفات لا تنفك عن الذات الالهية ، وهي كذلك بالنسبة لمن يشيع اتصافه بها من البشر ، وهي فاعل في المعنى لا غير ، وبالمقابل فان (المَفْعُول) اذا لزمته الصفة لزوما ثابتا صح أن يقال في وصفه (فَعِيل) ، فالسائل المشروب تلزمه صفة الشرب فقيل (شَرِب) ، والمأكول الذي تلزمه صفة الأكل (أَكِيل) والحيوان (قَنِيص) وهكذا ، على ان اللغة كما قدمنا قبل قليل اغراضا بلاغية تدفعها لاستبدال الصيغ في الاستعمال ، ومن ذلك مثلا : « فَعَال في معنى فَعِيل ، نحو طَوَالَ فهو أبلغ من معنى طَوِيل ، وعَرَّاض أبلغ معنى من عَرِيض ... ففَعَال وان كانت أُخْتُ فَعِيل في باب الصِّفَةِ فان (فَعِيلاً) أَخَصَر بالباب من فَعَال لأنه أشد انقياداً منه » (٥١) .

واذا شئنا أن نوغل قليلا في هذه الناحية قلنا ان (فَعِيل) من صفات الفاعل دون المفعول ، وانما اطلقت على المفعول لاكتساب الاخير صفة الأول بالمشاركة فيها ، ذلك أن الدرس اللغوي التاريخي يشير الى ان وزني (فاعِل) و (فَعِيل) يدلان دلالة متساوية أو قل متشابهة ، وكلاهما متطور عن وزن (فاعِيل) المنقرض في العربية (٥٢) ، وبقيت صورته في بعض اللغات السامية ، وقد قصد من هذا التطور الذي حصل في الوزن الاصلي التنويع أو التخصيص ، فكان يقال مثلا (آمِن) على وزن فاعيل ، والمقصود منه فاعل (آمِن يَأْمَن) ثم قيل بعد أن أميت هذا الوزن (آمِن) على وزن فاعل ، و (آمِن) على وزن فعيل ، وكلاهما بمعنى فاعل (آمِن يَأْمَن) ، ولكن بينهما فرقا دلاليا أحست به أجيال المتكلمين بالعربية ،

(٥١) الاشياء والنظائر ١/١٤٥

(٥٢) مقدمة لدرس لغة العرب ١٦٩ ، ١٨٨ .

واذا كان من الطبيعي أن يشارك (الأمين) من يؤتمن به فتوضع عنده الأمانة وهو المأمون ، قيل هو (الأمين) أيضا ، فالمفعول قد اكتسب صفة الفاعل بالمشاركة بالأمانة ، ويمكن أن تعمم فكرة المشاركة هذه على وزن (فَعُول) أيضا بشيء من تأويل قريب فركوب المنصرفه الى الفاعل والمفعول ، فيها معنى من معاني مشاركة الراكب للمركوب وعلاقته به .

٥ - الفاظ على وزن (فَعَال) تنصرف للفاعل وللمفعول ، مثل :
 (التَوَّاب) (٥٣) ، ولم نجد غيرها في كتب الأضداد ، منصرفه الى معنى من يتوب والى من يقبل التوبة ، وقد اعتبر الاضداديون أحدهما فاعلا والآخر مفعولا ، مستنديين في ضديتها هذه على ما ورد من معناها في القرآن صفة لله مرة وصفة للعبد اخرى ، و (فَعَال) من صيغ المبالغة في العربية ، فيصح أن يتصف بها الله لكثرة قبوله التوبة ، وان يتصف بها العبد اذا كان كثير التوبة ، ولعل الذي أوقع العربية في هذا اللبس الخاص بهذه اللفظة ان الفعل (تَابَ) هو من الفعل المشابه له صوتا ودلالة وهو (تَابَ) الذي يعني رجس وأتاب ، والتوبة فيها رجوع عن الضلال واناوبة الى الله ، والظاهر ان (تَاب) اختص بدلالته على الرجوع من الضلال الى الهداية وبقي للفعل (تَابَ) معنى الرجوع العام وهذا الأخير من الافعال القديمة التي يوجد لها مثل في اللغات السامية الاخرى ، فالفعل (تَابَ) في العبرية والذي يلفظ (شَابَ) يحمل الدلالة نفسها وهي رجع أو عاد . نريد أن نخلص الى أن هذا المعنى العام بقيت له آثار في العربية منها هذا الذي نجده في (التَوَّاب) ، فيكون التفسير الدقيق لهذه اللفظة في ضوء المعنى القديم أن العبد يعود الى طاعة الله ، والله يعود الى رضاه عنه .

٦ - الفاظ على وزن (مُفَعَّل) تنصرف للفاعل وللمفعول ، مثل
 (٥٣) ابو حاتم ١٣١ والصناني ٢٢٥ وابن الانباري ٤١٥ وأبو الطيب ١١١/١ .

(مُغَلَّب) (٥٤) ولم نجد غيرها في كتب الأضداد ، وقد ذكر الأضداديون أن هذه الصيغة اطلقت على جماعة من الشعراء ، فقليل شاعر مغَلَّب أي كثير الغلبة لغيره فهو غالب ، وشاعر مغَلَّب أي كثيرا ما يغلب فهو مغلوب ، والحقيقة أنهم وهموا في ذلك ، فالتشديد الذي في اللفظة ليس للكثرة وانما للتفضيل والمشاركة ، وانما تكون المبالغة بـ (غَلَّاب) اذ يكفي أن تطلق (مُغَلَّب) على شاعر تغالب مرة واحدة ، وفي هذا يقول أبو الطيب : « فَمُغَلَّب (مُفَعَّل) من ذلك ، والتشديد لتكثير الفعل » قال أبو الطيب : وليس كذلك لأنه لو غلب مرة واحدة سمّي مغلبا • وانما هو من قولك : تغالب الرجلان فغلبت احدهما « (٥٥) • اذن فالصفة تدل على المشاركة في الغلبة ، ويكون الحكم بعد التغالب أما للشاعر أو عليه ، ولذلك فاني أظن انهم حذفوا من الصفة ما كان متعلقا بالفعل من الحروف التي تشير الى الغالب والمغلوب ، اذ تكون (مُغَلَّب) للغالب من (غَلَّب) له) ، وتكون (مُغَلَّب) للمغلوب من (غَلَّبَ عليه) •

٧ - ألفاظ على وزن (مُفْتَعَل) تنصرف للفاعل وللمفعول ، وهي على ضربين : الأول ما كانت عينه منقلبة عن واو أو ياء ، فلا يظهر في الألف الساكنة كسر المين وفتحها ، مثل (المَبَاع) و (المَتَام) و (المَجْتَاب) و (المَجْتاح) و (المَجْتَاز) و (المحتاج) و (المحتاض) و (المَخْتَال) و (المَدَّان) و (المَرْتَاب) و (المَرْتاح) و (المَرْتَاد) و (المَرْدَار) و (المَوَسْتاف) و (المَسْتاق) و (المَشْتاق) و (المَطَّاف) و (المَعْتَام) و (المَعْتاص) و (المَغْتَاب) و (المَقَات) (٥٦) •

(٥٤) قطرب ٢٧٣ والاصمعي ٥٣ وابو حاتم ١٤٥ وابن السكيت ٢٠٥ والصغاني ٢٤٠ وابو الطيب ٥١٨/٢ وابن الانباري ١٩٩ (مادة فزع) والاشتقاق ٢٥ والمزهر ٣٩٢/١ •

(٥٥) ابو الطيب ٥٢١/٢ •

(٥٦) المواد في ابي الطيب ٦٩١/٢ - ٧٠٢/٢ •

و (المُقْتَال) (٥٧) و (المُقْتَاد) و (المُمْتَح) (٥٨) و (المُخْتَار) (٥٩) .
و (المُزْدَان) و (المُعْتَاض) و (المُكْتَال) (٦٠) و (المُزْدَاد) (٦١) .
والثاني ما كانت عينه مدغمة في لامه فلا تظهر فيها حركة العين أيضا ، مثل :
(المُبْتَد) و (المُبْتَز) و (المُبْتَض) و (المُحْتِز) و (المُحْتِزْ)
و (المُحْتَش) و (المُحْتِط) و (المُخْتَص) و (المُخْتِط) و (المُفْتَن)
و (المُضْطَر) و (المُعْتَد) (٦٢) و (المُفْتَك) و (المُفْتَن) و (المُكْتَن)
و (المُكْتَص) و (المُعْتَص) و (المُعْتَم) و (المُكْتَم) و (المُكْتَن)
و (المُلْتَف) (٦٣) و (المُرْتَد) (٦٤) ، وغيرها . وبالرغم من قلة
ورود هذا النوع عند غير ابي الطيب من الأضداديين بالنسبة لما أورده هو
منها ، فإن أبا الطيب مع ذلك قلل من شأنه وأفرده في نهاية الكتاب ونص
على أنه ليس من الأضداد ، فقال : « هذا آخر الاضداد على الحقيقة » وقد
أدخل علماؤنا المتقدمون فيها أشياء ليست منها ، نحن نذكرها أبوابا ، لئلا
يظن ظان أننا غفلنا عنها » (٦٥) . والحقيقة ان أغلب أولئك الذين عدوا
هذه الالفاظ من الاضداد كانوا عرضة لانخداع كبير أورثهم اياه جهلهم
أو تجاهلهم للحقائق الصرفية ، وإذا كان فيما أقول شيء من القسوة تجاه
علماؤنا القدامى ، فإن الواقع يؤيد هذا ، ذلك أن دعوى التضاد في هذه
الطائفة إنما هو اعتبار لدور الأصوات فقط ، وتناسي حقيقة الكلمة ومقياسها
الاشتقاقي ، فمختار الذي أصله (مُخْتِير) بكسر الياء لا يمكن ان يقال

- (٥٧) ابو حاتم ١٢٠ و ابو الطيب ٧٠٢/٢ .
- (٥٨) ابو الطيب ٧٠٣/٢ .
- (٥٩) ابو حاتم ١٢٠ وابن الدهان ٩٧ .
- (٦٠) ابو حاتم ١٢٠ .
- (٦١) ابن الانبارى ٤١٠ وابن الدهان ٩٩ والصغاني ٢٣٢ .
- (٦٢) المواد في أبي الطيب ٧٠٤/٢ وما بعدها وانظر ابا حاتم ١٢٠ .
- (٦٣) المواد في ابي الطيب ٧٠٨/٢ وما بعدها .
- (٦٤) ابن الانبارى ٤٠٩ وابن الدهان ٩٨ والصغاني ٢٣٠ .
- (٦٥) ابو الطيب ٦٨٨/٢ .

انه مختار الذي أصله (مُخْتَر) بفتحها ، لأن التضاد انما يتصل بالمعاني والاصوات معا . وقد أشار الى فكرة اختلاف الأصل هذه أبو حاتم (٦٦) ، وابن الأنباري (٦٧) من القدماء ، عندما عرضا لهذه الألفاظ في كتابيهما ، مما يدل على انهما كانا قد وقفا على حقيقة ذلك الأصل الذي اشتق منه ، وما يولده الادغام من اتحاد الصيقتين ، ومن الغريب بعد هذا أن نجد ههما قد ضمنا كتابيهما عددا من هذه الألفاظ فهل كانا يعتقدان أن التضاد في هذه الطائفة يقوم على أصوات اللفظة ومعناها في الوقت نفسه ، وانه لو فرق بين الاثنين لألغيت فكرة التضاد من أساسها ؟ يبدو ذلك اذ أن الصرفين حين يقررون ان (مُخْتَار) أصلها مختير بكسر الياء للفاعل وبفتحها للمفعول ، ثم حذف الياء وقلبنا ألفا ، لا يقصدون الى ان العرب نطقوا أول مرة بالياء المحركة ثم قلبوها بعد طور من أطوار لتتهم ألفا ، لأن الحس اللغوي لدى المتكلمين دفعهم منذ الوهلة الاولى الى نطقها بالألف ، وما قاله الصرفيون انما هو افتراض لما يمكن أن تستقر عليه اللفظة لو كانت في أصلها على ذلكما البناءين ، وعلى هذا تكون الصيقتان المفترضتان للفاعل والمفعول شيئا واحدا ولا فرق صوتي بينهما في الاصل (٦٨) ، وكان قد مرّ علينا في صدر هذا الفصل ان المناطقه سموا هذا النوع من الصيغ الصرفية بالمغالطات اللفظية ، ومع ذلك فنحن « لا نستطيع ان نلحق بهذا النوع من الألفاظ معنيين متضادين ، وانما نقول ان فيها تضادا في اتجاه المعنى ، لا المعنى نفسه ، فهو مرة متجه الى الفاعل واخرى الى المفعول ، ولكنه هو هو في المرتين . فالاختيار لم يتغير ، وانما اتجه القائل ذات مرة الى فاعل هذا الحدث ، واتجه في المرة الثانية الى الذي

(٦٦) أبو حاتم ١٢٠ - ١٢١ .

(٦٧) ابن الأنباري ٤٠٩ .

(٦٨) انظر : مجلة اللسان العربي ١١٥/٨ - ١١٦ .

وقع عليه الحدث « (٦٩) » . وكذلك الأمر بالنسبة للفظة (مرتد) واخوانها ، التي يقول فيها ابن الأنباري : « اذا كان للفاعل أصله مرتد ، فاستقلوا الجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد ، فأسكنوا الدال الأولى وأدغموها في التي بعدها » . واذا كان للمفعول فأسله مرتد ففعلوا مثل ما فعلوا في الباب الاول ، واستوى اللفظان من أجل الادغام « (٧٠) » . وتشبه هذه الحالة الحالة السابقة من حيث الشماة والتفسير واتحاد الأصوات ، ولكنها أبعد من تلك عن الابهام أحيانا ، فمن اللهجات ما يفك بها ادغام الاسم والفعل : (حالّ وحال) و (غَضّ وَاغْضَض) و (تَقَرّر وتقرّر) وهكذا ، فربما فكوا الادغام في هذه الصفات فيتوضح المعنى ، على اننا لم نسمع انهم وقعوا عند استعمالهم لمرتد ومختار في حرج من غموض وابهام ، وانما كانوا يفرقون بين المعنيين بالسياق والقرائن .

أما المجموعة الثانية من الأضداد التي تفسر باختلاف الصيغ والعوارض التصريفية فتشمل :

- ١ - أضداد بين فَعَلَ وَأَفْعَلَ ، مثل (تَرَبَّ وأَتَرَبَ) (٧١)
- و (ثَبَّتْ وأَثَبَتْ) (٧٢) و (قَسَطَ وأَقْسَطَ) (٧٣) و (ثَلَلَتْ وأَثَلَلَتْ) (٧٤) و (خَفَّتْ وأَخَفَّتْ) (٧٥) و (راحَ وأَراحَ) (٧٦)

(٦٩) اللسان العربي ١١٦/٨ .

(٧٠) ابن الأنباري ٤٠٩ وما بعدها .

(٧١) قطرب ٢٦٧ وابن الأنباري ٣٨٠ وابو الطيب ١١٥/١ .

(٧٢) ابو حاتم ١٤٨ وابو الطيب ١٢٤/١ .

(٧٣) قطرب ٢٥٩ والاصمعي ١٩ وابن السكيت ١٧٤ وابن الأنباري ٥٨

وابو الطيب ٥٩٤/٢ وابن الدهان ١٠٤ والصغاني ٢٤٢ وفقه اللغة

للشعالبي ٥٨٠ .

(٧٤) قطرب ٢٦٨ وابن الأنباري ٣٨٧ وابو الطيب ١٣٧/١ .

(٧٥) قطرب ٢٥١ والاصمعي ٢١ وابن الأنباري ٩٦ وابو الطيب ٢٣٧

والافعال لابن القوطية ٣٩ .

(٧٦) ابو حاتم ١٣٤ وابن الأنباري ٢٩٠ .

و (زَالَ وَأَزَالَ) (٧٧) و (شَكَ وَأَشْكَى) (٧٨) و (خَذِمَ وَأَخَذِمَ) (٧٩) و (طَلَبَ وَأَطْلَبَ) (٨٠) و (فَرَطَ وَأَفْرَطَ) (٨١) و (فَادَ وَأَفَادَ) (٨٢) و (وَزَعَتُ وَأَوْزَعْتُ) (٨٣) و (حَمَّاتٌ وَأَحْمَّاتٌ) (٨٤) و (قَرَأَتْ وَأَقْرَأَتْ) (٨٥) و (قَهَمَ وَأَقَهَمَ) (٨٦) و (سَرَّ وَأَسَرَّ) (٨٧) و (هَمَدَ وَأَهَمَدَ) (٨٨) و (عَفَا وَأَعْفَى) (٨٩) و (خَفَرَ وَأَخْفَرَ) (٩٠) و (قَذَى وَأَقَذَى) (٩١) و (فَزَعَ وَأَفْزَعَ) (٩٢) و (وَدَعَ وَأَوْدَعَ) (٩٣) و (عَذَرَ وَأَعْذَرَ) (٩٤) و (وَفَيْتُ وَأَوْفَيْتُ) (٩٥) و (سَنَدْتُ وَأَسْنَدْتُ) (٩٦) و (سَاءَ وَأَسَاءَ) (٩٧)

-
- (٧٧) ابن الانباري ٢٧٦ والصغاني ٢٣٢
(٧٨) قطرب ٢٧٧ والاصمعي ٥٧ وابو حاتم ١٠٦ وابن الانباري ٢٢١ وادب الكاتب ٣٣٧ ولطائف اللغة ١٤٦
(٧٩) قطرب ٢٥٥ وابن الانباري ٣٧١
(٨٠) الاصمعي ٥٦ وابو حاتم ١٢٢ وابن الانباري ٨٥ وادب الكاتب ٣٣٧ ولطائف اللغة ١٤٥
(٨١) قطرب ٢٦٢ وابو حاتم ١٤١ وابن الانباري ٧١
(٨٢) ابو حاتم ١٠٩ وابن الانباري ٤١٠
(٨٣) ابو حاتم ١٥٠ وابن الانباري ١٣٩ والصغاني ٢٤٧
(٨٤) قطرب ٢٦٩ وابن الانباري ٣٩٦
(٨٥) قطرب ٢٦٠ والاصمعي ٥ وابو حاتم ٩٩
(٨٦) قطرب ٢٦١ والاصمعي ١٥ وابن السكيت ١٧٢ والبارع ٦٧
(٨٧) قطرب ٢٥٢ وابن السكيت ١٧٧ وادب الكاتب ٣٣٧ ومجالس ثعلب ٢٣١/١
(٨٨) قطرب ٢٤٧ والاصمعي ٢٨ وابو حاتم ١١٨ وابن السكيت ١٨٣
(٨٩) ابن السكيت ١٦٧ وابو حاتم ٩٢ والصغاني ٢٣٩
(٩٠) فقه اللغة للثعالبي ٥٨٠
(٩١) فقه اللغة ٥٨٠
(٩٢) ادب الكاتب ٣٣٧
(٩٣) ادب الكاتب ٣٣٧
(٩٤) الغريب المصنف ٣١٧ ولطائف اللغة ١٤٤
(٩٥) الغريب المصنف ٣١٧
(٩٦) الغريب المصنف ٣٢٤
(٩٧) لطائف اللغة ١٤٤

و (رَجَلْتُ وَأَرْجَلْتُ) (٩٨) و (بَعْتُ وَأَبَعْتُ) (٩٩) ، وغيرها مما نصت عليه كتب الأضداد واللغة ، وقد تناست أغلب هذه المصادر الفروق الدقيقة التي تكمن في دلالة الصيغتين ، حيث ان الهمزة لم تدخل على الفعل الثلاثي اعتباطا في كلام العرب ، والا لكان استعمالهم للثلاثي المجرد هو المعمول به في الضدين لو أرادوا ذلك ، فالهمزة بدخولها على الفعل لا بد أن يكون لها دور كبير في تغيير المعنى ، وهذا الدور يكمن في أمرين : الاول أن تكون للتعدية فيثبت بها المعنى لمن وقع عليه الفعل ، فيكون في ظاهر معناه مخالفا لمعنى الفعل الثلاثي اللازم • والثاني أن تكون للسلب (١٠٠) ، وذلك بأن تسلب معنى الفعل المجرد وتقلبه الى المعنى المضاد ، يقول ابن جني : « وَأَفْعَلْتُ هذه وان كانت في غالب أمرها انما تأتي للانبات والايجاب ، فقد تأتي أفعلت أيضا يراد بها السلب والنفي ، وذلك نحو أَشْكَيْتُ زيدا ، اذا زلت له عما يشكوه • أَشَدُّنا أبو علي قال : أَشَدُّ أبو زيد :

تَمُدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَلْوِيهَا وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّنَا نُسْكِيهَا

أي لو أننا نزول لها عما تشكوه » (١٠١) • وبهذا يكون الفعل بعد دخول الهمزة عليه شيئا آخر تماما بل فعلا مضادا في المعنى للفعل الأول بسبب هذا السلب الذي أفادته الهمزة • ولهذا قال ثعلب في قوله تعالى (أَكَادُ أَخْفِيهَا) : « أريد أسترها ، ومن قال أَخْفِي قال : أَظْهَر » (١٠٢) ، فكأنه كان يرى أن الهمزة فيمن قرأ بالضم هي همزة السلب ، وقد قلبت المعنى ، وكانت هذه الآية هي التي أوهمت الأضداديين بتضاد الفعل

(٩٨) قطرب ٢٧٨ وابن الانباري ٤٠٨ •

(٩٩) أمالي الزجاجي (مخطوط) ٦٩ ب •

(١٠٠) انظر : الفعل زمانه وأبنيته ٨٢ وما بعدها •

(١٠١) سر صناعة الاعراب ٤٢ •

(١٠٢) مجالس ثعلب ٢٣١/١ •

(أَخْفَى) لأن (خَفَى) مجردا لا يعني الاظهار^(١) ، وقد وضع ذلك ابن جني أيضا بقوله : « ومثله قوله عز اسمه (إِنْ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) تأويله والله أعلم عند أهل النظر : أكاد أظهرها • وتلخيص حال هذه اللفظة : أي أكاد أزيل عنها خفاءها ، وخفاء كل شيء غطاؤه • • • فأخفيها في أنه (أُزِيلُ خفاءها) بمنزلة قوله (لو أَنَا نُشْكِيهَا) أي تترك لها ما تشكوه »^(٢) • وللعرب بعد هذا مآرب دلالية أخرى في هذه الهمزة ، يقول الفراء : « أَطْرَدْتُ الرجل أي صيرته طريدا ، وطَرَدْتُهُ إذا أنت قلت له : اذهب عنا » و « أَقْهَرُ أَي صار الى حال الْقَهَر ، وانما هو قَهَرٌ »^(٣) ، و « العرب تقول لكل ماكان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري لقوم : أَسْقَيْتُ ، فاذا سقاك الرجل ماء لشفتك قالوا : سَقَاهُ ولم يقولوا : أَسْقَاهُ »^(٤) • أضف الى هذا ان كثيرا من استعمالات (فَعَلَ وَأَفْعَلَ) انما هو من اختلاف اللهجات ، فقبيلة تستعمل الفعل بصيغة (فَعَلَ) وقبيلة أخرى بصيغة (أَفْعَلَ) ، وقد أشار غير واحد من علمائنا القدامى الى ذلك ، فهذا الخليل يعلق على بيت أبي ذؤيب :

أَوْ دَى بَنِي وَأَعْقَبُونِي حَسْرَةً بَعْدَ الرَّقَادِ وَعِبْرَةً مَا تَقْلَعُ^(٥)
 بقوله : « أَعْقَبُونِي مخالف للألفاظ السابقة وموافق لها في المعنى • ولعلهما لغتان • فمن قال (عَقَبَ) لا يقول (أَعْقَبَ) كمن قال بَدَأْتُ به لا يقول أَبْدَأْتُ به »^(٦) واذا كان الخليل قال (لعلهما) فالفراء جزم

(١) نوادر أبي زيد ٩ ومجاز القرآن لابي عبيدة ١٦/٢ - ١٧ وشرح مقصورة ابن دريد ١٢٢ والاقتضاب ٢٣٠ •

(٢) سر صناعة الاعراب ٤٣ •

(٣) معاني القرآن ٣٨٩/٢ •

(٤) معاني القرآن ١٠٨/٢ •

(٥) ديوان الهذليين ٢/١ •

(٦) العين (المطبوع) ٢٠٣ •

بذلك في تفسير قوله تعالى : (فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً) (٧) ، فقال :
 « وتقرأ : نَصْلِيهِ ، وهما لغتان وقد قرئتا ، من صَلَّيتَ وَأَصْلَيْتَ » (٨) .
 وعرضت بعض المعجمات اللغوية الى شيء من هذا ، ففي لسان العرب :
 مَضَنِّي الامر ، وبنو تميم يقولون : أَمْضَنِي . وتقول قريش : حَزَنَهُ ،
 وبنو تميم : أَحْزَنَهُ (٩) الخ .

من كل ذلك نريد أن نفضي الى تقرير أن القول بتضاد (فَعَلَ
 وَأَفْعَلَ) لا يقوم على علم بأساليب العربية في تغيير صيغة الفعل ، وما تلعبه
 الهمزة من دور التعديّة والسَّلْب ، وما اختلفت فيه اللهجات العربية في
 استعمالها للصيغ لهذا فان ما كان التضاد فيه بين (فَعَلَ وَأَفْعَلَ) من
 الالفاظ لا يمكن أن يعدّ من الاضداد ويجب الاتّ نفل موقف ابن الانباري
 الصارم منها ، فقد نقد عليها وصرح بعدم ضديتها عنده ، يقول مثلاً :
 « وقال قطرب : من الاضداد قولهم : قد تَرَبَّ الرجل اذا افتقر وأُتْرَبَ
 اذا استغنى . وهذا عندي ليس من الأضداد ، لأن (تَرَبَّ) يخالف لفظ
 (أُتْرَبَ) فلا يكون (تَرَبَّ) من الأضداد لأنه لا يقع الا على معنى
 واحد . وكذلك (أُتْرَبَ) ، والعرب تقول : قد ترب اذا لصق بالتراب
 من شدة الفقر ، وأُترب اذا استغنى فهو مُترب » (١٠) . ومثل هذا ما قاله
 في (ثَلَّثْتُ وَأَثَلْتُ) و (خَذَمْتُ وَأَخَذَمْتُ) و (حَمَّاتٌ وَأَحْمَمَاتٌ)
 وسواها . وبالرغم من اشارات غيره كأبي الطيب وأبي حاتم الى هذه الناحية ،
 الا انها اشارات عابرة لا يعول عليها كقول أبي حاتم في (نَبَتْ وَأَنْبَتْ) :
 « ولا أعرف الثاني الا توهما » (١١) . وعلى أن نقد هؤلاء أقرب للبساطة

(٧) النساء ٣٠ .

(٨) معاني القرآن ٢٦٣/١ . وانظر : ٣٩٩/١ و ٤٦٠/١ و ٢٣٢/٢
 و ٣٩٤/٢ .

(٩) لسان العرب (مضى) و (حزن) .

(١٠) ابن الانباري ٣٨٠ .

(١١) أبو الطيب ١٢٤/١ .

منه الى النظرة الدقيقة ، فانه يقدر لهم التفاتهم الى ناحية من نواحي الفرق بين الصيغتين وان كانت شكلية محضة .

أما أن يكون (أفعل) وحده من الأضداد ، كقولهم : أَطْلَبْتُ الرجل : أعطيته ما طلب ، وأَطْلَبْتُهُ : الجأته الى أن يطلب^(١٢) . فله تفسير آخر ، هو عندى قائم على التفريق بين همزتي الفعل ، فالأولى هي غير الثانية ، فالهمزة التي في (أَطْلَبْتُهُ : أعطيته ما طلب) هي همزة السلب ، التي سلبت معنى الطلب وحولته الى معنى الاعطاء ، وهي جواب : طلب (الموجب) . والهمزة التي في (أَطْلَبْتُهُ : الجأته الى أن يطلب) هي همزة التعدية التي أوقعت معنى (أَطْلَبَ) الرباعي على الطالب ، فكان ملجأ بهذا الوقوع الى أن يطلب ، وهي جواب : لم يطلب (السالب) . فاجتمعت بهذا صيغتان متشابهتا الاصوات مختلفتا الهمزة فظن فيها التضاد . ولست أميل الى اعتبار أحد المعنيين حقيقيا والآخر مجازيا بدعوى انهما مرتبطان سببا ومسببا كما ذهب الى ذلك أحد الباحثين^(١٣) . ذلك ان الاستعمالين موجودان منذ أن وجدت همزتا التعدية والسلب وان كان المثل هنا مصنوعا ، ولا يستشعر من أحد المعنيين انه مجازى بالنسبة للثاني وانه مرتبط به ارتباط السبب بالمسبب ، فالتكلم يستطيع أن يستعمل أحد المعنيين باستخدام الفعل الخاص به دون أن يرتبط بذهنه المعنى الثاني بسبب ما .

٢ - أضداد بين فَعَلَ وَفَعَّلَ ، مثل : (بَدُنْ وَبَدَنَ)^(١٤) و (سَبَدَ وَسَبَدَ)^(١٥) و (عَزَرَ وَعَزَّرَ)^(١٦) و (فَزَعَ وَفَزَّعَ)^(١٧) و

-
- (١٢) كتب الاضداد وتاج العروس ٢٧٥/٣
 - (١٣) حسين محمد : اللسان العربي ١١٤/٨
 - (١٤) قطرب ٢٧٣ وابن الانباري ٤٠٠
 - (١٥) قطرب ٢٧٦ وابن الانباري ٣٠٩ وابن الدهان ٩٩
 - (١٦) ابن الانباري ١٤٧ وابن الدهان ١٠٢
 - (١٧) ابن الانباري ١٩٩ ، ٢٨٣ وابن الدهان ١٠٣ وفقه اللغة للشعالبي
- ٥٥٩

(عَرَبَ وَعَرَّبَ) (١٨) ، ومن ذلك أيضا ما كان (فَعَّلَ) وحده من الأضداد ، مثل : (فَرَّعَ) (١٩) و (حَلَّقَ) (٢٠) و (جَمَّرَتْ) المرأة (٢١) و (قَرَّظَتْ) (٢٢) و (وَلَّيَتْ) (٢٣) و (فَوَّزَ) (٢٤) و (بَرَّدَ) (٢٥) ، وغيرها . وهذه الصيغة أعني صيغة (فَعَّلَ) بتضعيف العين ، تصرف الى ما تصرف اليه صيغة (أَفْعَلَ) من معنى ، اذ يستخدم هذا التضعيف للغرضين أنفسهما (٢٦) . فاما أن يكون للتعدية وهو ايجاب ، واما أن يكون للسلب ، وورودها في الأول هو الأكثر ، يقول ابن جنبي : « وقد قالوا ايضا : عَجِمْتَ الكتاب ، فجاءت (فَعَّلْتَ) للسلب أيضا كما جاءت (أَفْعَلْتَ) . ونظير عَجِمْتَ في النفي والسلب قولهم : مرَّضْتَ الرجل : أي داويته ليزول مرضه وقدَّيْتُ عينه أي أزلت عنها القذى ، ومنه رجل مَبْطُن : اذا كان خميص البطن كأن بطنه أخذ منه ، فجاءت (فَعَّلْتَ) للسلب أيضا ، وان كانت في أكثر الأمر للايجاب » (٢٧) ومن أوضح اشارات القدماء الى مجيء بناء (فَعَّلَ) للسلب هي اشارة الخليل في تعليقه على قول أوس بن حجر يذكر الخيل :

لَدَى كُلِّ أَخْدُودٍ يُغَادِرُنْ دَارِعاً
يُجَرِّ كَمَا جُرَّ الْفَصِيلُ الْمُقَرَّعُ

-
- (١٨) النخل لابي حاتم (مخطوط) ٣٩ ولسان العرب ٥٩٠/١ .
(١٩) ابن الانباري ٣١٥ وابن الدهان ١٠٣ وديوان الادب للفارابي (مخطوط) ق ٢٠٨ .
(٢٠) ابن الانباري ٤٢٢ وابن الدهان ٩٦ .
(٢١) ابن الانباري ٣٧٢ .
(٢٢) ابن الانباري ٣٩٢ وابن الدهان ١٠٥ .
(٢٣) أبو الطيب ٦٦٦/٢ .
(٢٤) أبو الطيب ٥٥٧/٢ .
(٢٥) ابن الانباري ٦٤ وأبو الطيب ٨٦/١ وابن الدهان ٩٤ .
(٢٦) انظر : الفعل زمانه وأبنيته للدكتور ابراهيم السامرائي ٨٢-٩٢ .
(٢٧) سر صناعة الاعراب ٤٤ .

فقال : « وهذا على السلب لانه ينزع قرعه بذلك ، كما يقال : قدَّيتُ العين : نزعت قذاها ، وقرّدت البعير . . » (٢٨) . ولهذا فان العارِبَ والمُعَرَّبَ ليسا ضدّين بدعوى ان اصل الفعل وهو مجرد يحمل معنى الاصلاح والافساد كما وهم أبو حاتم (٢٩) وغيره ، وانما هما شيئان مختلفان لاختلاف الأصلين ، اذ الأول من (عرب) والثاني من (عَرَّبَ) مضعفا ، فاكسب الفعل بهذا التضعيف معنى السلب ، فعرب مجردا بمعنى أفسد ، ولكن تقول المعجمات اللغوية في (عَرَّبَ) مضعفا انه بمعنى : « قبّح قوله وفعله ، وغيره عليه وردّ عليه . . . » وعرب عليه : منعه « (٣٠) ، فيكون هذا المنع والردّ للفساد هو الاصلاح ، وانما استفدنا هذا المعنى من صيغة (فعل) التي هي للسلب .

ولانعدم أن نجد بين الأضداديين من نقد على هذا التضاد ملتقنا الى شيء من الفرق بين الصيغتين ، وان كان في ظاهره نقدا شكليا يقوم على التفريق بين صورتَي الفعل ، دون تعليل أو إشارة الى معنى السلب ، يقول ابن الانباري : « وقال قطرب : من الأضداد قولهم : بدّن الرجل اذا حمل اللحم والشحم ، وبدّن تبدينا اذا أسن وكبر وضعف ، قال أبو بكر : وليس الأمر عندي على ما ذكر قطرب ، لأن (بدّن) لفظه يخالف لفظ (بدّن) ، وما لا يقع الا على معنى واحد لا يدخل في حروف الأضداد » (٣١) . الا ان ابن الانباري لم يحاول هو ولا غيره أن ينقد ضدية (فعل) وحدها ، بل ارتضاها وأدخلها في كتابه ، ونستطيع أن نوجّهه لمثل هذا التضاد عين الملاحظة التي وجهناها لتضاد (أفعل) وحدها . اعني أنه ربّما اجتمعت في (فعل) صيغتان لبستا لبوسا صوتيا متشابهة فظن أن

(٢٨) العين (المطبوع) ١٧٧ .

(٢٩) النخل لابن حاتم (مخطوط) ٣٩ .

(٣٠) لسان العرب ١/ ٥٩٠ .

(٣١) ابن الانباري ٤٠٠ - ٤٠١ .

فيها تضادا معينا ، فمثلا قد تكون (فرّع) التي تعني أضعده هي غير (فرّع) التي تعني انحدر ^(٣٢) ، وذلك بأن يكون التضعيف الذي دخل عين الفعل في الأولى للتعدية ولذا قيل في معناها (أضعده) لا صعد وهو متعد بمعنى أضعده جسمه أو راحلته أو نظيره أو أى شيء آخر يقع عليه الفعل ، ويكون التضعيف في الثانية للسلب ، وهو قلب المعنى وسلبه ، ولذا قيل في معناها (انحدر) وهو لازم لا متعد ، فيكون بذلك سلبا لمعنى الفعل المجرد (صعد) الذي هو لازم أيضا •

٣ - أضعاد بين فعَل وتَفَعَّل ، مثل : (تَأَثَّم) ^(٣٣) و (تَحَوَّب) ^(٣٤) و (تَصَدَّق) ^(٣٥) و (تَحَنَّن) ^(٣٦) و (تَظَلَّمَ) ^(٣٧) و (تَهَيَّب) ^(٣٨) و (تَوَسَّد) ^(٣٩) و (تَهَجَّد) ^(٤٠) و (تَضَوَّع) ^(٤١) و (التَفَطَّر) ^(٤٢) و (التَّبَلَّ) ^(٤٣) و (المتفكه) ^(٤٤)

(٣٢) يرى أبو زيد في نوادره ١٨٦ : ان (فرّع) علا ، و (أفرع) انحدر ، وهذا يؤكد معنى السلب في (افعل) من الاضداد •
(٣٣) قطرب ٢٥٨ وابن الانباري ١٦٩ وابن الدهان ٩٣ وأبو الطيب ١٧/١ وفقه اللغة ٥٥٩ •

(٣٤) ابن الانباري ١٦٩ •
(٣٥) أبو حاتم ١٣٥ والصغاني ٢٣٥ وابن الانباري ١٧٩ وابن الدهان ١٠٠ وأبو الطيب ٤٣٧/١ •

(٣٦) ابن الانباري ١٨٠ وابن الدهان ٩٦ والصغاني ٢٢٨ •
(٣٧) قطرب ٢٦٨ وأبو حاتم ١٢٧ وابن الانباري ١٩١ والاصمعي ٥٣ وابن الدهان ١٠١ وأبو الطيب ٤٧٣/١ •

(٣٨) الاصمعي ٤٩ وأبو حاتم ١٢٨ وابن الانباري ٩٩ •
(٣٩) ابن الانباري ١٨٦ وابن الدهان ١٠٧ والصغاني ٢٤٧ •
(٤٠) الاصمعي ٤٠ وابن السكيت ١٩٤ وابن الانباري ٥٢ وأبو الطيب ٦٧٨/٢ وفقه اللغة للشعالبي ٥٥٩ •

(٤١) أبو حاتم ١٣٨ والصغاني ٢٣٦ •
(٤٢) قطرب ٢٦٠ وابن الانباري ٢٧٣ وابن الدهان ١٠٣ وأبو الطيب ٥٦٣/٢ •

(٤٣) أبو الطيب ٦٤٩/٢ •
(٤٤) قطرب ٢٧٥ والاصمعي ٥١ وابن الانباري ٦٥ وابن الدهان ١٠٣ وأبو الطيب ٥٤٥/٢ •

و (المتكئ) (٤٥) و (يَتَصَحَّن) (٤٦) وغيرها، وهذه الصيغة هي الأخرى تستعمل لأكثر من معنى ، تماما كصيغتي (أَفْعَل) و (فَعَّل) ، فقد تأتي للسلب كما تأتي للإثبات ، يقول ابن جني : « ونظير فَعَّلَتْ وَأَفْعَلَتْ في السلب أيضا (تَفَعَّلَتْ) ، قالوا : تحوَّبت وتَأَثَّمت ، أى تركت الحوب والائم ، وان كان (تَفَعَّلَتْ) في أكثر الأمر تأتي للإثبات ، نحو تقدمت وتأخرت وتعجلت وتأجلت * » (٤٧) . وأشار الفراء الى معنى السلب في (تَفَعَّل) بمقارنتها في الاستعمال بـ (أَفْعَل) فقال في قوله تعالى : (واذ تأذن ربكم) (٤٨) : « معناه : أعلم ربكم ، وربما قالت العرب في معنى أَفْعَلَتْ : تَفَعَّلَتْ ، فهذا من ذلك والله أعلم * ومثله : أوعدني وتوعدني ، وهو كثير » (٤٩) * وفرّق ابو علي القالي بين معني علا وانحدر في مادة (فَرَعَ) بأن جعل (تَفَرَّع) للعلو ، و (فَرَّعَ وأَفَرَّع) للانحدار ، والأولى على السلب (٥٠) * ورأى الثعالبي السبب نفسه في تضاد (فَعَّلَ وَتَفَعَّلَ) وعدد امثلة من ذلك ، وذكر مما لم يذكر الأضداديون : « حَرَجَ فلان اذا وقع في الحرج ، وَتَحَرَّجَ اذا تباعد عن الحرج » (٥١) حتى إنه أبعد في تلمس معنى السلب في الالفاظ والصيغ ، فذكر انه يقال : « امرأة قذُور ، أى متصوِّنة عن الأقدار ، واللفظ يُشَبَّه ضد ذلك » (٥٢) * .

والى جانب معنى الاثبات ومعنى السلب في صيغة (تَفَعَّل) معان

-
- (٤٥) أبو الطيب ٦٠٩/٢
 - (٤٦) أبو الطيب ٤٤٧/١
 - (٤٧) سر صناعة الاعراب ٤٤
 - (٤٨) ابراهيم ٧
 - (٤٩) معاني القرآن ٦٩/٢
 - (٥٠) أمالي القالي ٥٧/١
 - (٥١) فقه اللغة ٥٥٩
 - (٥٢) فقه اللغة ٥٥٩

آخر تنصرف اليها بعض امثلة هذه الصيغة ، منها (التكلّف) نحو تشجّع وتحلّم ، وما هو بشجاع ولا حلیم • و (الاتخاذ) نحو تردّى وتوسّد من الرداء والوسادة ، وهو معنى يأتي من الاشياء المادية لا المجردة • و (التكرّر في مهلة) نحو تجرّع وتفهم ^(٥٣) • ومن هذا الأخير لفظة (تصدّق) التي يقول فيها البطليوسي : « لأن العرب تستعمل (تَفَعَّلْتُ) في الشيء الذي يؤخذ جزءا بعد جزء ، فيقولون : تَحَسَّيْتُ المرق ، وتَجَرَّعْتُ الماء ، فيكون معنى تَصَدَّقْتُ التمسّت الصدقة شيئا بعد شيء » ^(٥٤) ، وكان الأولى أن يقول (أعطيت الصدقة شيئا بعد شيء) على الأصل ، ولا يختلف معنى الجزئية والتقطيع الذي قرره في هذه الصيغة ، لان أبا حاتم نقل لنا عن ابي زيد أنه قال : « تصدّق الرجل اذا أعطى صدقته ، وبعض العرب يقول : تصدق سأل ، والجيد تصدق اعطى » ^(٥٥) • المهم اننا امام معان كثيرة يمكن أن نرجع اليها الالفاظ السابقة كل واحدة منها الى حظيرتها • اذ نفترض ان تكون الافعال التي تعني اشياء مكروهة يستحب تجنبها واتقاؤها ، صيغت على تفعل للسلب ، ليستفيدوا منه معنى التجنب والاتقاء ، وهذه مثل : تأثم ، تحوّب ، تحنّث ، تظلم ، تهيب ، تخرج ، تهجد وغيرها ، حتى ان بعض الاضداديين صرح بأن من هذه الافعال ما لم يكن له الا معنى واحد وهو السلب ، يقول ابن الانباري : « كما يقال : قد تحوّب الرجل اذا تجنّب الحوب • ولا يستعمل (تحوّب) في المعنى الآخر » ^(٥٦) • ولما كان الهجود مما يستكره للعايد التقى ليلا سلبوا معنى (هَجَدَ) فقالوا (تهجد) ، يقول أبو الطيب : « وأكثر ما يقال في النائم

(٥٣) شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ١/١٠٤ - ١٠٧ •

(٥٤) الاقتضاب ١١٠ •

(٥٥) أبو حاتم ١٣٥ - ١٣٦ •

(٥٦) ابن الانباري ١٦٩ •

هاجد ، وأكثر ما يقال في المستيقظ متهجد ، وفي التنزيل (فتهجد به) (٥٧)
قال التوزي : معناه صلّ به ، وقال غيره : فيقَطُّ به ، (٥٨) .

ويمكن أن نرجع الى معنى (التكلف) من هذه الأفعال : تَقَطَّر ،
تَفَكَّه ، تَكَاد ، تَنَبَّل ، فهي تشعر بمحاولة فاعلها أن يتكلف معانيها في
نفسه ، وهي ليست فيه . ونرجع الى معنى (الاتخاذ) منها : تَوَسَّد ،
تَصَحَّن . والى معنى (التكرّر والجزئية) : تَصَدَّق وتَضَوَّع . وهكذا
نجد أن جميع هذه الأفعال انضوت تحت معان متعددة دفعت العربي الى
استعمال هذه الصيغة ليعبر عن واحدة من هذه المعاني ، على أن معنى السلب
فيها أشيع هذه المعاني وأقوى الدوافع الى استعمال (تَفَعَّل) فيما عدا معنى
الاثبات والتحقيق الذي يشمل جمهور أفعال هذه الصيغة ، ذلك أن التكلف
يحد ذاته فيه معنى من معاني السلب ، ولكنه سلب عكسي اذا صح التعبير ،
ففي السلب المعروف نبعد عنا معنى الفعل السيء تجنبنا وتعففا ، ولكننا في
التكلف نقلب المسألة فستجلب معنى مفقودا فنسلبه لأنفسنا بعد أن لم يكن
فيها ، وهذا واضح اذا قلنا : تَكْرَم ، تَحْلِم ، تَشَجَّع ، وسواها (٥٩) .
لهذا فلا تضاد حقيقي بين صيغتي (فَعَّلَ وَتَفَعَّلَ) أو في صيغة (تَفَعَّل)
وحدها ، لاختلاف الاصل المعنوي الذي يقوم عليه بناء هذه الأفعال ، إذ
لا تكفي وحدة الصوت أو الشكل لكي تفترض مثل هذه الضدية .

الثنائية واختلاف الاصلين

مرت علينا في أكثر من موضع سابق الإشارة الى نظرية ثنائية اللغة ،
التي نادى بها علماء اللغة القدامى ، وسار على خطاهم عدد من المحدثين ،

(٥٧) الاسراء ٧٨ .

(٥٨) أبو الطيب ٦٨٠/٢ وانظر : الاصمعي ٤٠ .

(٥٩) انظر نوادر أبي زيد ٢٠٦ وفيه : « ويقال : ما كان ذا حلم ولقد

تحلّم . وما كان ذا أناة ولقد تأتّى » .

مدللين جميعا على صحتها بما يمكن ملاحظته في طائفة كبيرة من الفاظ اللغة ، وامكان ارجاعها الى حرفين أصليين بحيث يكون الحرف الثالث طارئا منوعاً للمعنى ومخصصا له .

الذى نريد أن نبينه هنا هو امكان تطبيق هذه النظرية في تفسير نشأة الأضداد كما حاول ذلك أحد الدارسين^(٦٠) . وهذا يتم بالرجوع بالضد الى أصلين ثنائيين تلاقحا بفعل تطور العربية من مرحلة الثنائية التامة الى الثلاثية التي أصبحت طابعها المميز ، اذ تكون دلالة اللفظة في هذه الحالة دلالتين مجتمعتين باجتماع الاصلين الثنائيين ، فتكون في دلالتها على أحد الضدين منحدره من أصل ، وفي دلالتها على مقابله منحدره من أصل آخر ، وبذلك نكون بصدد كلمتين لاكلمة واحدة ، وهذا الأمر يصدق على طائفة كبيرة من الأضداد ، فمثلا :

١ - ضَعَفَ : التي تعني الدلالتين المتضادتين : زاد ، نقص^(٦١) .
اذ تكون بالمعنى الأول منحدره من الثنائي (ضَفَّ) الدال على الزيادة والكثرة ، وبالمعنى الثاني من الثنائي (ضَعَّ) الدال على القلة والضمور والنقصان^(٦٢) .

٢ - أَبْضَ : بمعنى سكن وتحرك^(٦٣) ، فبالمعنى الأول صادر من (بَضَّ) في بضا وباض بمعنى : أقام في المكان وسكن . وبالمعنى الثاني من (أَبَّ) الشيء : حركه^(٦٤) .

٣ - شَعَبَ : التي تعني فرق وجمع^(٦٥) ، فبالمعنى الأول هي من

-
- (٦٠) الاب مرمجي الدومينكي في ابحاثه في الثنائية والألسنية .
(٦١) ابن الانباري ١٣١ والصغاني ٢٣٦ .
(٦٢) المعجمة العربية للاب مرمجي ٢٢١ .
(٦٣) الصغاني ٢٢٢ ولسان العرب ١١٠/٧ .
(٦٤) هل العربية منطقية للاب مرمجي ١٣٥ .
(٦٥) قطرب ٢٦١ وابن الانباري ٥٣ وأبو الطيب ٤٠٠/١ والمصباح المنير ٤٢٧ .

الثاني (شَعَّ) المراد به التفرق ، وبالمعنى الثاني هي من (عَبَّ) الدال على الجمع (٦٦) •

٤ - أَبَلَّ : بمعنى رطب ويس (٦٧) • فبالدلالة الأولى من الثاني (بَلَّ) بمعنى : ندى وبالدلالة الثانية من (أَبَّ) في الآب وهو الكلاء اليابس (٦٨) •

٥ - هَجَدَ : التي تعني نام وسهر (٦٩) • الأول من (هَدَّ) في هدأ بمعنى سكن • والثاني من (جَدَّ) بمعنى : جهد ، اذ السهر اجتهد في منع النوم (٧٠) •

ومثلها المواد : عَطَل ، قَلَص ، لَطَعَ ، نَصَب ، هَلَب ، فَغَم ، قَوَّى ، قَشَعَ ، طَلَعَ ، لَقَمَ ، ، وغيرها (٧١) • اذ يمكن رد كل لفظة من هذه الالفاظ الى ثنائين مختلفين في الدلالة بنفس الطريقة المتبعة في الأمثلة السابقة ، على ان الأب مرجحي بالغ كثيرا في هذا الصدد وأوغل في محاولة ابطال الضدية بطريقته التي سمّاها (نظرية الثنائية) •

ان عامل (المغناطيسية) اذا صح التعبير ، الذي نشط في تلك المرحلة التاريخية من مراحل اللغة ، وحد مجموعة من الثنائيات اللغوية التي ترتبط فيما بينها برابط التضاد في المعنى ، فكون منها ألفاظا ثلاثية - بعد أن استغنى عن بعض أصواتها - تنصرف دلالتها انصرافا متضادا ، فكانت ظاهرة من ظواهر اللغة ، أو مشكلة من مشكلاتها القديمة كما يسميها الدارسون • والرجوع الى طائفة من موادها بهذا التفسير يكشف عن حقيقة وجودها

(٦٦) المعجمية العربية ٢٢٤ •

(٦٧) الصغاني ٢٢٢ •

(٦٨) هل العربية منطقية ١٣٥ •

(٦٩) الاصمعي ٤٠ وابن الانباري ٥٢ وأبو الطيب ٦٧٨/٢ •

(٧٠) هل العربية منطقية ١٤٢ •

(٧١) هل العربية منطقية ١٣٧ - ١٤٢ والمعجمية العربية ٢٢١ - ٢٢٢ •

ويوضح أحد عوامل نشأتها ، حيث لا يعني استخدام هذا التفسير ان جميع الأضداد يمكن أن تخضع له ، لأن كثيرا منها كان نشؤوه بسبب عوامل لغوية وحضارية ونفسية اخرى عرضا لها وسنعرض لغيرها •

ويمكننا من دراسة هذه الطائفة من الأضداد أن تبيين المسير الذي سلكه الأصلان الثنائيان في تلاحمهما وتداخلهما ، اذ تدل أغلب الأمثلة على ان المعنى السلبي هو الذي تقدم نحو المعنى الايجابي فلصق به وطراً عليه ، فكأنهما معتد ومعتدى عليه ، وهو سلوك طبيعي حين تتعقد الحياة ويحتاج فيها الى النقض والابطال وتتبدد الأذهان عن البساطة والعفوية المتناهية التي كانت متوفرة في البدائية الأولى حين كانت الايجابية سمة الحياة غير المركبة والعيش غير المعقد • فلكل ضد دالتان سلبية وايجابية ، فاذا كانت اللفظة تعني الزيادة والنقصان ، فالزيادة معنى ايجابي والنقصان سلبي ، واذا كانت تعني الجمع والتفريق فالجمع معنى ايجابي والتفريق سلبي وهكذا ، فاذا صح ان المعنى السلبي هو الطارىء ، صح قولنا ، انه هو المعتدى لأن الفطرة البشرية تنفر من هذه السلبية المقيتة وترتاح الى الايجابية المحببة • نلمح ذلك حين نحلل أصوات الضد الثلاثي ونرجع به الى الأصلين الثنائيين ، ونرى كيف تسلسلت هذه الأصوات وتمازجت واستقرت ، فمن هذا التسلسل والتمازج والاستقرار تبيين خطوات الأصلين في تحركهما • فمثلا (ضَعْفَ) التي ذكرنا انها بمعنى زاد ونقص وهما من الثنائيين (ضَعُ) نقص ، و (ضَفَ) زاد • فلو حللنا أصوات اللفظة كما استقرت عليه لوجدنا انها تبدىء بالثنائي (ضَع) تاما ولكنها احتفظت من الثنائي الآخر بالفاء وحدها ، وعلى هذا فنحن نفترض أنها في الأصل (ضَعُضَفَ) قبل أن يستغنى عن نصف الثنائي الثاني ، فيكون لدينا بهذا التركيب صورة لحدثين أحدهما وقع على الآخر ، وبالتأمل نجد ان الحدث الأول وقع على الحدث الثاني ، أى ان (ضَعُ) وقع على (ضَفَ) ولو شئنا ترجمة هذه

الأصوات بعبارة قلنا (نقص الزيادة) ، فعندنا أصلا زيادة ما وهي معنى ايجابي وقع عليها فعل النقصان وهو معنى سلبي ، ولهذا استغني عن ضاد (ضَفَّ) ولم يستغن عن ضاد (ضَعَّ) ، وذلك لترسيخ معنى النقصان الحاصل في الزيادة الأصلية ، ومن هنا كان النقصان معتد طارئ ، وبالرغم من ان ذلك لم يكن له تخطيط مسبق من قبل المتكلم الا انه لم يحدث اعتباطا وبمعزل عن (اللاشعور) النشيط في نفس الانسان ، والا لكان الضد (فَعَضَّ) أو (فَضَعَّ) مثلا أو غير ذلك من صور الأصوات الثلاثة ، ومثل هذه المادة في التكوين مادة (شَعَبَ) الآتية من (شَعَّ) فرق و (عَبَّ) جمع ، وكذلك (أَبَضَّ) من (أَبَّ) تحرك و (بَضَّ) سكن •• وهكذا •

ولا بد لنا ونحن في صدد الحديث عن الثنائية من أن نتعرض الى شيء يتصل بالأصوات المفردة لما له من علاقة بهذا الموضوع ، لأن الصوت - كما مر - في فصل الدلالة - له دور كبير في تحديد المعنى العام للفظه وصرفه الى وجهة معينة ، حيث تتكون دلالة الألفاظ في اللغة من مجموع دلالات أصواتها ، ولهذا كان استقرار المعجم اللغوي يؤكد وجود أصوات تدل - فيما لو وجدت في لفظة من الألفاظ - على معنى خاص بتلك الأصوات • وذلك يتعلق أيضا بالألفاظ التي حكت أصواتها أصوات الطبيعة وهي كثيرة ، منها ما كان حكاية لأصوات الانواء ومنها لأصوات الاحداث وأصوات الحيوانات حتى ان اللفظة من هذه المجموعة كانت تدل على مسمائها دلالة صوتية بحتة ، بل يستطيع السامع أن يمين دلالتها دون أن يعرفها وذلك باستيحاء أصواتها ، فاذا قيل لأحد أي أصوات الحيوانات يسمى (عواء) فربما عرفه وقال صوت الذئب ، وان لم يكن قد عرف ذلك قبلا ، ولكنه يهتدي اليه باستيحاء اصوات الاسم وتطبيقه على طبيعة مسماء •

أريد أن أخلص من ذلك الى أننا قد نستطيع بشيء من دقة في استيحاء

دلالة الصوت أن نصل الى معنى بعض الألفاظ ، ولست أدعي بذلك ان
 موضوع ربط الصوت بدلالة اللفظ من المواضيع المستحدثة في علم اللغة ،
 ذلك ان القدماء وعلى رأسهم ابن جني قد تبهوا اليه وبحثوا فيه ، وزاد فيه
 المحدثون وطوره على أسس علمية مدروسة ، ولكنني أريد أن أقول ربّما
 كانت محاولة تطبيقه الآن على الأضداد جديدة ، حيث نهدف من ذلك الى توثيق
 صلة اللفظة بأحد معنيها المتضادين أو بمعنى مشترك عام وذلك باستيعاء الأصوات
 وربطها بالمعنى • فلو أخذنا مثلا لفظة (السُدْفَة) التي قالوا انها تعني
 الظلمة وتعني الضوء ، لوجدنا أن أصواتها لا تميل بنا الى أي من المعنيين ،
 فلا تتمحض في ايائها للضوء كما لا تتمحض للظلمة ، اذ نستشعر انها
 شيء آخر ربّما كان وسطا بين الظلمة والضوء • فتتابع أصواتها وتلاحقها
 يوحي بأن هناك انبثاقا بطيئا لنا لشيء من بين شيء آخر وهما الضوء من
 الظلمة ، ذلك أن صوت السين الصادر من بين الأسنان المنطبقة وما يرافقه
 من لم للشفة بسبب ضمة السين يوحي بالانبثاق ، ثم تأتي حركة اللسان
 المتجه من الداخل الى الخارج للنطق بالdal مؤيدة المعنى السابق ، حتى
 اذا استقر صوت الدال الساكن الموحى بالظلمة الساكنة التي ينبثق منها
 الضوء جاء صوت الفاء المفتوحة الصادر من بين شفتين مفتوحتين موحيا بقرب
 انتهاء عملية الانبثاق ، فأصوات اللفظة بمجموعها عبرت بنغمتها وتتابعها
 وحركات أعضاء النطق معها عن عملية ولادة الضوء من الظلمة ، ولهذا
 أطلقت (السُدْفَة) في شواهد كثيرة على ما يشاهد (فجرا) من المعنى
 الذي أشرنا اليه والذي أرجعنا اليه الضدين في موضوع (شمولية المدلول
 الأول) • وقد لا نستطيع أن نجد في الفاظ اخرى مثل هذا التفصيل
 الدقيق في تسلسل الأصوات حسب تسلسل حدوث المعنى أو ما نجده في
 حركات أعضاء النطق من مرافقة لدلالة الصوت ، ولكننا مع ذلك نستطيع
 أن نستوحي منها انها ألصق بهذا المعنى من ذاك لمجرد انطباع يتركه في
 الذهن وحي الأصوات ، فمثلا توحى أصوات مادة (الجَوْن) على السواد

دون الياض ، و (الجَلَل) على العظيم دون الحقيق بسبب صوت اللام المتكرر ، اذ لو كانت بلام واحدة لكان ايجاؤها معكوسا * و (الرَّهْو) على حفرة كبيرة أو فضاء واسع ينظر اليه من عل ، وربما يفسر هذا معني الارتفاع والانخفاض * و (مائِل) على من لطأ بالأرض بعد أن كان منتصباً وذلك ما يوحيه مدّ الألف وكسر التاء * و (سَبَّحَ) (٧٢) على الانتشار والاضطراب دون السكون * و (هَجَدَ) على النوم دون السهر لان صوت الهاء يوحي بالهمود والارتواء ، وغير هذه من الألفاظ * وهذا لا يعني اننا بذلك نقطع بأن المعنى الحقيقي للفظه هو هذا الذي توحيه أصواتها ، وانما هي محاولة نستأنس بها على ما توصلنا اليه تحرياتها الاخرى ، ونوثق بوساطتها النتائج والخلاصات ، لان مثل هذا الاستيعاء لا يقوم على دليل بقدر ما يقوم على الاستشفاف والتطلع ، لذا فقد يصدق وقد لا يصدق *

ومن بحوث الثنائية أيضا أن يرجع بالضد الى أصل ثنائي واحد يعبر عن المعنى الأصلي الذي تفرّع منه المعنيان المتضادان ، وهذه الطريقة تشبه الى حد بعيد تلك المحاولة التي تفسّر التضاد بشمولية المدلول الأول ولكنها في هذه المرة تعتمد أصلاً ثنائياً ربما احتيج الى مقارنته بما يشبهه في اللغات السامية ، وهي ما دعاه أحد الباحثين بـ (طريقة الألسنية السامية) (٧٣) ، وهي وان كانت وسيلة ذات نفع وجدوى في هذا المجال الا ان الايغال في ترصدها وتتبعها من شأنه أن يفسد جدواها * ومن أمثلة تطبيق هذه الطريقة مادة (عَسْعَسَ) التي تدل على اقبال الليل وعلى ادباره (٧٤) ، فأصلها الثنائي (عَسَ) يعني : طاف بالليل ، فيمكن أن

(٧٢) معاني القرآن ١٠٢/٢ ومجالس ثعلب ٤٧١/٢ ولسان العرب ٤٧٠/٢ وتفسير القرطبي ٤٣/١٩ *

(٧٣) الاب مرمجي الدومنيكي نفسه : المعجمية العربية ٢١٩ *

(٧٤) قطرب ٢٦٦ والاصمعي ٨ وأبو حاتم ٩٧ وأبو الطيب ٤٨٨/٢ وابن الدهان ١٠٢ *

تطلق اللَّفْظَةُ على اقبال الليل وعلى ادباره لأن في كل منهما معنى الحركة^(٧٥) . ومثلها (قَرَضَ) المستعمل في المدح والذم^(٧٦) ، وهو من الثنائي (قَضَ) الدال على القطع ، لان المادح يقطع المدوح ويفرضه عن سائر الناس ، وكذلك الذام يقطع المذموم ويفرضه^(٧٧) . ومثلها (سَجَرَ) التي تعني ملأ وأفرغ^(٧٨) ، والمادة من الثنائي (سَجَ) الدال على الانزال ، والملاء نوع من انزال السائل في الوعاء أو نقله من حوض الى آخر أو من بحر الى ثان ، حيث يتطلب هذا الملاء ا فراغ الاناء أو الحوض أو البحر المنقول منه لتلازم المعنيين في عملية (السَجَ) فكان الانصراف متضادا^(٧٩) . وكذلك المواد : شَمَلَ من (شَمَ) . وبيض من (بَضَ) وباعَ من (بَعَ) . وعَنَدَ من (عَنَ) وغيرها^(٨٠) . مما يمكن أن يلمح فيها الأصل الثنائي قبل أن ينوع معناه الصوت الجديد .

الا أن تفسير الأضداد بالثنائية لم يرق لاحدهم ، فأنكره بشدة ، بل اعتبره دليلا عكسيا على حقيقة الضدية ، وان الأضداد أمر واقع سواء كان ذلك بسبب اتحاد ثنائيين في الصورة أو تطور دلالي لثنائي واحد^(٨١) . وقد تناسى هذا الباحث أن القصد من ذلك هو بيان أن التضاد ليس أصيلا في الوضع ، وانما كانت نشأته بسبب من هذه الاسباب ، التي نستطيع بواسطة الرجوع اليها أن تبين الظروف التي هيأت وساعدت مجموعة من الألفاظ على أن تكتسب هذه الضدية ، ونحن حين نلغي عددا من هذه

(٧٥) المعجمية العربية ٢٤٤ .

(٧٦) قطرب ٢٦٧ وابن الانباري ٣٩٢ وفي كليهما بالطاء .

(٧٧) المعجمية العربية ٢٢٣ .

(٧٨) ابن الانباري ٥٤ وأبو الطيب ٣٦٠/١ وابن الدهان ٩٩ .

(٧٩) المعجمية العربية ٢٢٥ .

(٨٠) هل العربية منطقية ١٣٦ - ١٤٢ .

(٨١) عادل زيدان : أبو الطيب اللغوي ٨٨ - ٨٩ .

الأضداد ، فانما نلغي أصالة الضدية في وضع الألفاظ فقط ، وأما تلك التي حفلت بها كتب الأضداد فهي أضداد بلا خلاف ، وهي موضع درسنا ، ومحاولات تفسيرها هذه انما كانت لأنها أضداد .

المجاز والمقلوب من التراكيب

في مواد الأضداد طائفة غير قليلة يتضح فيها ان أحد معنيها حقيقي والآخر مجازي ، ذلك أن الانتقال من الحقيقة الى المجاز عن طريق استعمال الألفاظ مستعارة من معانيها الأول الى معان جديدة ، تدفع اليه حاجات كثيرة في نفس المتكلم قد يكون منها الحياء أو الخجل أو الخوف أو أي دافع آخر متعمد أو غير متعمد ، يقول الاصمعي : « ولما أرادوا أن يجيئوا بالشيء فلا يمكن ، فيأتون بشيء من سببه يستدل عليه به » (٨٢) ، حتى اذا شاع اطلاق اللفظة مجازا على معنى معين وكثر استعمالها فيه تقرب شيئا فشيئا الى أن تكون حقيقة في دلالتها على ذلك المعنى ، ونكون بعد ذلك ازاء لفظة تنصرف انصرفين حقيقيين ، فاذا كان المعنيان متضادين أو ما يشبه المتضادين عدت هذه اللفظة من الأضداد ، والوهم في عد هذه الالفاظ من الأضداد واضح ، ذلك ان الاسرار البلاغية لا علاقة لها في الواقع بوضع اللغة ، فهي أمور نسبية تتفاوت طرق التعبير عنها بتفاوت الأشخاص ، فليس ضروريا أن يكون ما استعمل على سبيل الاستعارة أو التقابل لغرض من الاغراض دالا على التضاد الحقيقي الوضعي ، غير أن الناس اذا تناسوا العلاقة التي تستدعيها الصور والألفاظ والأفكار المتداعية بين الحقيقة والمجاز ، نقلوا هذه الألفاظ متوهمين فيها التضاد الحقيقي . وقد أشار الى دور المجاز في خلق التضاد غير واحد من الدارسين

(٨٢) الحروف لابن السكيت ٤٤ .

المحدثين^(٨٣) ، متحفظين في إيراد أمثله وشواهد ، غير أن منهم من أسرف في هذا المجال فعدّ كل الاضداد داخلة في هذا الباب ، وقد تعدد المتكلم أن يستعمل معانيها المتضادة مجازاً وملاحن ليتسنى له تحقيق أغراضه حين الملحفة ، والابانة عن أفكاره حينما تحوم من حوله الاذن ، حتى قال صاحب هذا الرأي : « واذا كانت الاضداد حيلة لفوية تفسّر على هذا الوجه ، فيتحمّ عينا جدا أن تترث في درسها لأنها قد توقفتنا على نحو من (الشيفرة) عند العرب اذا قبلت هذه التسمية »^(٨٤) . وفي هذا المذهب بعد عن حقيقة المسألة لأن كثيرا من الأضداد أمكن الرجوع به الى اختلاف اللهجات والى التطور الدلالي والصوتي الذي يصيب الالفاظ والى العوارض الصرفية التي تلحق الصيغ والمشتقات والأفعال وغير ذلك من عوامل نشوء التضاد ، فلا يمكن حصر هذه العوامل جميعا بالمجاز أو (الحيلة اللغوية) التي يقصد اليها المتكلم قصداً على نحو من (الشيفرة) ، وذلك ما لا يؤيده الدرس العلمي الحديث لهذه الظاهرة ، كما لا يؤيده الدرس التاريخي لطائفة العرب وسلوكهم . ومهما يكن من أمر فاننا نستطيع أن نحصي من أضداد المجاز :

١ - الهَجَرُ : يقال هجرت الرجل اذا أعرضت عنه ، وهجرت الناقة اذا شددت في انفها الهجار وهو جبل ، ليعطفها على ولد غيرها^(٨٥) . فقد انتقلت اللفظة عن طريق المجاز من معنى هجر الرجل فأطلقت على هجر

(٨٣) انظر : فقه اللغة (وافي) ١٨٩ ودراسات في فقه اللغة ٣١٠ وابن السكيت اللغوي ٢٣٩ ودائرة المعارف الاسلامية ٢٩٢/٢ ومجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٢٣٧/٢ ومجلة اللسان العربي ١١٦/٨ ومحاضرات الدكتور ابراهيم السامرائي على طلبة قسم اللغة العربية . ٢٥

(٨٤) مقدمة لدرس لغة العرب للعلايلي ٢٢٥ .
(٨٥) قطرب ٢٧٥ وابن الانباري ٣٢٣ وابن الدهان ١٠٧ وأبو الطيب . ٦٨٣/٢

الناقة لولدها والعطف على ولد غيرها •

٢ - إِرَاة : للحفرة التي تشعل فيها النار ، وللنار بعينها (٨٦) •

٣ - الإِشْرَارَة : يقال إِشْرَارَة للخصفة التي يشرر عليها الملح والأقط ، ويقال إِشْرَارَة لما يشرَّر على الخصفة من الملح والأقط (٨٧) •

٤ - الثِنْي : يقال ناقة ثني اذا وضعت بطين ، ويقال للذي في بطنها ثني (٨٨) •

٥ - النَّاس : يقال ناس للناس ، وناس من الجن (٨٩) •

٦ - الغَانِيَة : يقال غانية للمرأة التي استغنت بزوجها ، ويقال غانية للشابة الجميلة التي تستغني بجمالها عن الزينة (٩٠) •

٧ - الأَيِّم : يقال امرأة أَيْم اذا كانت بكر الم تزوج ، وامرأة أَيْم اذا مات عنها زوجها (٩١) •

٨ - الظَّهَارَة والبطانة : يقال للظهارة بطانة ، وللبطانة ظهارة ، لأن كل واحد منهما قد يكون وجها (٩٢) •

٩ - الثَّغْب : يقال للماء ثغب ، وللموضوع فيه الماء ثغب (٩٣) •

١٠ - الأَحْمَر : للأحمر والايض (٩٤) •

١١ - الأَخْضَر : للأخضر والأسود (٩٥) •

(٨٦) ابن الانباري ٣١٩ وأبو الطيب ٧١٣/٢ •

(٨٧) ابن الانباري ٣١٨ وابن الدهان ١٠٠ •

(٨٨) ابن الانباري ٣٢٠ وابن الدهان ٩٥ وأبو الطيب ١١٩/١ •

(٨٩) ابن الانباري ٣٢٨ وابن الدهان ١٠٦ •

(٩٠) ابن الانباري ٣٣٠ وابن الدهان ١٠٣ •

(٩١) ابن الانباري ٣٣١ وابن الدهان ٩٣ •

(٩٢) ابن الانباري ٣٤٢ وابن الدهان ١٠١ وأبو الطيب ٤٧٨/١ •

(٩٣) ابن الانباري ٣٤٥ وابن الدهان ٩٥ •

(٩٤) ابن الانباري ٣٤٦ وابن الدهان ٩٦ •

(٩٥) ابن الانباري ٣٤٧ وأبو الطيب ٢٢٩/١ وابن الدهان ٩٧ •

١٢ - الأَخْضَرُ : يقال رجل أخضر اذا مدح بالخصب والمطاء
والسخاء ، ورجل أخضر اذا كان لثيماً (٩٦) . فالمعنى الأول مجازه واضح ،
أما الثاني فربما كان من السواد الذي تنصرف اليه لفظة الأخضر السابقة .
١٣ - الأَكْمَه : للذي تلده أمه أعمى ، وللذي يبصر بالنهار ولا
يبصر بالليل (٩٧) .

١٤ - الجَعْدُ : للبخيل والكريم (٩٨) . فالأول من معنى التقبض
والتقلص ، الثاني من الشعر الجعد الذي هو صفة العربي المشهور بالكرم .
وقيل « أبو جَعْدَة وأبو جَعَادَة : هما من أشهر كنى البذئب ، ولا
ينصرفان للتعريف والتأنيث ، كنى بها لبخله . وقيل على التضاد لأن الجَعْدُ
الكريم من الرجال » (٩٩) . الى آخر ما هنالك من مواد هذا النوع من
الأضداد ، مثل (السَّاجِد) (١٠٠) و (الرَّدَاء) (١٠١) و (أبو حَفْص) (١٠٢)
و (خَشِيب) (١٠٣) و (الرَّأْوِيَة) (١٠٤) و (الكَأْس) و (الظَّعِينَة)
و (المِجْمَر) (١٠٥) وغيرها . ويدخل في هذا الباب ايضاً التقابل المجازي
في مثل : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) (١٠٦) و (مَكْرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ) (١٠٧)

-
- (٩٦) ابن الانباري ٣٨٢ وابن الدهان ٩٧ .
(٩٧) ابن الانباري ٣٧٧ .
(٩٨) أبو الطيب ١٦٣/١ .
(٩٩) المرصع لابن الاثير ١١٩ وانظر : اشتقاق ابن دريد ٢٩٨ ، ٥٦٥ .
(١٠٠) الملاحن لابن دريد ٢٣ .
(١) الملاحن ١٣ والتنبيهات ٣٣٥ وسمط اللآلي ٩٣٤-٩٣٥ .
(٢) المرصع لابن الاثير ١٣٨ .
(٣) الاصمعي ٩٨ وابن الانباري ٣٢٧ وابن الدهان ٩٧ وأبو الطيب
٢٥٥/١ وسمط اللآلي ٤٥٤/١ .
(٤) الاصمعي ٤٦ وابن السكيت ٢٠٠ .
(٥) أبو حاتم ١٥٦ وأبو الطيب ٧١٨/٢ .
(٦) ابن الانباري ٣٩٩ وأبو الطيب ٦٤٨/٢ وابن الدهان ١٠٧ .
(٧) معاني القرآن للأخفش (مخطوط) ١٨ آ .

و (الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) ^(٨) وأشباهها مما لا يمكن ان يعد من المعاني الحقيقية بسبب عدم جواز اتصاف الله بالنسيان والمكر والاستهزاء وقيامه بها فعدت من الأضداد ، وهي معان مجازية يتم بها التناظر البلاغي المعبر ، ولذا فهي « على الجواب » والله لا يكون منه المكر والهزء • والغنى أن المكر حاق بهم والهزء صار بهم ^(٩) • والنسيان مثلاً في العبارة الأولى ليس له إلا معنى واحد ، اذ لم يسم ما حصل من الله تعالى نسياناً إلا حين ذكر في جوار ما حصل من الناس على طريقة المشاكلة ، فلا يمكن أن يكون شيء من هذا داخلاً في التضاد •

هذه المواد التي ذكرناها هي من الأضداد التي أمكننا تفسير نشوئها بالمجاز الذي حصل فيها ، وهو تفسير لم تح اليه ابن الانباري تلميحاً ، فكان يذكر في صدر المادة منه أحياناً عبارة (ومما يشبه الأضداد) أو (ما يجري مجرى الأضداد) مشيراً الى أنه يجد فيها شيئاً ما ، بالامكان أن يرد الى ما يشبه المجاز ، كما فعل في مادتي (سَمِعَ) ^(١٠) و (طَبَخْتُ) ^(١١) ، على أن أبا الطيب كان صارماً تجاه هذه الفئة من الأضداد ، فلم يدرجها في مواضعها من كتابه ، وانما أفرد لها فصلاً في آخر الكتاب أطلق عليه (باب ما جاء مسمى باسم غيره لما كان من سببه ، فأدخله من كان قبلنا في الأضداد) ^(١٢) • ويدرج فيه مجموعة مما يفسر بالمجاز ، ويشعرنا عنوان الباب انه لولا ادخال من كان قبله لهذه الطائفة من الالفاظ في الأضداد لما عدّها هو منها ولما ذكرها في كتابه ، ومع ذلك فافراده لها ينبغي عن برودة موقفه من ضديتها • وكان أبو حاتم دقيقاً عندما سمى كتابه (المقلوب

(٨) معاني الاخفش ١٨ آ ٢ •

(٩) معاني الأخفش ١٨ آ وانظر : ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ١٣ •

(١٠) ابن الانباري ١٣٦ •

(١١) ابن الانباري ٢٨٩ •

(١٢) أبو الطيب ٧١١/٢ - ٧١٩ •

لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته والأضداد) وكأنه كان يعتقد أن ليس جميع الاضداد تتوفر فيها الضدية الحقيقية ، ولهذا فقد ذيل كتابه بما يشبه الباب قال في أوله : « وقد ذكر بعض أصحابنا حروفاً لا علم لي بها أُنْقال أم لا ، » (١٣) وكثير من هذه الحروف التي ذكرها هي من النوع الذي يفسر بالمجاز أو المقلوب من التراكيب أو ما يشبه ذلك مما دفع أبا حاتم الى الشك به واستبعاده .

أما المقلوب أو ما يسمى أحياناً بـ (المزال عن جهته) فقد دخل قسمه من كتب الأضداد على أنه منها ، واستبعده القسم الآخر ، ويقصد به تغير تركيب العبارة عن ترتيبها المتعارف عليه ، وذلك بأن يقلب الفاعل مفعولاً أو المفعول فاعلاً أو ما يشبه ذلك مما لا يلتبس معناه لدى السامع لأن القصد فيه واضح ، مثل :

- ١ - ناءَ بِي الحِمْلُ : والأصل نَوْتُ بالحمل (١٤) .
- ٢ - تَهَيَّبُنِي البلاد : والأصل تهيتها (١٥) .
- ٣ - كانَ الزَّناءُ فَرِيضَةَ الرَّجَمِ : وهو كان الرجم فريضة الزناء (١٦) .
- ٤ - خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ : والاصل خلقت العجلة منه (١٧) .
- ٥ - يا خَيْلَ اللَّهِ اركَبِي (١٨) .

وغيرها من التراكيب المقلوبة التي يمكن أن يفسر ما ورد منها في

-
- (١٣) أبو حاتم ١٤٨ .
 (١٤) أبو حاتم ١٥٢ وابن الانباري ١٤٤ وأبو الطيب ٧٢٠/٢ ومجالس ثعلب ٤١٧/٢ وطبقات النحويين ١٠٦ ومجاز القرآن ٣٨/٢ - ٣٩ وما اتفق لفظه واختلف معناه ١٥ .
 (١٥) أبو حاتم ١٥٢ وابن الانباري ٩٩ ولحن العوام للزبيدي ١٢٣ .
 (١٦) أبو حاتم ١٥٢ وسمط اللآلي ٣٦٨/١ والصاحبي ١٧٢ .
 (١٧) طبقات النحويين ١٠٦ ومجاز القرآن لابن عبيدة ٣٨/٢ .
 (١٨) أبو الطيب ٧٢١/٢ .

الشعر بالضرورة الشعرية وبصرامة التفعيلة وحركة الروي ، وما ورد منها في الشر بالمجاز حيناً وبالسهم والخطأ أحياناً ، ذلك ان علماءنا القدماء كابن جني والازهري كثيراً ما كانوا يخطئون استعمالات الاعراب ، لانهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يستعصمون بها ، وانما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به ، فربما استهواهم الشيء فزاعوا عن القصد ، الا ان استقراء هذه الفئة من التراكيب المقلوبة يدل على أن أكثرها بل كلها قصد منه المجاز باستعارة معنى لفظ آخر يجاوره في التركيب الواحد وبالعكس ، فلا يمكن أن يفسر (ناءَ بي الحمل) مثلاً أو (يا خيلَ الله اركبي) بغير المجاز البليغ ، فلا اضطرار يدفع الى هذا التفسير ، كما لا خطأ يفترض في كلام الله أو كلام النبي ، ولذا فان هذه التراكيب تكون أوقع في النفس مما لو كانت واردة بترتيبها الطبيعي من الكلام . ولم يؤثر عن العرب انهم التبس عليهم المعنى فضحكوا من اتكلم لانه قصد الى أن ينسوء الحمل بالحامل ، بل على العكس ، فقد استكثروا من هذه الصياغات المجازية ودار على ألسنتهم قلب التراكيب دون أن يزعج ذلك فهمهم للمعاني ، لهذا فمن الخطأ أن تعدّ مثل هذه الاستعمالات من الأضداد للأسباب التي بينها من جهة ، ولأن هذه التراكيب ليست ألفاظاً مفردة وردت متضادة المعنى ، وانما التضاد المزعوم في هذه التراكيب كان بسبب التركيب نفسه ، اذ لو جزأنا العبارة لما وجدنا في الفاظها (يا خيلَ) (الله) (اركبي) أي نوع من أنواع الضدية . ولهذا وقف أبو حاتم من هذا النوع موقف الشك وذكره في الفصل الذي أشرنا اليه قبل قليل ، كما ألغى أبو الطيب هذا النوع من الأضداد وأفرده في باب خاص في آخر كتابه وهو (باب تكلّمت به العرب مقلوب المعنى ، مزالا عن جهته ، فخلط بالأضداد وليس منها) (١٩) ، فبإدراكه (وليس منها) صريحة بعدم قناعتة بضدية هذه

(١٩) أبو الطيب ٧٢٠/٢ - ٧٣٢ .

التراكيب ، واعتقاده أنها من أساليب العرب في مجازها واستعارتها وتفتتها
في الكلام ، وقد خلطت بالأضداد وهي شيء آخر ، والحق معه في ذلك •

طريقة الاستعمال وضدية التفسير

عندما تعد لفظة ما من الأضداد فالمفروض - وقد أشرنا الى هذا
سابقاً - ان تتصرف هذه اللفظة الى معنيين متضادين مجردة من كل
ما يتصل بها من تعليق أو تركيب أو سياق يخص أحد المعنيين ويجرّها
الى حظيرة الالفاظ الدالة على معنى واحد ، لأن فكرة الضدية في هذه الحالة
لا تتوفر في اللفظة نفسها وانما تتوفر في الاختلاف الذي ينشأ من تفسيرها
بسبب ما يفسر به السياق أو التركيب العام للجملة ، فالتضاد في التأويل
لا في اللفظة ، وفي متعلقاتها من الحروف لا بأصلها المفرد • وتدخل تحت
هذا النوع من الأضداد ثلاث طوائف هي :

- ١ - ما كان تضاده بسبب حروف الجر المتعلقة بالفعل ، مثل :
(أغارَ الرجل الى القوم : أغاثهم ، وأغارَ على القوم : قتَلهم) (٢٠)
و (راغَ فلان على القوم : أقبل عليهم • وراغَ عنهم : اذا ولّى
عنهم) (٢١) و (فرّعه : اذا أخافه • وفرّعَ عنه : كشَفَ عنه
الفرّع) (٢٢) و (طلّعتْ على القوم : غيّبت عنهم • وطلّعت اليهم :
أقبلت اليهم) (٢٣) و (أوْزَعَتْهُ بالشيء : أولّفته به • وأوْزَعَتْهُ :
كففته عنه) (٢٤) و (تياجروا على الطريق : سازوا عليه تباعا • وتياجروا

-
- (٢٠) قطرب ٢٥٥ وابن الأنباري ٣٦٨ •
 - (٢١) قطرب ٢٧٨ وابن الأنباري ١٥٣ وأبو الطيب ٣٢٨/١ •
 - (٢٢) قطرب ٢٧٣ وأبو حاتم ١٤٥ وأبو الطيب ٥٥٣/٢ وابن الأنباري ١٩٩
وبصائر ذوي التمييز ١٩١/٤ والتنبيهات ٩٢ •
 - (٢٣) أبو الطيب ٤٥٩/١ والغريب المصنف ٥١٨ •
 - (٢٤) قطرب ٢٧٢ وأبو الطيب ٦٦٧/٢ وأبو حاتم ١٥١ وابن الأنباري
١٤٠ •

عنه : عَدَلُوا عَنْهُ (٢٥) و (ظَاهِرٌ عَنْكَ : زَائِلٌ عَنْكَ • وَظَاهِرٌ عَلَيْكَ :
لَمْ يَزَلْ عَنْكَ) (٢٦) و (قَسَطَ : عَدَلَ ، وَقَسَطَ عَنِ الْحَقِّ وَعَلَيْهِ :
عَدَلَ عَنْهُ وَجَارَ) (٢٧) و (اطْلُبْ لِي شَيْئًا : ابْنِهِ لِي ، وَأَطْلُبْنِي :
أُعْتَبِنِي عَلَى الطَّلَبِ) (٢٨) • وَمِمَّا لَمْ تَذْكُرْهُ كَتَبَ الْأَضْدَادُ : (رَغِبَ فِيهِ :
أَرَادَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَرَغِبَ عَنْهُ : عَافَهُ وَتَرَكَهُ) و (انْصَرَفَ إِلَيْهِ : أَقْبَلَ
عَلَيْهِ • وَانْصَرَفَ عَنْهُ : تَشَاغَلَ بِغَيْرِهِ) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْتِعْمَالَاتِ •
وَوَاضِحٌ أَنَّ التَّضَادَّ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَفْعَالِ غَيْرُ حَاصِلٍ إِلَّا بِسَبَبِ الْمُتَعَلِّقَاتِ الَّتِي
تَصْرِفُ الْفِعْلَ إِلَى مَعْنَى إِيْجَابِيٍّ أَوْ آخَرٍ سَلْبِيٍّ ، فَحَقِيقَةُ الضَّدِّيَّةِ هِيَ بَيْنَ
(إِلَى وَعَلَى) و (عَلَى وَعَنِ) و (فِي وَعَنِ) وَهَكَذَا ، وَلَيْسَ بَيْنَ الْفِعْلِ
وَنَفْسِهِ فِي أَىٍّ مِنْ أَسْتِعْمَالِيهِ ، فَقَدْ احْتَفِظَتْ الْمَوَادُّ الْأَصْلِيَّةُ لِلْأَفْعَالِ بِمَعَانِيهَا ،
فَأَعَارَ : اشْتَرَكَ فِي صِرَاعٍ ، وَلَكِنَّهُ مَرَّةً مَعَ الْقَوْمِ وَقَدْ أَفَادَتْهُ (إِلَى) ،
وَمَرَّةً عَلَيْهِمْ وَقَدْ أَفَادَتْهُ (عَلَى) • وَرَاغَ : تَحَرَّكَ بِخَفَاءٍ ، وَلَكِنَّهُ تَحَدَّدَ
بِالْأَقْبَالِ بـ (عَلَى) ، وَتَحَدَّدَ بِالْأَدْبَارِ بـ (عَنْ) ، وَرَغِبَ يَشْتَمِلُ عَلَى مُطْلَقِ
الرَّغْبَةِ فِي كُلِّ الْأَسْتِعْمَالِينَ ، وَإِنَّمَا الَّذِي صَرَفَ هَذِهِ الرَّغْبَةَ إِلَى اتِّجَاهَيْنِ
مُتَعَاكِسَيْنِ هُوَ حَرْفَا الْجَرِّ • وَلِلْحُرُوفِ هَذِهِ مَعَانٍ خَاصَّةٌ تَتَضَحُّ وَتَبْلُورُ إِذَا
اتَّصَلَتْ بِالْفِعْلِ ، فـ (إِلَى) تَفِيدُ مَعْنَى الْإِفْضَاءِ وَالْأَقْبَالِ وَالْأَقْدَامِ وَهِيَ مَعَانٍ
إِيْجَابِيَّةٌ ، و (عَلَى) تَفِيدُ مَعْنَى الْإِيْقَاعِ وَالنُّزُولِ وَالتَّمَكُّنِ ، وَهِيَ مَعَانٍ
سَلْبِيَّةٌ ، كَمَا أَنَّ (فِي) تَفِيدُ مَعْنَى الرَّغْبَةِ وَالْإِرَادَةِ ، بِعَكْسِ (عَنْ) الَّتِي
تَفِيدُ مَعْنَى التَّرْكِ وَالْعُزُوفِ ، • • النَّحْ • فَهَذِهِ الْأَفْعَالُ الَّتِي تَعَلَّقَتْ بِهَا حُرُوفُ
الْجَرِّ هِيَ الْفَافُ رَسْمٌ لِدَلَالَتِهَا الطَّرِيقَ وَحَدَّدَ الْمَعْنَى إِيْجَابِيًّا كَانَ أَمْ سَلْبِيًّا
بِوَسَاطَةِ هَذِهِ الْحُرُوفِ ، يَقُولُ الدُّكْتُورُ مُصْطَفَى جَوَادَ : « وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ

(٢٥) أَبُو الطَّيِّبِ ٢/٦٨٧

(٢٦) قَطْرَب ٢٧٥ وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ ٥٦ •

(٢٧) قَطْرَب ٢٥٩ - ٢٦٠ •

(٢٨) تَاجُ الْعُرُوسِ ٣/٢٧٥ •

جعلت أكثر استعمال (على) في لنتها للشر والأذى ، وجعلت أكثر استعمال (لام الجر) للخير والمنفعة ،^(٢٩) ، واعتبرها قاعدة عامة في اللغة أو شبه عامة ، إلا إذا كانت (على) موضوعة للفعل أصلاً ، فحينئذ لا تفيد معنى الشر ، مثل أشفق عليه وعطف عليه وانفق عليه وأبقى عليه^(٣٠) ، فهذه الأفعال هي بنفسها تفيد معنى الخير فلا يضيرها تعلق (على) بها • وضرب للام أيضاً أمثلة مدلاً بها على أن تعلقها بالفعل مما يصرفه إلى معنى الخير^(٣١) • واللام قريبة من (إلى) في مجال استعمالها ، لذا يصح أن تكون شواهدا على هذا المعنى هي شواهد (إلى) التي تعني الإقبال والافضاء ، كما كانت (عن) تفيد الانصراف ، يقول السيوطي معلقاً على قوله تعالى : (أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصَّيَّامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) : « لما كان في معنى الافضاء عداه بالي ، ومثله قول الفرزدق (قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زِيَادًا عَنِّي) لأنه في معنى صرفه »^(٣٢) •

وعلى هذا فنحن نفترض ان الأفعال التي ذكرت على أنها تعني أحد المعنيين وهي متعلقة بحرف وتعني المعنى المضاد دون أن يتعلق بها حرف ، هي من الأفعال التي استعملت محذوفاً منها الحرف بعد أن كان فيها ، وذلك لكثرة تداولها على الألسن متخففة من هذا الحرف ، فالتصقت بمعناها دون أن يحتاج معه إلى الحرف المحذوف ، مثل : (وَلَيَّ : أقبل • وولى عنه : أدبر)^(٣٣) ، (سمع : سمع • وسمع له : أجاب ، ومنه سمع الله لمن حمده)^(٣٤) • فالفعل ولَّى هو في الأصل : ولَّى إليه • والفعل

-
- (٢٩) المباحث اللغوية في العراق ٨
 - (٣٠) المباحث اللغوية ٤٢
 - (٣١) المباحث اللغوية ٤٣
 - (٣٢) الاشباه والنظائر ١٩١/١
 - (٣٣) أبو حاتم ١٤٤ وأبو الطيب ٦٦٦/٢
 - (٣٤) ابن الانباري ١٣٦

سمع أصله : سمع منه ، شاعا بهذين المعنيين فحذف الحرفان واكتفى بصورتيهما مجردتين من التعليق ، ثم انتقلا في الاستعمال الى التعدية للمفعول دون وساطة • ولعلنا نستطيع أن نلحق بهذا النوع أسماء هي في الأصل من أفعال حذف في كلا معنيها الحرف ، فبقيت صورتها تحمل الضدين ، مثل (البَسَل)^(٣٥) التي تعني الحرام وتعني الحلال ، والتي قلنا في مبحث (شمولية المدلول الأول) انها تعني (الجزاء) ثم تخصص المعنى ، فكل الشواهد التي ذكروا أنها تعني فيها الحرام كان يتعلق بها الحرف (على) مثل : (بَسَلٌ عَلَيْكَ مَلامَتِي وَعَتَاي) • الخ ، بخلاف الشواهد التي عنت فيها الحلال فقد كانت اللام هي المتعلقة مثل : (دَمِي إِنَّهُ أُحِلَّتْ هَذِهِ لَكُمْ بَسَلٌ) • الخ • مما يشعر ان الفعل (بَسَل) كان ينصرف الى المعنيين بهذين الحرفين ، فَبَسَلْ لك تعني : جَزَاكَ خيراً وهو المعنى الايجابي ، وبَسَلْ عَلَيْكَ : جزاك شراً وهو المعنى السلبي • ومثلها (المَغْلَب) للشاعر الغالب والشاعر المغلوب • وهو من (غَلَبَ له) و (غَلَبَ عليه) ثم تخفف من الحرف بعد اشتقاق الاسم ، وهكذا في أسماء اخرى • ودعوى التضاد في هذه الطائفة غير واردة لأن الضدية شيء خارج اللفظة ، وطريقة الاستعمال هي التي تقصد اليه قصدا بهذا الحرف أو ذاك من حروف الجر ذوات المعاني الايجابية والسلبية •

٢ - ما كان تضاده بسبب موقع اللفظة من السياق ، مثل : (فَوْق) التي تأتي بمعنى دون^(٣٦) ، في قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا) • و (خَلْف) بسكون اللام

(٣٥) أبو حاتم ١٠٤ وابن الانباري ٦٣ وأبو الطيب ٣٢/١ وبصائر ذوي التمييز ٢٤٨/٢ •

(٣٦) قطرب ٢٧١ وابن الدهان ١٠٣ وابن الانباري ٢٤٩ ومجالس ثعلب ١٩١/١ •

وفتحها للولد الصالح والطالح^(٣٧) ، في قوله تعالى (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ) • و (بَيَّنَّ) للوصل والفراق^(٣٨) ، في قوله تعالى (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) • و (جَدِيد) للجديد والبالى^(٣٩) ، في قول الوليد بن يزيد :

أَبَى حُبِّي سُلَيْمَى أَنْ يُبَيِّدَا وَأَصْبَحَ حَبْلُهَا خَلْقًا جَدِيدَا
و (بَيْضَةُ الْبَلَد) للمدح والذم^(٤٠) ، في شواهد منها قول حسان:
أَمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثُرُوا
وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ

وغير ذلك من أشباه هذه الالفاظ ، التي كان اختلافهم في تفسير معناها في مواضعها التي وردت فيها هو الذي أكسبها صفة الضدية ولم تكن بها قبل هذا الخلاف ، كما لا تكون بعده لو أنها انتزعت من موضعها الذي هي فيه ، ذلك ان السياق هو الذي يعين بالضرورة معنى اللفظة وعلاقتها السلبية أو الايجابية فيه ، فهو لا يخفي مقصد المتكلم منه اذا وعى السامع نظم الجملة واسلوب تركيب الكلام • والى هذا روى ابن الانباري بقوله : « كلام العرب يصحح بعضه بعضا ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والاختبار

(٣٧) معاني القرآن ١٧٠/٢ ولسان العرب ٨٤/٩ •

(٣٨) قطرب ٢٧٤ والاصمعي ٥٢ وابن الانباري ٧٥ ودرة الغواص ٦٣ وشرح درة الغواص ٩٧ •

(٣٩) ابن الانباري ٣٠٨ وابن الدهان ٩٥ والصغاني ٢٢٦ •

(٤٠) قطرب ٢٦٤ وأبو حاتم ١١٧ والصغاني ٢٢٤ وابن الدهان ٩٤

وسمط اللآلي ٥٤٩/١ والتنبيه على أوهام أبي علي ٧٦ •

الآ معنى واحد» (٤١) • فبمعونة السياق يستطاع معرفة المعنى والوقوف على حقيقته ، غير ان الشيء الذي سبب تضاد طائفة من الألفاظ هنا هو الاختلاف في تفسير معانيها وأغراضها عند ورودها في نصوص كان احترامهم لها حيناً ، وجهلهم بملاساتها حيناً آخر هو الذي دفعهم الى الاختلاف في معاني الألفاظ فيها ، وهو أمر خارج عن المسألة التي نحن بصدددها •

فالآية الكريمة التي وردت فيها لفظة (فَوْق) أشعرت جماعة من المفسرين بأن المراد منها أن يضرب الله مثلاً بأصغر ما يمكن من الأشياء فلا بد من أن يكون المقصود ما هو أصغر من البعوضة ، فذهبوا الى تفسير (فَوْق) بمعنى دون لهذا السبب ، غير أن وعي فكرة الآية يقود الى اعتبار (فَوْق) مستعملة بمعناها الأصلي ، اذ يكون المقصود : ابتداء في الصغر من البعوضة وصعودا الى ما هو أكبر منها ، وهو الذي مال اليه ثعلب وجوده (٤٢) • لان ذكر البعوضة يشعر بنهاية الصغر ، والا لذكرت الآية شيئاً أكبر من البعوضة كالطير مثلاً ، ليصح أن يكون هناك شيء أصغر منه وتكون فوق بمعنى دون • ومن القدماء من أراد أن يجمع بين المعنيين فقال ان معنى الآية (فما فوق البعوضة حقارة) وأخذت به بعض دراسات المحدثين (٤٣) • ولا نرى وجهاً لهذا التفسير ولا ضرورة له •

ولولا عبارة (أَضَاعُوا الصَّلَاةَ) في الآية الكريمة الثانية ، لما اختلف في تفسير (الخَلْف) ، يقول لسان العرب : « لأنهم اذا أضاعوا الصلاة فهم خلف سوء لا محالة » (٤٤) • ولهذا فرقوا بين (خَلْف)

(٤١) ابن الانباري ٢ •

(٤٢) مجالس ثعلب ١٩١/١ •

(٤٣) فقه اللغة لوافي ١٩٠ وابن السكيت اللغوي ٢٤٠ ومجلة المجمع الملكي ٢٣٦/٢ •

(٤٤) لسان العرب ٨٤/٩ •

الساكنة اللام والمفتوحة فقالوا : ان المفتوحة للولد الصالح والساكنة للولد الطالح ، ثم قلبوا بين الاثنين^(٤٥) ، ثم ساءلوا بينهما وصرخوا بأن كلا منهما تكون للصالح والطالح . وكل هذا تخبط لا جدوى منه بسبب الحرص على معنى خاص يجب أن تؤديه الآية ، ولا يتعدى المعنى أن يكون بمعنى الولد صالحا كان أم طالعا ، حافظا للصلاة أو مضيعا لها وهو مذهب ابن شميل^(٤٦) . والآية استعملت فتح اللام في الفعل واسكانها في الاسم وهو جمع بمعنى الأولاد ، وعلى هذا فلا فرق بين الساكنة السلام والمفتوحة اللام أصلا ، ولا تضاد في المادة .

أما (بَيْنَ) فلا يمكن الاحتجاج بالآية على ضديتها بقراءتها مرفوعة على الفاعلية قراءة ضعيفة ، لأن الأصل فيها (لَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ) ولذا فهي تقرأ مبنية على الظرف بالرغم من حذف (ما) ، وهي القراءة المشهورة التي عبر عنها الفراء بقوله : « وهو وَجْهُ الكلام »^(٤٧) ، ولذا فهي ظرف مستعمل استعماله الطبيعي ، وهي غير (البَيْنَ) بمعنى الفراق الذي هو من بان يبين فهذه معربة إلا أن الاضداديين قرنوا (بَيْنَ) في الآية مقروءة بالرفع حيث تعني الوصل ، الى (البين) الاسم المعرب الذي يعني الفراق وحكموا بالصدية^(٤٨) .

وأما (جَدِيد) في البيت فهي أيضا على معناها الأصلي وهو (انقطع) يقول ابن دريد : « والجَدَّ : مصدر جَدَدْتُهُ جدا اذ قطعتهُ . وجدادُ النَّخْل : صرامها . والجَدِيدان : الليل والنهار وهما الأَجْدَان . والجَدِيد : المقطوع »^(٤٩) . فكان الشاعر يقول : لا يموت حبي لسليمي

(٤٥) معاني القرآن ١٧٠/٢ .

(٤٦) لسان العرب ٨٤/٩ .

(٤٧) معاني القرآن ٣٤٥/١ .

(٤٨) انظر : ابن الانباري ٧٥-٧٦ .

(٤٩) الاشتقاق ٥٠١ .

بالرغم من ان حبلها خلق مقطوع • الا ان غياب المعنى الاصلي للجديد عن أذهان الاضداديين وتصور معناه المتطور قد أورثهم هذا الوهم • اذ ان تسمية الليل والنهار بالجديدين هي من تسميتهم بالمقطوعين لأن كلا منهما ينقطع عن صاحبه وعن سابقه ، وهو الذي تطور فصار يطلق على كل مستحدث (جديد) فكأنه مقطوع عما سبقه بحدوثه هذا ، والأصل هو معنى القطع ذاك ، فلا ضدية في لفظة (جديد) في الشاهد •

و (بَيْضَةُ الْبَلَد) لا تعني في كل شواهدا التي ذكرتها كتب الأضداد ومنها الشاهد المذكور هنا الا معنى (الانقطاع والتفرد) سواء قصد بها المدح أو الذم ، لأن كلا الشخصين المدوح والمذموم مفرد بخصاله منقطع بها عن غيره ، ولو عدنا الى الشاهد لتيقنا من ذلك ، خصوصا بقرينة قوله في المقابلة (قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثُرُوا) ، وقد أشار الى معنى الانفراد أبو الطيب اللخوي^(٥٠) • وحاول هو وغيره أن يفسر معنى المدح بأن المراد به : « الْبَيْضَةُ التي يحتضنها الظلِّيم ويصونها ويوقئها لأن فيها فرخه • والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء المذرة التي لا حائط لها ولا يدرى لها أب وهي تريكة الظليم »^(٥١) • واذا كان هذا التفسير يدل على محاولة من نوع ما فان تفسير الرمانى يدل على سذاجة وسطحية متناهيتين ، اذ يقول : « اذا كانت النسبة الى مثل المدينة والبصرة فيبضة البلد مدح ، وان نسبت الى البلاد التي أهلها أهل ضعة فيبضة البلد ذم »^(٥٢) • كأن المراد ببيضة البلد حين تطلق على ممدوح أو مذموم أن يكون بيضة البصرة أو بيضة المدينة أو سواهما من المدن الكبيرة أو الصغيرة ، وهو تفكير بسيط جدا يستل منا ابتسامة • وأقرب محاولات التفسير الى الصحة ما نقله أبو الطيب من أنه : « قال من يمنع الأضداد : انما بيضة البلد كل مشتهر

(٥٠) أبو الطيب ٥١/١ •

(٥١) سمط اللآلي ٥٤٩/١ والتنبيه على أوهام أبي علي ٧٦ •

(٥٢) سمط اللآلي ٥٤٩/١ والتنبيه على أوهام أبي علي ٧٦ •

شيء خيرا كان أو شرا ، وهذا الاسم يقع على الشهرة فقط ، (٥٣) .
 فيصح أن يطلق على المدوح والمذموم لاشتهار كل منهما بما فيه .
 ومهما يكن من أمر فإنا نستطيع أن نعد من هذه المجموعة أيضا :
 (أَنْجَبَ) أتى بولد شجاع وأتى بولد جبان (٥٤) . وشواهد تدل على
 أن معناه ولد النجباء ، ولذا قيل منه (مَنْجَاب) من النَّجَابَةِ (٥٥) ، ثم
 توسع فيه فصارت تطلق بمعنى (أتى بولد) شجاعا كان أو جباناً ، ثم
 تخصص بأحد المعنيين ، ومثله (حَزَّوَر) للقوي والضعيف (٥٦) .
 و (الجَادِي) للسائل والمعطي (٥٧) . و (الشَّفَّ) للزيادة والنقصان (٥٨) .
 و (القُعْدُد) قليل الآباء الى الجد الأكبر وهو ذم ، وكثير الآباء الى الجد
 الأكبر وهو مدح (٥٩) ، ونقل عن ابن الأعرابي أنه قال : كلاهما
 مدح (٦٠) ، و (الأَدْمَةُ) للأبيض والأسود (٦١) . و (لَيْثُ عِفْرَتَيْنِ)
 للمدح والذم (٦٢) ، وغيرها . حيث تقوم دعوى التضاد في هذه الالفاظ على
 إنكار ما سببه اختلاف التفسير وتباين وجهات النظر في مؤدى اللفظة في
 موقعها من السياق ، إذ لم يقصد المتكلم أن يستعمل في نصه ضدا ، وإنما

-
- (٥٣) أبو الطيب ٥٧/١ .
 (٥٤) ابن الأنباري ٤٢٣ وأبو الطيب ٦٤٥/٢ ولطائف اللغة ١٤٤ .
 (٥٥) الاشتقاق ١٩٣ .
 (٥٦) ابن الأنباري ٢١٧ وأبو الطيب ١٨٦/١ وابن الدهان ٩٦ ومجالس
 ثعلب ٦٤٤/٢ والهامش وابدال أبي الطيب ٣٢١/١ والهامش .
 (٥٧) قطرب ٢٧٢ وابن الأنباري ٢٠١ وأبو الطيب ١٧٢/١ وابن الدهان
 ٩٥ وأما لي القالي ٣٢٦/٢ .
 (٥٨) الأصمعي ٣٩ وابن الأنباري ١٦٦ وأبو الطيب ٤١٠/١ والمرصع
 ٢١٣ .
 (٥٩) أبو الطيب ٥٦٨/٢ .
 (٦٠) التنبيه على أوهام أبي علي ١١٦ .
 (٦١) أبو الطيب ٢٣/١ ونظام الغريب للربيعي ١٦٢ .
 (٦٢) قطرب ٢٦٥ وابن الأنباري ٣٨٣ وأبو الطيب ٦١٤/٢ .

كان فهم السامعين متضادا ، فالكلمة في منأى عما يحدث في ذهن السامع من ادراك ، وعليه فليست من الأضداد •

٣ - ما كان تضاده من النصوص بسبب اختلاف التفسير : وهو شبيه بالنوع السابق الا انه يفرق عنه بأن التضاد المزعوم في ذلك النوع كان في اللفظة المفردة بسبب اختلافهم في مؤداها من سياق الكلام • أما التضاد في هذا النوع فهو في المعنى العام للنص ، كأن تكون آية برمتها من الأضداد أو بيت شعر بكامله من الأضداد ، وذلك لاختلافهم في تفسير مراد القائل من مجموع تعبيره • فمن أمثله في القرآن :

يقول ابن الانباري : « ويفسر أيضا قوله عزّ وجل : (لا خَوْفٌ عليكم ولا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) (٦٣) تفسيرين متضادين ، فيقول الكلبي : هذا يقوله الله جل وعز لأصحاب الاعراف ، وقال : يرى أصحاب الاعراف في النار رؤساء المشركين فينادونهم : يا عاصي بن وائل ويا وليد بن المغيرة ويا أسود بن المطلب ويا أبا جهل بن هشام ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا وما كنتم تستكبرون ، اذ انتم الآن في النار ، ويرون في الجنة المستضعفين من المسلمين : سلمان الفارسي وعمار بن ياسر وصهيب وعامر بن فهيرة ، فيقولون للمشركين : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ، فيقول الله تبارك وتعالى لأصحاب الاعراف : (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عليكم ولا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) • وقال مقاتل بن سليمان : يقسم أهل النار أن أصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة ، فتقول لهم الملائكة الذين حبسوا أصحاب الاعراف على الصراط : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ، ويقولون لهم أيضا : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عليكم ولا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ • • (٦٤) وهكذا نرى أن المسألة لا تتعدى أن تكون اختلافا بين

(٦٣) الزخرف ٦٨ •

(٦٤) ابن الانباري ٣٦٩ - ٣٧٠ •

المفسرين في مؤدى الآية وهو مما حفلت به كل كتب تفسير القرآن ومعانيه، فهل تعد هذه الكتب من كتب الأضداد؟ والظاهر ان الذي دفع ابن الانباري الى الخوض في ذلك هو اتصاله بالقرآن اتصال بحث دقيق ودرس مستوعب واضع فيه مصنفاته ودراساته فانعكس ذلك على دراساته اللغوية، اذ لا نجد مثل هذا في كتب الأضداد الاخرى، ودعوى تضاد هذه الآية متهافة لا تقوم على ساق ومكان هذه الآراء ووجهات النظر ليست كتب الأضداد، وانما كتب القرآن وتفسيره ذلك انها تتعلق بمعاني الآيات لا بمعاني الألفاظ. ولذا نجد ان ابن الانباري كثيرا ما يرجع القارىء الى مصنفاته القرآنية لزيادة الاطلاع على الخلاف في التفسير^(٦٥). ومثل هذه الآية آيات اخرى كثيرة^(٦٦).

ومن أمثلة هذا النوع في الشعر :

يقول ابن الانباري : « ومما يفسر من الشعر تفسيرين متضادين قول قيس بن الخطيم :

أُتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ لَصَمْرَةٍ وَحَشًّا غَيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبٍ

قال ابن السكيت : أراد بقوله (غير موقف راكب) الا ان راكبا

وقف ، يعني نفسه .

وقال غيره : لم يرد الشاعر هذا ، ولكنه ذهب الى أن (غيرا) نعت

لرسم ، تأويله : أتعرف رسما غير موقف راكب ، أي ليس بموقف

للكراكب لاندراس الآثار منه وامحاء معالمه ، فمتى بصر به الراكب من بعد

ذعر منه فلم يقف به . وتفسير ابن السكيت يدل على ان الراكب أراد به

الشاعر نفسه ، أي الا اني أنا وقفت به متذكرا لأهله ، ومتعجبا من خرابه

(٦٥) انظر مثالا ص ٤٢٨ .

(٦٦) انظر مثالا : ابن الانباري ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ .

وخلائه من سكانه الذين كنت أشاهد وأعاشر» (٦٧) * وشييه بهذا الاختلاف
اختلافهم في أبيات أخرى (٦٨) *

ونقول في هذه الأبيات ما قلناه في الآيات ، من أن هذه الآراء المختلفة
في تفسيرها لا تجعل منها أضدادا بالمعنى الذي حددناه وحدده قبلنا
الأضداديون أنفسهم ، اذ لا بد أن يكون البحث عن التضاد قائما على دراسة
اللفظة الواحدة دراسة تاريخية دقيقة آخذة بنظر الاعتبار استقلالها المعنوي
عن كل ما يتعلق بها من كلام وتركيب * أما أن يكون البحث فيما أراد
الشاعر في هذا البيت وما قصد اليه في ذلك البيت ، مما يسمّى اضدادا ،
فذلك ما لا يقول به أحد خبر طبيعة الدرس اللغوي ووقف على حقيقة
الضدية في الألفاظ ، ولعل ما يؤيد ذلك اننا لا نجد مثل هذه البحوث عند
غير ابن الانباري من الأضداديين ، فكأنهم تنبهوا الى أن الخوض في هذا
الغمار ليس مما يدخل في كتبهم التي محضوها لدراسة تضاد الألفاظ وجمع
الأضداد ، وان هذا الأمر تختص به كتب النقد الأدبي ، فلو رجعنا الى أي
من الكتب المعنية بنقد الشعر ودراسة معانيه ومذاهبه وأغراضه لألفيناه غاصا
بمثل هذه المسائل ، فهذا ابن رشيقي مثلا يقلب قول سليمان بن قنة في رثاء
الحسين :

أولئك قومٌ لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلّت

على جميع وجوهه ذاكرنا أقوال الآخرين في تفسير معناه ، حتى
يخلص الى فكرتين متضادتين تستفادان من قول الشاعر (٦٩) ، فهل يعد
عمل ابن رشيقي في العمدة بحثا في الأضداد ؟ ولهذا فانا نستطيع الغناء

(٦٧) ابن الانباري ٢٨٦ - ٢٨٧ *

(٦٨) انظر مثلا : ابن الانباري ٢٩٩ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٥ ، ٣٦٩ *

(٦٩) العمدة ١٨٧/٢ *

جميع أمثلة هذا النوع من الأضداد لعدم توفر فكرة الضدية فيها جميعا •
ومن أمثلة هذه الأضداد في الكلام :

يقول ابن الأنباري : « ومن الأضداد أيضا قول العرب : لم أضرب
عبدالله ولم يضربني زيد ، يحتمل معنيين متضادين : أحدهما أن يكون :
ضربي عبدالله مجحودا وكذلك ضرب زيد أيآى ، يراد به ما كان ذا و
ما كان ذا • والوجه الآخر أن يكون الفعل الأول والثاني صحيحين مثبتين ،
والتقدير : لم أضرب عبدالله حتى ضربني زيد ، فوقع ضربي بعبدالله لما
وقع بي ضرب زيد » (٧٠) ومثل هذا في (ما ظلمتُك وأنتَ
تُصِفني) (٧١) و (أقسمت أن تذهبَ معنا) (٧٢) و (نَسَدتُك
الله أن تذهبَ معنا) (٧٣) و (أحلفُ أن تذهبَ) (٧٤) و (زيدُ
أعقلُ الرَّجُلَيْنِ) (٧٥) و (أفلتَ الرَّجُلَ الرَّجُل) (٧٦) و (وعَدني
الرَّجُلُ فأخلفته) (٧٧) و (استَهَبته فأعْتَبَنِي) (٧٨) •

ونستطيع ان نقول ان ابن الأنباري هو المتكسر الوحيد من هذا
النوع ، لأننا لانكاد نعر على مثله في كتب سواء من الأضداديين ما عدا ابن
الدهان الذى وضع كتابه اختصارا لكتاب ابن الأنباري كما سنأتي على بيان
ذلك فيما بعد • والحقيقة أن الزعم بأن هذه العبارات والأقوال من الأضداد
غريب كغرابتة في الآيات والأشعار ، فلا يوجد هنا لفظ معين ينصرف الى

-
- (٧٠) ابن الأنباري ٢٥٩ وانظر : ابن الدهان ١٠١ والصغاني ٢٣٦ •
(٧١) ابن الأنباري ٢٦١ وابن الدهان ١٠٦ •
(٧٢) ابن الأنباري ٣١٠ وابن الدهان ١٠٤ •
(٧٣) ابن الأنباري ٣١٠ وابن الدهان ١٠٦ •
(٧٤) ابن الأنباري ٣١٠ وابن الدهان ٩٦ •
(٧٥) ابن الأنباري ٣١٦ والصغاني ٢٣٩ •
(٧٦) ابن الأنباري ٤٠٩ وابن الدهان ١٠٤ •
(٧٧) ابن الأنباري ٢٣٣ والغريب المصنف ٣٤١ •
(٧٨) تاج العروس ٣/٣١١ •

معنيين متضادين ، وانما قول يعبر عن حالتين تحدد واحدة منهما قرائن حال المتكلم والسماع ، وسياق الكلام الدائر بينهما ، اضيف الى ذلك أن اغلب أو كل هذه العبارات مصنوع ، اذ لم تنسب الى قائل ، وانما هي مما يصاغ على ما يمكن أن يعبر به المتكلم ، ولعل متكلما لم يقل ابدا : لم أضرب عبد الله حتى ضربني زيد ، ولا على شاكلة هذا ، اذ لم يرد من الشواهد ما يصح أن يكون نظيرا لهذا الاستعمال . فهي على هذا مما يجب أن يستبعد مسن الأضداد لأنها ليست منها .

دور التعسف في تكثير الأضداد

في كتب الأضداد ألفاظ كثيرة لا يمكن أن يفسر وجودها في هذه الكتب بغير تعسف مؤلفيها وتكلفهم في اخضاعها للفكرة ، ومع ذلك فهي غير خاضعة لها بما أوردوا من معان ، وصحيح اننا نحمل قطربا مسؤولية كثير من هذه الأضداد الا ان الذين جاءوا بعده لم يقتصروا على ما أورد قطرب أو يكتفوا به ، وانما زادوا عليه متعسفين فيما أوردوه ، حتى كان من ذلك مواد كثيرة لا تصرف الى الضدية حتى لو حملت محملا بعيداً . فليس من العلم أن نصطنع بناء ونزعم وجوده في اللغة بحجة أنه مقيس على قواعدها ، لأن اللغة استعمال قبل كل شيء ، فينبغي أن يسمع ويعرف لينى عليه درس ويقوم فيه رأى ، وكثير مما عد من الأضداد لا يقوم دليل قوى على وجوده في كلام العرب وانما هو مقيس على كلامهم ، كما فعل ابن الانباري مثلاً في مادة (النَّاهِل) (٧٩) . ويتضح هذا التعسف اكثر فيما يتصل بالتصريف من المواد . كما مر بحثه سابقا . وبالصيغ المشتقة ، ويمكن ان نقسم أضداد التعسف انواعا مختلفة ، هي :

• (٧٩) ابن الانباري ١١٧ .

١ - اعلام اشخاص ، مثل : (أَيُوبَ) (٨٠) و (إِسْحَاقَ) (٨١) و (يَعْقُوبَ) (٨٢) و (طه) (٨٣) • اوردها ابن الانبارى دون غيره ، وجعل تضادها قائما على كون كل منها ينصرف اعجميا وعربيا ، يقول : « ومنها ايضا : اسحاق ، يكون اعجميا مجهول الاشتقاق فيمنع الاجراء في باب المعرفة بنقل التعريف والعجمة • ويكون عربيا من أسحقه الله اسحاقا أى أبده ابعادا ، من ذلك قوله جل اسمه : (فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) (٨٤) أى بعداً لهم • • » (٨٥) • والحقيقة انها أعلام أعجمية لاغير ، وقد دخلت العربية عن طريق اتصال العرب بالشام في تجارتهن ، لأنها أعلام عبرية - فيما عدا طه - كانت تطلق على انبياء بني اسرائيل وقد استعملها القرآن ، ولا يصح حملها على افعال عربية ليست لها علاقة بالاسم الاعجمي كما فعل ابن الانبارى ، كما ان (إِسْحَاقَ) و (يَعْقُوبَ) في العبرية ليسا على هذا اللفظ تماما ، وانما هما (יִשְׁחָק) (יַעֲקֹב) (يَعْقُوبُ) وقد ابدلت العربية الياء من اسحاق الفا ومدت فتحة الحاء ، كما مطلت ضمة القاف من يعقوب ابتعادا عن الفعلية واقترابا من ابنية الاسماء • اضيف الى ذلك انها لاتضاد في معناها الذى وضعت له والذى ينبغي ان ينظر اليه ، ولكنها - لو سلمنا بصحة مذهب ابن الانبارى - اختلفت في اشتقاقها الذى حصر فكرة الضدية فيه •

اما (طه) فقد نقل ابن الانبارى اختلاف مفسرى القرآن في معناها ، وذكر ان منهم من قال ان معناها (يَارَجُل) بالسريانية ، أو بلغة عك •

-
- (٨٠) ابن الانبارى ٤١٦
 - (٨١) ابن الانبارى ٤١٥
 - (٨٢) ابن الانبارى ٤١٥
 - (٨٣) ابن الانبارى ٤٠٤
 - (٨٤) الملك ١١
 - (٨٥) ابن الانبارى ٤١٥

ومنهم من قال انها علامة لانقطاع السورة من السورة ، ومنهم . . الخ .
وهي في الحقيقة حرفان (ط) و (هـ) بمنزلة (ألم) و (يس) و (المر)
التي تبدى بها السور كما ذهب الى ذلك الفراء^(٨٦) ، ثم سمي بها النبي
تكريما له ، وكفانا المفسرون بحثا في هذه الحروف ، وعليه فليست هذه
الاعلام من الأضداد في شيء ، ولذا فان ابن الدهان اسقطها من كتابه الذي
التقط فيه مواد كتاب ابن الانباري ، مشعرا بعدم قناعته بعمل ابن الانباري
في عدها من الأضداد ، محقا في ذلك كل الحق .

٢ - حروف وأدوات ، مثل : (إذ ° ، إذا)^(٨٧) و (إن °)^(٨٨) و
(لا)^(٨٩) و (ما)^(٩٠) و (هل °)^(٩١) و (أو °)^(٩٢) و
(من °)^(٩٣) وغيرها مما وجد الأضداديون أن الواحدة منها تستعمل
في أكثر من معنى ، فان نافية وشرطية ، وما نافية وموصولة وأو للعطف
في الشك واليقين وهكذا ، ونجد ان المتكثر من هذه الأضداد هو ابن
الانباري وقلده ابن الدهان والصغاني ، والظاهر ان ابن الانباري نقل بعضها
عن غيره بدليل قوله في مادة (إن °) : قال بعض أهل العلم ، ثم يذكر
الكسائي بعدها بقليل^(٩٤) ، مما يدل أنه حكى عن الكسائي قوله بضدية
(ان) والواقع ان هناك وهما كبيرا في اعتبار الضدية في مثل هذه الحروف ،
ذلك أنها ليست هي نفسها في الاستعمال الثاني ، فما النافية مثلاً هي غير (ما)
الموصولة . وان النافية غير (ان) الشرطية . فلا يجوز عقد مقارنة توصل الى

(٨٦) ابن الانباري ٤٠٤ - ٤٠٥ .

(٨٧) قطرب ٢٨٠ وابن الانباري ١١٨ وابن الدهان ٩٣ وابو الطيب ٢٧/١

(٨٨) ابن الانباري ٨٩ والصغاني ٢٢٣ وابن الدهان ٩٤ .

(٨٩) ابن الانباري ٢١١ والصغاني ٢٤٨ وابن الدهان ١٠٥ .

(٩٠) ابن الانباري ١٩٥ والصغاني ٢٤٤ وابن الدهان ١٠٦ .

(٩١) ابن الانباري ١٩١ والصغاني ٢٤٨ وابن الدهان ١٠٧ .

(٩٢) ابن الانباري ٢٧٩ والصغاني ٢٢٣ وابن الدهان ٩٣ .

(٩٣) ابن الانباري ٢٥٢ وابن الدهان ١٠٦ .

(٩٤) ابن الانباري ١٨٩ .

القول بضدية هذه الأدوات^(٩٥) . اُضيف الى ذلك ان الدرس اللغوى الحديث توصل الى أن هذه الادوات ماهي الا بقايا ألفاظ قديمة ، تخلفت لدينا من الأطوار الأولى للغة ، وان معظمها يتألف من عناصر اشارية كالنون مثلاً ، فهذه المعاني التي تنصرف اليها هذه الأدوات وصلت الينا من مراحل مختلفة من التطور اللغوى^(٩٦) . والى الآن تحتفظ العبرية بأداة النفي (**לֹא** : ان°) ، كما تحتفظ بعض اللغات اليمينية بمعنى العدول في (**أَوْ**) ويستعمل فيها استعمال العربية للحرف (**بَلْ**) ، فلا يمكن على هذا الحكم بأن هذه الادوات المختلفة الصور - أو النسخ - المتعددة الاستعمال هي من الأضداد ، خصوصاً وان بعضها ينتقل في الاستعمال من الحرفية الى الاسمية مثل (**مَا**) ، اذ يؤكد هذا ان كل واحدة منها ليست هي الاخرى . وبعضها الآخر ليس في استعماله اى تضاد واضح مثل (**مِنْ**) التي قالوا انها للكلية والتبويض ، ولذا فهي جميعاً مما يجب أن يستبعد من حساب الأضداد لشبوت التعسف الذى لحقها من جراء ذلك .

٣ - ألفاظ مختلفة ، مثل : (**بَعْدَ**) للتأخير وبمعنى قبل^(٩٧) . و (**بَعْضُ**) بمعنى بعض وكل^(٩٨) . و (**حَايَ حَايَ**) لزجر الغنم ودعوتها^(٩٩) . و (**مَا أَسَرَّتْنِي**) يقولها السَّار والمسرور^(١) و (**الصَّلَاةُ**) للمسجد والكنيسة^(٢) . و (**طَرَطَبَ**) وهي أصوات تصدر من بين

(٩٥) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ٢/٢٩٩ .

(٩٦) انظر : مجلة اللسان العربي ٨/١١٧ .

(٩٧) قطرب ٢٥٧ والصغاني ٢٢٤ وابن الانبارى ١٠٧ .

(٩٨) ابن الانبارى ١٨١ والصغاني ٢٢٤ وابو الطيب ١/٩٩ .

(٩٩) قطرب ٢٧٣ وابو حاتم ١٤٩ وابن الانبارى ٤٠٢ وابو الطيب ١/٢٠٢ .

(١) ابن الانبارى ٢٢٠ وابن الدهان ٩٩ .

(٢) ابن الانبارى ٣٣٨ والصغاني ٢٣٦ .

الشفقين لدعوة الغنم وزجرها ^(٣) . و (أَلَيْتَ) للمرأة اذا عظمت ألتها ،
 وللشاة اذا قطعت ألتها ^(٤) . و (قَعَدَ) اذا جلس ، وقعد يشتمني بمعنى
 قام ^(٥) . و (كَانَ) للماضي والمستقبل ^(٦) . و (يَكُونُ) للمستقبل
 والماضي ^(٧) . و (يَوْمٌ مَعْمَانُ وَمَعْمَانِي) لشديد الحر وشديد
 القُر ^(٨) . و (نَحْنُ) للواحد والجمع ^(٩) . و (رَجُلٌ) للواحد
 وللجماعة ^(١٠) . و (الْأُمَّةُ) للواحد وللجماعة ^(١١) . و (فَعَلَ) لما
 وقع ولما لم يقع ^(١٢) . و (يَفْعُلُ) لما وقع ولما لم يقع ^(١٣) . و (الضِدَّ)
 للمخالف والمائل ^(١٤) . و (النِّدَّ) للمائل والمضاد ^(١٥) . و (المِثْلُ)
 للمثل ولضعفه ^(١٦) . و (الضَّعْفُ) للمثل والمثلين ^(١٧) . و (لَا أُمَّ لَهُ)
 للمدح والذم ^(١٨) . و (ضَنَيْنَ وَظَنَيْنَ) الاولى بمعنى البخل والثانية

(٣) قطرب ٢٧٨ و ابو الطيب ٤٦٤/١ والصغاني ٢٣٧ وابن الانباري ٤٠٧ .

(٤) قطرب ٢٧٨ وابن الانباري ٤٠٦ .

(٥) قطرب ٢٧٤ و ابو حاتم ١٣٥ وابن الانباري ٢٤٧ .

(٦) ابن الانباري ٦٠ وابن الدهان ١٠٥ .

(٧) ابن الانباري ٦٠ وابن الدهان ١٠٥ .

(٨) ابن الانباري ٢٩٠ وأبو الطيب ٦٢٩/٢ وابن الدهان ١٠٦ .

(٩) ابن الانباري ١٨٢ وابن الدهان ١٠٦ .

(١٠) ابن الانباري ٤١٤ .

(١١) ابن الانباري ٢٦٩ .

(١٢) قطرب ٢٦٣ .

(١٣) قطرب ٢٦٣ .

(١٤) قطرب ٢٦٢ و ابو الطيب ٤٤٩/١ وابن الدهان ١٠١ والصغاني ٢٣٦ .

(١٥) ابو حاتم ٧٣ وابن الانباري ٢٣ وابن الدهان ١٠٦ وأبو الطيب ٦٥١/٢ .

(١٦) ابن الانباري ١٣٢ وابن الدهان ١٠٥ والصغاني ٢٤٥ .

(١٧) ابن الانباري ١٣١ والمصباح المنير ٤٩٣ .

(١٨) الصغاني ٢٢٣ .

بمعنى التهم (١٩) • و (سوى وسواء) لنفس الشيء ولغيره (٢٠) •

والقاء نظرة فاحصة على هذه المواد توقفنا على مدى التعسف الذى لحق بها فما معنى الضدية المزعومة في (حاي° حاي°) أو (طرطَبَ) وهي أصوات مبهمه لا معنى لها ، يصدرها الراعي بتحريك شفثيه ولسانه اذا أراد سوق غنمه والانتقال بها سواء أكان يريد زجرها وابعادها أم دعوتها والأتيان بها ، المهم انها ليست من الكلام المفهوم لكي تفترض فيها الضدية • وينبغي أن يعد الفعل (قَعَدَ) في مثل قولنا (قَعَدَ يَشْتَمِنِي) من أفعال الشروع في معناه ، اذ يقوم مقام طفق وأخذ وشرع ، وليس المقصود به (قام) أى انتصب ، اذ ليس من الضروري أن يكون الشاتم منتصبا • واستعمال (نحن) للمفرد هو من باب التجوز المقصود به التعظيم والاجلال للنفس ومثله (رَجَلْ) و (الأُمَّة) • واستعمال (كَانَ) للاستقبال أو (يكون) للماضي ، ليس معناه ان الفعليين أصيلين في انصرافهما الى هذين الزمنين في الأساس ، وانما يصرفهما الى ذلك سياق الكلام ومجرى العبارة ، كاستعمال (كَانَ) في الشرط مثلا للدلالة على الاستقبال ، لأن من طبيعة اسلوب الشرط أن يتوقف تحقق الجواب فيه على ما يحمله المستقبل من امكان تحقق الشيء المشروط ، وكاستعمال (يكون) في سياق يدل على ان الفعل كان مستقبلا في الزمن الماضي • ومثلهما (فَعَلَ) و (يَفْعَلْ) ، والى هذا المعنى اشار ابن الانبارى بقوله : « والذى نذهب اليه أن كان ويكون لايجوز أن يكونا على خلاف ظاهرهما ، الا اذا وضح المعنى • • لأن هذا ما لايفهم ولا يقوم عليه دليل ، فاذا انكشف المعنى حمل أحد الفعلين على الآخر » • (٢١)

(١٩) ابو حاتم ٧٨ •

(٢٠) ابو الطيب ٣٥٦/١ •

(٢١) ابن الانبارى ٦١ •

و (ما أَسَرَّتِي) اسلوب تعجب يصح ان يطلقه السار اذا رأى شدة سرور السرور به فيقول (ما أَسَرَّتِي لفلان) ، ويطلقه السرور اذا كان شديد السرور بصاحبه فيقول (ما أَسَرَّتِي بفلان) * و (الصَّلَاة) معناها الاصلي (الدَّعَاء) وهو معنى يتوفر في المسجد والكنيسة * أما (الضِدَّة) و (النِّدَّة) و (المِثْل) و (الضَّعْف) فهي أضداد اكتسبت كل واحدة منها الضدية من الاخرى بوساطة الانتقال الذهني الطبيعي الى الضد ، ولأن كل معنى من معانيها لا يتوفر الا بتوفر النقيض ، فلا يمكن أن يكون هناك ضدان اذا لم يكونا مثليين كل منهما يضاد الآخر ، كما لا يمكن أن يكونا نديين اذا لم يكونا ضدين وهكذا ، وكنا رجحنا سابقا أن تكون الآية الكريمة (ولا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أُنْدَاداً) هي السبب في وجود هذه المعاني لاختلافهم في تفسير معنى (أُنْدَاداً) * وأما (ضَنَيْنَ وَظَنَيْنَ) وانصراف الاولى الى معنى (بخيل) والاخرى الى معنى (متهم) وقد جعلهما أبو حاتم مادة واحدة ، فانه الى باب الابدال أقرب منه الى الأضداد ، فليس كل منهما ينصرف الى ضدين ، وانما في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ، وحتى لو سلمنا بأنهما مادة واحدة فالعنيان ليسا متضادين ، ولذلك لم ترد هذه المادة أو هاتين المادتين عند غير ابي حاتم من الأضداديين * وهكذا سائر اضداد هذه المجموعة التي يظهر التعسف واضحا في حملها على التضاد .

٤ - المشترك اللفظي ، مثل : (اجْلَعَبَّ) اضطجع ومضى (٢٢) * و (اللَّحْنُ) الخطأ والتورية والفطنة والصواب (٢٣) * و (المَوْلَى) السيد وابن العم والصهر والعبد والجار (٢٤) * و (دَكُوْا يَدِيَّةً) اذا كانت وفقا

-
- (٢٢) ابن الانباري ٣١٤ وابو الطيب ١٦٦/١ وابن الدهان ٩٥ .
 (٢٣) ابن الانباري ٢٣٨ - ٢٤٦ وابن الدهان ١٠٥ والصغاني ٢٤٤ .
 (٢٤) قطرب ٢٥٥ وابو الطيب ٦٦٠/٢ وابن الانباري ٤٦-٥٠ وابن الدهان ١٠٧ .

ليست واسعة ولا ضيقة ، وإذا كانت واسعة (٢٥) * و (الفاري) للذي
يقطع الاديم والذي يخرزه (٢٦) * و (جَمَرَت المرأة) جعلت لها ،
كالنرعتين من حلق وتنف وجمرت الجند قطعت نسلهم (٢٧) * و
(التَفَطَّر) الا يخرج من لبن الناقة شيء ، والحلب ، والانشقاق (٢٨) *
و (سَمَل) بين القوم أصلح بينهم ، وسمل عينه فقأها (٢٩) * و (البَكْر)
للمرأة قبل أن تنكح وبعد أن تنكح والرجل والولد (٣٠) * و (أَشَدَّ)
للبالغ ثماني عشرة سنة وللبالغ ثلاثا وثلاثين وللبالغ أربعين (٣١) * و (الأصْفَر)
للأصفر والاسود (٣٢) * و (الفاضِيَّة) للنار العظيمة والليله الشديدة الظلمة
والناقة التي تأكل الغضا (٣٣) * وغير ذلك كثير ، ومن الواضح أن المعنيين
أو المعاني التي تنصرف اليها اللفظة الواحدة من هذه المجموعة ليست متضادة
تضادا واضحا يسوغ عدها في الأضداد ، وقد مرّ في صدر هذا الفصل
عرضنا لتحديدات الأضداديين لمعنى الضد ، واشترطهم أن يكون التضاد
بين المعنيين تاما كالذي بين الطول والقصر والعلم والجهل والشجاعة والجبن
وما أشبه ذلك ، اذ اننا لو طبقنا هذا على مجموعة الألفاظ ، هنا ، لما كنا أمام

(٢٥) قطرب ٢٥٥ وابو الطيب ٦٨٧/٢ وابن الانباري ٢٦٢ وابن الدهان
١٠٨

(٢٦) قطرب ٢٥٨ وابو الطيب ٥٦٠/٢ وابن الانباري ١٥٨ وابن الدهان
١٠٣

(٢٧) قطرب ٢٥٦ وابن الانباري ٣٧٢

(٢٨) قطرب ٢٦٠ وابن الانباري ٣٧٣ وابو الطيب ٥٦٣/٢ وابن الدهان
١٠٣

(٢٩) أبو حاتم ١٣٣ وابن الانباري ٢٨٥ وابو الطيب ٣٦٧/١ وابن الدهان
٩٩

(٣٠) ابو حاتم ١٣٨ وابن الانباري ٢٤٦ وابو الطيب ٩١/١ وابن الدهان
٩٤

(٣١) ابن الانباري ٢٢٢ وابن الدهان ١٠٠ والصغاني ٢٣٣

(٣٢) قطرب ٢٧٨ وابو الطيب ٤٢٤/١ وابن الانباري ١٦٠ وابو حاتم

١٠٢ وابن الدهان ١٠٠ ومجاز القرآن لابي عبيدة ٤٤/١

(٣٣) الاصمعي ٤٥ وابن السكيت ١٩٩ وابو الطيب ٥٢٤/٢ وابن الدهان

١٠٣ والصغاني ٢٤٠

أضداد بهذا المعنى ، فما التضاد بين اضطجع ومضى ؟ اذ المفروض أن يكون ضد اضطجع نهض وضد مضى جاء ، وكذلك معاني (اللحن) و (المولى) فهي كثيرة غير متضادة ، تعبر عن مسلكها في التطور الدلالي * وليس بين أن تكون الدلو متوسطة الكبر وكبيرة تضاد ، وانما يجب أن يكون بين الصغيرة والكبيرة * كما ليس بين معاني (أشد) أى تضاد، فكونها تعني ثماني عشرة سنة أو أربعين أو ثلاثاً وثلاثين ، لا يوحي بأية ضدية فيها ، وكما ان الاصفر ليس ضد الاسود بأى اعتبار من الاعتبارات ، وانما ضد الاسود الابيض لغاية الستر في الأول وغاية الانكشاف في الثاني ، أما الأصفر فلا يضاد اى لون من الالوان المعروفة وانما كل واحد منها شيء خاص متميز ، وهكذا الامر في سائر ما ذكرناه من المواد وما لم نذكره شيئا به مما حفلت به كتب الأضداد ، حيث ينبغي - بانصاف - عده من المشترك اللفظي الذى تكلمنا عليه في تمهيد هذه الرسالة ، والذى يقوم على انصراف اللفظة الى معنيين أو أكثر مما ليس بينهما أو بينها تضاد واضح ، اذ المشترك شيء غير الأضداد وهو باب قائم بذاته يختلف اختلافا كبيرا عما نحن في صددده ، لأن فكرة الضدية ، فكرة خاصة ومستقلة ، لا يشبهها أى مظهر من مظاهر الحياة الاخرى ، وحتى الذين عدّوا الأضداد نوعا من المشترك ، فانهم جعلوها نوعا متميزاً يبحث فيه بمعزل عن المشترك، وربما يكون الأضداديون هم أول من فرق بين ظاهرتي التضاد والاشتراك ، ذلك ان منهم من كان له في كل واحد منهما تأليف خاص ، كالاصمعي مثلاً فقد وضع للأضداد كتابه الذى ندرسه ونرجع اليه الآن ، ووضع للمشارك كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه) ، وبين الاختلاف والتضاد بون بعيد ، لهذا يجب أن يلحق هذا النوع الذى تفسر معانيه بالاشتراك بالانواع الاخرى التى توصلنا الى ضرورة اخراجها من حظيرة الأضداد لعدم توفر فكرة الضدية فيها لانها قسرت على أن تكون كذلك بتعسف أصحابنا الأضداديين *

قانون (وحدة وصراع المتضادات)

أشرنا في مواضع مختلفة من هذا الفصل اشارات عابرة الى فكرة هذا القانون ، عند محاولتنا لتحديد فكرة الضدية ، ونحن الآن نبسط الكلام على هذه الفكرة في ضوء المبدأ المادى (الديالكتيكي) لقانون : وحدة وصراع المتضادات ، محاولة منا جديدة لتفسير وجود الأضداد في اللغة ، ومشاركة سجادة في هذا السبيل ، وذلك بالافادة من نتائج الاستقرارات العلمية للظواهر الموجودة موضوعيا . فكتنا قد ألمحنا الى أنه لا معنى أساسا لأن يقال (هذا ضد ذاك) أو (ان هناك تضادا) أو (ضدية الشيء) أو ما أشبه ذلك ، اذا لم يكن هناك شيان موجودان متضادان بالفعل ، سواء أكان هذان الشيان ماديين أو معنويين ، المهم أن يكونا موجودين وجودا موضوعيا ، في ذهن الانسان كالمعاني والأفكار ، أو فيما يحيطه من مادة ، اذ لا يمكن منطلقا أن يكون أحد الضدين موجودا دون الآخر ، والا لما عرف بأنه ضد ذلك الشيء ، فلولا البياض لما قلنا السواد ضد البياض ولولا الحياة لما كان الموت ضدها ولولا الشجاعة لما كان الجبن ضدها وهكذا . فكل ضد من هذه الأضداد هو السبب في اعتبار ضده ضدا ، وكل منهما علة وجود الآخر . ومن هذا الترابط الاساسي بين الضدين صح أن يقال انهما متصلان صلة وثيقة تجعلهما يتواجدان معا في كيان واحد ، ويقوى هذه الصلة ان كلا من المتضادين يتحول تدريجيا بفعل عوامل معينة الى ضده فيكونه . وهذه الخصيصة الجوهرية في الضدين هي ما يسمى بـ (وحدة المتضادات) (٣٤) .

ولما كان الضدان موجودين في الشيء الواحد فانهما لا يقفان موقف الالة بمبالاة كلا تجاه الآخر ، بل يحدث بينهما صراع دائم ، لأن كلا منهما

(٣٤) أنظر : في التناقض لماوتسي تونغ ٥٦ والمادية الديالكتيكية والمادية التاريخية لستالين ٣٤ وما بعدها وعرض موجز للمادية الديالكتيكية لبودو ستنيك وياخوت ٨٩ .

يجسد ميلا ما : الايجابية أو السلبية ، التأثير أو عكس التأثير ، واذا كنا نجد من الاشياء ما يمثل انسجاما مطلقا أى خلوا من الصراع بين نقيضيه ، فهذا لا يعني عدم وجود هذا الصراع ، صحيح انه قد يمر وقت تبدو فيه الاشياء وكأنها خالية من الصراع الا أن ذلك يعتبر حالة موقفة عابرة ، يحدث بعدها الصراع الحتمي بين النقيضين ، الذى قد يكون ظاهرا وقد يكون خفيا • على ان هذا الصراع لا يحدث بشدة وبحدية تامة في البدء ، فهو عادة ينطبع في المراحل الأولى بطابع (فارق) فقط ، ثم يتحول الفارق الى تضاد ، اى الى تناقض أكثر تطورا ، وذلك عندما تعمد كل ناحية من نواحي التناقض الى نفي الناحية الاخرى بحدة ، وهذه هي الخصيصة الجوهرية الاخرى في الضدين وهو ما يسمى بـ (صراع المتضادات) (٣٥) •

وحيثما نجمع فكرة (وحدة المتضادات) الى فكرة (صراع المتضادات) تكون لدينا صورة واضحة ومختصرة عن (قانون وحدة وصراع المتضادات) الذى اعتبر جوهر جميع العمليات والظواهر والاشياء المادية والمعنوية ، وهو الدافع الداخلي للتطور والمؤدى الى نمو التناقضات التي تنتهي الى القضاء على القديم ونشوء الجديد (٣٦) ، ولو لاحظنا لرأينا ان قانون المتضادات هذا يضيف الى معنى الضدين معنى جديدا هو وحدة المتضادات الى جانب مفهوم الصراع بينهما ، وعلى كل فالقانون يفترض في التناقض سنة الحياة الموضوعية •

واللغة باعتبارها ظاهرة من ظواهر المجتمع ومظهر من مظاهر الوعي والعلاقات الجدلية بين أفرادها ، يمكن أن تخضع لهذا القانون خضوع الظواهر الموضوعية الاخرى ، وفي اللغة جوانب متعددة وظواهر كثيرة

(٣٥) في التناقض ٦٦ والنظرية الفلسفية العامة لتطور الكون والمجتمع لستالين ٧ وما بعدها والنظرية المادية في المعرفة لروجيه غارودى ٩٢ وما بعدها والمادية الديالكتيكية لجماعة من الاساتذة السوفيت ٢٦٦ •

(٣٦) المادية الديالكتيكية ٢٦٩ •

ينطبق عليها القانون من هذه الزاوية أو تلك • وأضدادنا اللغوية هي من تلك الظواهر التي يمكن أن تفسر بقانون (وحدة وصراح المتضادات) •

فاذا أخذنا مثلا لفظة (الجَوْن) (٣٧) يكون بإمكاننا ان نقول انها حين أطلقها المتكلم على الأسود أول الامر ، كان ذلك بداية لصراع النقيضين المتجدين في وعي هذا المتكلم بفعل عاملي الوحدة الذين هما : ان كلا منهما علة وجود الثاني ، وان كلا منهما ينزع الى ان يتحول الى نقيضه ، وهي وحدة موجودة لاشعوريا في ذهن المتكلم - كما أشرنا الى هذه الناحية عند كلامنا على تصاحب أو تداعي المعاني المتضادة في الذهن - وبفعل هذا الصراع الذي يمثل ميلين خاصين : سلبا وإيجابا ، تغلب النقيض الجديد وهو البياض ، على النقيض القديم وهو السواد ، وربما يكون مصداق ان الصراع يتدرج حتى يأخذ شكله النهائي ان الجون اطلقت على الشيء الذي اختلط فيه السواد والبياض • ذلك ان اللغة وهي نتاج وعي الانسان لا يمكن أن تكون بمعزل عن هذا الوعي حتى في وحدة وصراع متضاداتها ، فالنقيضان موجودان في وعي الانسان ابتداء ، وقد اختار أحدهما وهو السواد ليكون معنى (الجَوْن) واطلق اللفظة على كل أسود ، حتى اذا وصلت درجة الصراع الى المرحلة (الكمية) المتساوية في ذهن الانسان اطلقها على الأشياء التي تتوفر فيها النقيضان الاسود والابيض بدرجة متساوية (٣٨)

ثم لما اشتد صراعهما حتى وصل الى النفي (النوعي) بتداعي النقيض في الذهن ، أسرعت المخيلة الى استحضاره واطلاق اللفظة عليه ، فكان البياض هو معنى (الجَوْن) الجديد ، بعد أن مات المعنى القديم ، إلا ان التدوين المبكر احتفظ لنا بالمعنيين ، وصارت (الجَوْن) من الأضداد • وتؤيد

(٣٧) ابن الانباري ١١١ وابو الطيب ١٥١/١ •

(٣٨) كتسمية الحمار الوحشي بالجون لاختلاط السواد والبياض في جلده :

اشتقاق ابن دريد ٢٢٤ ، وتسمية النمر بالجون لاختلاط اللونين

في جلده ايضا : المرصع لابن الاثير ١٢١ •

الشواهد والنصوص التي سقت في كتب الأضداد واللغة على معني هذه المادة أن معنى السواد أقدم من البياض ، فشواهد جاهلية في الغالب في حين تكون أغلب شواهد المعنى الآخر اسلامية متأخرة عن تلك في الزمن (٣٩) ، ومثل الجون تماما : (الجلل) (٤٠) و (السُدفة) (٤١) و (الشف) (٤٢) وغيرها ، حيث تعبر جميعا عن أنها كانت تحت تأثير قانون الوحدة والصراع القائم بين القيصين •

والذي نقوله هنا ليس من قبيل فكرة تطور الدلالة التي عرضنا لها سابقا ، لاننا قلنا ان تطور الدلالة يخضع لعوامل معينة لا يتعداها كالتعميم والتخصيص وتغير المجال ... الخ أما وحدة وصراع التضادات فثسيء آخر ، اذ المفروض ان يكونا سنة غير محددة بعوامل من هذا النوع ، فهو قانون الحركة التي لاتسكن والتطور الذي لا يهدأ • واذا صح تطبيق هذا القانون على الأضداد ، وصح تفسير نشأتها به ، فهذا يعني اكتفاء به واستغناء عن كل التفسيرات الاخرى ، ولا مانع من وقوعه في اللهجة الواحدة والمكان الواحد ، على أن يراعى في ذلك الزمان ، فقانون وحدة

(٣٩) انظر : كتب الأضداد مادة (الجون) ومشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ٢٧/١ وما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ٥ ومعاني الشعر ١٤ ، ١٣٦ وامالي القالي ٩/١ والابل للاصمعي ١٢٧ وسمط اللآلي ٤٢/١ واساس البلاغة للزمخشري ٧٠ ولسان العرب ١٣/١٠١ والافصح في فقه اللغة ٧٣٦/٢ ، ٩١٣ •

(٤٠) قطرب ٢٤٦ والاصمعي ٩ وابو حاتم ٨٤ وابن السكيت ١٦٧ ومشكل القرآن وغريبه ٢٩/١ وتأويل مشكل القرآن ١٤٥-١٤٦ وما اتفق لفظه واختلف معناه ٤-٣ والاقتضاب ٣٦١ والبارع لابي علي ٤١٩ واساس البلاغة ٦٢ ولسان العرب ١١/١١٧ •

(٤١) الاصمعي ٣٥ وابن السكيت ١٨٩ وابن الانباري ١١٤ وابو الطيب ٣٤٦/١ وتأويل مشكل القرآن ١٤٣ ومشكل القرآن وغريبه ٢٨/١ واساس البلاغة ٢٠٦ ولسان العرب ٩/١٤٧ والافصح في فقه اللغة ٩٢٠/٢ ، ٩٢٢ ، ١٣٢٤ •

(٤٢) كتب الاضداد مادة (الشف) والصحاح ١٣٨٢ (شف) •

وصراع المتضادات مرتبط باستقراء التاريخ والتعويل عليه ، ولهذا يكون للضدّ بعد زمني بالضرورة ، بشرط أن تكون اللفظة حاوية للنقيضين الحقيقيين الذين تصدق عليهما فكرة الوحدة والصراع ، والاّ فهناك المشترك اللفظي والمستقات الصرفية وغير ذلك ممّا لا تصدق على تضادها هذه الفكرة ، والأضداد من النوع الأول هي الأقلّ كثيرا في كتب الأضداد من سواها الذي استبعدناه لعدم توفر فكرة الضدية فيه بشكل واضح .

ومن تطبيق هذا القانون على الأضداد نخرج بالنتيجة التي تؤكد أن لا أضداد حقيقية في أصل الوضع ، وانما هناك (محتوى) معين في ذهن الفرد هو السواد ، و (شكل) معين هو الجَوْن^(٤٣) ، وبفعل وحدة النقيضين وجد الياض في ذهنه وبفعل صراعهما الضروري ونزوع كل منهما الى أن يكون في مركز الآخر ، أخذ المحتوى الجديد يقترب من مركز المحتوى القديم حتى وجد (الحَلّ) في سيطرة النقيض الجديد على (الكيان) وموت النقيض القديم^(٤٤) . وهذا يعني أن اللفظة لم تكن تنصرف الى كل منهما على حدة في وقت واحد ، وانما كان انصرافها الى الأسود في زمن يسبق انصرافها الى الأبيض ، فهي لم تكن من (الاضداد اللغوية) في يوم من الايام ، وانما كان معناها الثاني نقيضا لمعناها الأول ، وحتى حين انصرفت اليهما معا فهي لم تكن من الاضداد لانها كانت تنصرف الى الشيء الذي يتوفر فيه التقيضان بدرجة متساوية ، وهي مرحلة (الفارق) من الصراع ، وهو معنى واحد . تمّ كل هذا بفاعلية قانون (وحدة وصراع المتضادات) في وعي الانسان اللغوي .

(٤٣) انظر في مصطلحي (المحتوى) و (الشكل) : المادية الديالكتيكية لجماعة من الاساتذة السوفييت ٢٨٨ - ٢٩٥ .

(٤٤) انظر في مصطلحي (الحل) و (الكيان) : المادية الديالكتيكية ٢٥٨ وفي التناقض ٦٩ وما بعدها .

نخلص من هذا الاستعراض الشامل للظروف التاريخية اللغوية ،
والعوامل البيئية الطبيعية التي رافقت العربية في مسيرتها الطويلة ابتداء من
عصورها السحيقة في القدم حتى عصر تدوينها ، بعد عرض مواد الأضداد ،
على كل واحد منها لمعرفة مايمكن أن يكون سببا في نشأة قسم من الأضداد ،
الى أن الاغلب الأعم من هذه المواد كان وليد هذه الظروف وتاج هذه
العوامل ، اذ ان العربية البدائية لم تكن لتحتوى هذه الكثرة من الأضداد ،
وانما اكتسبتها بفعل التطور الحتمي في دلالاتها والذي تستدعيه الحياة
المتغيرة المتبدلة في كل آن •

ولو وحدنا مواد الأضداد التي جاءت بها كتب الأقدمين في قائمة
خالية من التكرار ، لكان لنا من ذلك مايقرب من (٤٠٠) مادة ، ولو رجعنا
الى المواد التي امكن ردها الى كل عامل من هذه العوامل المدروسة في هذا
الفصل مسقطين منها المادة المكررة ، ومضيفين اليها الأشباه التي لم نذكرها
والتي اكتفينا بالإشارة الى مظاتها ، لكان لنا من ذلك ايضا ما يقرب من هذا
العدد ، وعليه يكون صحيحا ما وصل اليه المستشرق (Giese) بعد دراسته
للشعر الجاهلي من أنه لم يجد أكثر من اثنين وعشرين ضدا فقط مستعينا
بنتائج علم تطور المعاني (٤٥) ، كما أشرنا الى ذلك قبلا • ولغة فيها هذا
العدد الضئيل من الألفاظ التي تنصرف انصرافا مضادا ليست بدعا بين
اللغات ، اذ لانعدم أن نجد في اكثر لغات العالم مثل هذا العدد من
الأضداد (٤٦) ، الذي يعبر - في العربية وغيرها - عن بقايا تاريخية قديمة
تشير الى مرحلة حوت فيها اللغة الفاظا معينة تتوفر فيها الضدية لسبب أو

(٤٥) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ٢/٢٩٣ ومجلة مجمع اللغة العربية
الملكي ٢/٢٣٧ •

(٤٦) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ٢/٢٩٤ ، ٣٠٢ للوقوف على الامثلة •

آخر ، وربما كانت هذه الألفاظ هي وليدة الحركة (الديالكتيكية) للغة
في ذهن الانسان ووعيه • وعلى ذلك فليس لنا أن ندعي ان في العربية
مشكلة اسمها (الأضداد) ، وانما هناك ألفاظ تداخلت معانيها وتطورت
أصواتها ودلالاتها فعلقت بها الضدية علاقة طارئة غير أصيلة ، واذا كان نعمة
مشكلة حقيقية فهي في (ضخامة) كتب الأضداد •

الفصل الثالث

مواقف الدارسين من الاضداد
ومناهجهم في دراساتها

لم يقف الدارسون من الاضداد موقفا واحدا ، فمنذ ان وجد الحديث عنها وظهرت اوائل المصنفات التي تحاول جمع مادتها ، وجد الى جانب ذلك الاختلاف في وجودها وتفسيرها ، فانقسم العلماء الى مؤيد يدافع عن الاضداد ويدلل على وجودها في اللغة ، والى منكر لهذا الوجود ينمى على العربية احتضانها لهذه المواد ويعيب عليها عدم الدقة في دلالة الفاظها * ومن الطبيعي ان يكون وجود المؤيدين أسبق في الظهور من المعارضين ، اذ لولا وجودهم لما ظهر الرد والانكار من الطرف الآخر ، وعليه يكون الرواة الاوائل للالفاظ المتضادة - الذين سنسبط الكلام على روايتهم فيما بعد - هم اوائل المؤيدين لوجود الاضداد في اللغة ، كما نفترض ان يكون مؤلفو معجمات الاضداد جميعا على طريق التأيد كذلك ، سوى وقفاتهم العابرة في مصنفاتهم هذه حيال بعض الالفاظ التي يعالجون ضديتها ، مما نستشعر منه شكهم في تضادها ، هذا اذا لم ينصوا فعلا على انها ليست من الاضداد كما فعلوا في مواضع غير قليلة من كتبهم * اما انكار الاضداد اصلا والظن على العربية في هذه الناحية فهو وان تأخر عن تاريخ البدء بروايتها والتأليف فيها الا انه كما يظهر قديم ايضا وقد رافق التدوين مبكرا ، لاننا نجد ذكر الطاعنين عند ابن الانباري الذي توفي سنة ٣٢٨ هـ والذي يمكن ان يكون قد ألف كتابه في اواخر القرن الثالث او اوائل القرن الرابع ، فاذا عرفنا ان اول كتب الاضداد قد تم تأليفه في نهاية القرن الثاني او بداية القرن الثالث على يد قطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، عرفنا ايضا ان هؤلاء المنكرين وجدوا في حدود القرن الثالث قريبين من عصر التدوين الاول للأضداد ومتأخرين عن روايتها قليلا *

ونحن حين نقول ان التأيد سبق الانكار يجب ان نفرق بين معنى التأيد ومعنى الدفاع ، فالتأيد معنى خاص يتوفر في كل كتب الاضداد وفي

انفس مؤلفيها وان لم تتعرض هذه الكتب الى مسألة وجود الاضداد وعدم وجودها او تبحث في تفسيرها او تدافع عنها ، فمجرد القيام بوضع معجم خاص بالفاظ تضادت معانيها والاستشهاد عليها يعني وحده تأييد الفكرة ، اما الدفاع فهو معنى اعم من التأييد لانه يتطلب مع المعنى الاول البرهنة على وجود الاضداد في اللغة والتدليل على صحة ورودها عن العرب وسلامة استعمالها في اساليبهم ومحاولة تفسيرها ، وهو أمر لا يوجد الا بعد وجود الإنكار .

وبناء على تسلسل هذه المراحل فنحن نبدأ كلامنا بالحديث عن الإنكار لانه كما قلنا سبق الدفاع ، فبعد ان ظهرت كتب : قطرب وأبي عبيدة والاصمعي والتوزي وأبي حاتم وابن السكيت وغيرهم من اوائل الاضداديين ، انبرى لإنكار ما جاء به هؤلاء من مادة جماعة من الدارسين اختلفت مناهجهم في الإنكار بمقدار ما اختلفت نياتهم فيه ، ولهذا فنحن لا نستطيع ان نعد جميع المنكرين فئة واحدة ونمطا واحدا وانما هم بحسب دوافعهم ثلاث طوائف : الاولى هم الشعوبيون واهل الزينغ والازراء بالعرب كما يسميهم ابن الانباري ، يودون الطعن على العرب من ناحية ان وجود الاضداد في اللغة دليل عدم الابانة والغموض والاضطراب وهذه الطائفة التي كانت سيئة النية في انكارها الاضداد اسبق الطوائف في الظهور . والثانية هم الذين افادوا فكرة الإنكار من الاوائل ولكن لم تتوفر فيهم النية السيئة ولكنهم ارادوا ان يبطلوا الضدية بشكل من الاشكال ، ويقف ابن درستويه على رأس هؤلاء . والثالثة هم المحدثون من العرب والمستشرقين الذين يحاولون تفسير نشأة الاضداد لانكار ضدية اللفظة في وضعها الاول ، تبرئة لها من عدم الابانة الاصيل الذي اتهمها به اهل الازراء والشعوبيون ، وحرصا على نقاء اللغة من العيب الذي تطعن لوجوده فيها .

اما الطائفة الاولى فلا نعرف من مذهبها الا ما ذكره ابن الانباري في

مقدمة كتابه فقال : « ويظن اهل البدع والزيف والازراء بالعرب ان ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ويحتجون بان الاسم منبىء عن المعنى الذى تحته ودال عليه وموضح تأويله فاذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب ايهما اراد المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى » (١) وهي فكرة مجملة عن ازراء هؤلاء الشعوبيين بالعرب من هذه الناحية ، فلا ندرى هل وضع احدهم في ذلك كتابا او هل سجلت آراءهم ومناقشاتهم ونقلت عنهم ، ومتى بالضبط كان ذلك ومن هم رجال هذا المذهب ؟ كل ذلك مجهول لان كتب الاضداد وابن الانبارى على وجه الخصوص لم يسمعنا بهذه المعلومات . غير اننا لا نرجح بل لانعتقد ان يكون المقصود بهؤلاء هم ابن درستويه ومن سار على نهجه ممن اعتبرناهم طائفة اخرى تختلف منهجا عن اولئك كما يتوهم احد الباحثين (٢) . لان ابن درستويه متأخر عن ابن الانبارى في الزمن فقد توفي سنة ٣٤٧ هـ ، واذا كان ابن الانبارى قد الف كتابه قبل وفاته ٣٢٨ هـ بعشرين سنة مثلا ، فتكون هذه المدة الطويلة مبعدة احتمال تأليف ابن درستويه لكتابه (ابطال الاضداد) قبل تأليف ابن الانبارى كتابه فلا يكون الاخير مشيرا الى ابن درستويه فضلا عن ان يكون المقصود احد انصار ابن درستويه او الداهيين مذهبه في الإنكار . فأهل البدع والسريخ والازراء بالعرب - كما يبدو - جماعة من الاعاجم تتوفر فيهم الروح الشعوبية والرغبة في الانتقاص من العرب عاشت بين ظهرائي الوسط المثقف في ذلك الحين ، حاولت ان تجد في الاضداد سندا تستند اليه في الطعن على اللغة والنيل منها فهب ابن الانبارى للدفاع عن الاضداد وردّ دعاوى الشعوبيين وتفنيد مزاعمهم وآرائهم .

(١) ابن الانبارى ٢-١ .

(٢) حسين محمد : اللسان العربي المغربية ٩٦/٨ في ١٩٧٢ م .

واما الطائفة الثانية فقد انكرت الازداد ذاهبة الى تأويل المعنيين وارجاعهما الى اصل واحد ، لعدم قناعتها بأصل فكرة التضاد ، وهي تختلف عن الطائفة الاولى في دافعها الى الانكار ، ذلك انها لم تكن في عملها سيئة النية تجاه العربية كالطائفة تلك ، صحيح ان فيها الفارسي كابن درستويه الا ان ذلك لا يعني توفر الروح الشعوبية في كل فارسي في الاصل ، لانا نعرف ان كثيرا من علماء العربية الفيورين عليها هم من اصول فارسية واصدق مثال على ذلك ابن فارس الذي دافع عن الازداد ، اصف الى ذلك ان من هذه الطائفة التي انكرت الازداد من لايشك بعريته كعطب وهو من هو في غيرته على اللغة والذب عنها • فانكار الازداد ان توفر فيه حسن النية وسلامتها وقام على اساس معقول من التأويل وارجاع المعنيين الى اصل واحد كالذي فعلناه في (شمولية المدلول الاول) لا يعد انتقاصا من العربية ولا طعنا فيها ولا اذراء بالعرب ، بل على العكس تماما حيث دفع هؤلاء بدافع تنقية العربية مما طعنوا فيه اولئك الشعوبيون وصحيح ايضا انهم افادوا فكرة الانكار من اولئك الا انهم سخروها بشكل مختلف ، توفر فيه الايجابية ويقوم على النظرة الموضوعية لمواد اللغة ودلالات الفاظها المختلفة •

ومن المؤسف ان يكون كتاب (ابطال الازداد) لابن درستويه ضائعا ، اذ لو كان بين ايدينا الآن لكنا ازاء كتاب يقدم لنا الصورة الكاملة لمنهج الانكار وطريقة ابن درستويه في ابطال ضدية الالفاظ واستخلاصه المعنى الشامل للمعنيين المتضادين ، وربما نقل لنا آراء غيره ممن سبقوه الى معالجة الازداد وانكارها • ولم يبق لنا منه الا نقول قليلة عنه متناثرة هنا وهناك لايمكن ان تقدم الصورة الواضحة التي يقدمها الكتاب ، عدا ما يحيط هذه القول من مخاطر لاضطرارنا الى ان نستقيها من كتب المدافعين عن الازداد وهم في معرض الرد على آراء المنكرين ، فهل كان النقل امينا ام حرّف النص ؟ هذا شيء لايمكن التثبت منه مادام اصل الكتاب غائبا •

وهل كان النقل عن (إبطال الأضداد) أم عن كتاب آخر؟ لا يمكن القطع بذلك أيضا لأن المصادر لاتنص في أكثر ما نقل عن ابن درستويه على أنها نقلت قوله من كتابه إبطال الأضداد، غير أننا نرجح أن يكون النقل عنه لا عن غيره لأن ابن درستويه كما يوحى ذكره للكتاب في كتابه (تصحيح الفصيح) مرتين، أنه ملزم نفسه ألا يكرر مقاله في إبطال الأضداد، فهو يكفي بأن يرجع القارئ إلى كتابه (إبطال الأضداد) فليس هذا موضع ذكره^(٣)، أو ما يصلح ذكره ها هنا^(٤)، مما سنفصل فيه عند كلامنا على كتابه فيما بعد. • وأما استفدنا من ذكر الكتاب في هذين الموضعين من (تصحيح الفصيح) أن مادتي (نَاء) و (نَبَل) اللتين هما عند الأضداديين من الأضداد كانتا ضمن المواد التي أبطل ضديتها في كتابه إبطال الأضداد.

وأول ما نستطيع أن نلتقطه من أقوال ابن درستويه في هذا الصدد هو رده على سيبويه في اعتباره لفظة (وَجَدَ) مثلا للالفاظ التي تتفق في الشكل وتختلف في المعنى عند تقسيمه كلام العرب تقسيمه المعروف^(٥). • فقال: « هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أن من كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه، لأن سيبويه ذكره في أول كتابه، وجعله من الأصول المتقدمة، فظن من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد وهو إصابة الشيء خيرا كان أو شرا، ولكن فرقوا بين المصادر لأن المفعولات كانت مختلفة، فجعل الفرق في المصادر بأنها أيضا مفعولة، والمصادر كثيرة التصاريف جدا، واشتملتها كثيرة مختلفة وقياسها غامض وعللها خفية والمفتشون عنها قليلون،

(٣) تصحيح الفصيح ٨ ب •

(٤) تصحيح الفصيح ٢٥٦ أ •

(٥) كتاب سيبويه ٧/١ •

والصبر عليها معدوم • فلذلك توهم اهل اللغة انها تأتي على غير قياس ، لانهم لم يضبطوا قياسها ، ولم يقفوا على غورها » (٦) ، يعطينا هذا الكلام فكرة موجزة عن طريقة ابن درستويه في ردّ المعاني وارجاعها الى اصل واحد ، وذلك بعد دراسة اللفظة من جميع وجوهاها واللجوء الى مصدرها الذي قد يوضح ان اللفظة قد تتفق في أصواتها مع لفظة اخرى ولكنها تختلف عنها في المصدر وحيث تكون لفظة اخرى غير الاولى فلا تكون من الاضداد او من المشترك كما قد يتوهم ذلك • وكان قد مرّ علينا في مبحث (طريقة الاستعمال وضدية التفسير) نقل ابي الطيب عن (يمنع الاضداد) الذي نرجح ان يكون ابن درستويه نفسه ، ارجاعه معني (بيضة البلد) التي هي للمدح والذم الى معنى الشهرة لان كلا الممدوح والمذموم يشتهر بما هو فيه (٧) ، فالنتهج - كما يبدو - يعتمد في الاساس على فكرة ارجاع المعنيين الى معنى عام او اصل واحد •

ويقول ابن درستويه : « ليس ادخال الالباس في الكلام من الحكمة والصواب ، وواضع اللغة عز وجل حكيم عليم • وانما اللغة موضوعة للابانة عن المعاني فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، او احدهما ضد الآخر ، لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية » (٨) • فالمنطلق الاول هو من الايمان بتوقيف اللغة ، والواقف هو الله ، فلا يمكن ان يضع الحكيم العظيم الفاظا تكون سببا في التعمية والتغطية ، فلا بدّ اذن من الدفاع عن قداسة اللغة بانكار الاضداد وذلك بارجاع المعنيين الى معنى واحد • وحتى حين اعترف ابن درستويه بمجيء الشيء النادر من الاضداد فانه لم يقصد الى ان ذلك كان اصلا في الوضع ، وانما اعترف بالعجز عن رصد العلة

(٦) المزهر ١/٣٨٤ •

(٧) ابو الطيب ١/٥٧ •

(٨) المزهر ١/٣٨٥ •

التي ولدت التضاد او معرفة السبب في تشابه اللفظين ، فقال : « ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعل ، كما يجيء فَعَلَ وأَفْعَلَ ، فيتوهم من لا يعرف العلل انهما لمعنيين مختلفين وان اتفق اللفظان ، والسماع في ذلك صحيح عن العرب ، فالتأويل عليهم خطأ» (٩) ، ومن العلل التي ذكرها ان « يجيء ذلك في لقتين متباينتين او لحذف واختصار وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ » (١٠) ، بمعنى انه اذا جهل ان احد المعنيين هو في لغة قبيلة غير القبيلة التي تستعمل المعنى الثاني ، او اذا خفي ان هناك حذفًا واختصارًا جعلًا من اللفظتين لفظة واحدة ، حيثئذ تكون اللفظة من الاضداد عند من لم يحسن معرفة السبب الذي جعل منها ضداً ، فكلامه وان اشعر باعترافه بوجود القليل من الاضداد ، الا انه ينفي عن هذا القليل اصالة الضدية ، وهي نظرة علمية تدعونه للاعجاب بعمق تمرسه في اللغة وبعد اطلاعه على اسرارها .

ومن الاضداديين الذين ساروا على نهج ابن درستويه في انكار الاضداد الحسن بن بشر الآمدي مؤلف (الحروف من الاصول في الاضداد) الذي سنعرض لدراسة كتابه في الباب الثاني ، الا ان الذي يجب التنبيه عليه هو ان كتابه هو الآخر ضاع ولم يصل ، وربما هذان ذكره للاصول في عنوانه الى مغزى وضعه ، لاننا عثرنا له في (الموازنة) على كلام طويل يعالج فيه ضدية عدد من الالفاظ عدّها الاضداديون من الاضداد بنفس الطريقة التي يعالج بها ابن درستويه الاضداد من ارجاع المعاني الى اصول واحدة ، وكنا قد قررنا ان ذلك يعتبر منهج هذه الطائفة من المنكرين ، يقول الآمدي : « واما ما ذكرته من ان (دون) تأتي بمعنى خلف وانها عند اهل العربية من الاضداد مثل (وراء) ، فقد اخبرتك ان معناها عند اهل اللغة والعربية

(٩) المزهر ١/ ٣٨٥ .

(١٠) المزهر ١/ ٣٨٥ .

(التقصير عن الغاية) ، وإذا كان الشيء وراء الشيء أو أمامه أو يمينه منه أو شأمة ، صلح في ذلك كله ان تقول : هو دونه . . فليس هذا من الازداد في شيء ، وإنما جعلها قوم من الازداد لما رأوها تستعمل في هذه الوجوه لما فيها من الابهام ، وكذلك (وراء) إنما هي من المواراة والاستتار ، فما استتر عنك فهو وراء ، خلفك كان أو قدامك (١١) . . ، وواضح من هذا ان الآمدى من القائلين بانكار الازداد ، حيث يمكن ان يرجع بمعنى قسم منها الى معنى عام يصلح ان يكون اصلا لكل من المعنيين ، ونفترض ان يكون كتابه في الازداد سائرا على هذه الطريقة .

أما ثعلب فقد ذكر الجواليقي انه انكر الازداد ، ونقل عنه انه قال : « ليس في كلام العرب ضد . . . لانه لو كان فيه ضد لكان الكلام مجالا ، لانه لا يكون الابيض اسود ولا الاسود ابيض . وكلام العرب وان اختلف اللفظ فالمعنى يرجع الى اصل واحد (١٢) » . فلو صح ذلك فانه على طريق هذه الطائفة في الانكار منهجا ونية ، فهو يرى انه يمكن ان يرجع بالمعنيين المتضادين الى اصل واحد هو المعنى الشامل ، بنفس الرؤية التي استجلبناها عند ابن درستويه والآمدى ، وثعلب وان كان اسبق هذه الطائفة صدورا الى هذا المذهب لتقدم عصره على عصر سابقه ، فنحن أخرنا الكلام عليه لشكنا في نسبة انكار الازداد اليه ولو على هذه الطريقة ، ذلك ان تلميذه ابن الانبارى اكثر من الرواية في كتابه عنه بشكل تجعلنا نعتقد بقوله بالازداد وتأيدته لها ، كما لم ينص ابن الانبارى وهو اعرف الناس به على هذا المعنى من انكار ثعلب للازداد ، فلو كان في الامر شيء من ذلك لكان ابن الانبارى ذاكره بكل تأكيد . اضع الى هذا ان ثعلبا ممن الف في الازداد - كما سيأتي درس كتابه فيما بعد - وبالرغم من ضياع كتابه

(١١) الموازنة للآمدى ١/ ١٧٣ .

(١٢) شرح ادب الكاتب ١٧٧ .

ايضا ، فاننا استطعنا ان نستخلص ظواهر كثيرة منه لوفرة النقول عنه في كتب اللغة والاضداد ، ولكن جميع هذه النقول لا تشير ولا تشعر بشيء من الانكار ولا بما يشبه ذلك ، بل على العكس فربما تركت في اذهاننا انطبعا حسنا عن تأييده للفكرة والعمل بموجها ، كما ان عنوان الكتاب كما ذكره ابن خير الاشيلي هو (الاضداد) (١٣) ، وهو لا يلمح الى شيء من ابطال الاضداد او نقضها او انكارها او الرجوع بها الى اصولها المعنوية الشاملة . وعليه فمن الموضوعية استبعاد ثعلب من هذه الطائفة من المنكرين ، وربما صرح في احد كتبه بإمكان ارجاع الضدين الى اصل واحد بشكل لا يمكن ان يفسر بان موقف ثعلب من الاضداد هو الانكار ، وربما وهم الجواليقي في مقولته فسبها لثعلب وهي لغيره .

واما الطائفة الثالثة من المنكرين وهم المحدثون من دارسي الاضداد العرب والمستشرقين فتحن نرجيء الكلام عليها الى مابعد الكلام على المدافعين عن الاضداد ، لتأخر دراساتهم عن دراسات القدماء ، ثم نحاول ان نصل بين هؤلاء واولئك .

فاذا انتقلنا الى المدافعين عن وجود الاضداد وجدنا ان لهم آراءهم وادلتهم على هذا الوجود ، واذا كنا لم نعثر بعد على اى كتاب من كتب منكرى الاضداد فان الكتب التي وصلت الينا من مؤيديها المدافعين عنها كثيرة ، ولذلك نستطيع ان نتابع اقوالهم متابعة صحيحة ودقيقة ، فقد تشعبت الطرق لهؤلاء المدافعين عندما أرادوا الاستدلال على وجود الاضداد في اللغة العربية ، فكان منهم من اعتمد على النقل والرواية في البرهنة على وجودها مثل ابن فارس ، ومنهم من اعتمد على المنطق والجدل العقلي مثل ابن سيده ، ومنهم من اعتمد على تفسير نشأتها والظروف التي عملت على وجودها كابن الانباري .

(١٣) فهرسة ابن خير ٣٨١ .

فابن فارس يقرر أولا ان : « من سنن العرب في الاسماء ان يسموا المتضادين باسم واحد • نحو (الجون) للأسود ، (الجون) للأبيض » (١٤) . وهو اعتماد محض على النقل ، واعتبار الاضداد ظاهرة (سنة) لغوية شأنها شأن الترادف والاشتراك لا يمكن انكارها وما دامت كذلك فلا بد من الاعتراف بوجودها ، ثم يؤكد ابن فارس صحة البرهنة بالنقل على وجود الاضداد مطعما ذلك بشيء من الاستدلال العقلي فيقول : « وانكر ناس هذا المذهب وان العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده ، وهذا ليس بشيء • وذلك ان الذين رووا ان العرب تسمى السيف مهندا والفرس طرفا هم الذين رووا ان العرب تسمى المتضادين باسم واحد • » (١٥) معناه انه اذا صحت رواية الترادف عن العرب فلماذا لاتصح رواية الاضداد عنهم والرواية هم الرواة ، فان كان علينا ان نصدقهم وجب ان نصدقهم فيما رووه جميعا ، وان كان علينا ان نكذبهم وجب ان نفعل ذلك في جميع ما قالوا ، فليس من المعقول ان نصدقهم اذا رووا لنا ما يعجبنا ، ونكذبهم اذا رووا لنا ما لم يعجبنا • وربما كان يشير بعبارة (وانكر ناس) الى ابن درستويه او الى الآمدي ، لتقدمهما عليه في العصر فلا يبعد انه كان مدفوعا بذلك الى رد مزاعمهما في كتابهما ، ولم ينعت (الناس) بالشعوبية او انهم اهل زيغ وازراء بالعرب ، لعلمه بعدم توفر القصد السيئ لدى هؤلاء في انكارهم الاضداد ، ومن شدة حماسه لفكرته المتأثرة بايمانه بنظرية (توقيف اللغة) انه وضع كتابا في الرد على منكري الاضداد ، اذ يقول : « وقد جردنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ونقضه ، فلذلك لم نكرره » (١٦) • ولكن الكتاب لم يصل مع ما لم يصل من كتب المنكرين التي اشرنا اليها • والظاهر من منهج ابن فارس ومذهبه في الاستدلال انه

(١٤) الصاحبى ٦٦ •

(١٥) الصاحبى ٦٦ •

(١٦) الصاحبى ٦٦-٦٧ •

شحن الكتاب بالشواهد الشعرية والثرية وذكر اقوال الرواة والعلماء ، كل ذلك للتدليل على صحة ورود الاضداد عن العرب وصدق روايتها عنهم ، بعد ان نطقت بها اشعارهم واقوالهم •

اما ابن سيده فذكر ان احد شيوخه كان ينكر (الاضداد التي حكها اهل اللغة ، وان تكون لفظة واحدة لشيء وضده) فراح يقسم دفاعه عن الاضداد وردّ هذا الشيخ المنكر على شكل برهانين عقليين احدهما من جهة السماع والثاني من جهة القياس ، فقال : « ولا يجوز ان تقوم له حجة ثبت له دلالة من جهة السماع ، بل الحجة من هذه الجهة عليه ، لان اهل اللغة كأبي زيد وغيره وأبي عبيدة والاصمعي ومن بعدهم قد حكوا ذلك وصنف فيه الكتب ، وذكروه في كتبهم مجتمعا ومفترقا ، فالحجة من هذه الجهة عليه لا له (١٧) » وهو بهذا الدليل يشبه ابن فارس في استدلاله براوية الرواة للاضداد وغير الاضداد ، ولعله استقاه واخذه من ابن فارس بعد ان قرأ كتابه ، ثم يأتي ابن سيده ليان الدليل العقلي الذي يردّ به المنكر من جهة القياس ، فيصطنع حوارا جدليا بينه وبين ذلك المنكر فيقول : « قيل له هل يجوز عندك ان تجيء لفظتان في اللغة متفتحتان لمعنيين مختلفين ، فلا يخلو في ذلك ان يجوزوه او يمنعه ، فان منعه وردّه صار الى ردّ ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ومنع ما ثبت جوازه وشبهت عليه الالفاظ فانها اكثر من ان تحصى وتحصر نحو : وجدت الذي يراد به العلم والوجدان والغضب • وجلست الذي هو خلاف قمت وجلست الذي هو بمعنى اتيت نجدا • ونجد يقال لها جلس ، فاذا لم يكن سبيل الى اشع من هذا ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه ، واذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه جاز وقوعها للشيء وضده اذ الضد ضرب من الخلاف وان لم يكن

كل خلاف ضدا « (١٨) • فهو يحاول عن طريق هذا الجدل المنطقي ان يثبت اولا وجود المشترك اللفظي في اللغة ، فاذا ثبت بدليل النقل والعقل ثبت ايضا وجود الازداداد في كلام العرب لان الازداداد نوع من المشترك ولكنه نوع اخص منه ، لان التضاد عنده خلاف وليس كل خلاف تضادا ، وهو مذهب اخذ به كثيرون عرضنا لهم في صدر الفصل السابق • وواضح ان منهج ابن سيده في الدفاع عن الازداداد يختلف عن منهج ابن فارس تماما فحين يعتمد ابن فارس على الرواية والنقل واستقراء الظواهر اللغوية، يعتمد ابن سيده على العقل والمحاكمة المنطقية والتقسيم الجدلي للبرهنة على وقوع الازداداد •

واما ابن الانبارى فقد اختلف منهج دفاعه عن المنهجين السابقين ، وذلك لاختلاف فهمه للازداداد • فقد رأينا خلال عرضنا لآراء المنكرين والمدافعين ان المسألة بينهما لاتعدى ان تكون اما اذدادا او لا اذداد ، على اختلاف الاساليب التي ثبت احد الامرين • ولكن ابن الانبارى لم ينظر للمسألة من هذه الزاوية او تلك وانما نظر اليها على انها اذداد موجودة الآن في اللغة ولا مانع من ان يكون احد المعنيين لغة لقليلة غير القبيلة التي تستعمل المعنى الثاني ، او ان يرجع بالمعنيين الى معنى عام شامل ، او ان السياق هو الذى يعين احد المعنيين المهم عنده ان هذه الامور جميعا تضافرت فخلقت اذدادا في اللغة ، بل استغل ابن الانبارى هذه التفسيرات المختلفة لنشوء الازداداد للدفاع عن اللغة امام اهل البدع والازراء بالعرب وكأنه يريد ان يبرهن لهم من ذلك ان التضاد ليس اصيلا في وضع اللفظة وانما هو نتيجة عامل من هذه العوامل ، ولا مانع بعد ذلك من ان تقول ان في لغتنا اليوم اذدادا نصنف فيها الكتاب ونذكر فيه شواهدا من الشعر والقرآن ، ومن هذا الفهم الدقيق القائم على الجمع بين النظر الى عوامل نشوء الازداداد وبين

الرغبة في جمعها ودراستها انطلق ابن الانبارى في دفاعه عن الازداد ، فقال رادا على المنكرين التسائلين : « فأجيبوا عن هذا الذى ظنوه وسألوا عنه بضروب من الاجوبة : أحدهن ان كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط اوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لانها يتقدمها ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية احد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والاختبار الا معنى واحد ، فمن ذلك قول الشاعر :

كل شيءٍ ما خلا الموت جَلَلٌ والفتى يسعى ويلهيه الأمل

فدل ما تقدم قبل (جَلَل) وتأخر بعده على أن معناه : كل شيء ما خلا الموت يسير ، ولا يتوهم ذو عقل وتميزان (الجَلَل) ها هنا معناه (عظيم) (١٩) وهذا الذى بينه ابن الانبارى هنا هو في جواب من يقول ان وجود الازداد في كلام المتكلم يورث اللبس لان السامع لا يعلم اى معني الضد قصد هذا المتكلم ، فيوضح ابن الانبارى ان قرائن الكلام بما يتقدم الضد وما يتأخر عنه هو الذى يخصص احد المعنيين ويحصر اللفظة فيه ، وعليه فلا لبس ولا فوضى في الكلام . وفي الواقع ان ابن الانبارى يدافع عن اللغة التي احتضنت الازداد اكثر مما يدافع عن الازداد نفسها ، لان الشعوبيين الذين اشار اليهم ، كانوا يعيرون اللغة لوجود الازداد فيها ولم ينكروا وجود الازداد في اللغة ، ومن هنا كان دفاعه منصبا على اللغة وطرائق التعبير فيها لا على اصل وجود الازداد ، ومن هنا ايضا كان تقسيمنا لطوائف المنكرين قريبا من الصحة ، فالذين يجابههم ابن الانبارى هم غير الذين جابههم ابن فارس او ابن سيده ، فالمنكرون عند ابن الانبارى انكروا على العربية وجود الازداد فيها ، اما المنكرون عند ابن فارس وابن

سيده فقد انكروا وجود الاضداد في العربية فراح ابن فارس يثبت وجودها بالرواية ، وذهب ابن سيده الى اثباتها بالعقل • ولهذا عبر ابن الانباري عن المنكرين الذين عرض لموقفهم بـ (أهل البدع والزيف والازراء بالعرب) ، ولكن ابن فارس وابن سيده لم ينعنا المنكرين بذلك •

وشبه ابن الانباري الاضداد بالمشارك من حيث تحديد المعنى بالسياق فقال : « ومجرى حروف الاضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة وان لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها الا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله ، كقولك : حمل لولد الضأن من الشاء ، وحمل اسم رجل ، لا يعرف أحد المعنيين الا بما وصفنا » (٢٠) وذكر ان من الاضداد ما يفسر بتداخل المعنيين على جهة الاتساع وأصلهما معنى واحد ، وقد أشرنا الى رأيه هذا في (شمولية المدلول الاول) ، فقال : « وقال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين فالأصل المعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع • فمن ذلك الصريم ، يقال لليل صريم ، وللنهار صريم ، لان الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع » (٢١) • وهذا التفسير هو الذي جعله ابن درستويه والآمدي ومن سار على هديهما منهجهم في الانكار ، ولعل ابن الانباري أفاده من ثعلب فعبر في أوله (وقال آخرون) ، مشعرا انه لا مانع من أن يكون ذلك تفسيرا لضدية الاضداد التي هي حقيقة واقعة الآن ، ولعل هذا الموقف يفسر لنا ما نقل عن ثعلب من أنه أنكر الاضداد ، اذ يكون ابن الانباري قد استلهم هذا الفهم لحقيقة الاضداد من استاذه الذي أكرر الرواية عنه ، ولكنه لم يشأ أن يصرح باسمه في نقله لهذا التفسير لئلا يساء فهم موقفه ويظن أنه قائل بالانكار

(٢٠) ابن الانباري ٣-٤ •

(٢١) ابن الانباري ٨ •

على طريقة أهل الزيغ والازراء بالعرب • ونقل ابن الانباري عن قطرب رأيه في تفسير الاضداد فقال : « وقال قطرب : انما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلّوا على اتساعهم في الكلام ، كما زاحفوا في أجزاء الشعر ليدلّوا على أن الكلام واسع عندهم ، وان مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والاطالة والاطناب » (٢٢) ولكن ابن الانباري لم ترق له فكرة تشبيه الاضداد بزحاف الشعر الجائر ، لاختلاف العلتين اللتين سببتا كل واحد منهما ، فلم يأخذ بهذا القول وذهب الى تأييد ابن الاعرابي الذي صرح بأننا لا نعلم جميع العلل التي بسببها كان استعمال العرب لاسمائها » فلم تزل عن العرب حكمة العلم بما لحقنا من غموض العلة وصعوبة الاستخراج علينا (٢٣) » •

وذكر ابن الانباري اختلاف اللهجات في جملة تفسيرات الاضداد فقال : « اذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي قد أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء ، قالوا : فالجون الابيض في لغة حي من العرب ، والجون الاسود في لغة حي آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر » (٢٤) . والظاهر انه استقى هذا التفسير من الكسائي والفراء لانه ذكرهما بعد هذا الكلام مشيرين الى أمثلة من تداخل اللغات ، أو انه أخذه من كتاب قطرب بدليل المثل الذي ساقه ابن الانباري ، فقد نص قطرب على أن « الجون في لغة قضاة الاسود وفي ما يليها الابيض » (٢٥) • وأخذ به بعد ابن الانباري

(٢٢) ابن الانباري ٨ •

(٢٣) ابن الانباري ٨ •

(٢٤) ابن الانباري ١١-١٢ •

(٢٥) قطرب ٢٥٦ •

ابن درستويه كما مرّ في تعليقه لمجيء القليل النادر من الأضداد (٢٦) ، وقال به ابو علي الفارسي فيما فسر به الاضداد وجعله احد علتين لنشوء الاضداد وجعل العلة الاخرى كون المعنى الثاني مجازيا استعمال اول الامر على سبيل الاستعارة ثم شاع وصار كالاصل (٢٧) . وذكره ابن الدهان أيضاً في مقدمة كتابه آخذاً به في تفسير الاضداد (٢٨) ، ناصاً على ان هذا مما يرد به منكرو الاضداد ، وهو متأثر فيه بابن الانباري ، وهو يقوى اعتقادنا ان ابن الدهان حذا حذو ابن الانباري في كتابه بعد اختصاره والاكتفاء بالمواد مجردة من التعليق والاستشهاد .

ويرى ابن الانباري ان الاعتلال لنشوء الاضداد على هذا النحو الذي فصله في مقدمة كتابه ، هو مما يجب ان يعني به المتصدى للتأليف في الاضداد وبعدهم يكون العمل ناقصاً ، اذ لا تقوم الحجة على المنكرين الذين أزرؤا بالعرب لاستعمالهم ما يورث التعمية وعدم الابانة لولا بيان هذه الامور التي توضح ان الاضداد موجودة ولكنها لا تسبب ما زعموه من التعمية والغموض ، ولهذا فهو ينعى على الذين ألفوا في الاضداد انهم لم يعتلوا لها فيقول : « وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا في احصائها كتاباً نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم اتى من الحروف بجزء ، واسقط منها جزءاً ، واكثرهم امسك عن الاعتلال لها ، فرأيت . . . » (٢٩) . فالاعتلال لها - كما سبق ان بينا - لا يمنع القول بها وجمع موادها واحصائها ، بل كان ابن الانباري اكثر موضوعية من هذا فقد ناقش في متن كتابه كثيراً من الاضداد التي ذكرها راداً بعضها وشاكاً في البعض الآخر وناصاً على عدم ضدية

(٢٦) المزهر ١/ ٣٨٥ .

(٢٧) المخصص ١٣/ ٢٥٩ .

(٢٨) ابن الدهان ٩٢ .

(٢٩) ابن الانباري ١٣ .

القسم الثالث مما اشرنا الى شيء من ذلك في الفصل السابق عند دراستنا لتفسير الاضداد ، وقد اشبهه في نقد الاضداد ابو الطيب ، وقد مرّ انه اخرج كثيرا من الاضداد وافرداها في فصول الحقها في نهاية الكتاب ، ذاهبا الى انها ليست من الاضداد الحقيقية ، وانما ادخلها السابقون فيها ، وهو يذكرها لثلاثا يقال انه غفل عنها او جهلها (٣٠) .

فعندما وضعت الطبقة الاولى من مؤلفي الاضداد كتبها في جمع هذه المادة واحصائها ، بدافع الاستلطاف والغرابة من جهة كما هو عند قطرب وبدافع خدمة القرآن والحرص على مؤدى الفاظه من جهة اخرى كما هو عند أبي حاتم ، كان لا بد ان يدخل شيء كثير مما هو بعيد عن الضدية وضعيف الصلة بها . فاضطرت الطبقة الثانية التي تلت اولئك وعلى رأسها ابن الانباري وابو الطيب ان يتقوا تلك المادة وينقدوا كثيرا من مزاعم الاوائل في تضاد الفاظها ويضعوا شروطا معينة يجب ان تتوفر في اللفظة لكي يصح عدّها في الاضداد ، وغير ذلك مما يعطي صورة عن الفهم الجديد للاضداد الذي لم يتوفر عند أكثر اولئك ، ومع ذلك فإن ابن الانباري وأبا الطيب قد أهملوا النظر في أضداد كثيرة حفل بها كتاباهما وتخليا عن تطبيق شروطهما في مواضع كان يجب عليهما الاخذ بهذه الشروط ، فكأنهما خافا ان يقال لهما : لماذا اذن وضعتما كتابكما واكثر مادتيهما ليست من الاضداد ؟ وبالرغم من ذلك فاننا نكتفي بأن نعرف أن صورة الاضداد في ذهنيهما كانت واضحة وان لم تتحقق كل التحقق في كتابيهما .

فقد اخرج ابن الانباري من الاضداد ما كان تضاده بين (فَعَلَ) وأَفْعَلَ (٣١) . واستبعد ايضا ما كان تضاده بين (فَعَلَ) و قَعَلَ (٣٢) ،

(٣٠) ابو الطيب ٦٨٨/٢ .

(٣١) انظر : ابن الانباري ٣٧١ (خَدَمَتْ وَأَخْدَمَتْ) .

(٣٢) انظر : ابن الانباري ٤٠٠ (بَدَنَ وَبَدَنَ) .

واستبعد كذلك ما كان تضاده بين (فَعَلَ وَفَعَلَ وَفَعُولٌ وَفَعِيلٌ) (٣٣)،
 واخرج ما كان تضاده بين (فَاعِلٌ وَفَعُولٌ) (٣٤)، واخرج ما كان تضاده
 بين (الاسم والفعل) (٣٥) . هذه شروط ابن الانباري من ناحية اللفظ
 (الشكل) ، وذلك بان يكون المعنيان المتضادان لفعلين أو اسمين أو صفتين
 وكل منها على وزن واحد وصيغة متشابهة ، والا فلا يجوز الحكم على ما شذ
 عن ذلك بالتضاد ، وقد اشار الى كثير منها ابو الطيب في كتابه .

اما من ناحية المعاني (المضامين) فقد ارجع ابن الانباري معني بعض
 الاضداد الى اصل واحد (٣٦) ، وكان قد اشار الى هذا التفسير في مقدمته
 كما مر . وذهب ابو الطيب هذا المذهب في بعض الاضداد (٣٧) ،
 واشترط ابن الانباري ان يكون المعنيان المتضادان فصيحين لا من
 استعمال العامة . (٣٨) واشترط أن يكون المعنيان معروفين في جنس
 واحد (٣٩) ، وذهب الى ما يشبه ذلك ابو الطيب (٤٠) .

وقد مر ان ابا الطيب اخرج من الاضداد (ما جاء مسمى باسم غيره
 لما كان من سببه) ويقصد فيه الى المجاز ، فليس من الاضداد مثلا (العشاء)
 الذي يطلق على الناقة التي بلغت عشرة اشهر في حملها ، والناقة التي
 تتجت حديثا ، و (الارة) الذي يطلق على الحفرة التي فيها النار ، وعلى
 النار نفسها (٤١) ، وغير ذلك مما عد ابو الطيب احدا معنيه مستعملا

(٣٣) انظر : ابن الانباري ٤٠٦ (تَجَدَّ وَتَجَدَّ وَتَجَدُّ وَتَجَدُّ وَتَجَدُّ وَتَجَدُّ) .

(٣٤) انظر : ابن الانباري ٣٩٤ (الطاحي) .

(٣٥) انظر : ابن الانباري ٣٧٣ (جَمَرَتِ الْمَرْأَةُ) .

(٣٦) انظر : ابن الانباري ١٠٢ (طَرَبَ) .

(٣٧) انظر : أبا الطيب ٢١/١ (الْمَاتَمَ) .

(٣٨) انظر : ابن الانباري ٣٦٦ (الْحِرْقَةُ) .

(٣٩) انظر : ابن الانباري ٣٢٣ (الهِجْر) .

(٤٠) انظر : أبا الطيب ١١٣/١ (التَّقْل) .

(٤١) أبو الطيب ٧١١/٢ .

استعمالا مجازيا • كذلك اخرج من الاضداد ما كان مقلوبا او مزايا عن
جهته ، مثل (ناء بي الحمل) و (يا خيل الله اركبي)^(٤٢) وغيرها ، فلم
يعد ذلك من الاضداد • كما اخرج ابو الطيب من الاضداد جميع الالفاظ
التي تماثلت صورتها وتضادت معانيها بسبب التصريف مما كانت عينه منقلبة
عن واو أو ياء كالمحتاج والمبتاع والمجتاب ، وما كانت عينه مدغمة في لامه
كالمرتد والمبتز والمعتد ، وافرد جميع هذه المواد في فصل بآخر كتابه^(٤٣) •
واستبعد مجموعة اخرى من الاضداد تماثل تلك ، لاختلاف حرف العلة
الاصلي فيها^(٤٤) ، واستبعد ابو الطيب ايضا ما اختلفت مصادر الفعل
المتحد في الصورة^(٤٥) •

وكان قد مرّ ايضا ان ابن الانباري وابا الطيب اشارا الى ما استعمل
من الاضداد على سبيل التفاؤل والتطير ودرء العين وما الى ذلك من الاعتبارات
النفسية والاجتماعية التي عملت على نشأة الاضداد ، مثل (السليم)^(٤٨) و
(المفازة)^(٤٧) و (الناهل)^(٤٨) و (البصير)^(٤٩) وغيرها كثير ، وقد
سبقهما الى ملح عامل التفاؤل والتطير الاضداديون الاوائل ، فقد وردت الى
هذا العامل اشارات لدى الاصمعي وابن السكيت واكثر منهما قليلا لدى
أبي حاتم ، الا انها زادت بشكل ملحوظ لدى ابن الانباري وأبي الطيب •
ولا نريد ان نطيل في عرض هذه الجوانب لاننا اشرنا الى شيء منها
في الفصل السابق ، ولاننا ادخرنا دراستها الى الفصل المعقود للكلام على

-
- (٤٢) أبو الطيب ٧٢٠/٢ •
 - (٤٣) أبو الطيب ٦٩١/٢ •
 - (٤٤) انظر : أبا الطيب ٤٥٢/١ (ضاع) •
 - (٤٥) انظر : أبا الطيب ٥٧٧/٢ (القانع) •
 - (٤٦) ابن الانباري ١٠٦ •
 - (٤٧) ابن الانباري ١٠٥ وأبو الطيب ٥٦٠/٢ •
 - (٤٨) ابن الانباري ١١٦ •
 - (٤٩) أبو الطيب ٦٣/١ •

كتب الاضداد ، ولكننا نريد ان نستخلص من هذا ان صورة الاضداد كانت غامضة في ذهن قطرب وعلى هذا الغموض انطبع كتابه ، فكان مزيجاً من كل هذه الانواع دون ان يحاول وضع حدود واضحة للاضداد ، ثم اخذت الصورة في الجلاء والتحدد على مر محاولات الاضداديين فكانت عند الاصمعي وابن السكيت وأبي حاتم اكثر وضوحاً من السابق ، ثم كان كمال البروز والتحدد عند ابن الانباري وابي الطيب ، حيث عادت بعدهما غامضة مضطربة عند المتأخرين من الاضداديين كابن الدهان والصغاني مصطبغة بصبغة تعليمية جافة ، خالية من التعليق والشاهد والتفسير .

وهذا الذي فعله ابن الانباري وابو الطيب من اخراج هذه الانواع التي ذكرناها من الاضداد منسجم مع قولهما بالاضداد وتأيدهما لها ودفاع ابن الانباري عنها ، لان ما استبعده ليس كل الاضداد التي ذكرها ، من جهة ، ولان توفر علة الضدية في الضد لا يمنع من وجوده الآن ، من جهة ثانية . وهذه النقطة الاخيرة أخذ بها بعض الدارسين المحدثين كما سنأتي الى بيان ذلك بعد قليل ، فموقف ابن الانباري بين المدافعين عن الاضداد موقف موضوعي يقوم على اساس متينة ، أولها قناعته بأن وجود الاضداد ليس من شأنه التعمية وعدم الابانة كما زعم المنكرون ، لان ما يتقدم الضد وما يتأخر عنه يوضح معناه ويخصصه ، وثانيها اعتلاله لنشوء الاضداد باختلاف اللهجات وبشمولية المدلول القديم وبالاتساع في الاستعمال وهي علل تدعم مقولة وجود الاضداد في العربية ، وثالثها رفضه لكثير من الاضداد واستبعاده اياها استبعاداً كاملاً لانكشاف الوهم الذي وقع فيه من عدها من الاضداد وهو قطرب كما ينص هو في اكثر مواضع النقد والرفض . وهذه الاسس التي تشكل موقفه النابه من فكرة الاضداد والغرض من تأليفه الكتاب كانت معدومة لدى تالبيه ابن فارس وابن سيده الذين حاولا الاستدلال بما افقروا الى هذه الدقة في دفاعهما عن الاضداد . فحين استدل ابن فارس بالرواية

اجبر المنكر على ان يرتضي جميع الاضداد المروية ، حتى التي استبعدها ابن الانبارى وابو الطيب ، وكذلك الامر بالنسبة لابن سيده الذى استدل بالعقل على صحتها جميعا • وكلاهما قصر عن الغاية التي رعى اليها ابن الانبارى في معالجته القيمة •

ونعود الآن للمحدثين من دارسي الاضداد ، وكنا قد اشرنا اليهم في تقسيم المنكرين الى طوائف ، واعتبرناهم الطائفة الثالثة من القائلين بالانكار ، ولكنهم يختلفون عن اولئك بأن إنكارهم للاضداد لم يكن بدافع النزعة الشعوبية التي تحاول الازراء بالعرب كالتائفة الاولى ، كما انهم لم يرجعوا جميع الاضداد الى أصول واحدة كما فعلت الطائفة الثانية التي انكرت وجود الاضداد في اللغة ، فالمحدثون - عدا القليل النادر منهم - كانوا يحاولون انكار اصالة الضدية في الاضداد لعدم امكان استعمال الضد في اللغة ، وقد ذهبوا الى ذلك مذاهب مختلفة تبعا لتطور العلم اللغوي الحديث الذي هباً من سبل دراسة الالفاظ ودلالاتها مايمكن معه الرجوع الى اصول الكلمات والدوافع النفسية والاجتماعية البدائية التي هيأت نشوء الاضداد •

فقد وقف المستشرقون من الاضداد مواقف متباينة ، فقد اوغل بعضهم في تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى العصور القديمة ، عندما كان العقل البشرى في سداخته ، فلم يكن يفتن لما يعتريه من تناقض ، وكان قائل هذه النظرية هو آبل (Abel) اذ اعلن ان الاضداد هي البقية الباقية مما كان للأوائل من تناقض منطقي في التفكير (٥٠) • وذهب لجوست (Leguest) الى رجوع الاضداد الى اشتقاقات مبالغ فيها (٥١) • ولكن

(٥٠) في كتابه : Uber den Gegensinn der Urwortei

المطبوع بليبسك ١٨٨٤م : دائرة المعارف الاسلامية ٢/٢٩٣ •

(٥١) في كتابه : Etudes sur les racines semitiques

باريس ١٨٥٨م : دائرة المعارف ٢/٢٩٣ •

هذين الرأيين لم يلقيا رواجا حتى في اوساط المستشرقين فردّ عليهما فايل (Weil) ورفضهما لان كلا منهما كان يرمي الى تفسير جميع الاضداد من ناحية واحدة (٥٢) * وهما بذلك يشبهان الى حد بعيد الطائفة الثانية من المنكرين وهم ابن درستويه ومن سار على نهجه ، فقد حاولت هذه الطائفة كما مرّ ارجاع جميع الاضداد الى تفسير واحد هو شمولية المدلول القديم ، ولعل آبل ولجوست قد استلهما عمل ابن درستويه في هذه الناحية واتفقا معه على الفكرة ولكنهما توجهتا في المنهج وجهة اخرى ، تتفق مع تلك في الاساس وتختلف معها في العلة *

ودرس المستشرق جيز (Giese) الشعر الجاهلي دراسة معمقة مستعينا بنتائج علم تطور المعاني ، فوضع قواعد معينة طبقها على الاضداد ، فخرج منها بانه لا يوجد في الشعر القديم غير اثنين وعشرين ضدا فقط (٥٣) * . واغلب هذه القواعد التي وضعها جيز كان قد اشار اليها القدماء من العرب في دراستهم للاضداد ، ونصّوا على امكان تفسير هذه الالفاظ بهذه القواعد ، وهي :

- ١ - الاستعارة ، ومثل لها جيز بمادة (ناء) التي تأتي بمعنى نهض مثقلا بالحمل كما تأتي أيضا بمعنى بعد به ، و (ناهل) التي تقال للعطشان والريان ، وكان ابو علي الفارسي قد اشار الى تفسير الاضداد بالاستعارة فقال : « او تكون كل لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الاصل » (٥٤) *

(٥٢) دائرة المعارف الاسلامية مادة (اُضداد) ٢/ ٢٩٣ .

(٥٣) في كتابه : Untersuchungen über die Addad auf Grund von Stellen in Altarabischen Dichtern.

برلين ١٨٩٤م : مجلة المجمع المصري ٢/ ٢٣٠ ودائرة المعارف ٢/ ٢٩٣

(٥٤) المخصص ١٣/ ٢٥٩ .

٢ - تصاحب المعاني المتضادة بالذهن ، وقد مثل لها جيز بمادة (بَيْن)
التي تفيد الفراق ، كما تفيد الوصال وفقا لحالة الشخص الذي يكون
اما مفترقا وحده عن جماعته او متصلا بجماعة اخرى ، ومثل (جَلَل)
ومناها في العبرية يدحرج ومن ثم جاءت بمعنى ثقيل ، كما تأتي ايضا
بمعنى يتدحرج في سرعة ويرتفع ، ومن ثم جاءت بمعنى حقيقير
وخفيف • وبغض النظر عن الامثلة التي جاء بها جيز ، فان فكرة
تصاحب الاضداد في الذهن قد تنبه اليها القدماء كما اشرنا الى ذلك
في مبحث (الدوافع النفسية والاجتماعية) في الفصل السابق ، ونقلنا
عن الكسائي قوله بان العرب قد تحمل الشيء على ضده كما تحمله
على نظيره (٥٥) • وكذلك ما روى عن غيره من الدارسين القدماء (٥٦) •

٣ - المشتق من الاسماء واختلاف صيغ الافعال ، ومثل جيز لذلك (فَعَلَ)
و (أَفْعَلَ) وقال ان معناهما في الاصل احداث الحدث بالشيء المراد ،
ولذلك يمكن استعمالها في الايجاب والسلب نحو (فَرَّعَ) التي تأتي
بمعنى سعد كما تأتي بمعنى انحدر • وهذه العلة هي الاخرى - بعيدا
عن أمثلتها عند جيز - وقف عندها القدماء ونظروا فيها ، حتى صرح
ابو الطيب كما مر ان جميع الاضداد الناشئة بعوامل التصريف
واختلاف الصيغ ليست من الاضداد الحقيقية واستبعدوا وافرد لها
فصولا في آخر الكتاب • وحين اضاف جيز الى هذه النقطة ان عدم
وجود حروف الجر المركبة في اللغة العربية يؤدي الى الكثير من
الالتباس ، وكذلك وجود كثير من الكلمات المتقاربة في النطق
او المشتركة في الاصل مما يحملنا على تفسيرها بمعنيين ، مثل لها بمادة
(مَاتَم) التي تطلق على جمع النساء في الحزن او الفرح • فاننا نجد

(٥٥) الاقتضاب ٢٤١ •

(٥٦) الاشباه والنظائر ١٩٥/١ •

ابن الانبارى و ابا الطيب يناقشان هذه المادة على أساس ارجاعها الى معنى الاجتماع المطلق سواء كان في الفرح او الحزن (٥٧) .
يحاول جيز ان يفسرها به مشعرا انه عمل جديد .

٤ - تداخل الاحداث وغموض الانفعالات واختلافها من شخص الى آخر ،
ومثل لها جيز بمادة (طرب) التي تأتي بمعنى حزن او بمعنى فرح ،
و (الذفر) للرائحة الطيبة والرائحة النتنة . وقد نقلنا من قبل شك ابن
الانبارى في المادة الاولى ورأيه في ارجاع المعنيين الى معنى الخفة التي
تلتحق الانسان في حالتي الفرح والحزن (٥٨) . كما مر قول
الاصمعي في المادة الثانية : « يقال لكل ريح ذكية شديدة من طيب
او تن ذفر » (٥٩) . وحتى قطرب فانه لم يجد بدا من ان يذيل
كلامه عليها بقوله : « وكأنها من الاضداد » (٦٠) .

٥ - التباس نسبة فعل من الافعال الى فاعله او قائله ، ومن امثله عند جيز
(باع) و (شرى) اللتين كان معناهما الاصلي (تبادل) ويعتبر جيز
ان ذلك كان من أثر الثقافة على الاغلب ، بان تباينت الكلمات التي
كانت تدل في الاصل على معنى واحد ، وهو مما لم يلتفت اليه القدماء
في دراساتهم للاضداد .

٦ - قصر الفكرة على معنى الاصلاح او الافساد على التوالي ، ومن امثله
عند جيز (رَمَّ العَظْم) بمعنى قوى حين يكون فيه النخاع ، وبمعنى
ضعف حين يكون العظم رميما .
ويظهر من هذا ان جيز قد أفاد من دراسات القدماء فائدة كبيرة ،

(٥٧) ابن الانبارى ١٠٣ وأبو الطيب ١/٢١ .

(٥٨) ابن الانبارى ١٠٢ .

(٥٩) الاصمعي ٤٢ وانظر : ابن السكيت ١٩٦ .

(٦٠) قطرب ٢٦٢ .

بحيث راح يستقي كثيرا من قواعده التي وضعها لدراسة الاضداد ، من مصنفات الاوائل وبحوثهم . ومع ذلك فهو لم يستطع ان يفسر بهذه القواعد جميع الاضداد أو ان يثبت عدم اصالة الضدية فيها كما ذهب الى ذلك (فايل) الذي نقل لنا هذه القواعد وقال : « لم يفلح جيز في تفسير جميع الاضداد » (٦١) بل ذهب هرشفلد الى ابعاد من ذلك حين علق على قول جيز الذي اعلن فيه انه لم يجد غير اثنين وعشرين ضدا فقط ، بقوله : « ان هذا العدد يمكن ان تقلل منه لو ازدادت معرفتنا بالمعاني الاصلية لهذه الالفاظ » (٦٢) . كما استدرك فايل عليه تفسير الاضداد باختلاف اللهجات ناقلا ما أورده الاضداديون من امثله كالسدفة ووثب وسامد وقرء وغيرها . وذهب فايل كذلك الى ان تغير المعنى الاصلي للكلمة قد يكون بسبب تباين وجهات النظر الى الحياة والكون ، لا في اللغة العربية وحدها ولكن في اللغات السامية كلها مثل **לחם** ومعناها خبز : لحم ، ومعناها في

الاصل غداء . و **סוס** ومعناها يسر وعسر ، وكانت في الاصل تفيد العمل (٦٣) . وذكر ان لندبرج (Landberg) قد جاء بمعلومات قيمة في هذا الصدد افادها من دراسة اللهجات الحديثة (٦٤) .

وربما يكون ردسلوب (Redslob) اعمق المستشرقين نظرا الى الاضداد واشملهم تفسيراً وتصنيفاً لها بعد ان ادرك ان مصنفي العرب توسعوا كثيرا في فهم كلمة (اضداد) فجمعوا في شيء كثير من التصنع والتكلف عددا كبيرا منها ، فهو يرى :

-
- (٦١) دائرة المعارف الاسلامية ٢/ ٢٩٣ .
 (٦٢) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية - لندن ١٨٩٥م ص ٢٢٣ : عن مجلة اللسان العربي ٩٨/٨ .
 (٦٣) فايل : دائرة المعارف الاسلامية ٢/ ٢٩٤ .
 (٦٤) في كتابه : La Langue arabe et ses dialectes
 لندن ١٩٠٥ م : دائرة المعارف ٢/ ٢٩٤ .

١ - ان معظم الاضداد كانت معروفة عند العرب او شائعة بينهم بمعنى واحد فقط اما المعنى المخالف فلم يرد الا في روايات نادرة وربما كانت موضع الشك ، ولو كان الامر كذلك لكثير الالتباس في محاورات الناس ، على ان ابن الانبارى قد انكر في مقدمة كتابه امكان الالتباس . وابن الانبارى هو الذى لفت نظر المستشرقين الى الشك في الاضداد التي لا يوجد لها شاهد (٦٥) .

٢ - انه يجب ان يلاحظ الضد في المعنى اللغوى الذى تدل عليه الكلمة وهى مفردة ، ومن الخطأ ان تلاحظ المعانى التى تدل عليها الكلمة في التراكيب المختلفة ويحكم عليها بالضد تبعاً لذلك ، مثل (لم اضرب عبد الله ولم يضربنى زيد) واشباه ذلك . لان السياق قد يكسب اللفظة معنى جديداً يخرجها الى التضاد . ولم يكن الاضداديون الأوائل ملتفتين الى هذا النوع من الاضداد ولم يشيروا اليه في كتبهم ، وانما وجدناه عند الطبقة التى تلت اولئك عندما شاعت الرغبة في الاحاطة والاتساع والاثيان بما لم يأت به السابقون ، فكان هذا النوع وفيراً عند ابن الانبارى ومن حذا حذوه من المتأخرين كابن الدهان والصفاني .

٣ - ان تخرج من الاضداد الحروف مثل (ان) و (من) و (أو) و (ما) و (هل) وغيرها ، اذ لا قيمة للاستدلال بان (ان) مثلاً معناها اذا الشرطية وما النافية أو الامكان والنفي بعبارة اخرى . وان تخرج كذلك بعض الصيغ الفعلية المختلفة للفعل الواحد اذا دلت صيغة منها على زمانين مختلفين مثل (كان) و (يكون) اللتين تدل كل منهما

على زمانين • وان تخرج ايضا اسماء الاعلام مثل (اسحاق) و (يعقوب) و (ايوب) وغيرها التي اعتبرت من الاضداد لوجود معان ثانوية اخرى • وقد رأينا أن الاضداديين لم يتفقوا على ذكر هذه الانواع في كتبهم ، اذ لم يرد من هذا شيء عند ابي الطيب مثلاً ، وانما تكثر منه ابن الانبارى وتابعه ابن الدهان والصغاني •

٤ - ان تخرج من الاضداد الالفاظ التي تشترك فيها الحالية والمحلية مثل (كأس) التي تدل على الاناء وعلى ما يملؤه • وتخرج كل الصيغ التي على وزن فاعل وتدل احيانا على المفعول ، وفعل التي تفيد معنى فاعل ، وصيغ المبالغة التي تنصرف للمفاعل والمفعول ، والافعال التي تشعر صيغتها المجردة بمعنى من معاني التعدية مثل (زال) ، ويخرج الضمير (نحن) الذي يستعمل للمفرد والجمع ، فجميع هذه الانواع ليست من الاضداد • والحقيقة ان الاضداديين تنبهوا لهذا كله فرفضوا قسما منه وشكوا بالقسم الآخر ولم يذكروا بعضه ولا نريد ان نفصل في اثبات ذلك فقد مرّ سابقا عرضه •

٥ - ان تخرج جميع الالفاظ التي استعملت للتهكم والاستهزاء مثل (يا عاقل) للمجنون ، والتي استعملت للتفاؤل مثل (يا سالم) للمريض ، من الاضداد ، لان استعمال هاتين الاستعارتين موقوف على اختيار المتكلم • وقد مرّ علينا ايضا نص الاضداديين حتى القدماء منهم على الفاظ هذا النوع من الاضداد وذكروا دوافعه النفسية والاجتماعية واكثرهم نصا على ذلك ابو حاتم وابن الانبارى •

٦ - ان تخرج الالفاظ التي يظهر التعسف والافتعال على اشدهما في ادخالها في الاضداد مثل (التلعة) التي معناها المسيل من الماء والمرتفع من الارض ، لان الماء يهبط والارض ترتفع •

هذا مجمل آراء ردسلوب وملاحظاته في تقويم الاضداد ودراستها ، وكنا قد اعتمدنا اكثرها في تفسير الاضداد في الفصل السابق ، ولو قارنا ما جاء به جيز وما جاء به ردسلوب لوجدناهما يتفقان على بعض النقاط ويختلفان ببعض وان كان الاخير ادق من الاول واشمل نظرا الى فكرة الاضداد ، ومن هنا نفهم قناعة (فايل) بهذه الملاحظات حين اوردها في بحثه عن الاضداد مشعرا انه آخذ بها في موقفه من الاضداد اذ يقول : « ومعظم الشواهد التي اوردها ابن الانباري تنطبق عليها واحدة من الملاحظات التي مرت بنا ، ولذلك لا تعتبر من الاضداد ، وهكذا لا يبقى من الاضداد بعد هذا الا القليل » (٦٥) . غير ان هناك فرقا اساسيا بين قواعد جيز وملاحظات ردسلوب يجب التنبيه اليه ، هو ان جيز وضع قواعد عامة قبل البحث في الاضداد نفسها ، وبتطبيق هذه القواعد على الاضداد تكون النتيجة المطلوبة في رفض الاضداد وانكار اصالة ضديتها ، في حين كان ردسلوب دارسا للاضداد قبل ان يضع تقسيمه لانواعها ، فبعد ان وجد ما يمكن ان تصنف اليه الاضداد ، سجل ملاحظاته التي من شأنها ان تفسر التضاد وتخرج من الاضداد ما يمكن اخراجه .

وحين اراد فايل ان يعترف للعرب القدماء بمحاولاتهم في تفسير الاضداد لم يعمم هذا على جميع التفسيرات وانما قصرها على بعضها دون بعض فقال : « وقد حاول العرب انفسهم تفسير هذه الظواهر ، الا ان تفسيرها واحدا يستحق منا الاهتمام ، وهو التفسير الذي يريدنا على ان نرجع لاصل الكلمة الذي يؤخذ ضد منه » (٦٦) ، مشيرا الى ما اسميناه شمولية المدلول الاول ، لانه ارجع في الهامش الى الصفحة التي يعالج فيها ابن الانباري هذه الناحية في (الصريم) و (الصارخ) و (السدفة) وغيرها . ثم يقول فايل :

(٦٥) دائرة المعارف الاسلامية ٢/ ٢٩٣ .

(٦٦) دائرة المعارف ٢/ ٢٩٣ .

« اما التفسيرات الاخرى فتعلل المعاني الموجودة بالفعل ، وترى ان الازداد عبارة عن معان مستعارة من ناحية اصول الكلمات بعضها من بعض (مشيراً الى تداخل اللهجات الذى اشار اليه ابن الانبارى في الجون) او تحاول ايجاد صلة سقيمة بين المعاني ، فالعرب يقولون مثلاً ان (بعض) تأتي بمعنى كل ، لان كل الشيء ما هو الا بعض من شيء آخر » (٦٧) . فلم يعجب فايل من تفسيرات الازداد الا التفسير الذى اتفق فيه ابن الانبارى مع المنكرين القدامى للازداد وهو ارجاع المعنيين المتضادين الى معنى واحد او اصل قديم ، ومن هنا كان المستشرقون ميالين الى انكار الازداد على طريقة ابن درستويه وجماعته فقد ذكره فايل في صدر مقالته مشعراً بايمانه بصحة ما ذهب اليه في انكاره الازداد ، فقال : « ولا يؤخذ الآن بالرأى الذى كان سائداً منذ عهد بعيد والذى يقول ان اللغة العربية بخلاف اللغات السامية الاخرى ، تشمل عدداً عظيماً من الازداد ، ذلك لاننا اذا استبعدنا جميع الكلمات التي ليست بأزداد حقيقية أو الموضوعية في غير مواضعها ، وهي كثيرة من غير شك ، لا يبقى من الازداد في اللغة العربية الا القليل ، وهذا ما دعا ابن درستويه الذى نقل عنه السيوطي الى انكار وجود الازداد انكاراً تاماً » (٦٨) . فالنية لدى فايل وسواه من المستشرقين الذين عرضنا لأرائهم ومواقفهم متجهة الى الانكار ، مرة على طريقة الشعوبيين الذين أزرؤا بالعرب ، وذلك حين اتهم آبل العرب بتناقضهم المنطقي في التفكير ، ومرة على طريقة ابن درستويه في ارجاع المتضادين الى اصل واحد كما صرح فايل باعجابه بهذا التفسير ، ومرة على طريقة علمية شاملة تنظر للازداد نظرة تأريخية فاحصة وتحاول استبعاد ما يمكن استبعاده منها لا على اساس عدم وجوده وانما على اساس عدم اصالة الضدية فيه ، كما فعل ردسلوب

(٦٧) دائرة المعارف ٢/ ٢٩٣ .

(٦٨) دائرة المعارف ٢/ ٢٩١-٢٩٢ .

مثلاً • ونحن حين نزعم ان هذا المستشرق أو ذاك بحث الاضداد على طريقة المنكرين الفلانية ، فاننا لانعني من ذلك ان هذا المستشرق ينتمي الى تلك الطائفة انتماء خالصا يشمل دوافعه الى الانكار ومنهجه فيه وتنتائجها التي يتوخاها في ذلك ، وانما نشبه سبيله الذي سلكه بتلك السبيل ، لاننا اعتبرنا المحدثين من الشرقيين والمستشرقين طائفة واحدة تميل الى الانكار وتريد الوصول الى تأييد مذهبها بوسائل علمية افتقر اليها اكثر المنكرين القدماء وحتى آبل الذي رمى الاوائل بتناقضهم المنطقي في التفكير ، لم يكن يقصد بذلك الاساءة للعرب او النيل من حضارتهم القديمة ، وانما هي محاولة للتفسير عبر عنها بمثل هذا التعبير • وانى اختلف مع احد الباحثين العرب الذي يرى ان فايل وسواه من المستشرقين هم شعوبيون يتوثبون للنيل من العرب والاسلام (٦٩) • صحيح ان فيهم من هو كذلك الا ان تعميم ذلك خطأ خصوصا فيمن عرضنا لآرائه ومواقفه من الاضداد •

واطرف ما عرض له فايل هو مقارنة موقف علماء العرب القدماء ومناهجهم في دراسة الاضداد بموقف المستشرقين منها ومناهجهم في دراستها، ورأى ان رأى اولئك يختلف عن رأى هؤلاء في المسألة ، فهي عند العرب مسألة عملية وعند المستشرقين مسألة علمية « ذلك لان العرب يهتمون اشد الاهتمام بوضع ثبت جامع بقدر الطاقة لجميع الاضداد المتداولة ورائدهم في الاغلب اشتراك الكلمات في اللفظ ... اما نحن فنضع الحاجة العملية في المحل الثاني ، ولا نهتم بالكلمات المشتركة في اللفظ فقط ولكننا نهتم باصول الكلمات ايضا » (٧٠) • وفايل بهذا ناقض نفسه ورد عليها ، لانه سبق ان نقلنا رأيه في تقويم تفسيرات العرب للاضداد واعجابه بالتفسير الذي بينه ابن الانباري في كتابه وهو الرجوع الى اصل اللفظة التي اخذ الضد

(٦٩) عبدالفتاح بدوي : دائرة المعارف الإسلامية ٣٠٣/٢ •

(٧٠) دائرة المعارف ٢٩٥/٢ •

منها ، واعتبره التفسير الوحيد الذى يدعو للاكبار والتقدير • فما باله عاد فأنكر ان يكون القدماء قد بحثوا في اصول الكلمات ؟ • وقال ايضا في معرض المقارنة : « كما اننا يجب الا نقنع باللغة القديمة واقتباساتها من القرآن والشعر وحدهما ، بل علينا ان ندخل في حسابنا جميع اللهجات وجميع اللغات السامية ذات الارومة الواحدة ، في حين نجد العرب لا يعتبرون من الاضداد الا الكلمات ذات المعنيين المتضادين في اللهجة الواحدة ، ولا يعنون باللهجات الاخرى الا اذا دعته الى ذلك حاجة عملية ، لان الجهل بها يجبر الى وقوع الالتباس والتعرض للمصائب (٧١) » • وهو هنا أيضا بجانب الصواب ، لان ما ذكره من أن الاضداديين لا يعتبرون من الاضداد الا ما كان في لهجة واحدة غير صحيح ، فكثيرا ما وجدناهم ينصون على ذكر القيلتين في المعنيين المتضادين ويقولون هذا في لغة قيس مثلا وهذا في لغة تميم ، ومع ذلك فاللفظة من الاضداد عندهم ، واذا كان فايل يقصد من قوله الى أنهم لم يكونوا ليتخذوا من اختلاف اللهجات وسيلة لتفسير التضاد ، فقد وهم أيضا ، لانهم على اختلاف مواقفهم من الاضداد فسروا كثيرا من الالفاظ المتضادة باختلاف اللهجات ، قال به ابن الانباري من المدافعين وقال به ابن درستويه من المنكرين ، فلم يغرب عن بالهم الاخذ بهذا ، وانما غرب عن فايل انهم أخذوا به • ولعل ما ختم به فايل هذه المقارنة هو الصحيح فقال : « ولقد عاق العرب عن الوصول الى حل صحيح لمشكلة الاضداد جهلهم بأصلها وتطورها الاساسي الذى كان يرجع أحيانا الى بواعث دينية كانت تغطي على جميع فروع المعرفة الاخرى • كما كانوا يجهلون تمام الجهل اللغات السامية الاخرى وتاريخ آسية الغربية وثقافتها • ثم انهم كانوا يفسرون الكلمات الخاصة

بالحياة الدينية تفسيرا لا يقوم على أساس مثل مصلى وأنصار ومسيح» (٧٢).
حيث نجد مصداق ما يقوله هذه الكثرة من الالفاظ الواردة في القرآن
والتي اختلف في تحديد مؤداها في الآية فاعتبرت من الاضداد وقد عرضنا
لها في الفصل السابق • كما كان مصداق ما يتصل باللغات السامية هذه
الالفاظ التي استطعنا ارجاعها الى اصولها السامية القديمة ووقفنا فيها على
المعنى الاصلي الذي تطور الى معنيين متضادين في اللغتين الساميتين واللفظة
في كل واحدة من اللغتين ذات دلالة واحدة •

وعندي أن المقارنة بين عمل القدماء وعمل المحدثين لا تصح الا بعد
أخذ مسألتين أساسيتين بنظر الاعتبار ، وهما :

١ - ان أكثر دراسات المحدثين - ومنهم المستشرقون - قد اعتمدت في
تسجيل ملاحظاتها وبيان نتائجها وتحديد قواعدها على ما تركته لها دراسات
القدماء من ملاحظات ونتائج وقواعد ، وهذه التوصلات القديمة وان كانت
ناقصة وسطحية أحيانا ، فانها بلا شك كانت نافعة وجديرة بالاهتمام بحيث
أفاد منها الدارسون المحدثون كثيرا في القاء الضوء على المشكلة التي هم
بصددها ، كما كانت المفتاح الاول الذي فتحت به الابواب للباحثين الجدد
في الاضداد ، وقد رأينا هذه الصلة في كثير من الآراء المطروحة •

٢ - ان البون الزمني الواسع بين الفريقين كان من شأنه أن يدفع
بالعلم اللغوي مراحل مهمة الى الامام ، بحيث كشف للدارسين المحدثين
كثيرا من الحقائق التي اعتمدوها في أبحاثهم في الاضداد ، مما لم يكن
يتوفر لدى القدماء وليس عدم توفره لدى أولئك عيبا يلحق بهم ، فان
ذلك قد استدعاه الزمان الطويل وتقدم الحضارة والعلم والتطور الشامل
في كل الميادين ، شأن كل العلوم الاخرى التي تبدأ قليلة الخبرة ساذجة

المادة ، حتى تستقر وتترسخ بفعل التجارب الطويلة والعمل المتطافر .
وبمثل هذا الادراك لحقيقة الدراسات الاضدادية نستطيع أن ننصف
القدماء بعض الشيء ونرفع عنهم قليلا من الحيف ، على اننا لا نبرىء القدماء
تبرئة تامة من الجهل ، لانهم توفر لديهم أحيانا مادة علمية جيدة كان
يمكنهم استخدامها لمصلحة بحوثهم التي يعالجون مشكلاتها ، ولكنهم
أهملوا هذه المادة جهلا في أكثر المرات وتجاهلا في أقلها ، ومن أمثلة
ذلك ما مرّ علينا في الفصل السابق من معرفتهم للاصول السادية لبعض
الاضداد ، ومعرفتهم لقوانين التطور الصوتي الذي يلحق الالفاظ ،
ووقوفهم على فكرة تصاحب المعاني المتضادة بالذهن وتداعي النقائص ، وغير
ذلك من الامور التي أصبحت الدعائم الاساسية لدراسة الاضداد في العلم
اللغوي الحديث .

ومهما يكن من أمر فقد بقي أن نعرض لمحاولات المحدثين العرب
في دراسة الاضداد ، فيرز أمامنا عبدالفتاح بدوي أكثر الرافضين للاضداد
تطرفا وتوسعا في رأيه ، اذ أنكرها انكارا تاما ، فقال : « واننا لتحدى
الذين يزعمون أن في اللغة أضدادا ونباهلهم بجميع كلمات اللغة العربية
أن يأتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد ، فان لم يفعلوا
— ولن يفعلوا — فليس في اللغة تضاد (٧٣) » . وهو يبنى موقفه من الاضداد
مستلهما موقف ابن درستويه في أن الاضداد دليل على عدم الابانة ،
منكرا على ابن الانباري دفاعه عن الاضداد وردّ هذه الشبهة بالقرائن
والسياق ، اذ يقول : « ينبغي أن لا يعزب عنا ان التضاد مناف لطبيعة اللغة
وانه لا يسهل التفاهم بين الناس ، فمن الصعب أن نقبل ان المعاني الاولى
المتضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد ، والصعوبة التي تنشأ من التضاد

أكبر جدا من التي تنشأ من الاشتراك ، وإذا قيل أن القرائن توضح المراد كان هذا تسليما حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لان الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات في سداحتها ، وانما هو طور آخر فوق ذلك « (٧٤) » .

والضدان - عند عبدالفتاح بدوي - هما الامران الوجوديان المتقابلان في المعنى اللذان لا يجتمعان في وقت واحد لشيء واحد وقد يتخلفان عنه معا ، كالحلاوة والملوحة والسواد والبياض ، فيجب أن يبحث التضاد في اللغة من ناحيتين مختلفتين : الاولى ناحية انه مظهر من مظاهر الكلام في تأديته الاغراض والمعاني التركيبية . والثانية انه مظهر من مظاهر اللغة نفسها في تأدية المعاني الاولى للمفردات (٧٥) . ويرى ان التضاد بالمعنى الاول شيء عام وواسع ، يشمل الاستعمالات المجازية وأنواع التشبيه ، والمحسنات البديعية ، والمقدمات اللغوية لعلم الاصول وغير ذلك ، وعليه فلا يجب أن يدقق في بحث هذه الناحية من التضاد لان العلماء تلمسوه في الالفاظ بشكل واسع ، أما الناحية الثانية فهي التي يجب أن تبحث . لان الاضداديين حين القوا كتبهم في الاضداد غلب على الالفاظ التي ذكروها المعنى الاول للتضاد ، وبدراسة ما ذكروه من أمثله تتضاءل الاضداد الحقيقية التي يجب أن ينظر اليها من الناحية الثانية وهي التقابل الواقعي بين معنيها (٧٦) .

وكان عبدالفتاح بدوي قد وضع بحثه هذا تعقيبا على مقالة فايل في الاضداد ، ولهذا نجد ردوده عليه ومآخذه على المقالة السابقة متلاحقة متعددة أولها قوله : « ويظهر أن شمول البحث في تلك التواليف العربية للناحيتين معا متلاصقتين متابعتين أبهم على كاتب المقال وأمثاله ، فذكر الملاحظات التي ذكرها والتي منها ما هو جدير بالاعتبار اذا قصرنا البحث

(٧٤) دائرة المعارف ٢/ ٢٩٦ .

(٧٥) دائرة المعارف ٢/ ٢٩٥ .

(٧٦) دائرة المعارف الاسلامية ٢/ ٢٩٦ .

على وجهة النظر الثانية (٧٧) « . فكأنه كان يريد أن يفهم فأيل انه غير موفق في أخذه على القدماء اعتبارهم جميع الالفاظ التي ذكروها في كتبهم من الاضداد ، لان فهمهم لفكرة الاضداد كان يشمل الناحيتين اللتين ذكرهما وأنهم لذلك توسعوا في جمع الاضداد حتى التي لم يتقابل فيها المعنيان تقابلا تاما كأن يكون المعنى الثاني مستخدما استخداما مجازيا غير بعيد عن مجال الاول ، وعليه لايمكن ان ينظر الى عمل القدماء هذه النظرة الدقيقة في تحديد مفهوم (الضد) . واستكمالا لما ذهب اليه بدوى راح يقسم الاضداد المدونة في الكتب حسب ما يمكن ان تفسر به من تفسيرات ، وذلك من ناحية المفهوم الثاني الذي ذكره للاضداد . وذلك ليشب عدم اصالة الضدية فيها من جهة ، وليدافع عن منهج القدماء امام استخفاف فأيل بهم ، فجعل الاضداد عشر طوائف (٨٧) .

يخلص من هذا العرض لطوائف الاضداد والكلام على كل منها الى قوله : « وبعد هذا الذي قدمنا من استعراض الطوائف المتقدمة نجدنا صائرين في طريق انكار وجود الاضداد بالمعنى العلمي البحت المتجرد عن اعتبار التراكيب وملاساتها ولا مفر من ذلك . وقديما انكر كثير من العلماء وجود الاضداد بهذا المعنى ومن ثم تسقط الملاحظات التي ابداهها كاتب المقال وتصبح فاقدة القيمة العلمية سواء منها ما يقبله كالذى فعله جيز وما يرده كالذى فعله آبل » (٧٩) . وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من ان بدوى اكثر الرافضين للاضداد والمنكرين لها مستلهما انكار ابن درستويه كما يشمير هنا ، ثم يصرح بذلك في الهامش الذي أرجع فيه الى السيوطي الذي نقل انكار ابن درستويه للاضداد ، وقوله يؤكد ايضا ما قلناه انه بعمله هذا الذي قسم

(٧٧) دائرة المعارف ٢/٢٩٦ .

(٧٨) انظر : دائرة المعارف ٢/٢٩٦-٣٠٠ .

(٧٩) دائرة المعارف ٢/٣٠١-٣٠٠ .

فيه الاضداد وناقش ضديتها انما يدافع عن الاضداديين امام اتهامات فايل لهم بعدم الدقة والبعد • الا انه جانب الصواب في رده على فايل بقوله : « وكذلك تعبير الكاتب عن عمل العرب المجيد في التضاد العملي بانه محاولة لتفسير هذه الظواهر يكون غمطا لهذا العمل الذي هو فاخر في الوجهة التي يتجهها ، ويكون خلطا من الكاتب لنظرية الضد العملية بالنظرية العلمية، وتطبيقا لاحكام احدهما على احكام الاخرى وذلك غير سديد » (٨٠)، أقول انه جانب الصواب ، لان الاضداديين انفسهم - كما عرضنا لتحديداتهم للاضداد في صدر الفصل السابق - قد الزموا انفسهم منذ البدء بالعمل بمفهوم دقيق لفكرة الضدية ووضع تعريف علمي للضد ، وان بعضهم نص على ان التضاد شيء غير الاختلاف ، اذ كان كل تضاد اختلافا وليس كل اختلاف تضادا ومثلوا لذلك بأمثلة صريحة تنبي عن انهم سيأخذون انفسهم في الكتاب بجمع الالفاظ المتضادة تضادا حقيقيا وهو الذي جعله عبد الفتاح بدوى المفهوم الثاني للاضداد، غير ان الذى دونوه لم يكن كذلك فقد كان اكثر ما ذكروا يفتقر الى هذه الضدية العلمية كما يعبر عنه فايل ، فلهذا كان الفايل الحق في ان يحاسب الاضداديين على توسعهم الذى لم يقرؤه ابتداء • كما ان بدوى لم يدرك قصد فايل من قوله : لقد عاق العرب عن الوصول الى حل صحيح لمشكلة الاضداد جهلهم بأصلها وتطورها • الخ ، فقال يرد عليه : « ولم يعن العلماء العرب بحل مشكلة الاضداد لانه لا توجد عندهم اضداد حتى تكون لها مشكلة تحل ، وما قول الكاتب : لقد عاق العرب ••• الا افنيات ورمي بالتهم جزاف » (٨١) • فلم يرد فايل من هذا ان العرب لم يحاولوا ان يحلوا مشكلة الاضداد أو يفسروها وانما اراد انهم لم يصلوا في محاولاتهم الى (حل صحيح) كما يرى ، وذلك لجهلهم باصول الالفاظ

(٨٠) دائرة المعارف ٣٠١/٢ .

(٨١) دائرة المعارف الاسلامية ٣٠١/٢ .

القديمة وعلاقتها باللغات القريبة وتطور هذا الاصل وما الى ذلك ، لاننا وجدنا العرب - لا كما يزعم بدوى - قد عنوا بدراسة الاضداد ووقفوا على حقيقة كثير منها سواء منهم المنكرون كابن درستويه ، والمدافعون كابن الانباري ، فكلا الفريقين طرح حلولاً للمشكلة تتعلق بالمعنى القديم وبالسباق وباختلاف اللهجات وبالاستعارة وغير ذلك ، ولا معنى لقوله (لانه لا توجد عندهم اضداد) فلماذا اذن وضعوا مصنفاتهم في احصائها واجهدوا انفسهم في جمعها وتبويبها ؟ بل نصوا على ان هذا كله اضداد موجودة في كلام العرب وقد نطقت بها اشعارهم . وما هذا الانكار والدفاع القديمان الا صورة من صور تحسس المشكلة ومحاولة للوصول منها الى حل للاضداد الموجودة عندهم .

ويعود عبدالفتاح بدوى الى طوائفه العشر الماضية فيجد ان امثاتها مستفيضة في اللغات غير العربية ، ويستعرض لكل طائفة منها ما يشبهه في اللغة الفرنسية ^(٨٢) ، ليدل بهذا على ان الاضداد بهذه الاعتبارات المختلفة هي ليست مما تختص به العربية دون غيرها من اللغات ، واذا كان ثمة عيب يلحق العربية منها فليلحق غيرها ايضا . وينهي مقالته بملاحظة يسجلها على فايل يتهمه بها وغيره من المستشرقين بالشعوبية ، ولكنه يدلّس في النص الذي نقله من كلام فايل مستشهدا به على رأيه ، فيقول ما نصه : « اننا لانفتأ نجد غير المسلمين الذين يكتبون عن العرب لايزالون يتوثبون للنيل من الاسلام لأدنى مناسبة ، كما يقول الكاتب في آخر المقال : لقد عاق العرب ... جهلهم الذي كان يرجع احيانا الى بواعث دينية » ^(٨٣) . ولم يقل فايل هذا وانما قال : « ولقد عاق العرب عن الوصول الى حل صحيح لمشكلة الاضداد جهلهم بأصلها وتطورها الاساسي الذي كان يرجع احيانا

(٨٢) دائرة المعارف ٣٠٢/٢ .

(٨٣) دائرة المعارف ٣٠٣/٢ .

الى بواعث دينية ...» (٨٤) . فليس الجهل هو الذى يرجع الى بواعث دينية كما يحاول ان يصور ذلك بدوى ، وانما تطور بعض الاضداد كان يرجع الى هذه البواعث ، وهو صحيح تماما ، ومصدقه هذه الالفاظ الكثيرة التي التمسث فيها الضدية لانها اكتسبت في النصوص الاسلامية معاني جديدة لا قبل لها بها ، وقد مرّ علينا في الفصل السابق من امثلتها الشيء الكثير : أشد ، فوق ، ظن ، مصلى ، مسيح ، القرء ، خاف ، وغيرها ، وعلى ذلك فان محاولة بتر النص بالشكل الذى فعله عبدالفتاح بدوى ، لايمكن ان تنطلي على الدارس النابه . ولا نقول له الا ما قاله هو نفسه : « وايا ما كان فالمسائل العلمية يجب ان تكون خالصة لوجه العلم لاغمز فيها ولا تلميز » (٨٥) .

نتقل الآن الى باحث آخر درس الاضداد بمقالة ضافية مستوعبة هو الدكتور منصور فهمي (٨٦) ، وكان موقفه من الاضداد وسطا بين الغائها جميعا واثباتها جميعا ، فبعد ان ذكر مصادر دراسة الاضداد ، وعرض لاختلاف الآراء في وقوعها ونقل شيئا من آراء المنكرين والمدافعين ، قال : « ويخيل لنا ان الفريقين اسرفا فيما ذهبا اليه من المبالغة في اثبات الاضداد أو في انكارها انكارا تاما فأما الذين ابطالوا الاضداد فعندنا انهم غلوا فيما ذهبوا اليه ، لوجود بعض الفاظ تشهد على التضاد فيما بين ايدينا من كتب اللغة ، حتى ان ابن درستويه نفسه وهو من المنكرين قرر وجود النادر من تلك الالفاظ ... واما الذين اثبتوا الاضداد وبالغوا في عددها على نحو ما بينا ، فقد انحرفوا عن جادة الصواب . ذلك لان هناك كثيرا جدا من الالفاظ حشرت حشرا بين الاضداد بعد ان زيد في معناها زيادة لم تكن في

(٨٤) دائرة المعارف ٢/ ٢٩٥ .

(٨٥) دائرة المعارف ٢/ ٣٠٣ .

(٨٦) انظر مقالاته في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٢/ ٢٢٨ وما بعدها :

١٩٣٥ م .

اصل الوضع » (٨٧) • ولهذا فهو يأخذ بملاحظات ردسلوب التي مر ذكرها ، ويسقط على اساسها كثيرا من الاضداد التي جعلها اولئك العلماء في زمرة الاضداد ، الا انه بعد ان يعدد تلك الملاحظات يرى انها تنقصر الى اربع اخرى يضيفها اليها من عنده ، وهذه الملاحظات المضافة هي (٨٨) :

١ - ان بعض علماء اللغة والنحو تساهل في تكثير معاني اللفظ الواحد ، بحسب اختلاف مؤدى المعنى باختلاف المواقع ، ويمثل لذلك بمادتي (فَوْق) و (وَرَاء) •

٢ - ان بعض علماء اللغة كابن الانباري وغيره حرصوا على ان يذكروا في الاضداد ما لم يصدقوا في تطوراته الصرفية ، فقد يأتي بعض الاضداد من عوارض تصريفية بحتة ، وذلك بان تؤدي القواعد الصرفية الى ان تتفق لفظتان متقاربتان في صيغة صرفية واحدة ، فينشأ عن ذلك لبس في معناها ، يؤدي بها الى الاضداد ، ومن امثاله عنده : (فُلْكَ) و (مُرْتَد) و (مُرْدَاد) وغيرها •

٣ - هناك من الالفاظ ما نقل عن معناه الاصلي الى معنى آخر مجازي لضرورة البلاغة أو التأدب او غير ذلك ، فاعتبرت من الاضداد وهي ليست منها ، ويمثل لذلك بقوله تعالى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) •

٤ - ان كثيرا مما اوردوه من الاضداد هو من المشترك اللفظي وليس منها ومثالها (المُعَصِر) و (الحَزْزُور) و (أَفَادَ) و (زَنَأَ) وغيرها •

وفي ضوء ملاحظات ردسلوب وملاحظاته التي اضافها اليها ، يحذف من الاضداد اكثرها الاغلب ، بحيث يتفق مع (جيز) في انه لا يبقى في

(٨٧) مجلة المجمع الملكي ٢/٢٣٣ - ٢٣٤ •

(٨٨) انظر : المجلة المذكورة ٢/٢٣٦ - ٢٣٧ •

اللغة غير نحو من عشرين ضداً ، يصح ان تكون قد نشأت نشأة طبيعية لسبب من الاسباب ثم يقول : « ولا يستغرب في لغة من اللغات ان نجد قليلا من الالفاظ التي تقبل معنى التضاد ، ولكن ليس من المقبول عندنا ان يذهب علماء اللغة الى مثل ما ذهبوا اليه من جمع المئين منها » (٨٩) . يعود بعد هذا الى استعراض آراء علماء العرب وغير العرب في تفسير الاضداد انكارا وودفاعا ليؤيد من يؤيد ويخالف من يخالف . فيذكر رأى ابن فارس في ان تسمية المتضادين باسم واحد من سنن العرب ، ويذكر رأى ابن الانباري في ان اختلاف لهجات العرب ، ومن ثم امتزاجها ولد الاضداد ، وينقل رأى أبي علي الفارسي في ان الاستعارة كان لها شأن في نشأة الاضداد ، ويعرض لرأى ابن درستويه في تعليل ما اعترف بوجوده من الاضداد ، بانه قد تنشأ لحذف واختصار وقعا في لفظ من الالفاظ ، واخيرا يذكر تعليل الشيخ محمد الخضري من الاصوليين المحدثين لنشأة الاضداد - وسنأتي على بسطه فيما بعد - ليخلص من هذا الى ان من هذه التعليلات ما يرد بسهولة ، والآخر الذي يؤخذ به ينقصه الشمول ، لانه يعلل التضاد من ناحية واحدة ، واحتمال ان يصدق على جميع الاضداد بعيد (٩٠) .

فهو يرد بمذهب ابن فارس « لان الاصل ان كل لفظ انما يعبر عن معنى بعينه ، ولا يجوز ان تأخذ بمذهب ابن فارس الا اذا اخذنا بمذهب بعض علماء الاجتماع الذين يذهبون الى ان الشعوب في أول نشأتها تبدو كأنها في دور طفولة ، فكما ان الطفل قد يعبر بحرف واحد عن عدة معان ، فكذلك الامم في طور سذاجتها ، ولكننا لا نذهب هذا المذهب » (٩١) . ولكنه يأخذ بمذهب ابن الانباري في اختلاف اللهجات ، ويوسعه حتى يشمل

(٨٩) المجلة المذكورة ٢/ ٢٣٨ .

(٩٠) المجلة المذكورة ٢/ ٢٣٩ .

(٩١) المجلة المذكورة ٢/ ٢٤٠ .

اختلاف اللغات ، ويقول : « اما المذهب الثاني الذي يردّ الاضداد الى لغات مختلفة ، فمذهب تؤيده الشواهد الكثيرة •• وقد نجد في لغتين من اصل واحد ما يكون سببا للاختلاف الذي قد يتضمن من بعض الوجوه نوعا من التضاد » (٩٢) • ويقبل كذلك مذهب أبي علي الفارسي « لان الاستعارة قد اعتمدت عليها كل اللغات في تطورها ونمو الفاظها ومعانيها : علمية وغير علمية • فكثيرا ما يستعار لفظ كان يدل على معنى لمعنى آخر ، وقد يكون هذا المعنى الآخر يخالف او يضاد ، وشواهد الاستعارة كثيرة في مختلف اللغات » (٩٣) • ويرجح ايضا رأي ابن درستويه « فكثيرا ما يكون الحذف والاختصار والقلب والنحت سببا في ايجاد بعض الفاظ من العسير ان نوفق الى اصلها ، وقد يكون من هذه الالفاظ بعض الاضداد » (٩٤) •

يرجع الدكتور فهمي بعد هذا الى قواعد (جيز) ، يعددها ويدعمها بأمثلة من عنده ، وكأنه يؤيده فيما يذهب اليه من تفسير ، فمثلا عندما ذكر قاعدة (جيز) الاخيرة وهي (التباس نسبة فعل من الافعال الى فاعله او قائله) مثل باع واشترى ، قال : « واني اضيف الى ذلك امثلة مما يستخدم في حياتنا اليومية •••• فقد نستخدم لفظا واحدا لشيء يؤدي معنيين متضادين فنقول سعدنا (بالمصعد) لندل على الآلة المعروفة نصعد بها الى طبقات الدور ، ونقول هبطنا بالمصعد ، فهو اذا آلة تفيد الهبوط » (٩٥) ، ويستدرك على قواعد (جيز) قاعدتين اخريين يراها ضرورية لتفسير قسم من الاضداد ، الاولى هي النزعة الطبيعية لتفاؤل والتهكم مثل (المفازة) للمهلكة و (يا عاقل) للاحمق • والثانية هي فكرة تداعي المعاني المتضادة في الذهن • ويبدو ان الدكتور فهمي حين نقل قواعد (جيز) نقلها من كتابه الذي اشرنا

(٩٢) المجلة المذكورة ٢/ ٢٤٠ •

(٩٣) المجلة المذكورة ٢/ ٢٤١ •

(٩٤) المجلة المذكورة ٢/ ٢٤١ •

(٩٥) المجلة المذكورة ٢/ ٢٤٢ •

اليه ، فمؤه بعض الشيء ، لان فايل حين عرض لهذه القواعد ذكر فيها هاتين القاعدتين اللتين زعم الدكتور فهمي انه اضافها الى قواعد جيز فقد جعل جيز كل ما عده فهمي من التفاؤل والتهكم ، ضمن قاعدة الاستعارة ، ونص على ان القاعدة الثانية هي (تصاحب المعاني المتضادة في الذهن) ، فليس ما فعله الدكتور منصور فهمي - اذا احسنا الظن - الا توضيحا ، وليس استدراكا ، على انه لم يدرج في قواعد جيز في مقالته هاتين القاعدتين * ومهما يكن من امر فقد انهى الباحث مقالته بقوله : « ونكرر القول بان القواعد التي ذكرناها في تعليل الاضداد ، لا تصلح الا لتأويل قليل من الالفاظ لا محييص من الاعتراف بالتضاد فيه * فاما ما عده فقد اعتبر من الاضداد بكثير من التسفف والتمحل » (٩٦) . ولو قارنا موقف عبدالفتاح بدوى السابق وموقف الدكتور منصور فهمي هذا من الاضداد ، لوجدنا الاخير اقل تطرفا من الاول في انكار الاضداد وآلين منه في رفضها ، فلم يجزم بإمكان حذف الاضداد جميعا واستبعادها كما فعل الاول ، وانما ذهب مذهب ابن درستويه في الاعتراف بالقليل النادر منها والذي ايده (جيز) ايضا . كما لم يقف من المستشرقين موقف الشك المسبق كالذى وقفه بدوى ، وانما ايد بعض ما جاءوا به ولم يؤيد البعض الآخر واطاف شيئا على (ردسلوب) .

واما استاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي ، فقد درس الاضداد دراسة مستفيضة في كتابه (التطور اللغوى التاريخي) ولعل اول ما نستشفه من موقفه من الاضداد هو وضعه لهذه الدراسة ضمن هذا الكتاب ، اذ يشعرا منذ الوهلة الاولى انه يرى ان الاضداد ما هي الا نتيجة للتطور اللغوى التاريخي الذى يعمل بدأب ونشاط في تغيير دلالة الالفاظ جميعا ، ومن هذه الالفاظ ما كان تطوره خلال تاريخ اللغة متضادا ، فكانت الاضداد * ونظرته للموضوع بهذا الشكل نظرة علمية دقيقة ، اذ يقول : « ومعنى هذا ان

فكرة التضاد تكون نتيجة التطور في الاستعمال ونتيجة الجديد في الدلالة، ومن اجل هذا فدراسة الاضداد تؤلف موضوعا لغويا تاريخيا من حيث علم الدلالة التاريخية ... وبهذا التفسير يمكن ان نرد كثيرا مما اعتبر من الاضداد الى هذه الحقيقة في التطور والاستعمال « (٩٧) ويمثل لذلك بـ (رغب في) و (رغب عن) ذاهبا الى ان الاستعمال اقضى ان تستفاد خصوصية التضاد من هذا الفعل بما يتعلق به من حرف ، ومثله (الامين) للفاعل والمفعول ، وزمان استعمال المعنى الاول غير زمان الاستعمال الثاني •

عرض الدكتور السامرائي لاهم كتب الاضداد معددا اياها حسب تسلسلها الزمني ، وانتقل الى بيان اختلاف القدماء في موقفهم من الاضداد ، واستعرض آراء المنكرين كابن درستويه وذكر كتابه (ابطال الاضداد) وبين آراء المدافعين كابن فارس وذكر كتابه الذي اشار اليه في الصحابي ، ثم عاد الى ابن الانباري يدرس موقفه ومنهجه بالتفصيل ، وجعل كتابه محورا يدور حوله البحث في الاضداد ، لان كتاب الاضداد لابن الانباري اوسع الكتب مادة واهمها معالجة ، ثم ان ابن الانباري عرض في مقدمته الى اشياء من تفسير الاضداد تستحق ان يقف عندها الدارس •

فوقف استاذنا الدكتور عند آراء الشعوبيين الذين ذكرهم ابن الانباري وبين وجهة نظر ابن الانباري في الرد عليهم وابطال مزاعمهم، فبسط القول في مذهب ابن الانباري الذي يقوم على اعتبار المعنى الواحد في السياق الذي يتوضح فيه معنى الضد بما يتقدمه ويتأخر عنه من قرائن • والظاهر انه يأخذ به ويراه ، لانه حين ناقش ضدية الفعل (ظن) الذي قالوا انه بمعنى شك وبمعنى يقن مستقريا النصوص القرآنية التي سقت للبرهنة على ذلك، يخلص الى القول : « وهذا المعنى الذي ذهبوا اليه يشير الى ان المعاني قد

(٩٧) التطور اللغوي التاريخي ٩٢ •

مختلف باختلاف الاحوال التي يجرى فيها الكلام ، وان ما استفاد منها داخل في باب الاستعمال وما يجد فيه من صور مختلفة في زمن واحد او في ازمة مختلفة ، فقد يجوز ان يحصل في هذا الاختلاف في الاستعمال ما يمكن ان يجرى على التضاد « (٩٨) » . وايد ذلك بما نقله ابن الانباري عن الذين قالوا بان المعنيين المتضادين اصلهما واحد وقد تداخل الاثنان على جهة الاتساع ، واغلب الامثلة التي ساقها ابن الانباري في هذا الصدد : « يؤيد ما ذهبنا اليه من ان في طوقنا ان نردّ الاضداد الى لون من الاستعمال الذي جرى على طريق التوسع . وان القائلين بهذا يؤمنون ان التضاد مستفاد مما يتصل بالكلمة من خصوصية في المعنى تصرفها الى الضدية « (٩٩) » . وكان من المستشرقين والعرب - كما مرّ - من عرض آرائهم - من فهم نقل ابن الانباري لهذا الرأي على انه ارجاع المعنيين الى اصل واحد ، وعليه فهو انكار لاصالة الضدية على طريقة ابن درستويه وجماعته الذين قالوا بشمولية المدلول الاول ، وهذا الفهم - في الظاهر - يخالف مذهب ابن الانباري ، الا ان تفسيره بالشكل الذي استفاده الدكتور السامرائي ينسجم مع موقف ابن الانباري من الاضداد ، ويتحد مع ملاحظته السابقة من تحدد المعنى في السياق ، فكأنه يريد من هذا ان استعمال اللفظة في المعنيين انتضاديين انما كان فبسبب قرائن الكلام ، لان اصل المعنيين واحد في اللغة .

وذكر استاذنا الباحث تفسير ابن الانباري للاضداد باختلاف اللهجات فأيده واستدرك عليه بقوله : « هذا صحيح جائز ، ولكن معاجم الاضداد لا تقيد الكلمة باصحابها القائلين بها ، وانما تذكر طرفا من ذلك » (١٠٠) . ويضرب لذلك امثلة مما ذكرت كتب الاضداد . يعود بعدها الى آراء المنكرين والمدافعين من القدماء موجهها لها ، ليخلص الى ردّ ما زعمه نولدكه في هذه

(٩٨) كتابه المذكور ٩٣ .

(٩٩) كتابه المذكور ٩٤ .

(١٠٠) التطور اللغوي التاريخي ٩٤ .

المسألة ، يقول هذا المستشرق : « اذا كان الشعوبيون وجلهم من الفرس الاعاجم قد استدلووا بالاضداد على أن لغة العرب تفتقر الى الدقة والساد فلعل هؤلاء هم الذين شاركوا في البحث عن الاضداد فتوسعوا فيه توسعا كثيرا وتلمسوه لأدنى سبب (١٠١) » . ويقول الدكتور السامرائي في رد ذلك : « ان الشعوبيين وهم طبقة من الفرس قد عابوا العرب في هذه المسألة » ولكن الباحثين ليسوا جميعا من الفرس ، فقد تصدى للتنقيب عن هذه المواد جماعة منهم العربي ومنهم غير العربي ... والحقيقة ان اهتداء الرواة وعلماء اللغة الى مواد الاضداد كان نتيجة ولعهم بالتماس فرائد العربية ونوادرها وغريبها ... وربما كان شوقهم الى معرفة هذه الفرائد والنوادر هو الذي دفعهم الى تسجيل الاضداد والتوسع فيها ، أكثر مما دفعهم حرصهم على الرد على الشعوبية (١) » . وعندي ان الباحثين لم يختلفوا في القصد ، فالاول قال : (شاركوا) في البحث عن الاضداد ، وقال الثاني : منهم العربي ومنهم غير العربي فالنتيجة واحدة .

ولعل أهم ما امتاز به بحث الدكتور السامرائي عن البحوث السابقة ، هو هذا الدرس المعمق لما اعتبر من الاضداد في لغة القرآن ، مستعرضا آراء المفسرين في هذه الالفاظ ومناقشا اياها ، اذ انهم - أي المفسرين - لم يتفقوا على ضدية هذه الالفاظ ، فما كان من الاضداد عند جماعة لم يكن كذلك عند جماعة اخرى ، وشواهد ذلك كثيرة ، عرض لها الباحث في مصادر مختلفة ، فنقل آراء الطبري والزمخشري والفخر الرازي وسواهم من المفسرين ، مقارنا بينها وبين ما ذكرت كتب الاضداد من تفسير هذه الالفاظ التي اختلف في مؤداها في القرآن مثل (أسر) و (الاصفر)

(١٠١) في كتابه :

Neue Beitrag Zur Semitischs Sprachwissnschaft

التطور اللغوي ٩٥ . وبروكلمان ٢/٢١٥ .

(١) الكتاب المذكور ٩٦ .

و (توسد) و (أشد) وغيرها ، ويبدو ان هذا الخلاف بين المفسرين حول مؤدى اللفظة ، كان بسبب بواعث دينية محضة ، ولم يكن خلافا لغويا ، اذ يعلق السامرائي على خلافهم في ضدية (أسر) بقوله : « للال هذا الخلاف بين المفسرين يوحى لنا الخلاف بين أهل السنة من المفسرين وبين المعتزلة منهم ، فهذا التفصيل وهذه المحاكمة العقلية يكون من نتائجها أن يبدو في الآية لون من فكرة التضاد في هذا الفعل » (٢) .

ثم يستقري الباحث مواد الاضداد التي جاءت في كتاب ابن الانباري فيجد أن كثيرا منها الصق بالاضداد ولا تتوفر فيه فكرة التضاد بوجه من الوجوه وهي عنده أنواع منها في اللفظ المفرد مثل (الاصفر) و (توسد) و (أشد) التي مر ذكرها ، ومنها في التركيب وهي تلك الآيات التي اعتبرت برمتها من الاضداد لاختلافهم في تفسيرها والاشعار التي عدت بشطريها من الاضداد للسبب نفسه ، ومنها في الادوات مثل (أو) للشك واليقين . وهو يدرس هذه الانواع ويناقشها ويستشهد عليها بكثير من الدقة والنظر الموضوعي ، يخلص من ذلك الى أن هذه الامثلة « تثبت ان مادة الاضداد لم تكن على هذا النحو من الاتساع والشمول في لغة العرب ، ولكن أسبابا كثيرة عرضنا لها دفعت الرواة الاقدمين وعلماء اللغة على الذهاب بعيدا في هذا السبيل فأدخلوا في الموضوع أشياء كثيرة لم تكن تشمل على طبيعة الاضداد . وقد احصيت من هذا القليل ما يقرب من مائة وخمسين مادة حفلت بها كتب الاضداد وهي لا تملك الضدية الا بهذه الوجوه البعيدة من التأويل والتفسير » (٣) ثم يذكر من هذه المواد مجموعة كبيرة .

واستاذنا الباحث يأخذ بمذهب تفسير الاضداد بالتفاوت مثل (بصير)

(٢) التطور اللغوي التاريخي ٩٨ .

(٣) الكتاب المذكور ١٠٢ .

و (السَّليم) و (جَلَل) و (المَفَاذَة) ، و بالتَّهكم مثل (التَّجيب) لمن يقتقر الى التَّجابه و (العاقل) للمجنون و (الكَرِيم) للبخل ، و يضرب لذلك أمثلة من اللهجات العامية العربية ، فالتونسيون مثلاً يطلقون على النار (العافية) و على الفحم (البياض) ، ولعله أول من سمى هذه الدوافع لاطلاق اللفظة على ضد معناها بالاعتبارات الاجتماعية لان (جيز) سماها استعارة وأدخل أمثلتها في هذا الباب ، والدكتور منصور فهمي جعلها (مشاعر طبيعية) تدفع لمثل هذا الاطلاق ، والتسمية الاخيرة الصق التسميات بالواقع ، لان هذه الدوافع لو لم تكن حاصلة بفعل اعتبارات تسود مجتمعاً معيناً ، لكان لهذه الالفاظ أمثلة في كل لغات العالم ، لان الاستعارة جارية في كل اللغات ، والمشاعر الطبيعية متوفرة في أنفس كل البشر ، اذ ان ذلك غير حاصل في كل اللغات وانما في قسم منها ، فهي اعتبارات اجتماعية وبهذه التسمية أخذنا في الفصل السابق . أضف الى ذلك ان الدكتور السامرائي لم يغفل عن دور الاستعارة في خلق التضاد ، فقد أشار إليها في غير هذا البحث ، ففي مدوتي الخاصة عن محاضراته شيء يتصل بهذا التفسير كان استاذنا قد أخذ به في دراسة الاضداد (٤) .

فالدكتور ابراهيم السامرائي يمثل مرحلة اخرى في دراسات العرب المحدثين للاضداد ، فبعد أن رفض عبدالفتاح بدوي الاضداد رفضاً كاملاً لا استثناء فيه وتساهل الدكتور منصور فهمي قليلاً فاعترف بوجود القليل منها مؤيداً (جيز) في صحة عشرين ضداً فقط ، لم يرفض الدكتور ابراهيم السامرائي الا مائة وخمسين ضداً وهي أقل من نصف أضداد ابن الأباري ، و عليه فهو قائل بضدية ما بقي من المواد . فهو منكر للاضداد وقائل بها في الوقت نفسه ، ونستطيع أن نشبه موقفه بموقف ابن الأباري الذي مرّ انه

(٤) محاضرات الدكتور السامرائي ٢٤-٢٥ .

أنكر ضدية كثير مما ذكر في كتابه ، عدا ان السامرائي أيد ابن الانباري في تفسيراته للاضداد ، خصوصا تلك التي تنظر الى السياق وتخصيصه لمعنى الضد . واشرق منهج السامرائي عن منهج السابقين في انه لم يهمل دراسة الشواهد كما أهملها ، لان القائلين بالاضداد لم يفعلوا ذلك الا اعتمادا على الشاهد ، فان أمكن تزييف هذا الشاهد اذا صح التعبير ، أمكن معه رد اللفظة ومنع تضادها .

وأما الأب مرمرجي الدومنيكي الذي درس الاضداد في كتابه (المعجمة العربية) و (هل العربية منطقية) ، فمنهجه في دراستها منهج خاص ، ذلك انه أنكر الاضداد انكارا تاما وعاب على العربية وجود الاضداد فيها ، وارجع نشأتها الى عامل واحد هو ما سماه بالثنائية والالسنية السامية ، ناصا على صواب ما ذهب اليه المنكرون القدماء ، اذ ان أدلتهم على أبطالها مقنعة ، ولدعه يفصح عن هذا الذي قلناه ويشرح طريقته في ابطال الضدية : « من غرائب بل قل من معائب المعجمة العربية ، انها لا تحوي الفاظا متضاربة المعاني متافرتها وحسب ، ولكن - فضلا عن ذلك - نجد فيها كلمات لكل منها مدلولان متضادان وقد دعاها أرباب اللغة (الاضداد) ويمكننا ان نطلق على خاصيتها اسم (الضدية) . وقد غني بعضهم بجمع هذه المفردات ... فأوصله الى ما فوق الاربعمائة ، أما غيره فقد انزله الى نحو المائة . على أن آخرين حاولوا ابطال حقيقة وجود الاضداد ، اما في جملتها واما في طائفة منها . وعندنا انهم في رأيهم مصييون ، وأغلب أدلتهم في صدد هذا مقنعة . الا اننا نزيد على ذلك وسيلة لم يذكرها أحد منهم - لأنهم لم يذهبوا مذهبها - ألا وهي وسيلة (نظرية الثنائية) و (طريقة الالسنية السامية) ، وبالحق ان لم تكونا الذريعة الوحيدة ، فلا أقل من انهما حريتان بأن تنظما في سلك المسالك المتعددة ، لا يبطال الضدية في العربية . وللبلوغ الى هذه الغاية المتوخاة ينبغي أن تتخذ الثنائية بنوعها

الخاص الذي اكتشفناه بالتقصي الشخصي ، الا وهو أن لا يردّ الثلاثي
 الا ثنائي واحد ، بل الى ثنائيين أو أكثر عند اقتضاء الحاجة . وهذا ما يجب
 تطبيقه في مسألة ابطال الضدية أي أن يرد الثلاثي أولا الى ثنائي يطابق
 أحد المعنيين المتضادين ، ثم الى ثنائي آخر يناسب المعنى الثاني واذا كان
 اللفظ من الاصل ثنائيا يقارن بما يقابله في اللغات السامية ^(٥) ومن
 أمثلة تطبيق هذا المذهب مادة (ذَرَبَ) ، اذ يقول : « ذربت معدته :
 فسدت ذربت معدته : صلحت . بالمعنى الاول ذرب صادر من (ذَبَ) :
 هزل ، ذوى . جف من العطش ، مما يحصل عنه الفساد والمرض .
 وبالمدلول الثاني هذا الفعل صادر من (ذَرَّ) البقل والنبات اذا طلع وانتشر
 وذلك لقوته وصحته والا ذبل وذوى ^(٦) . ومن الامثلة كذلك مادة
 (عَفَا) اذ يقول : « أول معنى لهذا الفعل : درس ، خفي ، ذهب أثره .
 ثم ما يضاده : ظهر ، نما ، كثر . فاذا اعتبرت دلالاته الاولى كان مصدره
 الثنائي (عَفَ) ويتجلى معناه في (af) السرياني الدال على معنى اللف
 والغطاء والستر ، ومن ثم على الكف والطمر ومحو الاثر . واذا لوحظ
 مدلوله الثاني ، كان اشتقاقه كذلك من (عَفَ) الدال على الجمع ومن
 (af) السرياني المراد به اللّي والطّي واللف . فان ما يطوى ويلف
 يجمع جمعا مضاعفا ، وما يضاعف ينمو ، وما ينمو يصبح ظاهرا ^(٧) .
 وكنا قد أخذنا بهذا التفسير فيما أخذنا من تفاسير لنشأة الاضداد في
 الفصل السابق ، ورأينا انه اذا صح تفسير الاضداد به ، فانما يصدق على
 قسم منها لا على جميعها كما يحاول الأب مرمجي أن يفعله ، لان كثيرا
 مما عالج ضديته هذا الباحث بهذه الوسيلة واضح فيه تعسف تطبيقها عليه

(٥) المعجمية العربية ٢١٩ .

(٦) هل العربية منطقية ١٣٤ .

(٧) المعجمية العربية ٢٢٢ .

واخضاعه لها وبالرجوع الى المواد (بَطَلَ) و (باعَ) و (زَحَكَ)
و (سَبَدَ) و (سَجَدَ) و (قَزَع) و (عَضَا)^(٨) و (قَسَطَ)
و (الحَزَوَّرَ) و (ضَرَا) و (أَقْوَى) و (غَفَرَ)^(٩) وغيرها نجد
من تكلف التطبيق ما يؤيد ما ذهبنا اليه .

وقبل أن نحدد ملامح موقف الدومنيكي من الاضداد ، لابد من
الوقوف عند ردود عادل أحمد زيدان عليه ، وأول ذلك استغراب الاستاذ
زيدان من تأييد الدومنيكي للمنكرين بحجة ان أدلتهم مقنعة ، فيقول :
« ومن الغرابة اننا نرى ان الأب مرمجي يؤيد ما ذهب اليه مبطلو الاضداد
وانه يرى ان أدلتهم مقنعة ، مع العلم انه لم يصلنا شيء مما قالوه من ادلة
في ابطالهم الاضداد ، فكتاب ابن سنيويه (درستويه) لم يصلنا ، وابن
سيده لم يذكر لنا شيئاً مما اعتمد عليه أحد شيوخه في انكار الاضداد ، أما أهل
الزيغ والبدع الذين ذكرهم ابن الانباري فأقروا بها [إلا] انهم عدوها
منقصة . وكل ما وصلنا هو ردود على هؤلاء وتعليل للاضداد »^(١٠) .
وهذا الذي يقوله عادل زيدان فيه شيء كثير من الصحة ، الا ان الأب
مرمجي قد لا يعني هذا ، فربما كان يشير الى الشيء القليل الذي وصلنا
من آراء المنكرين وخصوصاً ابن درستويه ، فهي على قلتها تفصح عن
المذهب الذي ذهبه ابن درستويه وغيره من المنكرين ، وعليه يكون صحيحاً
- من وجهة نظر الدومنيكي - القول بأنها أدلة مقنعة في هذا الصدد .
ويعود زيدان مرة أخرى فيعتبر ما جاء به الأب مرمجي دليلاً على وجود
الاضداد لا على ابطالها ، يقول : « وعندي ان هذا لا يقوم دليلاً على ابطال
الضدية في اللفظ بل العكس ، أعده دليلاً على وجود الاضداد ، وخاصة

(٨) هل العربية منطقية ١٣٦ - ١٣٩ .

(٩) المعجمية العربية ٢٢٣ - ٢٢٩ .

(١٠) أبو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة ٨٨ .

إذا عددنا الاضداد لغات تداخلت ... فالتضاد واقع في اللفظ المفرد سواء كان تطورا صوتيا للفظين ثم اتحدا في الصورة أو تطورا للفظ سامي اختلفت دلالاته باختلاف استعماله^(١١) ، فهو يشبه في هذا الموقف ابن الانباري الذي لم يمنع من تفسير الاضداد والقول بوجودها في آن واحد ، بل عدّ ابن الانباري التفسير دليلا على الوجود ، ولكن عادل زيدان من جهة أخرى لم يفرق بين ابطال اصالة الضدية وبين انكار ما هو موجود فعلا ، فالأب مرمجي ذهب الى الناحية الاولى وهو ذهب الى الثانية •

ويقف الأب مرمجي من الاضداد أكثر من موقف ، فهو مع الشعوبيين في عيب العربية والازراء بها ، ومع ابن درستويه وآبل في الاخذ بتفسير واحد ، ومع عبدالفتاح بدوي في رفض جميع الاضداد ، كما لم يأخذ بأي تعليل سابق وان اعترف بقناعته بعزل المنكرين ، وجاء بشي خاص في تفسير الضدية وابطالها افاده من فكرة الثنائية التي قال بها القدماء منذ الخليل ، الا انه أضاف اليها مقارنة الثنائي بأشباهه في اللغات السامية الاخرى ، وربما دفعه الى ذلك معرفته ببعض اللغات السامية كالسريانية مثلا لانها لغة كتابه المقدس ، وهذه الناحية - ناحية المقارنات السامية - نجدها عند المسيحيين من الباحثين العرب أكثر مما نجدها عند سواهم •

بقي أن نعرض لأحد علماء الفقه والاصول المحدثين ، الذين تنبهوا الى أهمية البحث في المشترك والاضداد لما لهما من دور في تحديد أحكامهم الشرعية ، لان التشريع عندهم هو (العمل بما يدل عليه اللفظ) ، وهذا الباحث الفقيه هو الشيخ محمد الخضري الذي رأى ان المشترك - والاضداد عنده نوع منه يختلف قليلا - لا يدل على أحد معنيه بعينه ما لم يكن مصحوبا بقرينة تبينه ، فاذا جاء غير مبين مع أن المراد به أحد

(١١) أبو الطيب اللغوي ٨٨ - ٨٩ •

معانيه ، كان مجملا بالضرورة ، اذ يستحيل العمل بمقتضاه لعدم العلم به (١٢) . ومنع الاصوليون أن يستعمل المشترك ويراد به جميع معانيه « وأجازة فريق منهم ، واختار آخرون جوازه في النفي دون الاثبات ، وآخرون جوازه فيما عدا المفرد منه . والمجوزون اختلفوا فيه اذا استعمل في جميع معانيه : أحقيقة أم مجاز » (١٣) .

وحاول الشيخ الخضري خلال بحثه في المشترك أن يعلل نشأة الاضداد ، وأهم ما ذكره من علل ذلك اثنتان :

١ - شمولية المدلول الاول ، قال : « ان يكون بين المعنيين معنى يجمعهما فتصالح الكلمة لكل منهما ، لذلك المعنى الجامع ، وهذا ما يسمونه الاشتراك المعنوي ، وقد يغفل الناس عن ذلك المعنى الجامع ، فيظنون الكلمة من قبيل المشترك اللفظي ، ومثال ذلك : القرء ، فانه في لغة العرب الوقت المعتاد ، فيقولون للحمى قرء : أي دور معتاد تكون فيه ، وللثريا قرء : أي وقت معتاد تمطر فيه ، وللمرأة قرء : أي وقت تحيض فيه ووقت تطهر فيه (١٤) » .

٢ - تطور الدلالة عن طريق انتقال مجالها ، يقول : « ان يضع الواضع الكلمة لمسمى ، وعند الاشارة اليه يكون مع المسمى غيره ، فيتلقاها عنه السامع من غير ان يتبين حقيقة ما وضعت له الكلمة ، فتستعمل في الشيء وفيما كان معه وفيهما جميعا وربما ينفصلان بعد . وقد يكونان ضدَيْن كما في نحو (جون) فانه وضع في الاول للسحاب ، وفيه الابيض والاسود حتى اذا كان ابيض صرفا او اسود صرفا فهو جون (١٥) » .

(١٢) الاصول للخضري ١٧٥-١٧٦ عن مجلة المجمع الملكي ٢٤٣/٢ .

(١٣) الاصول ١٧٦ : مجلة المجمع ٢٤٤/٢ .

(١٤) الاصول ١٧٤ : مجلة المجمع ٢٣٩/٢ .

(١٥) الاصول ١٧٤-١٧٥ : مجلة المجمع ٢٣٩/٢ .

فالشيخ الخضري على هذا - وان كان ميدانه العلمي غير ميدان اللغويين - قائل بالانكار في تفسيره الاول على طريقة ومنهج ابن درستويه وطائفته من المنكرين ، وهو الرجوع بالمعنيين الى اصل واحد ، والذي قال به ابن الانباري فيما قال من تعليل ، ولكننا نلاحظ ان المثل الذي ساقه في التعليل الثاني لا يخرججه عن دائرة التعليل الاول ، فكلا معنيي الجون يرجعان الى أصل واحد هو السحاب ، ولو التمس المثل في (الظعينة) مثلا لكان ادق ، فهي عندهم من الاضداد لانها تعني اليهودج والمرأة التي فيه ، ومثله (الكأس) الذي يعني الزجاجة وما فيها من شراب ، ومواد كثيرة من هذا النوع ، وعلى امثالها يصدق قوله : ان يضع الواضع الكلمة لمسمى ، وعند الاشارة اليه يكون مع المسمى غيره .

هذه أهم دراسات العرب المحدثين للاضداد ومحاولاتهم للكشف عن اسرار وجودها وعلل نشأتها ، احقرناها دون سائر الدراسات الاخرى (١٦) ، لان كل واحدة منها تميزت بشيء يستحق السدرس والوقوف عنده ، اما الاخرى التي لم تتعرض لها فكان ينقص اغلبها التميز والجدة ، فهي اما ناقصة في تحليلها للاضداد ، أو مقلدة لغيرها في المنهج أو قليلة المادة المدروسة بحيث كان التعرض لها وبسط آرائها يعتبر من الاطالة التي لا جدوى منها والحشو الزائد ، فهي نسخ من هذه البحوث التي درسناها ، فيما عدا القليل منها الذي لا يخلو من التفاتات رصينة كالذي فعله الدكتور ابراهيم انيس (١٧) .

(١٦) انظر : تاريخ آداب العرب ١/١٩٧ - ٢٠٢ وتاريخ آداب اللغة العربية ١/٤٥ وفقه اللغة وخصائص العربية ١٩٨ وفقه اللغة لوافي ١٨٦ ودراسات في فقه اللغة ٣٠٩ وابن السكيت اللغوي ٢٣٧ وأبو الطيب اللغوي ٨٣-١٣٢ ومجلة اللسان العربي ٨/٩٣ ورواية اللغة ٣٣٣ - ٣٤٠ .

(١٧) في اللهجات العربية ٢١٥ .

نخلص من دراسة مواقف الدارسين من الاضداد ومناهجهم المختلفة في تناول مشكلتها الى ضرورة التأمل الدقيق في التفسيرات التي اوردها لوجود الاضداد وعلل نشأتها •

ف نجد ان أهم وخطر ما عللوا به الاضداد هو رجوع الضدين الى معنى واحد هو الاصل الذى تفرع منه المتضادان ، اما سائر العلل الاخرى فهي اقل شأنًا من هذا ، فهي لمعرفة السبيل التي سلكها اللفظ حتى وصل الى درجة التضاد مثل اللهجات ، والمجاز ، والحذف والاختصار وما الى ذلك • وعليه يجب إعادة النظر في الاضداد وفيما ذكر لها من معان لاستكشاف الطريق الى المعنى الاصلي لكل منها ، وهو المدلول الشامل ، وينبغي أن يتم ذلك بعيدا عما يكتنف اللفظة من ملاسبات وما يرتبط بها من سياق يتقدم فيه ويتأخر ما يخصص معناها ، وبعيدا ايضا عن ملاحظة اللفظ فيما قطعه من اشواط دلالية قريبة وبعيدة ، فاذا استطعنا ان نصل من ذلك الى المعنى الحقيقي للفظه وقفنا على بداية تطور هذه اللفظة واكتسابها المعاني الجديدة والدلالات الطارئة ، ووقفنا ايضا على نشأة الظلال التي تحيط بالمعنى القديم والتي ستصرفه الى الضدية باستعمال من الاستعمالات •

ونخلص من دراسة هذه المواقف ايضا الى نفي ان يكون احد من اللغويين ممن وصلتنا آراؤه وتعليقاته بهذا الصدد ، قد انكر وجود الاضداد في العربية على حد تعبير القدماء ، وانما هناك منكرون لاصالة الضدية في الالفاظ ، ولكن خضوع هذه الالفاظ للتطور عن طريق التوسع والمجاز والحذف والاختصار وما سببته اللهجات المختلفة المتحدة ، جعل منها اضدادا في العربية الفصيحة • فاللغة بالصورة التي نظر فيها القدماء كانت تحوى الفاظا تضادت معانيها فسميت بالاضداد بغض النظر عن اختلاف اصول هذه الاضداد ، والطرق التي سلكتها حتى وصلت الى ما

هي عليه ، وهذا ما اتفق عليه القدماء جميعا دون استثناء : من انكر الاضداد
ومن دافع عنها •

وشيء آخر تجب ملاحظته في هذه الدراسات هو انه اتفق المنكرون
والمدافعون على قلة الاضداد في العربية فابن درستويه يعترف بمجيء
النادر منها ، وابن الانباري يقول : « هذا الضرب من الالفاظ هو القليل
الظريف في كلام العرب »^(١٨) • وجيز من المستشرقين لا يرى في اللغة
اكثر من عشرين ضدا او نحو ذلك ، والدكتور منصور فهمي من العرب
المحدثين يؤيد جيز ولا يقول الا بالقليل من الاضداد ، وهكذا أغلب
دراسات الآخرين •

(١٨) ابن الانباري ٦ •

الْبَابُ الثَّانِي

الفصل الأول

تدوين اللفظ ورواية الاضداد

تدوين اللغة

الظاهر ان التصنيف في متن اللغة أمر قديم في اللغات الانسانية ، فقد حفلت بعض لغات العالم القديمة بمعجمات اللغة المختلفة الغرض والميدان ، فهناك معجمات غنيت بجمع ألفاظ اللغة وموادها ، واخرى غنيت بالمعاني والدلالات ، ومجموعة ثالثة بالموضوعات وهكذا . من ذلك ما وصلنا من خبر وضع الهنود معجمات المترادف والمشارك التي كان أقدمها وأكملها « معجم أما راسنها الذي اشتهر باسم (أماراكوسا) والذي كتب قبل القرن السادس الميلادي . . . وهو معجم مترادفات في ثلاثة أبواب الحق به فصل عن المشترك اللفظي واخر عن الكلمات غير المتصرفة ، وكلمات التذكير والتأنيث . . . وقد رتب المؤلف جزء المترادفات بحسب الموضوعات ، وجزء المشترك اللفظي بحسب الحروف الساكنة في أواخر كلماته » (١) ، ومن المعجمات الهندية القديمة أيضا معجم المشترك اللفظي « لمؤلفه ساسفاتا الذي كان يعيش حوالي القرن السادس الميلادي . وقرتيه للموضوعات التي على أساسها وضعت الكلمات ترتيب عجيب جدا . فقد شرح أولا الكلمات التي تحتاج لبيان معناها الى بيت كامل ، ثم الكلمات التي تحتاج نصف بيت ثم تلك التي تحتاج ربع بيت » (٢) ، ومثل هذا في الموضوع معجم آخر تلاه زمنا من تأليف هيماكاندرا « وهو من نوع معاجم المشترك اللفظي ، ويقع في سبعة أبواب : الستة الاولى على التوالي للاسماء ذات المقطع الواحد ، المقطعين ، الثلاثة الى الستة . أما السابع فيعالج الكلمات غير المتصرفة . . . والى جانب ترتيب الكلمات بحسب عدد مقاطعها نظر الى الحرف الاول والحرف الساكن الاخير » (٣) . ومثل الهنود

(١) البحث اللغوي عند الهنود ص ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٦ .

(٣) البحث اللغوي عند الهنود ص ٩٦ .

في هذا الميدان اليونان والرومان الذين عنوا بالدراسات اللغوية وجمع مواد اللغة وبحث دلالاتها أيما عناية - كما أشرنا الى طرف من ذلك في مبحث الدلالة - وان كانت معلوماتنا عن هؤلاء أقل استيعابا وأكثر غموضا ، وذلك للبون الزمني الذي يفصلنا عنهم • وعلى كل حال فأمرهم جميعا لا يهمنا هنا بقدر ما يهمنا أمر العربية التي رزقت في هذا المجال مجال المعجمات اللغوية حصيلة وافرة ومجهودا ثرا حفظاها لنا من الضياع والانداس •

يقول ابن خلدون : « فاحتيج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فسمرت كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين » (٤) ، وكان ابتداء حركة التأليف هذه اذا صح التعبير في بداية القرن الثاني الهجري ، على أيدي جماعة من العلماء دأبهم أن يخدموا لغة التنزيل والحديث كما أشار ابن خلدون ، وذلك بتحديد الاستعمال اللغوي الصحيح ، فوجهوا همهم الى الاعراب ، يلتقطون من أفواههم اللغة السليمة • ووضعوا القواعد والاصول يضبطون بها الاعراب على اصول من الاستقراء الدقيق والملاحظة والاحصاء للغة الاصلية القديمة ، واتجهوا الى الشواهد الصحيحة وحصروها في العصر الجاهلي وصدر الاسلام بشرط الاصاله والبداوة وعدم التطرف الى الشمال » لهذا اعتبر عدي بن زيد من بين من لا يستشهد بشعره ، واعتبر أبو عمرو بن العلاء الفرزدق وجريرا ممن لا يستشهد بشعرهم كذلك » (٥) ، وقد تميزت المرحلة الاولى في كتب اللغة بالجمع في صور شتى ، فقد تجمع كل مجموعة من الالفاظ تحت اسم في كتاب أو باب من كتاب ، يجمعها تقارب المعنى او تضاده ، أو تقارب

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٤ •

(٥) أثر القرآن في تطور النقد العربي ص ١٥٤ •

المبنى ، أو صيغ الالفاظ واستعمالاتها الصحيحة ، أو جمع الالفاظ اللغوية في ترتيب خاص حسب الحروف الابجدية أو حسب مخارج الالفاظ (٦) .

وقد تضخمت المعجمات اللغوية العربية تضخما كبيرا ، ذلك « انها تذكر التسميات الشعرية الشخصية الخالصة للاشياء ، على انها كلمات خاصة . فحين يسمى أحد الشعراء الاسد مثلا (بالكاسر بالاسنان) ويسميه شاعر آخر (بالسّاحق) . الخ ، فان المعجم العربي يأخذ هذه التسميات على انها تساوى مطلقا كلمة (الاسد) . وعلى الاخص ، قد أمدت شعر الهجاء والذم - الذى ضاع أغلبه - المعجم العربي بالتأكيد ، بتعبيرات كثيرة مخترعة ونادرة . وأيضا كثير من الكلمات الشائعة الاستعمال أكثر مما ذكر علماء فقه اللغة ، والتي يأتي بها الشعراء عرضا ، لم تكن مألوقة في الواقع الا لدى القبائل . ولكن كمية الكلمات لا تزال مع ذلك كبيرة جدا . . . والأشعار نادرا ما تكون مناسبة لاعطاء صورة واضحة عن اللغة البسيطة الحقيقية . وأيضا فقد وجد في الشعر العربي منذ البداية ، ميل معين نحو الصنعة والطريقة . والقرآن كذلك ، لا يظهر لنا لغة الحياة الا قليلا . وعلى العكس من ذلك يظهر لنا بعضها النثر القديم الموجود في الروايات المتناقلة (الحديث) . وتقدم الحكايات الحقيقية عن أعمال النبي وأصحابه وكذلك أخبار حروب ومغامرات البدو في العصر الجاهلي والاسلامي الاول - كل ذلك يقدم نموذجا حقيقيا للنثر ، على الرغم من أن بعضه قد نَقَحَ فيما بعد » (٧) . فالاصمعي في القرن الثاني وأول الثالث يرفض لفظ زوجة بدلا من اللفظ القديم زوج - وهي صيغة جديدة وردت عند الفرزدق من قبل - رعاية لاستعمال القرآن

(٦) أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص ١٥٣ .

(٧) اللغات السامية (نولدكه) ص ٨١ .

اللغوي^(٨) . وكان الاصمعي على رأس حركة التنقية اللغوية في أوجها ، ولم يكتف بجمع المادة اللغوية من أفواه البدو ، وترتيبها فحسب ، بل شرع كذلك في تنظيم الاستعمال اللغوي الدقيق بواسطة تحديدات معنوية غاية في الدقة^(٩) .

وقد حاول الرواة أن ينقلوا الى علماء اللغة الذين تولوا تدوينها ، ما وصل اليهم من لهجات القبائل المختلفة في وقت كانت فيه هذه اللهجات قد تباعد بعضها عن بعض قليلا أو كثيرا بالنسبة الى مدى تباين بيئاتها ومدى تفاعل بعضها ببعض . وكان في اعتبار هذه اللهجات المتباينة لغة واحدة ، ما نقل هذا التباين الى المعجمات العربية ، ففدا الكثير من مفرداتها متعدد اللفظ . فللكلمة الشمال مثلا خمسة وجوه ، وللصداق أربعة ، وللزجاج ثلاثة ، وللحصاد وجهان . كما غدا الكثير منها يحمل معاني مختلفة ، كثيرا ما لا يمت بعضها الى بعضها الاخر بصلة ، فمعنى (المسس) : اللبن ، والحركة . ومن معاني (اليراعة) : الحشرة المضيئة ، والقصبه ، والتعامه ، والاحمق . ومن معاني (الغرب) : مغرب الشمس ، وحدة النشاط ، وحد السيف ، والدلو العظيمة . وقد تتسع الشقة في معنى اللفظة الواحدة فتصل الى حد التضاد ، فالجَوْن : الابيض والاسود . والسدفة : الظلمة والنور . والجَلَل : العظيم والحقير^(١٠) . وهكذا سائر المفارقات المعجمية التي خلقها اعتبار العربية المدونة لئلا واحدة .

لهذا كله يمكن أن نقسم المعجمات اللغوية أقساما أربعة بحسب

(٨) العربية (يوهان فك) ص ٤٣ .

(٩) العربية ص ٤٠ .

(١٠) مجلة مجمع اللغة العربية مجلد ٤٧ مقالة (المعاجم العربية وضرورة تهذيبها) للدكتور فؤاد حنا . ترزى ج ٢ ، ص ٣٨٩ - دمشق نيسان ١٩٧٢ م .

ما ترمي اليه والمنهج الذى سارت عليه والميدان الذى بحث فيه (١١) ،
وهذه الاقسام هي :

١- معجمات مواد اللغة ، وهى التى وضعت لجمع مفردات اللغسة
وشرحها ، مرتبة ترتيبا خاصا يسهل الرجوع اليها والوقوف على كل مادة
من موادها في موطنها » وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد
الفراهيدي ألف فيها كتاب العين ، فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلتها
من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، وهو غاية ما ينتهي اليه التركيب
في اللسان العربي . . واعتمد فيه ترتيب المخارج ، قبدأ بحروف الحلق
ثم ما بعده من حروف الحنك ثم الأضراس ثم الشفة ، وجعل حروف
العلّة آخرها وهى الحروف الهوائية . وبدأ من حروف الحلق بالعين لأنه
الأقصى منها » (١٢) ، وتلا العين معجم (الجمهرة) لابن دريد الذى أفاد
من العين ومن مصنفات الاصمعي وأبي عبيدة وغيرهما ، الا أنه رتب مفرداته
على حروف الهجاء مبتدئا بالهمزة ومنتها بالياء . ونهج ابو على القالى
نهج العين في معجمة (البارع) بل ضمّنه أكثر مواد العين ، ومثله الأزهرى
في (تهذيب اللغة) الا أن الأخير أوسع وأكبر اذ هو في عشر مجلدات
وكذلك صاحب بن عباد في معجمه (المحيط في اللغة) في سبع مجلدات
رتبه ترتيب العين . وقبل أن يؤلف أحمد بن فارس معجميه (مقاييس
اللغة) و (المجمل) ، اختصر ابو بكر الزبيدى العين للخليل « مع
المحافظة على الاستيعاب ، وحذف منه المهمل كله وكثيرا من شواهد
المستعمل ولخصه للحفاظ أحسن تلخيص . وألف الجوهري من المشاركة

(١١) يراجع في هذا : مقالة (المعاجم اللغوية بين ماضيها وحاضرها) لابي
طالب زيان في مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٤٠ ج ١ ص ٣١٠ -
٣٢٢ . ويراجع كذلك : أثر القرآن في تطور النقد العربي ص ١٥٩ .
(١٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٤ .

كتاب الصّاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداءة منها بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير ^(١٣) ، فكان عدد ما جمع أربعين ألف مادة ، فاختصره الرازي باسم (مختار الصحاح) ، وألّف الزمخشري بعد ذلك معجمه (أساس البلاغة) وهو « في المجاز يَن فيه كل ما تجاوزت به العرب من الألفاظ ، وما تجاوزت به من المدلولات » ^(١٤) ، وألّف الصّغاني معجميه (التكملة) و (العباب) ثم جمعهما في كتاب واحد سماه : (مجمع البحرين) ، وألّف ابن منظور (لسان العرب) الذي ضمّنه أكثر ما كتب قبله في هذا الباب ، فكان في خمس عشرة مجلدة ، وألّف الفيروز ابادي بعده (القاموس المحيط) ، والمقرئ (المصباح المنير) ^(١٥) ، والزبيدي (تاج العروس) الذي شرح فيه قاموس الفيروز ابادي واستدرك عليه ، فكان ضخما في مجلدات عديدة ، كثير الفائدة بالرغم من تأخره في الزمان ، اذ انتهى من وضعه قبل أقل من قرنين فقط ، ومن المعجمات الحديثة في هذا الباب (المساعد) للكرملي ، أما (المنجد) فهو معجم مدرسي محشو بالخطأ والزيف •

وقد بذل مؤلفو هذه المعجمات جهودا ضخمة في الجمع والاستيعاب والناية بذكر معاني الكلمات والاستشهاد عليها بالقرآن والحديث والمأثور من كلام العرب ، الا انهم « أغفلوا اغفالا تاما تعقب معاني كل كلمة في مراحل حياتها ، وشرح تطوّرها في مختلف العصور ، وبيان الاصول التي انحدرت منها » • هذا الى أن معظم هذه المعجمات العربية لم يتبع نظاما معيّنًا في ترتيب معاني الكلمة ، فيخلط بين الحقيقي منها والمجازي ، والقديم والحديث ، كما خلط بين المعاني في مختلف لهجات العرب ، فاصبح

(١٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٥ •

(١٤) المصدر نفسه ص ٤٨٦ •

(١٥) علم اللغة (وافي) ص ٦٨ •

البحث فيها شاقا» (١٦) . ولو لا كتاب (العين) للخليل لكان هذا النمط من كتب اللغة يعد متأخرا عن الانماط الأخرى من التأليف التي سنعرض لها .

٢ - معجمات المعاني ، وهي الكتب الرامية الى تصنيف المفردات حسب المعاني المختلفة ، بحيث تذكر في كل باب من أبواب المعاني المفردات التي تعبر عن موضوعه ، مرتبة ترتيبا خاصا ومبينة مدلولاتها ومواطن استعمال كل منها ، مثل باب (خلق الانسان) وتذكر فيه كل ما يخص هذا المعنى من مفردات لغوية وباب (الحمل والولادة) و (الرضاع والفظام) وهكذا ، والفرق بين هذا النوع من المعجمات والنوع السابق ، ان الاول يحتاج اليه من يعرف اللفظ ويرغب في الوقوف على معناه ، أما الثاني فيحتاج اليه من يعرف المعنى ويرغب في الوقوف على الألفاظ الموضوعية له (١٧) ، وقد « اختص بالتأليف في هذا المنحى الثعالبي وأفرده في كتاب له سماه (فقه اللغة) وهو من أكد ما يأخذ به اللغوي نفسه . . وكذلك ألف بعض المتأخرين في الألفاظ المشتركة وتكفل بحصرها . . وأما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالتداول من اللغة ، الكثير الاستعمال تسهيلا لحفظها . . فكثيرة ، مثل الألفاظ لابن السكيت والفصيح لعلب وغيرهما ، وبعضها أقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الأهم » (١٨) ، الا أن أقدم ما ألف من هذا النوع هو (كتاب الالفاظ) لابن السكيت ، يليه كتاب (الألفاظ الكتابية) للهمداني ، فكتاب (مبادئ اللغة) للاسكافي ، و (فقه اللغة) للثعالبي « ثم ألف فيها من الاندلسيين ابن سيده كتاب (المحكم) على ذلك المنحى من الاستيعاب ، وعلى نحو

(١٦) علم اللغة (وافي) ص ٦٨ .

(١٧) المرجع السابق ص ٦٩ .

(١٨) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٦ .

ترتيب كتاب العين^(١٩) وكتاب (المختص) في سبعة عشر جزءاً ، وهو أدقها دراسة ، وأحسنها تنسيقاً ، وأكثرها استيعاباً لمسائل البحث ، وقد تناول الثعالبي في (فقه اللغة) وابن سيده في (المختص) ، في أثناء دراستهما لمسائل الكتابين الأساسية ، بعض بحوث من نوع آخر^(٢٠) .

٣ - كتب فقه اللغة العربية ومسائل علم اللغة ، وهي التي عنت بمباحث نشأة اللغة ، والاشتقاق ، والاطراد والشذوذ ، واختلاف لغات العرب ، والموازنة بين العربية والفارسية ، والتعريب ، والمصنوع والفصح ، والحوشي والغرائب ، والشوارد والنوادر ، والمستعمل والمهمل ، وتداخل اللغات ، وغيرها . وخير من يمثل هذا النوع من الدرس اللغوي والتصنيف فيه : كتاب (الاشتقاق) للأصمعي ، و (الصاحبي) لأحمد ابن فارس ، و (الخصائص) لابن جني ، ومقدمة (المختص) لابن سيده ، وبعض فصول (فقه اللغة) للثعالبي و (المعرب من الكلام الاعجمي) لأبي منصور الجواليقي ، و (الزهر) للسيوطي ، و (شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين الخفاجي^(٢١) ، وجمهرة من الكتب الحديثة التي ألفها رجال هذا الميدان مثل : كتاب (نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاها) للكرملي ، و (فقه اللغة المقارن) للدكتور ابراهيم السامرائي ، و (اللغة والعصر) لليازجي ، و (فقه اللغة) للدكتور علي عبدالواحد وافي ، وبحوث المستشرقين مثل : كتاب (العربية) ليوهان فك وغير هذا كثير جداً مما كان ميدانه دراسة العربية فقهاً وخصائص وأساليب .

٤ - كتب الموضوعات والظواهر اللغوية ، وهي أشبه ما تكون

(١٩) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٥ .

(٢٠) علم اللغة (وافي) ص ٧٠ .

(٢١) المصدر نفسه ص ٠٧٠ .

بالمعجمات بل هي معجمات فعلا تعنى بجمع وشرح جميع المفردات والمعاني المتعلقة بموضوع معين من مثل (الخيل) أو ظاهرة لغوية خاصة من مثل (الأضداد) ، وهذا النوع من الكتب أو المعجمات كثير قديم ، فهو لولا عين الخليل كان أقدم أنواع مصنفات اللغة ، لأن أوائل من ألف في هذا المجال هم ممن عاصر الخليل أو جاء بعده بقليل بحيث سبق وضع معجمات مواد اللغة التي كان ثانیها في أوائل القرن الرابع على يد ابن دريد وهو (الجمهرة) ، في حين كانت الموضوعات والظواهر تناج القرن الثاني وأوائل الثالث مستمرة الى اليوم . ف (اللبن واللبن) وهو اسم لأكثر من كتاب لجماعة من العلماء في عصر واحد أو عصور متقاربة لا تتعدى حدود القرنين الثاني والثالث ، كل كتاب يجمع ما سمع مؤلفه أو ما وقع عليه عن طريق النقل أو الرواية مما قيل في اللبن واللبن من ألفاظ تناول أطوار اللبن منذ حلبه ، والتطورات التي تطرأ عليه حتى يصبح حامضاً ، وما جاء في هذا كله من اللغات واللهجات المختلفة لقبائل العرب . ويقرب منه ما كتب في موضوع (النخل والكرم) و (الرحل والمنزل) و (النبت والشجر) و (الدارات) وغيرها (٢٢) .

ومن أمثلة هذا النوع كتب ابن السكيت في النبات والاصوات والقلب والابدال ، وكتب أبي حاتم السجستاني في الأزمنة والحشرات والطيور والأضداد وكتاب أبي حنيفة الدينوري في الانواء والنبات ، وكتب الأصمعي في الأضداد والسلاح والابل والخيول ، وكتب أبي زيد في المطر واللبن واللبن والفرائز والجرائم ، وكتاب الأضداد لابن الأنباري ، وشرح غريب الحديث للجزري ، وعدوا من هذا النوع كذلك : المعجمات الفلسفية والعلمية وما إليها ، ككتشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ،

(٢٢). أثر القرآن في تطور النقد العربي ص ١٥٩ .

والتعريفات للجرجاني ، والكليات لأبي البقاء ، وغيرها (٢٣) . ومن الكتب الحديثة في هذا النوع كتاب (سر الليال في القلب والابدال) لأحمد فارس الشدياق ، و (الكأس المروق على الدورق في الأضداد) لأحمد الحلواني الخليجي ، و (معجم المصطلحات الطبية) و (معجم أسماء الأشياء) و (معجم الملابس) وسوى ذلك كثير مما تضعه المجامع العلمية أو أيدي العلماء والباحثين .

قائمة كتب الأضداد

نخلص مما سبق الى أن مؤلفات الأضداد تندرج تحت النوع الاخير من المصنفات اللغوية وهو النوع المعني بدراسة الظواهر اللغوية وجمع مفرداتها وشرح معانيها ، في جملة ما عني به . والاضداد من الظواهر المحظية بدراسات وكتب كثيرة فيما لو قورنت بسواها من الظواهر كالابدال والقلب والنحت والاشتقاق وما الى ذلك . وقد عثرنا في كتب التراجم والمظان القديمة والفهارس على ذكر لواحد وثلاثين كتابا في الاضداد لم يصل أكثرها والظاهر أنه مفقود فيما فقد من تراثنا الضخم خلال العصور . ولم ير النور منها سوى ثمانية من الكتب القديمة (٢٤) ، عدا أربعة أو خمسة من الكتب الحديثة أو المتأخرة المحفوظة في مخازن المخطوطات بعضها مجهول المؤلف . ونحن اذ ندرج قائمة بأسماء مؤلفي الاضداد مرتبة حسب تواريخ وفياتهم ، نذكر بعد كل منهم المظان التي أشارت الى كتابه ، منوهين في الهامش الى المطبوع منها :

١ - أبو علي محمد بن المستير قطرب اتوفى عام ٢٠٦هـ (٢٥) .

(٢٣) علم اللغة (وافي) ص ٧٠ .

(٢٤) فات مؤلف (ابن السكيت اللغوي) ص ٢٤٢ كتابا قطرب وأبي الطيب فيما عده من كتب الأضداد التي وصلت ونشرت ، عدا التي لم تنشر من الكتب المتأخرة .

(٢٥) نشره محققا المستشرق هانس كوفلر في العدد الثالث من المجلد الخامس من مجلة (اسلاميكا) ١٩٣١م التي تصدر بالالمانية .

ذكره : الفهرست ٧٨ ونزهة الالباء ٦١ وانباء الرواة ٢٢٠/٣ ووفيات
الاعيان ٤٣٩/٣ ومعجم الادباء ٥٣/١٩ والوافي بالوفيات ١٩/٥ والمزهر
٣٩٧/١ وبغية الوعاة ١٠٤ وشمذرات الذهب ١٦/٢ وكشف الظنون
١١٥/١ وتاريخ بروكلمان ١٤٠/٢ وتاريخ آداب اللغة العربية ١٢٥/٢
والاعلام ٣١٥/٧ .

٢ - يحيى بن زياد الفراء المتوفى عام ٢٠٧ هـ .

ذكره : أزداد ابن الدهان ٩١ (لم يصل) .

٣ - أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى عام ٢١٠ هـ .

ذكره : الفهرست ٨٠ وانباء الرواة ٢٨٦/٣ ووفيات الاعيان ٣٢٦/٤
ومعجم الادباء ١٦١/١٩ وهدية العارفين ٤٦٦/٢ وايضاح المكنون ٩٤/١
(لم يصل) .

٤ - عبد الملك بن قريب الأصمعي المتوفى عام ٢١٦ هـ (٢٦) .

ذكره : الفهرست ٨٢ وانباء الرواة ٢٠٣/٢ ووفيات الاعيان ٣٤٩/٢
وبغية الوعاة ٣١٣ وخزانة الأدب ٥٣٠/٤ وكشف الظنون ١١٥/١ وهدية
العارفين ٦٢٣/١ ومعجم المطبوعات ٤٥٧ وتاريخ بروكلمان ١٤٩/٢ والاعلام
٣٠٨/٤ .

٥ - أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى عام ٢٢٤ هـ .

ذكره : المزهر ٥٨١/١ ، ٢٤٩/٢ وتاريخ بروكلمان ١٥٨/٢
(لم يصل) .

٦ - أبو محمد عبدالله بن محمد التوزي المتوفى عام ٢٣٣ هـ .

ذكره : الكامل ٢٥٥/١ ، ٢٢٨/٣ وفهرسة ابن خير ٣٨٤ وانباء

(٢٦) نشره محققا المستشرق الدكتور أوغست هفتر ضمن (ثلاثة كتب في
الاضداد) بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت عام ١٩١٣ م .

الرواة ١٢٦/٢ والمزهر ٣٩٧/١ وبغية الوعاة ٢٩٠ وهدية العارفين
٤٤٠/١ وتاريخ بروكلمان ١٦٢/٢ وإيضاح المكنون ٩٤/١ ومعجم
المؤلفين ١٤٣/٦ (لم يصل) .

٧ - أبو يوسف يعقوب بن السكيت المتوفى عام ٢٤٤هـ (٢٧) .

ذكره : الفهرست ١٠٨ وفهرسة ابن خير ٣٨٢ ووفيات الأعيان
٣٤٣/٥ ومعجم الأدباء ٥٢/٢٠ وخزانة الادب ١١/١ ، ١٤٧/٢ ،
٥٣٠/٢ ، ٧٦/٤ ، ٢٠٠/٤ والذريعة ٢١٤/٢ وهدية العارفين ٥٣٦/٢
وإيضاح المكنون ٩٤/١ وتاريخ بروكلمان ٢٠٥/٢ ومعجم المطبوعات
١٢٠ .

٨ - أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى عام ٢٤٨هـ (٢٨) .

ذكره : الفهرست ٨٧ وانباء الرواة ٦٢/٢ ووفيات الاعيان ١٥٠/٢
ولسان العرب ١٣٦/٧ وكشف الظنون ١١٥/١ وهدية العارفين ٤١١/١
وتاريخ بروكلمان ١٦٠/٢ ومعجم المطبوعات ١٠٠٩ والاعلام ٢١٠/٣ .

٩ - عبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦هـ .

ذكره : مجلة الاقلام السنة الاولى ٩٨/٤ (وهم)

١٠ - عبيد (أو عسل) بن ذكوان المتوفى ؟ عاصر المبرّد .

ذكره : الفهرست ٨٩ وإيضاح المكنون ٩٤/١ (لم يصل)

١١ - أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب المتوفى عام ٢٩١هـ .

ذكره : أزداد ابن الدهان ٩١ وفهرسة ابن خير ٣٨١ (لم يصل) .

١٢ - أبو بكر محمد بن القاسم الانباري المتوفى عام ٣٢٨هـ (٢٩) .

(٢٧) ينظر الهامش السابق .

(٢٨) نشره محققا المستشرق الدكتور اوغست هفتر ضمن (ثلاثة كتب

في الأضداد) بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت عام ١٩١٣م .

(٢٩) نشره محققا المستشرق هوتسما في لندن سنة ١٨٨١م ، والشيخ

محمد بن عبدالقادر سعيد الرافي بمشاركة الشيخ أحمد الشنقيطي

في المطبعة الحسينية بمصر سنة ١٣٢٥هـ ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم في

الكويت سنة ١٩٦٠م .

ذكره : الفهرست ١١٢ وانباء الرواة ٢٠٤/٣ ووفيات الاعيان
٤٦٤/٣ ومعجم الادباء ٣١٢/١٨ والوافي بالوفيات ٣٤٤/٤ والمزهر ٣٩٧/١
وبغية الوعاة ٩١ وخزانة الادب ٣٥٦/٣ ، ٧٦/٤ وكشف الظنون ١١٥/١
وتاريخ بروكلمان ٢١٥/٢ وتاريخ آداب اللغة العربية ١٨٢/٢ ومعجم
المطبوعات ٤١ والأعلام ٢٢٧/٧ .

١٣ - عبدالله بن جعفر بن درستويه المتوفى عام ٣٤٧ هـ .
ذكره : تصحيح الفصيح ٨ ب ، ٢٥٦ آ والفهرست ٩٤ وانباء الرواة
١١٤/٢ والمزهر ٣٩٦/١ وكشف الظنون ١١٥/١ وهدية العارفين
٤٤٦/١ (لم يصل) .

١٤ - أبو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي المتوفى عام ٣٥١ هـ (٣٠) .
ذكره : خزانة الأدب ١١/١ ، ٧٦/٤ وتاج العروس ٧/١ ،
٤٧٣/١٠ وتاريخ بروكلمان ٢٤٣/٢ والأعلام ٣٢٥/٤ .
١٥ - الحسن بن بشر الآمدي المتوفى عام ٣٧٠ هـ .

ذكره : معجم الادباء ٨/٨٦ وانباء الرواة ٢٨٧/١ وبغية الوعاة ٢١٨
وهدية العارفين ٢٧١/١ وروضات الجنات ٣/٧٥ (لم يصل) .
١٦ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي المتوفى عام
٣٩٥ هـ .

ذكره : الصاحبى ٦٧ (لم يصل) .
١٧ - أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي المتوفى
عام ٤٣٠ هـ .

ذكره : مجلة الأعلام السنة الأولى ٩٨/٤ (وهم) .

(٣٠) نشره محققا في مجلدين الدكتور عزة حسن بدمشق سنة ١٩٦٣ م .

١٨ - سعيد بن المبارك بن الدهان المتوفى عام ٥٦٩هـ (٣١) .

ذكره : معجم الادباء ٢٢١/١١ ووفيات الاعيان ١٢٤/٢ ونكت
الهميان ١٥٨ والمزهر ٣٩٧/١ وبغية الوعاة ٢٥٦ وكشف الظنون ١١٥/١
وهدية العارفين ٣٩١/١ .

١٩ - أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري المتوفى عام ٥٧٧هـ .

ذكره : الوافي بالوفيات ١٧١/٢ والمزهر ٣٩٧/١ وبغية الوعاة
٣٠١ (لم يصل) .

٢٠ - أبو الفضائل الحسن بن محمد الصفاني المتوفى عام ٦٥٠هـ (٣٢) .

ذكره : تاريخ ثغر عدن ٥٤/٢ والمزهر ٣٩٧/١ وبغية الوعاة ٢٢٧
والجواهر المضية ٢٠٢/١ وفروق اللغات ١٩٠ وكشف الظنون ١١٥/١
وروضات الجنات ٩٤/٣ وتاريخ آداب اللغة العربية ٥٠/٣ والأعلام
٢٣٢/٢ .

٢١ - عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم العتائقي المتوفى عام ٧٩٠هـ .

ذكره : الذريعة ٢١٤/٢ (لم يصل)

٢٢ - محمد بن أحمد بن شرف الدين المدني المتوفى عام ٩٠٤هـ (٣٣) .

ذكره : مجلة اللسان العربي ١٠٥/٩ .

٢٣ - تقي الدين عبد القادر التميمي المصري المتوفى عام ١٠٠٥هـ (٣٤) .

(٣١) نشره محققا الشيخ محمد حسن آل ياسين ضمن المجموعة الاولى من
(نفائس المخطوطات) في النجف ١٩٥٢م . وأعاد طبعه في بغداد
١٩٦٣م .

(٣٢) نشره محققا اوغست هفتر ضمن (ثلاثة كتب في الاضداد) على
شكل (ذيل) بيروت ١٩١٣م .

(٣٣) مخطوط بمكتبة السليمانية بالاستانة رقمه (١٠٤١) .

(٣٤) وهو مختصر كتاب الاضداد لابن الانباري .

ذكره : كشف الظنون ١١٥/١ ومعجم المؤلفين ٢٨٥/٥ (لم يصل) ..

٢٤ - ملا حسن بن تقي الدين عبدالقادر التميمي المصري المتوفى عام ؟ (٣٥) .

ذكره : كشف الظنون ١١٥/١ (لم يصل) .

٢٥ - عبدالهادي نجا بن رضوان نجا المصري الابياري المتوفى عام ١٣٠٥هـ (٣٦) .

ذكره : تاريخ آداب اللغة العربية ٢٢٧/٤ ومعجم المطبوعات العربية ٣٦١ ومعجم المؤلفين ٢٠٣/٦ وفهرس دار الكتب المصرية ٧/٧ .

٢٦ - عبدالهادي الابياري (السابق) (٣٧) .

ذكره : مجلة اللسان العربي ١٠٥/٩ (لم يصل) .

٢٧ - أحمد بن أحمد بن اسماعيل الحلواني الخليجي المتوفى عام ١٣٠٨هـ (٣٨) .

ذكره : فهرس دار الكتب المصرية ١٢/٧ وفهرس المخطوطات الصورة ٣٦٤/١ .

٢٨ - محمد بن سليمان بن محمد التنكابي المتوفى قبل عام ١٣٢٠هـ ..

ذكره : الذريعة ٢١٤/٢ (لم يصل) .

٢٩ - عبدالله بن محمد المتوفى عام ؟ (٣٩) .

ذكره : مجلة اللسان العربي ١٠٥/٩ .

(٣٥) وهو ترتيب المختصر السابق على حروف الهجاء .

(٣٦) مصور بدار الكتب المصرية رقمه ٨٤٤ لغة ، باسم (دورق الأنداد في أسماء الاضداد) .

(٣٧) كتاب ثان باسم (الروفق على الدورق) وهو شرح كتابه السابق .

(٣٨) مصور بدار الكتب المصرية رقمه ٨٤٤ لغة ، باسم (الكأس المروق على الدورق) وهو شرح لكتاب دورق الانداد للابياري .

(٣٩) مخطوط بدار الكتب المصرية رقمه ٢٤١ مجاميع ، باسم (رسالة في ذكر بعض الالفاظ المستعملة في الضدين الموجودة في القاموس) .

٣٠ - مؤلف مجهول (٤٠) •

ذكره : مجلة اللسان العربي ١٠٥/٩ •

٣١ - مؤلف مجهول (٤١) •

ذكره : مجلة المورد ١٥٧/١ (وهم) •

هذا ما استطعنا الوقوف عليه من الكتب المصنفة في الأضداد ، جاهدين أن يكون استقراؤنا شاملا لكل ما أُلّف في هذا الموضوع قديما وحديثا • وترتيبنا هذه الكتب حسب وفيات مؤلفيها كفانا مغبة الحيرة التي تحدث من جراء ذلك ، لأننا لا نستطيع بحال أن نحدد زمن تأليف الكتاب في حياة المؤلف ليكون الترتيب حينئذ أقرب الى الدقة وألصق بالصواب ، وما دمننا لا نقدر على ذلك لجأنا - وهذا ما يحدث غالبا - الى ترتيبنا الذي رتبناه بالرغم من مساوئه ، ففي الوقت الذي ندعي أن قطربا أول من أُلّف في الأضداد نظرا الى أولية وفاته بالقياس للآخرين ، فقد نكون مخطئين في هذا الزعم حين يكون المؤلف الذي توفي بعده قد سبقه الى التأليف في الأضداد اذا كانا قد تعاصرا في طور من حياتهما • ومع ذلك فقد لقيت هذه الطريقة في التسلسل الزمني قبولا لدى الباحثين القدماء والمحدثين •

وأشرنا في هذه القائمة الى المطبوع منها والمفقود والمخطوط والذي حصل وهم في ذكره ، فأما المطبوع فنحن دارسوه في قابل الصفحات مع ما وصل إلينا من آراء مؤلفي الكتب المفقودة القديمة التي حفلت بها كتب الأضداد التي وصلت وكتب اللغة ومؤلفاتهم الاخرى ، لتكون آراء كل منهم هي نواة كتابه الضائع ومنها نستطيع الوقوف على منهجه وفهمه وطريقته

(٤٠) مخطوط بدار الكتب المصرية رقمه ٣٢٩ لغة ، باسم (منه الرقاد

في ذكر جملة من الأضداد) •

(٤١) مخطوط في مكتبة جستر بيتي في دبلن رقمه ٣١٦٥ مجموعة ، باسم

(أضداد آي القرآن) •

في معالجة الأضداد • وأما الكتب المخطوطة فكلها متأخرة وحديثة ولا نستطيع أن تبيّن تطور الدراسة فيها لجهلنا بمؤلفيها ومكاتهم العلمية ودورهم في الدرس اللغوي الا القليل النادر منهم الذي لا يعدو كتابا أو كتابين ، ككتاب الشيخ محمد المدني المخطوط في الاسانة الذي لم نوفق في الحصول على صورة منه لصعوبة المهمة ، وكتابي اليباري والخليجي في القاهرة ، الذين لم نوفق أيضا في الحصول على صورتيهما لوجود بعض العقبات في التنسيق بين دار الكتب ومعهد المخطوطات ، لذا فلا نعرض لأكثر من ذكر ترجمة مختصرة لمن استطعنا أن نحصل له على ترجمة في بعض المراجع الحديثة • تبقى الكتب التي حصل الوهم في ذكرها ، وهي كتابا ابن قتيبة والثعالبي وكتاب أضداد آي القرآن المجهول المؤلف • فنسعرض لها أثناء الحديث عن كتب الاضداد ونبين وجه الوهم فيها •

رواية الاضداد

عندما شافه اللغويون الأوائل أغراب البادية ، وسمعوا منهم لغتهم ولهجاتهم وأساليبهم ، عادوا يروون لتلاميذهم في الأمصار ما سمعوا ، وربما كانوا قد دونوا أشياء كثيرة من ذلك (٤٢) • لذا كان اللغويون الأوائل هم الرواد الحقيقيون للغة وحفظتها الأمانة ، فاذا سمعوا لفظا غريبا سألوا الناطق عن معناه ، واذا لفت انتباههم استعمال خاص حفظوه أو دوّنوه ، واذا استغربوا من استعمال العرب كلمة تنصرف الى المعنى وضده حفظوا ذلك ليرووه دهشين متعجبين ، كما فعل الخليل مثلا حين نقل في العين غرابته لضدية (الشعب) التي تعني الجمع والتفريق في آن واحد (٤٣) ، وهكذا سائر ما يطفح به بحر اللغة الزاخر • حتى اذا سمع التلاميذ من

(٤٢) ينظر : رواية اللغة للشلقاني ص ٣٣٣ - ٣٤٠ وعبقري من البصرة ص ٥٨ - ٥٩ .

(٤٣) العين ص ٣٠٦ .

هؤلاء الاساتذة الرواة ، راحوا ينقلون ما سمعوا ويدوتون ويحاولون زيادة
معلوماتهم في كل باب من أبواب اللغة ، فاذا عنّ لأحدهم أن يضع كتاباً في
باب من هذه الأبواب فعل ذلك مضيفاً من عنده أشياء ربما كانت صحيحة
وربما كانت مصطنعة للمكاثرة والافتخار ، الجدوى منها بيان القدرة
والحافضة الواسعة والاستيعاب . لهذا كانت الرواية في أول الامر مقتصرة
على ألفاظ قليلة في كل موضوع لا تعدو الشوارد والنوادر وبعض الغريب ،
وهو ما حفلت به كتب الامالي والنوادر الاولى ، التي رأينا مثلها عند أبي
زيد واليزيدي وابن الاعرابي وغيرهم ، وفي أثنائها التقاطات من هنا وهناك
من أفواه الاعراب منقولة عنهم مشافهة أو عمّن سمعها منهم وشافههم كأبي
عمرو بن العلاء والاموي وأبي عمرو الشيباني وأبي زياد الكلابي
وآخرين . ثم طوّرت رغبة بعضهم هذا النمط من جمع اللغة الى كتب
مستقلة في باب واحد من أبواب الألفاظ المروية - كما مرّ في استعراضنا
لتاريخ التصنيف في اللغة - كالذي حصل في ألفاظ الاضداد التي رويت
طائفة منها على لسان أبي عمرو بن العلاء والخليل وأبي زيد الانصاري
وسواهم من أوائل الرواة اللغويين . فظهرت كتب الاضداد تتوالى واحداً
بعد واحد منذ أواخر القرن الثاني في حياة قطرب الى القرون المتأخرة ،
وكلها معنيّ بجمع هذه الألفاظ وشرحها مروية عن نقلها أو رواها
أو سمعها ، مع ملاحظة أن التالي الذي يتصدّى للتأليف في هذا الميدان
لا بد له من أن يأتي بجديد لم يكن في كتاب سابق ، سواء كان هذا الجديد
في عدد الألفاظ التي وصل عديدها عند بعضهم مئات بعد أن لم تكن سوى
بضع مفردات أيام الخليل ، أو بتفسير جديد أو شاهد جديد ، أو أن المنهج الذي
يلتزمه المؤلف يفرض أشياء آخر ، لهذا كان بعض هذه الكتب بمثل هذه
الضخامة والسعة ، لحاظاً لاحدى تلك العوامل أو جميعها معا .

انهم ان رواية الأضداد ظلت مستمرة ، وهي ان لم تكن رواية ألفاظ

فرواية كتاب كامل في الأضداد ، يقرؤه التلميذ على الأستاذ ويرويه ، ومن أقرب الأمثلة الى ذلك ما فعله ابن خير الاشيلي في فهرسته الذي سجل فيه الكتب التي رواها عن أساتذته وشيوخه ذاكرًا أسانيدًا وسلسلتها ، ومنها كتب الأضداد . فهو يروي كتاب (الأضداد) ثعلب عن شيخه أبي عبدالله محمد بن سليمان النفري عن خاله الأديب أبي محمد غانم بن وليد المخزومي عن أبي بكر عبادة بن ماء السماء عن أبي بكر الزبيدي عن أبي علي البغدادي عن أبي عمر عبدالواحد المطرز عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب^(٤٤) ، وهكذا بالنسبة لأضداد ابن السكيت^(٤٥) ، وأضداد التوزي^(٤٦) ، وهذه الطريقة كانت متبعة في الرواية في تلك الحقبة من الزمن على صعيد واسع .

ولو لاحظنا قائمة مؤلفي الأضداد لوجدنا أن كثيرا من الذين رووا لنا ألفاظ الأضداد في مصنفاتهم وكتبهم أو الذين ألفوا كتب خاصة فيها ، قد ورثوها عن أساتذتهم وأورثوها لتلاميذهم ، فالقرءاء الذي ورث شذورا من ألفاظ الأضداد عن استاذة الكسائي فوضع كتابه في (الأضداد) ، قد أورث تلاميذه وتلاميذهم أمثال ثعلب وابن السكيت وأبا عبيد القاسم ابن سلام الرغبة في وضع كتبهم في الأضداد ، التي وصلنا بعضها وضاع الآخر ، والأصمعي كذلك روى عن أبي عمرو بن العلاء شواردا من ألفاظ الأضداد في كتابه ، ثم يؤلف تلميذه التوزي كتابا في الأضداد أيضا ، فيؤلف عبيد بن ذكوان تلميذ التوزي كتابا في الموضوع نفسه كذلك^(٤٧) ، وربما تكون هناك طفرة بين المؤلف والمؤلف ، حين يكون بينهما راو

(٤٤) فهرسة ابن خير ص ٣٨١ .

(٤٥) المصدر نفسه ص ٣٨٢ .

(٤٦) المصدر نفسه ص ٣٨٤ .

(٤٧) على خلاف في ذلك سنعرض له عند ترجمة عبيد هذا .

يروى عن الاول شفاهها ليضع تلميذه الكتاب المدون . كما هو الأمر بالنسبة
لثعلب فقد روى عنه أبو عمر الزاهد ولم يؤلف ولكن أبا الطيب اللغوي
تلميذ أبي عمر ألف في الأضداد ، وروى عن ثعلب أيضاً أبو موسى الحامض
ولم يؤلف ولكن الحسن بن بشر الأمدي تلميذ الحامض ألف في
الأضداد ، وروى عن ثعلب كذلك أبو بكر أحمد بن الحسن الخطيب
المعروف براوية ثعلب ولكنه لم يؤلف ليدع الأمر لتلميذه أحمد بن
فارس ، وهكذا سائر المؤلفين الذين ان لم يكن من بين أساتذتهم من تصدّى
لوضع كتاب في الأضداد ، فهم واجدوه عند أساتذة أساتذتهم أو من هم
أبعد من ذلك ، كالذي حصل لأبي البركات الانباري الذي أخذ عن ابن
الشجري وهذا عن ابن طباطبا العلوي وهذا عن علي بن عيسى الربيعي
وهذا عن أبي علي الفارسي وهذا عن ابن السراج الذي يلتقي عنده أخذ
آخر ، اذ هو استاذ علي بن عيسى الرماني الذي أخذ عنه ابن الدهان
أحد مؤلفي الأضداد .

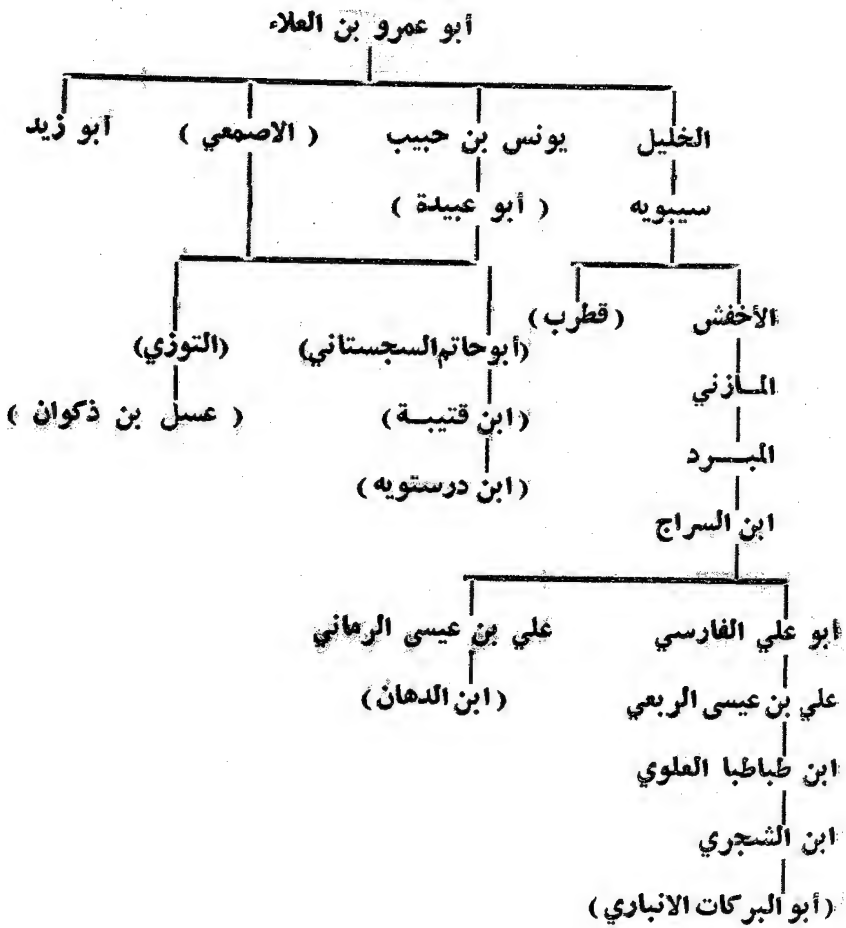
وربما تحسنا شيئاً مهماً في دراسة الرواية هذه ، هو بروز ملامح
مدرسية قد تكون في بعض جوانبها واضحة جلية ، ذلك أننا نعرف أن
منهج الدرس اللغوي بصورة عامة مختلف بين البصريين والكوفيين ،
وأجلى ما يكون هذا الاختلاف في النحو ، ولا حاجة بنا الى ذكر هذا الامر
فهو معروف لدى دارسيه ، الا أن الذي نريده هنا هو وضوح الاختلاف
المنهجي في اللغة والتأليف في مفرداتها ومعانيها ، اذ من المعروف أن الكوفيين
أهل رواية ونقل يعتمدون الشاهد اعتماداً كبيراً ، ويأخذون باللهجات
أخذاً واسعاً ويحترمون النص ، وليس من دأبهم في الدرس أن يتسخطوا
أو يتفلسفوا ، في حين كان البصريون على عكس هذا ، فعنايتهم بالشواهد
أقل ، وربما قاسوا فلا يحتاجون الى الشاهد ، كما أن احترامهم للنقل
والرواية ليس كما يفعل الكوفيون ، ومن هنا كانت كتب الكوفيين في

الأضداد كبيرة واسعة لما حفلت به من شواهد قرآنية وشعرية ونثرية كثيرة ، ولما عنت به من رواية واسعة واهتمام باللهجات وذكر القليل والنادر . ولتوسعها في الجمع والاستقصاء وما الى ذلك ككتابي ابن الانباري وأبي الطيب اللغوي مثلاً ، فالأول درس على ثعلب مباشرة ، والثاني على أبي عمر الزاهد تلميذ ثعلب ، وبالمقابل نجد كتب البصريين مختصرة قليلة الشواهد غير معنية باللهجات العرب بقدر عنايتها بتسجيل اللفظ والنص على معنيه المتضادين من غير توسع ولا استقصاء ، من مثل كتب قطرب والأصمعي وأبي حاتم . ورب من يقول ان هؤلاء الذين ذكرتهم على أنهم يمثلون المنهج البصري في تأليفهم في الأضداد ما هم الا رواد هذا الميدان والبادئون في شوطه ، فلا بد أن تكون الريادة والبداية أضيق مما أصبح عليه الحال أيام ابن الانباري وأبي الطيب . وهذا صحيح لو لم يكن هذا المنهج البصري ممتداً الى ما بعد ابن الانباري وأبي الطيب ، فهو حيثئذ منهج تفرضه طبيعة الدراسة العقلية المبينة على القياس المتبعة عن النقل والرواية والاهتمام باللهجات ، قلت انه منهج ممتد ، فهذا ابن الدهان في القرن السادس لا يسجل في أضداده سوى الالفاظ وما يقابلها من معان متضادة ، من غير تعليق او شاهد أو رواية محيلاً ذلك الى كتب « الكبار من العلماء » أمثال الفراء وثعلب وابن الانباري وغيرهم ، وابن الدهان بصرى الدرس والتعليم فهو تلميذ علي بن عيسى الرماني وهذا تلميذ ابن السراج الذي درس على المبرد شيخ البصريين في زمانه .

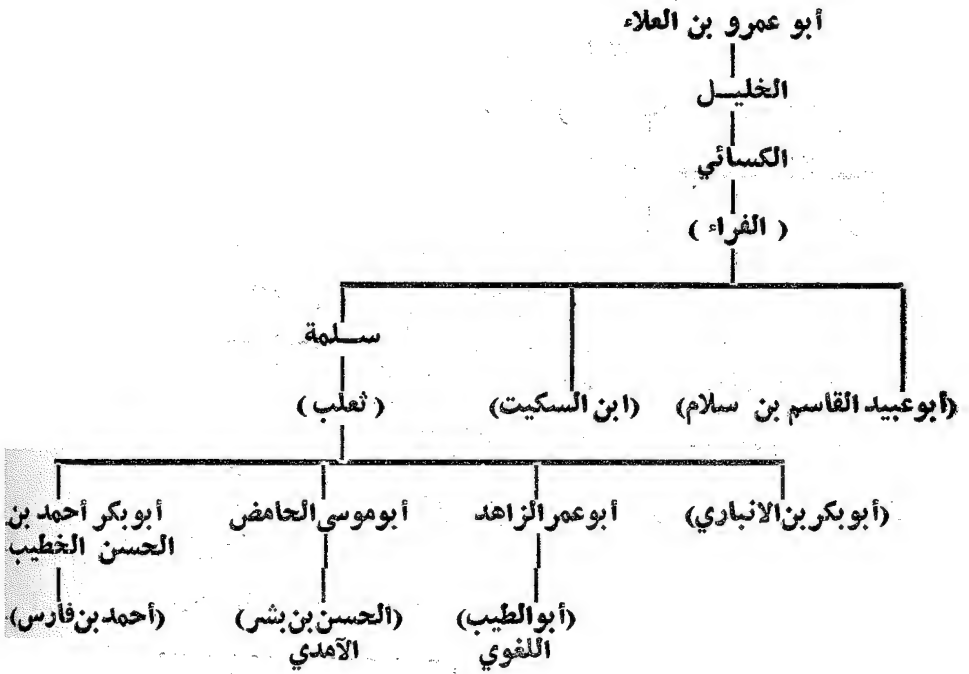
ولتوضيح ما ذهبنا اليه في هذه الدراسة صنعنا شجرة للرواية البصرية للأضداد واخرى للرواية الكوفية ، وثالثة جمعنا بها الروايتين لتبين بها رواية الأضداد بشكل عام . ونرجيء التعليق على الكتب وبيان الملاحظات الخاصة بالتصنيف والتبويب والعمل والمنهج الى مكانه من كل كتاب ، ولا يفوتني أن أذكر أنني لم أستطع أن أجد سبباً في شجرة الرواية

وصلت بها لاثنتين من مؤلفي الاضداد القدماء هما الثعالبي^(٤٨) والصنّاني .
بعد الاول عن مواطن الدرس اللغوي وحواضره واقامته في بلاد فارس ،
ولعدم معرفتنا انه أخذ عن غير أبي بكر الخوارزمي . وبعد زمان
الصنّاني عن رواة الاضداد وأساتذة اللغة فقد توفي سنة ٦٥٠ هـ ، ولجهلنا
بأحوال استاذيه المرغيناني وأبي الفرج الحصري .

(٤٨) على ان لنا رأيا في الكتاب الذي نسب اليه في الاضداد سنذكره في
الحديث عنه .

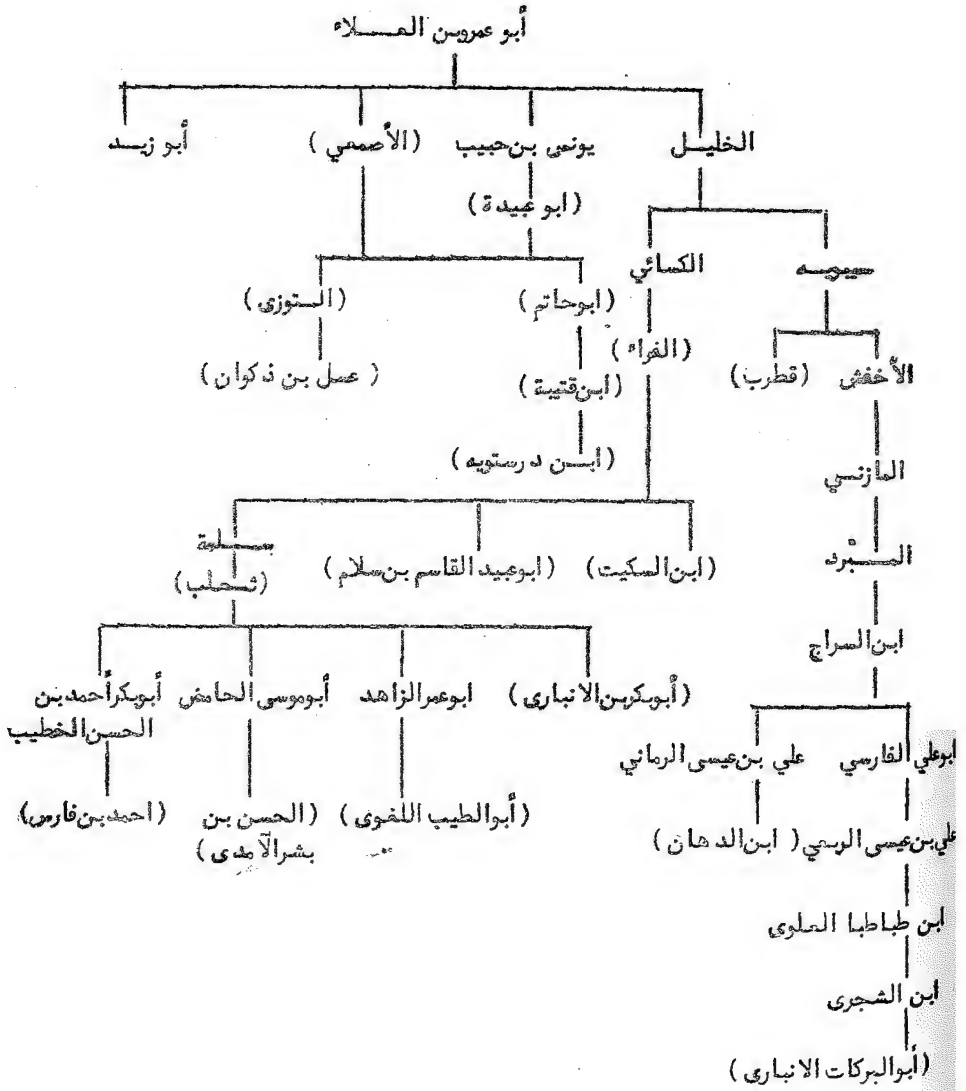


« شجرة الرواية البصرية للأضداد ، وقد وضعنا مؤلفي كتب الأضداد منها
بين قوسين للتوضيح » •



« شجرة الرواية الكوفية للأضداد ، وقد وضعنا مؤلفي كتب الأضداد

منها بين قوسين للتوضيح »



« شجرة رواية الأضداد العامة ؛ وقد وضعنا أسماء مؤلفي كتب

الأضداد بين قوسين للتوضيح » •

الفصل الثاني

دراسة كتب الأُضداد

كتاب قطرب

المؤلف هو أبو علي محمد بن المستير البصري المعروف بقطرب (١)، من علماء اللغة والنحو ، أخذ عن عيسى بن عمر والخليل ويونس بن حبيب وسيبويه وجماعة من البصريين ، وسيبويه هو الذي لقبه بقطرب لمباكرته له في الأسحار ، قال له يوما : ما أنت الا قطرب ليل . ولد بالبصرة وكان مولى لسالم بن زياد فيها ، وعندما قدم بغداد نصبه الرشيد مؤدبا لابنه الأمين ، ثم لما أبعد الرشيد نصبه أبو دلف العجلي صاحب الكرخ مؤدبا لأولاده . ، وسمع منه في بغداد أشياء من مؤلفاته وتصانيفه ، وروى عنه محمد بن الجهم السمرى . وقد اتهمه في روايته عن العرب أبو زيد وابن السكيت وعلب وأبو عمر الزاهد والزجاج ونهج نهجهم الأزهري في التهذيب ، في حين وثق روايته القفطي في الانباء ، والظاهر أنهم لاحظوا مذهبه الديني وما يمكن أن يفرضه عليهم من حسن الظن وسوءه .

هو أول من وضع المثلث في اللغة ، وكتابته على صفه له فضيلة سبق كما يقول ابن خلكان ، وهو كذلك أول من ألف في الأضداد على ما يظهر ، وله غير هذين الكتابين - المثلثات والأضداد - كتب كثيرة منها : النوادر ، الصفات ، الأصوات ، الهمز ، خلق الانسان ، خلق الفرس ، اعراب القرآن ، مجاز القرآن ، وغير هذا مما حفلت بذكره المصادر

(١) تراجع ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ٣٨ وطبقات النحويين واللغويين ١٠٦ ومراتب النحويين ٦٧ وتهذيب اللغة ١ / ٣٠ والفهرست ٧٨ ونزهة الالباء ٦٠ وانباء الرواة ٢١٩/٣ وتاريخ بغداد ٢٩٨/٣ ووفيات الاعيان ٤٣٩/٣ ونور القبس ١٧٤ ومعجم الادباء ٥٢/١٩ والوافي بالوفيات ١٩/٥ والنجوم الزاهرة ١٨١/٢ والمزهر ٤٠٥/٢ وبغية الوعاة ١٠٤ وشذرات الذهب ١٥/٢ وتاريخ بروكلمان ١٣٩/٢ والكنى واللقاب ٦٠/٣ وتاريخ آداب اللغة العربية ٢ / ١٢٥ والأعلام ٧ / ٣١٥ والمدارس النحوية ١٠٨ .

والفهارس القديمة ، توفي سنة ست ومائتين هجرية •

أما كتابه (الأضداد) المنشور في مجلة اسلاميكا ^(٢) ، فقد ترجمه المحقق هانس كوفلر في المجلد نفسه وعلق عليه ودرسه (ص ٣٨٥ - ٤٦١) باللغة الالمانية • وسألتزم عند ارجاعي الى نص في الكتاب أن أذكر الصفحة التي هو عليها من المجلة تسيرا للرجوع اليه •

يبدأ قطرب كتابه بمقدمة قصيرة يقسم فيها كلام العرب على ثلاثة اقسام كالذي فعله سيبويه في كتابه ^(٣) ، فالأول اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، والثاني اختلاف اللفظين والمعنى متفق ، والثالث أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، ويضرب لكل واحد من هذه الأقسام الأمثلة من لغة العرب ^(٤) ، ويبتدر الأضداد من النوع الثالث الذي يكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا ^(٥) ، حيث يقول : « ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا في الشيء وضده ، وسنأتي عليه كله ان شاء الله » ^(٦) • ثم يبين سبب العناية بالأضداد والتأليف فيها فيقول : « وإنما خصصناه بالاجابة عنه لقلته في كلامهم ولظرافته » ^(٧) • اذن فالدافع الى التأليف هو الجمع المستقصى لانه قليل في لغة العرب ، ولأن وجوده في لغتهم دليل ظرافة •

وأول ألفاظ الأضداد التي ذكرها (عسى) معتبرا مجيئها يقينا مرة وشكا أخرى ، مستشهدا على المعنى الأول بالقرآن ، وينقل عن ابن عباس أنها في كتاب الله واجبة ، ويدعم ذلك بقول ابن مقبل : ظن بهم

(٢) المجلد الخامس - العدد الثالث ١٩٣١ م •

(٣) كتاب سيبويه ١ / ٧ •

(٤) قطرب ٢٤٣ •

(٥) قطرب ٢٤٣ •

(٦) قطرب ٢٤٤ •

(٧) قطرب ٢٤٤ •

كَعَسَى .. الى آخر البيت (٨) ، ومثل عسى لفظة (الظن) التي قال
 انها تكون شكاً ويقينا بشواهد من القرآن والشعر ، والظاهر أن احترام
 المعنى القرآني الذي يفترض أن يكون هو المقصود في الآية ، هو الذي
 يسوق قطرباً الى تقرير ضدية (الظن) مثلاً في الآية : (ظننتُ أَنِّي
 مُلاقٍ حِسَابِيَّه) ، فيقول : « فهذا يقين ولو كان ذلك شكاً لم يجز في
 المعنى وكان كفراً ولكنه يقين » (٩) ، فتوجيه المعنى بهذه الصورة يفرضه
 شيء آخر غير الدلالة وغير اللغة ، هو الخوف من أن يكون تفسير (الظن)
 بالمعنى المعروف خروج عن مقصود القرآن فيكون كفراً ، في حين يوجد في
 الظن مقدار كبير من اليقين ، وهو المرحلة التي تسبق اليقين مباشرة لأن
 الظن ترجيح ، وان قطرباً وغيره قد فهموا الظن شكاً محضاً ، وهو خلاف
 استعمالات العرب لهذه اللفظة ، فما دام الأمر هكذا فلا بأس أن يستعملها
 القرآن بهذا المعنى وهو يقصد ايمانا قريباً من اليقين في لقاء الحساب . ومثل
 هذا يقال في (عسى) وغيرها من ألفاظ القرآن التي توهّموا ضديتها
 بوحى من المعنى القرآني المفترض .

والأكثر في منهج الكتاب أن يذكر قطرب اللفظة ومعنيها المتضادين
 وما يتفرع عنهما من مشتقات ، حتى يستوفي كل ما يخص هذه اللفظة ثم
 يشرع بذكر الشواهد والأمثلة الخاصة بكل معنى أو كل استعمال . قلت :
 الأكثر هذا ، لانه لم يلتزم به في كل الألفاظ ، فقد يبدأ أحيانا بذكر معان
 غير متضادة ، او معنى تنصرف اليه اللفظة ليس له علاقة بمعنيها المتضادين ،
 ففي (النَّهْيُك) ذكر الى جانب معنيها المتضادين القوة والضعف معنى

(٨) قطرب ٢٤٤ .

(٩) قطرب ٢٤٤ . ونقل كلام قطرب في عسى وظن وآراء العلماء فيها
 في خزانة الادب ٤ / ٧٦ .

ثالثا هو (الشَّجَاع) وتكلم عليه (١٠) ، أو أنه يخلط لفطنتين من ألفاظ الأضداد ببعضهما في الكلام عليهما ، وقد لا يذكر في لفظ الضدّ إلا معنى واحدا كما في (الغَمُوز) وهي الناقة التي لا تدّر حتى يغمز ضرعها ، ولم يذكر لها معنى مضادا (١١) . ومثله في (ظُؤُور) وهي الناقة التي تعطف على ولد غيرها ، ولم يبيّن وجه آخر تنصرف إليه (١٢) ، وهكذا جملة من الألفاظ في كتابه .

وبذكر الألفاظ التي على صيغة (فعول) والتي تنصرف الى الفاعل والمفعول ، وينص في آخرها على أنها للفاعل والمفعول جميعا مثل (الرِّغُوث) وهي الناقة التي يرغثها ولدها فهي مرغثة ، والولد رغوث أيضا فهو راغث لها ، يقول : « فصار رَغُوث للمفعول والفاعل » (١٣) ، ومثلها (ذَعُور) (١٤) ، و (فَجُوع) (١٥) ، وغير ذلك ، ويستمر في ذكر صيغة (فعول) التي هي للفاعل والمفعول حتى يصل الى قوله : « وقد جاؤا بفاعل في معنى مفعول ضدا » (١٦) ، ويذكر من هذا : سرّ كاتِم أي مكتوم ، وأمر عارف أي معروف ، وما أنت بجازم عقل أي محزوم ، وتطليقة بائية أي مبانة ، وعيشة راضية أي مرضية (١٧) ، الى آخر ما ذكر في هذا الباب . ومن العجيب أنه مع اعترافه الضمني أن المسألة لا تعدو أن تكون صورة من صور العوارض التصريفية المحضة ، فهو يعتبر مجموع هذه الألفاظ من الأضداد .

- (١٠) قطرب ٢٥٤
- (١١) قطرب ٢٤٩
- (١٢) قطرب ٢٤٩
- (١٣) قطرب ٢٤٩
- (١٤) قطرب ٢٤٩
- (١٥) قطرب ٢٤٩
- (١٦) قطرب ٢٥٠
- (١٧) قطرب ٢٥٠

وكان منهجه في الاستشهاد مضطربا ، ذلك أنه في مواطن كثيرة لم يستشهد بشيء على كلا المعنيين كما في لفظ (البعل) لما سقت السماء ولما يشرب بعروقه (١٨) ولفظ (البُحْتَر) للقصير والعظيم (١٩) ، أو أنه يستشهد على أحد المعنيين ويترك الآخر بلا استشهاد كما في لفظ (السليم) للسليم والملدوغ ، فلم يستشهد إلا للملدوغ (٢٠) ، وربما كان له الحق في هذا ، فالمعنى الأول هو الشائع الذي تنصرف إليه الكلمة أول الأمر في أذهان الناس ، فلم ير حاجة لتأييد هذا المعنى بالاستشهاد ، ومثل ذلك (الناهل) للراوى والعطشان و (هَجَد) لمن نام وسهر ، وسواها من الألفاظ . إلا أن الكثير في المسألة أن يستشهد على كلا المعنيين وربما كان استشاده على كل منهما بأكثر من شاهد ، وشواهد تنوع بين آيات القرآن الكريم والشعر العربي الجاهلي والإسلامي ، والأمثال والأقوال المأثورة ، والكتاب طافح بكل هذا .

وللتنظيم في كتابه وضوح وظهور ، فقد رتب - كما أشرنا - الألفاظ التي تكون على صيغة (فعول) التي تنصرف للفاعل والمفعول ترتيبا متسلسلا ووضعها في موضع واحد ، وهي تسع وعشرون لفظة ، قال في آخرها : « هذا كله الذى ذكرنا أضداد على فاعل ومفعول » (٢١) ، ومثل هذا رتب الألفاظ التي على صيغة (فاعل) والتي تعني المفعول ، وهي إحدى عشرة لفظة ، وختمها بمثل ختامه السابق . إلا أنه لم يلتزم مثل هذا التنظيم في الألفاظ التي على صيغة (فيعل) التي تنصرف للفاعل والمفعول ، وهي ستة ألفاظ مفرقة في الكتاب وهي : النهيك (٢٢)

- (١٨) قطرب ٢٥٢
- (١٩) قطرب ٢٥٢
- (٢٠) قطرب ٢٤٨
- (٢١) قطرب ٢٥٠
- (٢٢) قطرب ٢٥٤

الْأَمِين (٢٣) ، الْقَرِيم (٢٤) ، الْبَصِير (٢٥) ، الصَّارِيم (٢٦) ، التَّيَّع (٢٧) .

روى قطرب في أصداده عن جماعة من اللغويين الرواة ، منهم من درس عليه وأخذ عنه ، ومنهم من عاصره ولم يأخذ عنه ، هم : يونس بن حبيب ، ذكره في (الزَّجور) (٢٨) ، و (الرَّغوث) (٢٩) ، و (الطَّعوم) (٣٠) . وأبو عمرو بن العلاء ، ذكره في (هَمْد) (٣١) ، و (الْأَسْفَى) (٣٢) . والأصمعي ، ذكره في (عَسَى) (٣٣) ، و (الظَّنن) (٣٤) ، و (عَفَوْتُ) (٣٥) ، و (أَعْبَل) (٣٦) . وأبو عبيدة ، ذكره في (الظَّنن) (٣٧) ، و (عَفَوْتُ) (٣٨) ، و (بَيْضَةُ الْبَلَد) (٣٩) . وأبو عمرو النسياني ، ذكره في (الْعُنُوة) (٤٠) . والكليبي ، ذكره في (فَوْقَهَا) من قوله تعالى : (مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا) (٤١) . ورجع في تفسير بعض

- (٢٣) قطرب ٢٥٥
- (٢٤) قطرب ٢٥٥
- (٢٥) قطرب ٢٥٦
- (٢٦) قطرب ٢٧٣
- (٢٧) قطرب ٢٨٥
- (٢٨) قطرب ٢٤٩
- (٢٩) قطرب ٢٤٩
- (٣٠) قطرب ٢٥٠
- (٣١) قطرب ٢٤٧
- (٣٢) قطرب ٢٧٢
- (٣٣) قطرب ٢٤٤
- (٣٤) قطرب ٢٤٤
- (٣٥) قطرب ٢٦٢
- (٣٦) قطرب ٢٧٠
- (٣٧) قطرب ٢٤٤
- (٣٨) قطرب ٢٦٢
- (٣٩) قطرب ٢٦٥
- (٤٠) قطرب ٢٧٣
- (٤١) قطرب ٢٧١

الآيات الكريمات الى ابن عباس ، من مثل رجوعه اليه في (مثلاً ما بعوضة
فما فوقها) (٤٢) ، و (صُرْهَنْ) (٤٣) ، و (ولكل وجهةً هو
موليها) (٤٤) ، و (عَسَى) ووجوبها في القرآن (٤٥) ، و
(أَسْرَرْتُ) (٤٦) ، و (عَسْعَسَ) (٤٧) وفي أماكن أخرى كثيرة ،
كما ذكر أن قراءة ابن مسعود في (صِرْهَنْ) كسر الصاد (٤٨) . وذكر
من الأعراب الذين استشهد بعربيتهم أباً طفيلة الحرمازى في الكلام على
(ذَعُور) (٤٩) ، وأباً عون الحرمازى في الكلام على (المفرط) (٥٠) ،
والحرمازى نسبة الى حيٍّ من تميم ، وأباً خيرة العدوى في الكلام على
(صُرْهَنْ) (٥١) .

والتفت قطرب الى اللهجات فذكرها مرجعاً اليها في بعض ألفاظ
الاضداد معاني هذه الألفاظ ، كما في (السَّامِد) فهو بلغة طيء الحزين
وبلغة أهل اليمن اللاهية (٥٢) ، و (الجَوْن) في لغة قضاة الأسود وفيما
يليه الأبيض (٥٣) ، و (وَثَبَ) في لغة حمير بمعنى قعد (٥٤) ، وفي
(السَّاهِل) نقل عن هذيل (٥٥) ، و (الْمُعْصَر) في لغة قيس وأسد التي

-
- (٤٢) قطرب ٢٧١
 - (٤٣) قطرب ٢٧١
 - (٤٤) قطرب ٢٧٢
 - (٤٥) قطرب ٢٤٤
 - (٤٦) قطرب ٢٥٢
 - (٤٧) قطرب ٢٦٦
 - (٤٨) قطرب ٢٧١
 - (٤٩) قطرب ٢٤٩
 - (٥٠) قطرب ٢٦٣
 - (٥١) قطرب ٢٧١
 - (٥٢) قطرب ٢٤٥
 - (٥٣) قطرب ٢٥٦
 - (٥٤) قطرب ٢٦٤
 - (٥٥) قطرب ٢٥٣

دنت من الحيض وفي لغة الأزد التي ولدت أو تَصَنَسَتْ (٥٦) ، وذكر اللغات في النطق ، مثل قوله في (خَفَيْتُ) وقد ذكر الشاهد : فان تَكْتُمُوا الداءَ لَانْخَفِه : « ويروي لَانْخَفِه وهي لغة يمانية في نَخَفِه » (٥٧) ، وصار صيورا وهي لغة بني سليم (٥٨) ، ومثلها في (خَفْتُ) (٥٩) ، و (التَّهْيِك) (٦٠) ، و (الحَزَّور) (٦١) . وأشار الى المعرب ونص على ألفاظه ، كما في (هَمَد) (٦٢) ، و (رَكوب) (٦٣) . وغريب بعد ذلك أن نجد قطربا - وقد عرف أن معني اللفظ المتضاد انما هما لهجتان مختلفتان نص هو عليهما ، أو أن أحد المعنيين فارسي معرب - يمد مثل هذه الالفاظ من الأضداد ، والظاهر أن مفهوم الأضداد لم يكن متبلورا عنده ، فهو في الوقت الذي يقدم التفسير العلمي القوي لضدية مثل هذه الألفاظ ، يكون قد اعتبرها من الأضداد . وشيء آخر يدعو للتساؤل ، هو اعتباره (القاسط) مثلا من الأضداد ذاكرة معنى الجور مستشهدا عليه من القرآن والشعر (٦٤) ، في حين وجدناها عنده في المثلثات على أن معنى الجور من (القَسْط) بالقح ، ومعنى العدل من (القِسْط) بالكسر ، فكيف عاد هنا وأضاع هذه الدقة في التفريق بين المعاني .

وقد اشتمل الكتاب من ألفاظ الاضداد على ثمانى عشرة ومائتين ، تكررت منها خمسة ألفاظ هي : زَعُوم ، أَضَبَّ ، بَطَائِن ، ذَقَر ،

-
- (٥٦) قطرب ٢٦٠
 - (٥٧) قطرب ٢٥١
 - (٥٨) قطرب ٢٧١
 - (٥٩) قطرب ٢٥٤
 - (٦٠) قطرب ٢٥٤
 - (٦١) قطرب ٢٧٧
 - (٦٢) قطرب ٢٤٨
 - (٦٣) قطرب ٢٤٨
 - (٦٤) قطرب ٢٥٩

جَوْءٌ • فيكون العدد الحقيقي هو ثلاثة عشر ومائتين ، انفرد قطرب
بثمانية ألفاظ منها لم يشاركه فيها أحد ممن أُلّف في الأضداد بعده ، على
حدّ علمنا بالكتب التي وصلت ، هي : اللّمس (٦٥) ، خلّوج (٦٦) ،
قَرون (٦٧) ، راضية (٦٨) ، نَمَمَت (٦٩) ، خِطْب (٧٠) ،
وَلَسْتُهُ (٧١) ، يُطَاوَر (٧٢) • الثلاثة الاولى من صيغة (فَعول) ،
والرابعة من صيغة (فَاعِل) ، وربما كان هذا هو سبب عدم ذكرها عند
غيره ، وأمّا الاربعة الباقية فلعلّ الشك في صحتها هو الدافع الى اهمالها •
وأخيرا فكتاب قطرب في الأضداد فتح الطريق أمام الذين أَلّفوا في
الأضداد • فكثيرا ما نقلوا عنه وأشاروا اليه وأخذوا مفرداته يضيفون
اليها ويحذفون منها مشاركين تارة ومخالفين اخرى ، الا أنّهم جميعا لم
يمحصّوا ما نقلوه تمحيصا دقيقا فتسرب من جراء ذلك خطأ كنا نريد أن
يتلافى في كتبهم ، من مثل تكرير ابن الانباري لمادة (زَعوم) في أضداده
لتكرير قطرب اياها ، ومن مثل التصحيف في (بَلْ رَدِيه) فصارت
(بَرَدِيه) وعدّت من ألفاظ الأضداد • لكننا نستثني ابن السكيت من
هؤلاء لأنه شك بوثاقه قطرب في نقل اللغة - وكان قد اتهمه فيها كما
مرّ في ترجمته - فطرح أكثر ما نقل قطرب من الاضداد ، ولم يشاركه
منها الا في القليل - اذا ما قورن بمشاركة الآخرين لقطرب - الذي سمعه
من الفراء وابن الاعرابي والأصمعي وغيرهم من أساتذته في اللغة •

(٦٥) قطرب ٢٤٩ •

(٦٦) قطرب ٢٥٠ •

(٦٧) قطرب ٢٥٠ •

(٦٨) قطرب ٢٥٠ •

(٦٩) قطرب ٢٥٢ •

(٧٠) قطرب ٢٦٠ •

(٧١) قطرب ٢٦١ •

(٧٢) قطرب ٢٧٥ •

كتاب الفراء

المؤلف هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الباهلي الفراء^(٧٣) ، ولد بالكوفة سنة أربع وأربعين ومائة ، أخذ عن الكسائي وغيره من علماء الكوفة ، ومن أعراب وثق بهم مثل أبي الجراح وأبي مروان وغيرهما ، فبرع بالنحو واللغة والتفسير . وهو أول من قدّ لدرس تفسير القرآن في مسجد من مساجد بغداد الى جانب منزله ، وكان ينزل بازائه الواقدي ، وكان الناس لرغبتهم بكتابه (معاني القرآن) يشترّون كل خمس أوراق بدرهم من الوراقين .

سُمع منه النحو واللغة فكان امام الكوفيين بهما في زمانه ، أخذ عنه سلمة بن عاصم ومحمد بن الجهم السمرى وغيرهما . أملى كتابه (الحدود) في اصول النحو بطلب من المأمون بعد اتصاله به وتأديبه ولديه . وكان ثعلب يقول عن منهجه في الدراسة انه كان يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة . ولعلّ ذلك كان من أثر اعتزاله في الرأي . له مصنفات كثيرة غير المعاني والحدود والاضداد ، منها : كتاب اللغات ، الجمع والتثنية في القرآن ، الوقف والابتداء ، فعل وأفعل ، المقصور والممدود ، المذكر والمؤنث ، وغيرها كثير . توفي في طريقه الى مكة سنة سبع ومائتين ، عن عمر أمدّه ثلاث وستون سنة .

(٧٣) تراجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ١٤٣ ومراتب النحويين ٨٦ وتهذيب اللغة ١٨/١ والفهرست ٩٨ ونزهة الالباء ٦٥ ونور القبس ٣٠١ ووفيات الاعيان ٢٢٥/٥ والمزهر ٤١٠/٢ وشذرات الذهب ١٩/٢ وتاج العروس ٣٥/١ والعدة في الرجال ١٩٠ وتاريخ بروكلمان ١٩٩/٢ والكنى والألقاب ١٤/٣ وتاريخ آداب اللغة العربية ١١٧/٢ والأعلام ١٧٨/٩ ومدرسة الكوفة ١١٩-١٤٤ والمدارس النحوية ١٩٢ - ٢٢٣ وأبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة للانصارى .

أما كتابه (الاضداد) فلا نملك ذكره له في المصادر والفهارس القديمة ، الا إشارة ابن الدهان في أضداده ، وهي مع ذلك ليست إشارة قوية ، لأنها غير صريحة تماما في تسمية الكتاب أو الاخذ عنه ، خصوصا وان الكتاب من الكتب التي لم تصل ، الا أن الذي سوَّغ لنا الاخذ بإشارة ابن الدهان على انها ذكر لكتاب الاضداد للفراء ، انه لم يذكر مع الفراء الا من كان له كتاب في الاضداد ، حيث يقول : « وأحلّت شواهد ما ذكرته على كتب الكبار من العلماء كالأصمعي والفراء وأبي علي قطرب وابن السكيت وأبي العباس ثعلب وأبي حاتم السجستاني وأبي بكر ابن الانباري ، فمن شك فيما ذكرته فليقصد هذه الكتب فانه يجده فيها ، والعهد له وعليه » (٧٤) ، فكلهم أَلَف في الاضداد ووصلت كتبهم سوى كتاب ثعلب الذي نملك ذكره قويا له في فهرسة ابن خير فلا بد أن يكون - قياسا على هذا - للفراء كتاب في الاضداد ، كان موجودا حتى زمان ابن الدهان استوفى سنة ٥٦٩ . الا أن تساؤلنا عن سبب اغفال الكتب التي ترجمت للفراء وعُنت بمؤلفاته ذكر كتابه في الاضداد يبقى قائما يحتاج الى توضيح . بما في ذلك الترجمات المتأخرة للفراء ، فهذا أحد الباحثين لم يدرج في الفصل الذي عقده لكتب الفراء كتابا في الأضداد له (٧٥) ، ولعله لم يعثر على إشارة ابن الدهان الى ذلك ، كما أن محقق كتاب ابن الدهان لم يكتف بهذه الإشارة ولم يعتبرها ذكرا لكتاب له في الاضداد فقال في الهامش : « ليس له كتاب في الاضداد ، ولكنه يشير الى الكلمات المتضادة في تضاعيف مؤلفاته » (٧٦) ، والظاهر أنه كتاب صغير ، ولصغره ظل متداولاً في أوساط ثقافية ضيقة جنبا الى جنب مع الكتب المعاصرة في

(٧٤) ابن الدهان ٩١-٩٢ .

(٧٥) أبو زكريا الفراء لاحمد مكي الانصاري ص ١٦٩ وما بعدها .

(٧٦) الشيخ محمد حسن آل ياسين : اضداد ابن الدهان ٩١ .

الأضداد حتى اذا ظهرت كتب ابن الانباري وأبي الطيب وغيرهما من المصنفات الضخمة في هذا الباب ، تلقفتها الايدي وأكبت عليها بيوت العلم فقل شأن الكتاب الصغير حتى ضاع فلم نسمع به الا على لسان ابن الدهان بهذا الشكل الضعيف ، شأنه في ذلك شأن كثير من الكتب التي ذابت في خضم المصنفات الكبيرة المؤلفة في بابها فضاقت ولم نسمع بخبرها . وبهذا نستطيع أن نفسر اغفال (الفهرست) لابن النديم المتوفى سنة ٣٧٧ - وهو أقدم من ذكر مصنفات المترجمين باستيعاب - لأضداد الفراء ، ذلك أنه عاصر تأليف أضداد ابن الانباري وأضداد أبي الطيب ، وهي الحقبة التي افترضنا أن يكون أضداد الفراء محتفيا فيها ، فله في ذلك شيء من حق ، خصوصا وأنه ليس من أرباب اللغة كابن الدهان .

المهم اننا نستطيع أن نللم من كتب الأضداد المؤلفة بعده ومن بعض مؤلفاته ومؤلفات اللغويين شيئا لا بأس به من آرائه في الاضداد وفكرة التضاد وحصولها في بعض الالفاظ ، وما نص عليه منها ، بحيث يكون هذا المجموع من آرائه نواة لكتابه الضائع وصورة له ، ان لم نقل كاملة فقريبة منه ، وربما استطعنا أن نتبين منها منهجا خاصا أو طريقة معينة .

فقد لاحظ الفراء مثلا أن الاستعمال قد يؤدي الى قلب المعنى الى ضده ، كما حصل في لفظ (تعال) فيقول : « أصلها عالِ الينا وهو من العلُو ، ثم ان العرب لكثرة استعمالهم اياها صارت عندهم بمنزلة هَلَمَّ ، حتى استجازوا أن يقولوا للرجل وهو فوق شرف : تعال ، أي اهبط وانما أصلها الصُّعود » (٧٧) .

كما لاحظ أن قراءات المصحف واختلافها قد تخلق معنى مضادا ، كما في الآية : (لَقَدْ قَطَّعَ بَيْنَكُمْ) (٧٨) ، فيقول : « قرأ حمزة ومجاهد

(٧٧) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤١٨ .

(٧٨) الانعام ٩٤ .

(بَيْنَكُمْ) يريد وصلكم وفي قراءة عبدالله (لَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ) وهو وجه الكلام « (٧٩) » ، وقد عدت (بَيْنَ) عند الاضداديين من الأضداد لهذا السبب منصرفة الى الفراق والى الوصل • وهو هنا يبيّن وجهها في القرآن الكريم ، حيث تخرج عنده من الأضداد •

وذكر للفظه (بَشَّرَ) معنى آخر غير المعنيين المتضادين اللذين هما عند الاضداديين : القليل والكثير ، وبهذا أخرجها من الاضداد الى المشترك فقال : « البَشَّرَ الحد أيضا ، يقال : بشره يشره بشرا ، أي حده » (٨٠) ، وهذا المعنى - بالنظر الدقيق - هو الدلالة الجامعة لكلا المعنيين المتضادين المتطورين عنها فالقلة والكثرة كلاهما حد معين ، لذا كانت (بَشَّرَ) بمعنى الكثرة مقترنة بلفظة تصرفها اليه ، وأشيع هذه القرائن فيها قولهم للاتباع : كثير بشير ، فشمولية المدلول الأول وراء هذه اللفظة كما يشعر بذلك الفراء •

كما يشعر بهذا أيضاً قوله : « إِذَا كَثُرَتِ الْغَنَمُ فَهِيَ ثَلَاثَةٌ وَجَمْعُهَا ثَلَاثٌ ، مثل بَدْرَةٍ وَبَدْرٌ • وَأَشَدُّ لَابِنِ هَرْمَةٍ :

لَسْتُ بِذِي ثَلَاثَةٍ مُؤَنَّفَةٍ

يَأْقِطُ أَلْبَانَهَا وَيَسْلُوْهَا » (٨١)

وكانوا قد ذكروا أن (ثَلَلْتُ) من الاضداد بمعنى أصلحت وبمعنى هدمت ، ووضح من قول الفراء أن هاتين الدالتين متطورتان بوساطة انتقال مجال الدلالة أو بوساطة المجاز عن المعنى الحسي الأول

(٧٩) معاني القرآن ٣٤٥/١ والاصمعي ٥٢ وابن السكيت ٢٠٥ وأبو

الطيب ٨٢/١ - ٨٣ •

(٨٠) أبو الطيب ٦٧/١ •

(٨١) أبو الطيب ١٤١/١ - ١٤٢ •

الذي هو المدلول الشامل ، فحين يكون كل شيء قد جمعته وكثرته
كاجتماع وكثرة الغنم فهو اصلاح ، وحين يكون كل شيء قد جزأته
وجعلته قطعاً كرؤوس الغنم اذ هي ليست شيئاً واحداً ، فهو هدم •

ومثل هذا في قولهم : عَزَّزْتَهُ : أَدَبْتَهُ ، وَعَزَّرْتُهُ : عَظَّمْتَهُ ،
قال الفراء : « الْعَزُّرُ وَالْتَعْزِيرُ : التَّعْلِيمُ » (٨٢) ، وفي التَّأْدِيبِ تعليم
وتقويم ، كما أن في التعليم اكراماً وتعظيماً ، فالمدلول الأول شمل
المعنيين •

وعندما أُنشد الفراء :

شَرَيْتُ لِهَمِ نَفْسِي بِقَفْرَةٍ بَعْدَ مَا
دَنَا الْمَوْتُ حَتَّى صَارَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

قال : شَرَيْتُ هَاهُنَا بِمَعْنَى ابْتَعْتُ (٨٣) ، وذكروا قوله في مادة
(شَرَى) بِمَعْنَى اشْتَرَى وَبِمَعْنَى بَاعَ ، الا أن الفراء كان يشترط أن يكون
المشتري به مما يصدق أن يكون ثمناً كالدراهم والا فأي الشيئين المشتري
والمبيع يصدق عليه أن يكون الآخر ، وشرح وجهة نظره في الكلام على
قوله تعالى : (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) (٨٤) ، فقال : « وكل ما كان
في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن وأدخلت الباء في الميوع أو المشتري ،
فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشيئين لا يكونان ثمناً معلوماً مثل الدنانير
والدراهم ، فمن ذلك : اشتريت ثوباً بكساء ، أيهما شئت تجعله ثمناً
لصاحبه لأنه ليس من الأثمان ، وما كان ليس من الأثمان مثل الرقيق
والدور وجميع العروض فهو على هذا • فإن جئت الى الدراهم والدنانير
وضعت الباء في الثمن كما قال في سورة يوسف : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ

(٨٢) ابو الطيب ٥٠٦/٢ •

(٨٣) أبو الطيب ٤٠٠/١ •

(٨٤) البقرة ٤١ •

دراهم معدودة) (٨٥) ، لأن الدراهم ثمن أبداً ، والباء انما تدخل في
الاثمان .. لأن كل واحد منهما في هذا الموضوع بيع وثمن .. ولو اشترى
عبداً بجارية ثم وجد به عيباً لم يرجع بجارية اخرى مثلها ، فذلك دليل
على أن العروض ليست بأثمان « (٨٦) .

كما اشترط في (الرجاء) ليكون بمعنى الخوف أن يكون معه جحد ،
وهو مصطلح الكوفيين في النفي . وكان الرجاء عند الاضداديين من ألفاظ
الاضداد ، يقول الفراء : « وقوله : (لا يرّجون لقاءنا) (٨٧) لا يخافون
لقاءنا وهي لفظة تهاميّة ، يضعون الرجاء في موضع الخوف اذ كان معه
جحد . من ذلك قول الله (مالكم لا ترّجون الله وقراراً) (٨٨) أي
لا تخافون الله عظمة . وأنشدني بعضهم :

لا ترّجني حين تلاقي الذائدا أسبغة لاقت معاً أم واحداً

يريد : لا تخاف ولا تبالي . وقال الآخر (٨٩) :

إذا لسعت النحل لم يرج لسعها

وحالفها في بيت نوب عوامل « (٩٠)

وقد أيده ابن الانباري في هذا الشرط الذي ذهب اليه راداً من لم يقل
به ممن أطلق الاستعمال (٩١) .

و (حَسِبْتُ) التي عدّها من الاضداد ، تكون للشك وتكون
للقين ، يرى الفراء انها منقولة من معناها الاصلي الى معنى آخر بوساطة

(٨٥) يوسف ٢٠ .

(٨٦) معاني القرآن ٣٠/١ .

(٨٧) الفرقان ٢١ .

(٨٨) نوح ١٣ .

(٨٩) هو ابو ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١/١٤٣ .

(٩٠) معاني القرآن ٢/٢٦٥ وابن الانباري ٩ وما بعدها .

(٩١) ابن الانباري ١١ .

تغير حركة السين ، يقول : « حَسِبْتُ أصله من حَسَبْتُ الشيء ، أى وقع في حسابي ، ثم كسرت السين منه ونقل الى معنى الشك » (٩٢) .

ويرى أن معنى (أَقْرَأَتْ المرأة) اذا حاضت فقط (٩٣) ، وعدت عند غيره من الاضداد تنصرف للحيض وللطهر ، على خلاف في ذلك بين الفقهاء .

وقالوا : صرى الشيء اذا جمعه وصره اذا قطعه وفرقه وهي من الأضداد ، قال الفراء : « بات يصرى في حوضه اذا استقى ثم قطع ثم استقى » (٩٤) . فالمعنى اذن عام يشمل الضدين جميعا ، فلا يصدق على أحدهما أن يقال : صرى ، إلا أن يكون جمع وقطع معا .

وعدت (سَوَاء) من الاضداد تكون لغير الشيء وتكون لنفسه ، إلا أن الفراء ذكر لها معنى (حِذَاء) ومعنى (الْقَصْد) ومعنى (غَيْر) وبالأخيرين فسر قول الله (فقد ظَلَّ سَوَاء السَّيْلِ) (٩٥) .

وقال في قوله تعالى (أَكَادُ أَخْفِيهَا) (٩٦) : « قرأت القرءاء أكاد أَخْفِيهَا بالضم » . وقرأ سعيد بن جبير (أَخْفِيهَا) (٩٧) بفتح الألف . حدثني الكسائي عن محمد بن سهل عن وقاء عن سعيد بن جبير انه قرأ (أَخْفِيهَا) بفتح الألف من خَفَيْت . وخفيت : أظهرت وخفيت : سترت . قال الشاعر :

فان تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد
يريد لا نظره » (٩٨) .

(٩٢) ابن الانبارى ٢١-٢٢ .

(٩٣) ابن الانبارى ٣٠ وتاج العروس ١/٣٦٦ .

(٩٤) ابن الانبارى ٣٩ .

(٩٥) البقرة ١٠٨ معاني القرآن ١/٧٣ وابن الانبارى ٤٢ .

(٩٦) طه ١٥ .

(٩٧) هو امرؤ القيس بن عابس الكندى : اللسان (خفى) .

(٩٨) معاني القرآن ٢/١٧٦ وابن الانبارى ٩٦ .

وقال في (السليم) : « قال بعض العرب : انما سمّي المددوغ سليماً لأنه مُسَلِّمٌ لما به » (٩٩) . والظاهر من نقله لقول بعض العرب هذا أنه يراه ، ولا يذهب كما ذهب غيره الى أنها على التفاضل بسلامته .

ورأيه في قوله تعالى (ما إنَّ مفاتيحه لتنوء بالعصبة) (١٠٠) ، ان الفعل محوّل الى غيره ومقلوب ، وقال : « والمعنى : ما ان مفاتيحه لتنوء العصبة أى تميلهم من ثقلها ... » وقد قال رجل من أهل العربية : ان المعنى ما ان العصبة لتنوء بمفاتيحه فحوّل الفعل الى المفاتيح كما قال الشاعر :

إن سراجاً لكریم "مفخره" تحلى به العين اذا ما تجهره

وهو الذى يحلى بالعين . فان كان سمع بهذا أثرا فهو وجه . والآه فان الرجل جهل المعنى ... » (١١) .

وفي قوله تعالى (مثلاً ما بعوضة فما فوقها) (١٢) ، يرى الفراء أن المقصود فما أكبر منها وهو العنكبوت والذباب ، الآ أنه « لو جعلت في مثله من الكلام (فما فوقها) تريد أصغر منها لجاز ذلك . ولست أستحسنه ، لأن البعوضة كأنها غاية في الصغر ، فأحب اليّ ان أجعل (ما فوقها) أكبر منها » (٣) .

و (طادَ ووطِدَ) عنده من الاضداد بمعنى ثبت وسار (٤) ، ولكنه لم ير في (الأزر) الآ معنى القوة والمعانة والظهر (٥) ، خلافا لمن عدّها

(٩٩) ابن الانبارى ١٠٦ .

(١٠٠) القصص ٧٦ .

(١) معاني القرآن ٢ / ٣١٠ وابن الانبارى ١٤٤ وتاج العروس (نساء)

١ / ٤٧٢ .

(٢) البقرة ٢٦ .

(٣) معاني القرآن ١ / ٢٠ وابن الانبارى ٢٥٠ .

(٤) لسان العرب ٣ / ٤٦١ وتاج العروس ٩ / ٣٠٣ .

(٥) اللسان ٤ / ١٧ والتاج ١٠ / ٤٢ .

من الأضداد تصرف للضعف أيضا • و (المَسْحُوت) عنده من الأضداد ،
للجائع ولمن يتخمر كثيرا (٦) • و (ذَنْج) اذا أكثر من شرب الماء ،
فقط (٧) • وقال في (عَسَمَس) : « أجمع المفسرون على أن معنى عسَس
أدبر ، قال : وكان بعض أصحابنا يزعم أن عسَس معناه دنا من أوله
وأظلم » (٨) •

وعرض الفراء في كتابه (معاني القرآن) لجملة من الالفاظ التي
تضمنتها الآيات الكريمات والتي عدت من الأضداد أو من المقلوب مثل :
النسيان (٩) ، التولية (١٠) ، كان الزناء فريضة الرجم (١١) ، الظن
والخوف (١٢) ، ومكروا ومكر الله (١٣) ، السجود (١٤) ، الانابة
والبشارة (١٥) ، تخافون وتعلمون (١٦) ، هادوا (١٧) ، بسئل (١٨) ،
عجل (١٩) ، ظلم (٢٠) ، النصر (٢١) ، لأنت الحليم الرشيد (٢٢) ،

-
- (٦) تاج العروس ٤ / ٥٥٠ •
(٧) التاج ٥ / ٥٨٣ •
(٨) لسان العرب ٦ / ١٣٩ •
(٩) معاني القرآن ١ / ٦٤ ، ٢ / ٣٨٨ •
(١٠) معاني القرآن ١ / ٨٥ •
(١١) معاني القرآن ١ / ٩٩ •
(١٢) معاني القرآن ١ / ١٤٦ ، ٢ / ١٤٧ •
(١٣) معاني القرآن ١ / ٢١٨ •
(١٤) معاني القرآن ١ / ٢٣١ ، ٢ / ٨٨ •
(١٥) معاني القرآن ١ / ٢٣٩ •
(١٦) معاني القرآن ١ / ٢٦٥ ، ٣٣٦ •
(١٧) معاني القرآن ١ / ٣١٢ •
(١٨) معاني القرآن ١ / ٣٣٩ •
(١٩) معاني القرآن ١ / ٣٩٣ •
(٢٠) معاني القرآن ١ / ٣٩٧ •
(٢١) معاني القرآن ٢ / ١٣ •
(٢٢) معاني القرآن ٢ / ٢٦ •

أَسْرَوْا النَّدَامَةَ (٢٣) ، يِيَّاسُ (٢٤) ، الْمُصْرِيخُ وَالصَّرِيخُ (٢٥) ،
السَّبَّحُ (٢٦) ، أَشْدَدُّهُ (٢٧) ، وَرَاءُ (٢٨) ، خَشْيِي وَخَافُ (٢٩) ،
أَعْرَضُ (٣٠) ، ضِدَّ وَوَرَدُ (٣١) ، الْقَانِعُ (٣٢) ، قَعَدَ يَشْتَمِنِي (٣٣) ،
الغَابِرُونَ (٣٤) ، عَسَى (٣٥) ، الْحَمِيمُ (٣٦) ، أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٣٧) ،
فَزَعٌ وَمُغْلَبٌ (٣٨) ، سَخَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ يَسْتَهْزِئُ (٣٩) . وَسَوَى هَذَا
كثير مما عرضنا له وذكّرنا ، ومما لم نذكر .

يُضَافُ إِلَى هَذَا مَا نَقَلْتَهُ عَنْ كُتُبِ الْأَضْدَادِ ، فَقَدْ ذَكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ فِي
أَضْدَادِهِ مَرَّتَيْنِ (٤٠) ، وَابْنُ السَّكَيْتِ فِي أَضْدَادِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (٤١) ، وَابْنُ
الْأَبْيَارِ فِي أَضْدَادِهِ سَبْعًا وَسَبْعِينَ مَرَّةً (٤٢) ، وَابُو الطَّيِّبِ الْبَغْوِيُّ فِي أَضْدَادِهِ

-
- (٢٣) معاني القرآن ١ / ٤٦٩
 - (٢٤) معاني القرآن ٢ / ٦٣
 - (٢٥) معاني القرآن ٢ / ٧٥ ، ٣٧٩
 - (٢٦) معاني القرآن ٢ / ١٠٢
 - (٢٧) معاني القرآن ٢ / ١٢٣
 - (٢٨) معاني القرآن ٢ / ١٥٧
 - (٢٩) معاني القرآن ٢ / ١٥٧ ، ١٦٩
 - (٣٠) معاني القرآن ٢ / ١٦٠
 - (٣١) معاني القرآن ٢ / ١٧٢
 - (٣٢) معاني القرآن ٢ / ٢٢٦
 - (٣٣) معاني القرآن ٢ / ٢٧٤
 - (٣٤) معاني القرآن ٢ / ٢٨٢
 - (٣٥) معاني القرآن ٢ / ٣٠٩
 - (٣٦) معاني القرآن ٢ / ٣٢٠
 - (٣٧) معاني القرآن ٢ / ٣٦١
 - (٣٨) معاني القرآن ٢ / ٣٦١
 - (٣٩) معاني القرآن ٢ / ٣٨٤
 - (٤٠) الْأَصْمَعِيُّ ٢٨ ، ٥٢
 - (٤١) ابْنُ السَّكَيْتِ ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧
 - (٤٢) يَرَاجِعْ فِهْرَسَ الْكِتَابِ

خمس مرات (٤٣) ، وكلهم يذكر رأيه في اللفظة التي يعالجونها ، أو انشاده ليت أو آيات من الشعر شاهدا عليها ، أو ذكره لقراءة من القراءات السبع للمصحف ، أو نصه على لغة ما واستعمال معين ، وما إلى ذلك •

واستشهدت برأيه معجمات اللغة وذكرت آراءه في كلمات الأضداد التي تعرض لها ، فقد ذكره لسان العرب في : وَطِدَ ، الْأَزْرَ ، عَسَّعَسَ ، السَّبَّحَ ، الْمَفَازَةَ ، سَجَرَ ، قَعَدَ ، لَفَأَ ، زَبِيَّةَ • مما مر قبل قليل نقل رأيه في بعضها • كما ذكره تاج العروس في : الْقُرْءَ ، نَاءَ ، وَطِدَ ، الْأَزْرَ ، مَسْحُوتَ ، ذَا جَ ، وقد نقلنا رأيه فيها أيضا ، ومثل هذين التهذيب والصحاح والمخصص وغيرها •

تدل هذه الكثرة (٤٤) من النقول عنه والاستشهادات بآرائه أنه كان من المعنيين بهذا الجانب من اللغة عناية ليست باليسيرة ، بحيث يسوغ لنا أن نجزم بصحة اعتقادنا الذي بنيناه على إشارة ابن الدهان ، من أنه كان قد وضع كتابا في الأضداد لم يصلنا ، ومجموع هذه النقول هي نواتبه أو صورته •

بقي علينا أن نلمس في صورة هذا الكتاب أسس منهجه العلمي الخاص أو المدرسي الذي زعمنا توفره في مصنفات الكوفيين ، والقراء شيخهم وامامهم • وتتضح معالم هذا المنهج في أمور منها :

١ - اهتمامه بالقراءات وتصحيحه إياها والآخر بها واحترامه لها ، كما في (تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) و (أَكَادُ خَفِيهَا) ، وغيرها ، وقد وجه قراءة مجاهد وحزمة وعبدالله وسعيد بن جبير وأبّي وغيرهم توجيهها يلائم النص القرآني وينسجم مع المعنى اللغوي المفترض ، مثل قوله في قراءة عبدالله (لَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ) : وهو وجه الكلام •

(٤٣) . يراجع فهرس الكتاب •

(٤٤) . اكتفينا بذكر المصدر والمادة والصفحة فالمجال لا يسمح بسردها •

٣ - اهتمامه بالشواهد الشعرية واتساعه في روايتها ، بحيث ذكره ابن الأنباري مثلاً في أربع وعشرين مرة منشداً للشاهد في أضداده (٤٥) ، وأبو الطيب مرتين منشداً للشاهد في أضداده (٤٦) ، وفي بعضها يحاول توجيه الاستعمال الشعري ويجد له تخريجا ، من مثل تعليقه على الرجز : « حَاجِزُ الرِّىِّ وَلَمْ تَكَادِ » قال الفراء : « إنما هو ولم تكد ، فلما حرك الدال أعاد الألف لأنها إنما سقطت لسكونها مع سكون الدال فلما تحركت الدال أعاد الألف » (٤٧) .

٣ - اهتمامه باللغات ونصه عليها ، مثل تفسيره (لايرجون) ب (لا يخافون) وقال : « وهي لغة تهامية يضعون الرجا في موضع الخوف » (٤٨) أو قوله : « وأنشدني بعض بني أسد » (٤٩) ، وتكراره لقوله : « سمعت العرب تقول » (٥٠) أو « العرب تقول » (٥١) . وغير ذلك مما يدل على مشافهته العرب وسماعه منهم وقوله : « يئأس في معنى يعلم لغة للنسخ » (٥٢) . وسوى ذلك من ذكر اللغات وأثرها في خلق المعنى الضد .

٤ - اهتمامه بالتفسير والمفسرين (٥٣) ، والفقه والفقهاء (٥٤) ، والحديث

(٤٥) ابن الأنباري ١١ ، ٢٠ ، ٤٠ ، ٦١ ، ١١٠ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٧٤ ، ٤١٥ .

(٤٦) أبو الطيب ١ / ١٤١ ، ١ / ٤٠٠ .

(٤٧) الأصمعي ٢٨ وابن السكيت ١٨٣ .

(٤٨) معاني القرآن ٢ / ٢٦٥ .

(٤٩) معاني القرآن ٢ / ٢٨٢ .

(٥٠) معاني القرآن ٢ / ١٠٢ (السَّبَج) .

(٥١) المصدر نفسه ١ / ٣٣٩ (بسل) .

(٥٢) نفسه ٢ / ٦٣ (يئأس) .

(٥٣) نفسه ٢ / ٦٣ (يئأس) ، ١ / ٣٣٦ (يخافون) ، ١ / ٣١٢ (هادوا)

واللسان ٦ / ١٣٩ (عسعس) .

(٥٤) نفسه ٢ / ١٧٦ (أخفيها) .

والرواية عن النبي والخلفاء وابن عباس وآخرين (٥٥) ، مما يؤيد القول بأنه أخذ بالنقل والرواية وهي سنة الكوفيين •

٥ - أكثر رواياته اللغوية والنحوية وإنشاداته الشعرية هي عن الكسائي استاذ (٥٦) كما في (أكاد أخفيها) و (هادوا) و (أقرأت °) • وهذا يسند سلسلة الرواية الكوفية المدرسية •

٦ - تحرره من المسلمات في اللغة وفي الاضداد على وجه الخصوص ، وتحكيم الرواية والنقل والمأثور عن العرب والذوق في أكثر ما أثر عنه في الأضداد ، وقد مرّ أمر الرواية والنقل والاستشهاد الكثير ، أما الذوق فمثله في (بعوضة فما فوقها) قال : فأحب التي أن أجعل (ما فوقها) أكبر منها (٥٧) • واستفاد من سعة معلوماته ومن استقرائه للغة في أن اشترط اشتراطات في استعمال بعض الاضداد في معانيها الأخر ، وقد مرّ شرطه أن يكون في الرجاء جحد ليكون بمعنى الخوف ، أو أن يكون المشتري به مما يصدق أن يكون ثمنه كالدراهم والا فان كلا الشئيين مبيع ومشتري • واشترطه أن يكون الظن داخلا على خبر ليجوز له أن ينصرف لليقين ، وكانوا قد أطلقوا الاستعمال قال : « وقوله : (وظنّ داود انما فتناه) (٥٨) أي علم • وكل ظن أدخلته على خبر فجاز أن تجعله علما ، الا أنه علم ما لا يعاين » (٥٩) •

٧ - ميله لمعرفة المعنى الاصلي للفظ الذي هو المدلول الشامل للمعنيين

(٥٥) نفسه ٢٦٥/١ (تخافون) ، ٣٨٨/٢ (نسي) ، ٦٣/٢ (يبأس) ، ١٢٣/٢ (أشدّه) •

(٥٦) نفسه ١٧٦ / ٢ ، ٣١٢ / ١ • وتاج العروس ١ / ٣٦٦ •

(٥٧) معاني القرآن ١ / ٢٠ وابن الانباري ٢٥٠ •

(٥٨) سورة ص ٤ •

(٥٩) معاني القرآن ٢ / ٤٠٤ •

انتضادين كما في (البَرْ) و (صَرى) و (ثَلَلَتْ) و (غَزَرَتْه) ،
وقد مرّ الكلام فيها •

٨ - ملاحظته الاستعمال وما يمكن أن يخلقه بالتقادم من معنى مضاد كما
في (تَعَال) وكما في (حَسِبَ) ، وقد مرّ الكلام فيهما •

من ذلك كله توضيح معالم المنهج الذي سار عليه الفراء في الكتاب
وهو الذي سار عليه في كل مصنفاته وتأليفه ، لأنه - مع صبغته الشخصية -
منهج كوفي محض ، رأيناه عند الكثير من طلابه وطلاب طلابه ، وهو ما
تميزت به مدرسة الكوفة من مدرسة البصرة التي لم تكن عنايتها بكل هذه
الامور بمثل هذه الدرجة ، وكان كتاب قطرب خير مثل لهذا ، فلم نعر فيه
على ذكر واحد لقراءة من القراءات أو تصحيحها أو الاستشهاد بها ، كما لم
نجد مثل هذا الميل لذكر المدلول الشامل للمعنيين المتضادين ، ولا ملاحظة
ما يمكن أن يؤدي اليه تطور الاستعمال وتقادمه ولا تحكيم الذوق ، وحتى
الشواهد - بالقياس الى اختلاف حجمي كتاب قطرب وما نقل عن الفراء -
قليلة ، كما كان اغفال المفسرين - فيما عدا ابن عباس - والفقهاء يكاد يكون
تاماً ، ومثله اغفال الرواية والنقل الا فيما ندر •

كتاب أبي عبيدة

المؤلف هو أبو عبيدة معمر بن المنثى التيمي البصري (٦٠) ، ولد في

(٦٠) تراجع ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ٥٢ وطبقات النحويين
واللغويين ١٩٢ ومراتب النحويين ٤٤ وتهذيب اللغة ١ / ١٤
والفهرست ٧٩ ونزهة الألباء ٦٨ وانباه الرواة ٣ / ٢٧٦ وتاريخ
بغداد ١٣ / ٢٥٢ ووفيات الاعيان ٤ / ٣٢٣ ومعجم الادباء ١٩ / ١٥٤
ونور القبس ١٠٩ ومروج الذهب ٣ / ٣٥٧ والفلاكة والمفلوكون ١٠١
والمزهر ٢ / ٤٠٢ والأشباه والنظائر ٣ / ٤١ وبغية الرعاة ٣٩٥
والنجوم الزاهرة ٢ / ١٨٤ وشذرات الذهب ٢ / ٢٤ وتاج العروس
١ / ٣٣ والعدة في الرجال ١٨٩ وتاريخ بروكلمان ٢ / ١٤٢ وهدية
العارفين ٢ / ٤٦٦ والكنى واللقاب ١ / ١١٤ والاعلام ٨ / ١٩١ •

البصرة سنة عشر بعد المائة ، لأبوين رقيقين من يهود باجروان في فارس •
كان مولى لتيم قریش • أخذ في أوّل عهده عن أبي عمرو بن العلاء ويونس
ابن حبيب ، ثم نقل لنا أنه ناظر أبا عمرو مناظرة الندّ • وكان يرى رأى
الخوارج الصفرية - كما يقول أبو حاتم - وأنه كان يكتّم ذلك •

استقدمه الرشيد الى بغداد ليقراً عليه شيئاً من كتبه وليختص
بمناذمته • فأخذ عنه الأثرم والمازني وأبو عبيد القاسم بن سلام والتوزي
وأبو حاتم وعمر بن شبّة النميري • وكان أبو عبيدة من أعلم الناس بأنساب
العرب وبآبائهم وله كتب كثيرة في أيام العرب وحروبها • وكان ثعلب يقول:
من أراد أخبار الجاهلية فعليه بكتب أبي عبيدة •

كان الغالب عليه الشعر والغريب حتى قيل انه أول من ألف في
الغريب ، إلاّ انه في النحو مغلّ كثير الخطأ ، على حد عبارة الأزهري •
وكان أبو حاتم يقول : انه كان ينشد البيت مختلف العروض ويخطي • اذا
قرأ القرآن نظراً • وأظن ان هذه الحملة مبالغ فيها ضده لما اشتهر عنه
من كونه شعوبياً خارجياً أولاً ، ولأن أحدا لم يسلم من لسانه وبذاته
ثانياً •

له من الكتب غير الأضداد والغريب مجموعة كبيرة ، منها : أيام
العرب ، طبقات الفرسان ، نقاض جرير والفرزدق ، الخيل ، الابل ،
السيف ، اللغات ، المصادر ، خلق الانسان ، وغيرها • توفي سنة عشر ومائتين
في البصرة بعد ان اطعم موزاً ، وله من العمر مائة عام في أقوى الاخبار •

أما نسبة كتاب (الأضداد) له ، فهي نسبة موثقة وليس لنا أن نشك
فيها ، فقد ذكرت الكتاب المصادر القديمة ابتداء بالفهرست لابن النديم
وانتهاء بإيضاح المكنون لاسماعيل البغدادى • والكتاب مفقود وفي جملة
الكتب التي لم تصل • إلاّ أن نقول كتب الأضداد ومصنفات اللغة عنه كثيرة ،
بحيث بلغ مجموع ذلك في هذه الكتب (١٩٢) ذكرنا موزعة كالآتي :

ذكر في أضداد الاصمعي (١٨) مرة ، واضداد ابن السكيت (٢٠) مرة ، واضداد السجستاني (٢٠) مرة ، واضداد قطرب (٣) مرات ، واضداد ابن الانباري (٤٢) مرة ، واضداد أبي الطيب (٨٣) مرة ، وفي لسان العرب (٦) مرات تخص الأضداد ، ومرة واحدة في (خزانة الادب) ، ومرة واحدة في (الاقتضاب للبطلوسي) ، ومرة واحدة في (التسيهات لملي بن حمزة) ، وفي كلها في الكلام على لفظة من ألفاظ الأضداد .
وواضح أنها مجموعة كبيرة من الذكر تفوق مجموع ذكر الفراء في هذه الكتب ، إلا أن الفراء فاقه في واحد من هذه الكتب ، وهو اضداد ابن الانباري ، والسبب واضح اذا علمنا أن ابن الانباري كوفي النزعة تلمذ لثعلب وهو تلميذ سلمة الذي هو تلميذ الفراء ، فمن الطبيعي أن يكون النقل عنه أو ذكره في الكتاب فائقا ذكر أبي عبيدة البصري ، هذا كله مما ورد من اشاراته لبعض ألفاظ الأضداد في كتابه مجاز القرآن .

وندرج هنا أمثلة (٦١) من آرائه في الاضداد وما نص عليه منها لنستطيع أن تبين بعد ذلك خصائص مذهبه ، وما يحمل من ملامح مدرسية .

قال ابو عبيدة : « يقال أَقْرَأَتْ النجوم بالألف معناه غابت ، ومنه قُرء المرأة في قول من زعم أنه طهرها لأنها خرجت من الحيض الى الطهر كما خرجت النجوم من الطلوع الى المغيب .. » (٦٢)

وقال : « يقال عَسَعَسَ الليل اذا أقبل وعسّس أدبر وأنشد لمعلقة بن قرط التيمي :

(٦١) لا يمكن ادراج كل ما أثر عنه في هذا الصدد فهو أكثر من أن تتسع له هذه الرسالة واكتفينا بالنص على مواطن وجودها ، وعددها في كل موطن وهو ما فعلناه مع الفراء .

(٦٢) الاصمعي ٦ وابن السكيت ١٦٥ وأبو حاتم ٩٩ وابن الانباري ٢٨ - ٢٩ وأبو الطيب ٢ / ٥٧٤ ومجاز القرآن ١ / ٧٤ .

مُدَرَّعَاتِ اللَّيْلِ لَمَّا عَسَعَسَا

أَيُّ أَقْبَلْ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَسَعَسَ إِذَا وَلَّى ۰۰ « (٦٣) .
وَقَالَ : « الضَّرَاءُ الْبَرَّازُ وَالضَّرَاءُ الْأَسْتِخْفَاءُ » (٦٤) ، وَنَصَّ عَلَى أَنَّهُ
مِنَ الْأَضْدَادِ ۰

وَقَالَ : « الرَّهْوُ الارتفاعُ وَالرَّهْوُ الانحدارُ » (٦٥) ۰
وَقَالَ : « بَقِيتُ فِي الْحَوْضِ صَرَاةً وَهُوَ مَا يَبْقَى فِي الْحَوْضِ مُتَغَيِّرًا
وَأَنْشَدَ :

تَلَهُمْ مَا فِي أَسْفَلِ الْمِقْرَاةِ وَمَا بَقِيَ فِي الْحَوْضِ مِنْ صَرَاةٍ
أَرَادَ بَقِيَ فَخَفَّفَ ۰۰۰ « (٦٦) ۰
وَقَالَ : « شَرَاةُ الْمَالِ بِمَنْزِلَةِ شَوَاةِ الْمَالِ أَيْ رِذَالِ الْمَالِ وَالْجَمِيعُ شَرَى
كَقَوْلِهِ :

مُنَادٍ رَاتٍ بِالشَّرَى الْمُحَسَّلِ

أَيُّ الْمَبْقَى الْمَتْرُوكِ ، وَالشَّرَاةُ فِي لُغَةِ بَعْضِهِمْ خِيَارُ مِسَانٍ مِنَ الْإِبِلِ
وَكِرَائِمُهَا كَقَوْلِهِ :

مِنَ الشَّرَاةِ رَوْقَةُ الْأَمْوَالِ ۰ « (٦٧)

وَقَالَ : « وَلِلْمَوْلَى سَبْعَةٌ مَوَاضِعٌ ، الْمَوْلَى ذُو النِّعْمَةِ مِنْ فَوْقِ وَالْمَوْلَى
الْمُنْعَمُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْفَلٍ ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (فَانْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) ، وَالْمَوْلَى فِي الدِّينِ مِنَ الْمَوَالِيَةِ وَهُوَ الْوَلِيُّ ۰۰
وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَانْ عَلِيًّا مَوْلَاهُ ۰۰۰ قَالَ الْعَجَّاجُ :

(٦٣) الْأَصْمَعِيُّ ٨ وَابْنُ السَّكَيْتِ ١٦٧ وَأَبُو حَاتِمٍ ٩٧ وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ ٣٣

وَأَبُو الطَّيِّبِ ٢ / ٤٨٨ وَلِسَانُ الْعَرَبِ ٦ / ١٣٩ ۰

(٦٤) الْأَصْمَعِيُّ ١١ وَابْنُ السَّكَيْتِ ١٦٩ وَأَبُو حَاتِمٍ ١٠٢ وَأَبُو
الطَّيِّبِ ١ / ٤٥٠ ۰

(٦٥) الْأَصْمَعِيُّ ١١ وَأَبُو حَاتِمٍ ٩٤ ۰

(٦٦) الْأَصْمَعِيُّ ١٢-١٣ وَابْنُ السَّكَيْتِ ١٧٣ وَأَبُو الطَّيِّبِ ١ / ٤١٤ ۰

(٦٧) الْأَصْمَعِيُّ ١٨ - ١٩ وَابْنُ السَّكَيْتِ ١٧٤ وَأَبُو الطَّيِّبِ ١ / ٤٤٤ ۰

مواليَ الحقَّ إن المولى شكر

أي أولياء الحقّ .. والمولى ابن العم .. والمولى الجار ..» (٦٨) .

وقال : « يقال بعثُ الشيء إذا بعثه من غيرك ، وبعثه إذا اشتريته » (٦٩) .

وقال : « يقال فرس شَوْهَاء أي حسنة ، ولا يقال للذكر من هذا شيء ، ويقال لاتشوّه عليّ أي لا تقل ما أفصحك فتصيني بالعين ، قال وما سمعتها إلا في هذين الحرفين .. » (٧٠) .

وقال : « الجَوْنُ الأسود والجَوْنُ الأبيض ، وأنشد أبو عبيدة :

غَيْرَ يَا بَنْتَ الْحُلَيْسِ لَوْنِي مَرُّ اللَّيَالِي وَاخْتِلَافِ الْجَوْنِ
وَسَقَرٌ كَانَ قَلِيلَ الْأَوْنِ

عني بالجون ههنا النهار .. » (٧١) .

وقال : « المُنَّةُ القوة والمُنَّةُ الضعْف ، ومنه جبل مَنِين أي

ضعيف » (٧٢) .

وقال : « سَوَاء الشيء غيره وسَوَاء الشيء نفسه ، قال الأعشى :

تَزَاوَرَ عَنْ جَوِّ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي وَمَا عَدَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا بِسَوَانِكَا
يُرِيدُ مَا عَدَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا بِكَ ، حكى هذا الخرف أبو عبيدة » (٧٣) .

(٦٨) الاصمعي ٢٤ - ٢٧ وابن السكيت ١٨٠ - ١٨٢ وأبو الطيب ٢ / ٦٦٠ ومجاز القرآن ١ / ١٢٤ .

(٦٩) الاصمعي ٢٩ وابن السكيت ١٨٤ وأبو الطيب ١ / ٤١ ، ٥٠ ومجاز القرآن ١ / ٤٨ ولسان العرب ٨ / ٢٣ .

(٧٠) الاصمعي ٣٢ وابن السكيت ١٨٦ وأبو حاتم ١٣٧ وأبو الطيب ١ / ٤٠٨ .

(٧١) الأصمعي ٣٦ وابن السكيت ١٨٩ وأبو الطيب ١ / ١٥١ ، ١٥٥ .

(٧٢) الاصمعي ٤٠ وابن السكيت ١٩٤ وأبو الطيب ٢ / ٦٢١ .

(٧٣) الاصمعي ٤٤ وابن السكيت ١٩٨ وابن الانباري ٤١ وأبو الطيب ١ / ٣٥٨ .

وقال : « الكأس الائن الذى يشرب فيه ، والكأس مافيه من الشراب ، (٧٤) » .

وقال : « الثَّغَبُ أخذود تحفره المسائل من عل ، فاذا انحطت حفرت امثال الدِّبَّار فيمضي السيل عنها وينادر الماء فيها فتصفقه الرياح فيصفو ويبرد وليس شيء أصفى منه ولا أبرد » . والثَّغَبُ الماء ، والمكان الذى فيه الماء ثَغَبٌ وهما جميعا ثَغَبٌ وثَغَبٌ قال الشاعر :

وما ثَغَبٌ باتت تُصفقه الصَّبَا قرارة نهْيٍ اتَّاقَتْها الرِّوَّاحُ (٧٥)
وقال : « يقال نوءت بالحمل اذا نهضت مثقلا ، وناءني الحمل اذا أثقلت وغلبك » (٧٦) .

« تهيت الشيء اذا هبته ، وتهيَّني اذا خوفني ، وقال ابن مقبل :
وما تهيبَّني المومة أركبها إذا تجاوت الأصداء بالسَّحَرِ
أى لا أهابها أنا ، قال أبو عبيدة هو مقلوب » (٧٧) .

وقال : « الزُّبْيَةُ حفرة تحفر للأسد ، والزُّبْيَةُ جمعها زبى أماكن مرتفعة ويقال في المثل : علا الماء الزبى أى بلغ الأمر أقصاه ، قال العجاج :
وَقَدَّ علا الماءُ الزُّبْيُ فلاغيرُ » (٧٨) .

وقال : « أَخْلَفْتُ الرَّجُلَ في ميعاده ، وأَخْلَفْتُهُ وافقت منه خلفا ، ومنه قول الاعننى :

أَثْوَى وَقَصْرَ لَيْلَةٍ لِيُزَوِّدَا فَمَضَتْ وَأَخْلَفَ مِنْ قُبَيْلَةِ مَوْعِدَا

(٧٤) الاصمعي ٤٦ وابن السكيت ٢٠٠ وابن الانبارى ١٦٢ .

(٧٥) الاصمعي ٤٨ وابن السكيت ٢٠١ .

(٧٦) الاصمعي ٤٨ وابن الانبارى ١٤٤ .

(٧٧) الاصمعي ٤٩ وابن السكيت ٢٠٢ .

(٧٨) الااصمعي ٥٥ وابن السكيت ٢٠٦ .

أى أصاب موعدها مخلفاً ، (٧٩) •

وقال : « يقال دَلُّوا أَدِيَّةً مشددة الياء وهي الوفق المقتردة ،
وتحوّل الالف ياء فيقال يَدِيَّة ، وهي في موضع آخر الواسعة ، قال
المجّاج :

أزمانَ إِذْ تُسَوِّبُ الصَّبِيَّ يَدِيَّ

أى واسع ، (٨٠) •

وقال : « أمر جَلَلٌ أى جليل وأمر جَلَلٌ أى هين يسير
صغير ، (٨١) •

وقال : « السَدَفُ الظِّلْمَةُ والضَّوُّءُ ، وأنشد في الضوء :

قَدْ أَسْدَفَ الصَّبِيحُ وَصَاحَ الحِنْزَابُ » (٨٢)

وقال : « الخَنْذِيدُ من الخيل الفحل والخصي » • وغلط انما الخَنْذِيدُ
الفائق من الخيل ومن كل شيء ، ويقال : خطيب خَنْذِيدٌ وشاعرٌ خَنْذِيدٌ (٨٣)

وقال : « خاف من الخوف ومن اليقين ، وكان يقول (فأن خِفْتُم
أَلَا تَعْدِلُوا) يريد أيقنتم • ولا علم لي بهذا ، لأنه قرآن ، فأنما تحكيه
عن ربّ العالمين ولا تدري لعلّه ليس كما يظن » (٨٤) •

وقال : (واللاتي يَنْسِنَ من المحيض من نسائكم ان ارْتَبْتُمْ)
أى شككنم ويكون ايقنتم ولا علم لي بهذا ولا أعرف فيه الا شككنم » (٨٥) •

(٧٩) الاصمعي ٥٧ وابن السكيت ٢٠٨ •

(٨٠) ابن السكيت ١٧٤ •

(٨١) ابو حاتم ٨٤ وأبو الطيب ١ / ١٤٥ ، ١٥٠ •

(٨٢) أبو حاتم ٨٦ وأبو الطيب ٣٤٦ / ١ ولسان العرب ١٤٧ / ٩ •

(٨٣) أبو حاتم ٨٧ وابن الانباري ٥٩ وأبو الطيب ٢٣٢ / ١ •

(٨٤) ابو حاتم ٨٨ وابن الانباري ١٣٧ وأبو الطيب ١ / ٢٣٥ ومجاز
القرآن ١ / ١١٦ •

(٨٥) ابو حاتم ٨٨ وأبو الطيب ١ / ٣٠١ •

وقال : « الحَرَفُ من الرجال القصير والحَرَفُ من الابل الضخمة » (٨٦) .

وقال : « ليل دُرْع » وهي السود الصدور البيض الأعجاز من آخر الشهر ، والبيض الصدور والسود الاعجاز من أول الشهر ، وكذلك غَنَم دُرْع للبيض المتأخير السود المقاديم أو السود المتأخير البيض المقاديم » (٨٧) .

وقال : « كما يقال انه لحقير فيقال وفوق ذلك » (٨٨) في تفسير قوله تعالى (ما بعوضة فما فوقها) .

وقال : « أَسْرَرْتُ الشَّيْءَ أَخْفَيْتُهُ وَأَظْهَرْتُهُ أَيْضًا ، وكان يقول في هذه الآية (وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب) أظهروها . ولا أثق بقوله في هذا والله أعلم » (٨٩) .

وقال : « يقال قَمَّات الماشية قَمًّا اذا سمّت ، ويقال صغر فلان وقَمُّ قَمَاءة » (٩٠) .

وقال : « ماءٌ بَشْرٌ كثير ، وماءٌ بَشْرٌ قليل ، وأنشد في هذا - زعم - للهذليّ أبي ذؤيب :

فافتنَّهنَّ من السَّواءِ وماءُوهُ بَشْرٌ وعارضه طريقٌ مهيعٌ

وقال الاصمعيّ انما بشر اسم ماء بعينه وليس ما قال أبو عبيدة بشي » (٩١) .

(٨٦) ابو حاتم ٩٦ وابو الطيب ١ / ١٩٠ .

(٨٧) أبو حاتم ٩٨ وابو الطيب ١ / ٢٧١ .

(٨٨) ابو حاتم ١٠١ .

(٨٩) ابوحاتم ١١٤ وابن الانباري ٤٦ وابو الطيب ١ / ٣٥٣ ومجاز

القرآن ٢ / ٣٤ والتنبيهات ٢٩٥ ولسان العرب ٤ / ٣٥٧ .

(٩٠) ابو حاتم ١٣٢ .

(٩١) ابو حاتم ١٤٠ - ١٤١ وابن الانباري ٢٩٠ وابو الطيب ١ / ٦٤ .

وقال : « غَفِرَ من مرضه اذا برَّأ ويقال اذا نكس ، وأنشد للمرار
الفقسي :

لعمرك إن الدَّارَ غَفَرَ لذي الهوى
كما يغفرُ المحمومُ أو صاحبُ الكلمِ . (٩٢)
وقال : « (فلا تَجْعَلُوا لله أُنْدَاداً) أُنْدَاداً » (٩٣) .

وقال : « كانَ : من الأضداد ، يقال : كانَ للماضي ، وكانَ للمستقبل ،
فأما كونها للماضي فلا يحتاج لها الى شاهد ، وأما كونها للمستقبل ، فقول
الشاعر :

فأدركت من قد كانَ قبلي ولم أدعْ
لِمَن كانَ بعدي في القصائدِ مصنعا
أراد لمن يكون بعدي ، (٩٤) .

وقال : « يقال للصديق والخليل : دُخِّلَ » ، ويقال للحنو ومن
يدخل نفسه في قوم ليس منهم دُخِّلَ » (٩٥) .

وقال : (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) قال أبو عبيدة : معناه وصلكم ، وأنشد
بيت المهلهل :

كَانَ رَدَا حَهُمَ أَشْطَانُ بِشْرٍ بَعِيدٌ بَيْنَ جَالِيهَا جَرُورِ . (٩٦)
وقال : « يقال : أَخْفَيْتَ الشيءَ اخفيه اخفاء اذا كتمته . وأخْفَيْتَهُ
أيضا أَخْفَيْهِ اخفاء ، اذا أظهرته . قال : وزعم أن قوله تعالى : (ان الساعةَ
آتيةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) معناه أظهرها » (٩٧) .

-
- (٩٢) أبو حاتم ١٤٧ و أبو الطيب ٢ / ٥٢٣ .
(٩٣) ابن الانباري ٢٤ ومجاز القرآن ١ / ٣٤ .
(٩٤) ابن الانباري ٦٠ .
(٩٥) ابن الانباري ٢٣٥ .
(٩٦) أبو الطيب ١ / ٨٠ - ٨١ .
(٩٧) أبو الطيب ١ / ٢٣٧ ومجاز القرآن ٢ / ١٦ والاقتصاب ٢٣٠ .

وقال : « الصَّريِّم اللَّيْل ، والصَّريِّم النَّهَار ، عن أبي عبيدة ، (٩٨) .

وقال : (عسى الله) هي ايجاب من الله ، وهي في القرآن كلها واجبة ، فجاءت على احدى لعتي العرب ، لأن عسى في كلامهم رجاء ويقين ، قال ابن مقبل :

ظَنِّي بِهِمْ كَعْسَى وَهُمْ بَتَنَوْفَةٍ . يتنازعون جَوَائِزَ الْأَمْثَالِ

أَي ظَنِّي بِهِمْ يَقِينٌ » (٩٩) .

نستطيع الآن بعد هذه المجموعة الكافية من الامثلة التي سقناها من آرائه في الازداد وأقواله فيها ، مستخلصة من كتب الازداد أو كتابه مجاز القرآن أو كتب اللغة والمعجمات اللغوية . نستطيع أن نضع أيدينا على ملامح منهجه في هذا الميدان الذي كان طابع كتابه المفقود ، ومع محاولتنا هذه نسجل ما يعين لنا من ملاحظات اخرى حول هذا الموضوع .

١ - لم يعن بالقراءات ولم يعرض لها عند معالجة آيات القرآن الكريم ، فلم نشر له حتى في آية واحدة ما يبطل هذا الزعم ، علما بأنه من المؤلفين في مجاز القرآن ، فلا بد أن يكون معنيا بالقراءات خصوصا عند التعرض لآية كانت قراءة من القراءات هي السبب في خلق المعنى المضاد ، كما في (تقطع بينكم) التي رأينا كيف أن الفراء ذكر القراءات فيها ووجه المعنى على قراءة عبدالله ، في حين اكفى ابو عبيدة وقد قرأها بالضم بأن اعتبر المعنى (وصلكم) .

٢ - اما الشواهد فقد كان مهتما بها لو قورن بقطرب ، الا أنه مع ذلك دون الفراء اهتماما بها . ويلاحظ عليه في هذا المجال أنه شبيه بقطرب من حيث اغفال الشاهد تماما في بعض الالفاظ مثل : الضراء ، الرهوء ،

(٩٨) ابو الطيب ١ / ٤٢٦ .

(٩٩) مجاز القرآن ١ / ١٣٤ وابو حاتم ٩٥ وخزانة الادب ٤ / ٧٦ .

بعت ، المنّة ، الكأس ، جلال ، وغيرها . كما اشبهه في أنه قد يستشهد
لاحد المعنيين دون الآخر كما في : السدف ، تهيّبت ، الزية ، بشر ،
وغیرها ، والأقل أن يستشهد لكلا المعنيين أو أن يستشهد للمعنى
الواحد بأكثر من شاهد كما في شراة ، المولى ، وغيرها . وشواهدهم
في الغالب الأعم شعريّة .

٣ - لم يهتم باللغات ، ولم يرو عن أحد فكان يكفي بأن يقول (قيل) أو
(يقال) فلا نعلم من أقواله استاذنا روى عنه شيئا من الأضداد
وافترضنا في رواية الأضداد انه رواها عن يونس بن حبيب ، وهو
مجرد افتراض ليس بأيدينا دليل عليه أكثر من علمنا أنه أخذ عن
يونس اشياء من اللغة ، كما أننا لانعلم من أقواله أنه شافه اعرابا وأخذ
عنهم المعاني ، وهو سبب انعدام ذكر اللهجات في أضداده .

٤ - لم ينقل لنا فيما نقل من أقواله في الأضداد انه ذكر الفقهاء والمفسرين
وأصحاب الرأي في القرآن والحديث ، ولعل سبب ذلك بغضه لهم
وعداوته التي شملت طائفة كبيرة من العلماء بسبب مذهبه الديني
ولو لم عنصره - كما مرّ في ترجمته - واعتداده برأيه .

٥ - لم تكن له نظرة الفراء لللفظة الضد من حيث دور الاستعمال في تغير
دالتها ، أو من حيث شمولية مدلولها الأول . بل كان يذكر اللفظة
ومعنيها المتضادين مسلما بهما دون نظر ، ولهذا وجدنا السجستاني
كثيرا ما يخطئه فيما ينقل عنه ويبرأ مما يقول ، اما بدافع الحرص
على المعنى القرآني ، وما لانه لم يسمع بالمعنى الثاني ، كما في :
الخنذيد ، خاف ، ارتبتم ، أسررت ، البشر ، وغيرها . وهو اذ يختلف
مع الفراء في هذا يكون قد أشبه قطربا شبا كبيرا كما مرّ في دراسة
كتابه ، وهذا يقوّى اعتبار أبي عبيدة بصرى المنهج اذ كان قطرب
كذلك .

ولا يفوتنا أن نذكر للأمانة العلمية احتمال أن يكون النقل عن أبي عبيدة ناقصا مبتورا ، بمعنى أن أبا حاتم مثلا حين نقل نصوصا عن كتاب الأضداد لأبي عبيدة نقلها بالمعنى فلم تجيء كاملة ، أو نقلها مبتورة عن ذكر لغة أو علم أو رواية وما أشبه ذلك ، فجاءتنا أقواله عارية من كل ذلك •

وكان الطريق أمام أبي عبيدة واسعا لأعمال فكره وذوقه فيما نقل لنا من الأضداد فقد نقل ما يفسر بالتفسير الاجتماعي النفسي على التناول أو التشاؤم كسمية الفرس الحسناء بالشموه • وما يفسر بالمجاز مثل لفظة (دُرْع) ، وما يفسر باللهجات مثل لفظة (السدْف) للضوء والظلمة وقد اقتصمت معنيها قيس وتميم ، وما كان بسبب التصريف من زنة فعل وأفعال مثل خفيت وأخفيت ، وغير هذا كثير مما يمكن رده ومناقشته ولو بالذوق الفطري كما فعل كثير من الأضداديين قبله وبعده •

ويلاحظ على أبي عبيدة أنه يذكر من الأضداد ما تنصرف اللفظة فيه الى عدة معان لا يتضاد اثنان منها تضادا كاملا ، كما ليس من الأضداد لفظة تنصرف الى سبعة معان كالمولى وإن تضاد منها اثنان • كما يلاحظ عليه كذلك أنه كان مهتما بمشتقات اللفظة وكل ما يتصل بها من معان قريبة وبعيدة مثل مادة (قرء) التي للحيض والطهر ، فقد وصل بها أبو عبيدة الى (أَقْرَأَتْ النجوم بمعنى غابت) ، وهو في هذا يشبه قطربا ، إذ وجدناه معنيا بهذا عناية واضحة ، ولعلها خصيصة بصرية متصلة الجذور بفكرة القياس وإحصاء التشابهات • بقي ان نلاحظ ملاحظة أخيرة هي التزام أبي عبيدة في الأكثر أن يذكر بعد الشاهد الشعري موطن هذا الشاهد بتعليقة صغيرة مثل قوله - وقد أشد قول العجاج : أزمان إذ ثوب الصبيّ يدى - : أى واسع • أو قوله - وقد قرأ قول ابن مقبل : ظني بهم كعسى وهم بتخوفة ... الخ - : أي ظني بهم يقين وهكذا في (كان) و (أخلفت) و (تهيبت) وغيرها •

نخلص من هذه الملاحظات وتبين الخصائص المنهجية لاضداد أبي عبيدة الى النتيجة التي طرحناها سابقا وهي كونه بصرى الدرس ومعالم بصريته واضحة في هذه الميزات التي امتاز بها كتابه الضائع والذي حاولنا أن نكون صورة قريبة له بما نقلت مصادر الفن عنه .

كتابا الأصمعي وابن السكيت

المؤلف الاول هو ابو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي الاصمعي^(١)، ولد في البصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر ، وسمع شعبة بن الحجاج والحمادين وميسر بن كدام ، وحكى شيئا سيرا - من العروض لا من اللغة - عن الخليل وكان الخليل أسن منه . وكان أبو زيد وأبو عبيدة يخالفانه ويناوئانه كما يناوئهما ، فكلهم كان يطعن على صاحبه بأنه قليل الرواية . أخذ عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن عبدالله وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي وأحمد بن محمد اليزيدي ونصر بن علي الجهمي وغيرهم .

قدم بغداد أيام الرشيد وكان صاحب لغة وغريب وأخبار ونحو وملح ، يكره اختراع المعاني والعناية بالعروض ، وأظن أن سبب ذلك لانه لم يستطع

(١) تراجع ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ٤٥ وطبقات النحويين واللغويين ١٨٣ ومراتب النحويين ٤٦ وتهذيب اللغة ١٤/١ والفهرست ٨٢ ونزهة الالباء ٧٤ وتاريخ بغداد ١٠ / ٤١٠ وانباء الرواة ١٩٧/٢ ومروج الذهب ٣ / ١١٢ ونور القبس ٢١٥ ووفيات الأعيان ٢ / ٣٤٤ والنجوم الزاهرة ٢ / ١٩٠ والانساب ١ / ٢٨٨ وعجالة المبتدى ١٨ ولب الباب ١٧ والمزهر ٢ / ٤٠٤ وبغية الوعاة ٣١٣ وشذرات الذهب ٢ / ٣٦ وتاج العروس ١ / ٣٣ والعدة في الرجال ١٨١ وهدية العارفين ١ / ٦٢٣ وتاريخ بروكلمان ٢ / ١٤٧ والكنى والالقب ٢ / ٣٢ ومعجم المطبوعات ٤٥٦ والاعلام ٤ / ٣٠٧ والاصمعي حياته وآثاره للجورمرد .

آقهم العروض عندما حاول أن يدرسه على الخليل ، والقصة معروفة من اشارة الخليل له بترك هذا الدرس • ونقل عنه أنه كان يحفظ ستة عشر ألف ارجوزة • وكان من أوثق الناس في اللغة واسرعهم جوابا وأحضرهم ذهنا ، كثير التوقي لتفسير القرآن • وأمل في بغداد كتابا في النوادر فزید علیه ماليس من كلامه • وللاصمعي مصنفات كثيرة ، منها فيما عدا كتاب الأضداد : غريب القرآن ، خلق الانسان ، الاجناس ، الأنواء ، الهمز ، المقصور والممدود ، الصفات ، الابل ، الخيل ، وغيرها • مات سنة ست عشرة ومائتين عن نيف وتسعين سنة •

والمؤلف الثاني هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت (٢) ، من كبار اللغويين في عصره ، والسكيت لقب أبيه اسحاق الذي كان معلم صبيان في قرية دورق بخوزستان ويرجح بروكلمان انه آرامي الاصل •

درس ابن السكيت على الفراء وأبي عمرو الشيباني وابن الاعرابي من الكوفيين وروى عنهم • كما أخذ عن الاصمعي وأبي عبيدة والاثرم من البصريين والتقط اللغة من أفواه الاعراب ، حتى كانت مصنفاته الكثيرة مضرب المثل في الجودة والاثقان والثقة ، فقال بعضهم : ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل اصلاح المنطق • وكان سبب قعود ابن السكيت للدرس وقصدهم اياه أنه عمل شعر أبي النجم العجلي وجوده • وعرف عنه أنه عالم بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعراء ، رواية ثقة ، حتى

(٢) تراجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ٢٢١ ومراتب النحويين ٩٥ وتهذيب اللغة ١ / ٢٣ والفهرست ١٠٨ ونزهة الألباء ١٢٢ وتاريخ بغداد ٢٧٣/١٤ ونور القبس ٣١٩ ومعجم الادباء ٥٠/٢٠ ووفيات الاعيان ٤٣٨/٥ والفلاكة والمفلوكون ١٣٦ والنجوم الزاهرة ٣١٩/٢ والمزهر ٤١٢/٢ وبغية الوعاة ٤١٨ وشذرات الذهب ١٠٦/٢ والعدة في الرجال ١٩١ وهدية العارفين ٥٣٦/٢ وتاريخ بروكلمان ٢٠٥/٢ والكنى والالقب ٣٠٣/١ وتاريخ آداب اللغة العربية ١١٨/٢ والذريعة ٢١٤/٢ ومعجم المطبوعات ١٢٠ •

انهم اعتبروا علم الكوفيين منتهيا اليه والى ثعلب « وكانا ثقتين أمينين ، ويعقوب
أسن وأقدم وأحسن الرجلين تأليفا ، وثعلب أعلمهما بالنحو » ، وقيل ان
ابن السكيت احتاج الى الكسب فجعل يتعلم النحو بعد أن كان يؤدب صبيان
العامة بدرب القنطرة ببغداد .

وله من المصنفات : اصلاح المنطق ، الذى قال عنه المبرد : « ما رأيت
للبيهقيين كتابا خيرا من كتاب يعقوب بن السكيت في المنطق » . وله أيضا :
تهذيب الألفاظ ، الامثال ، الاجناس ، النوادر ، سرقات الشعراء ، القلب
والابدال ، المقصور والممدود ، السرج واللجام ، والاضداد وهو ما سنبجته
هنا ، وغيرها كثير . حمل من عند المتوكل مقتولا - وقصته معروفة - سنة
اربع وأربعين ومائتين عن ثمانى وخمسين سنة .

والذى دعانا الى دراسة الكتابين معا أمران ، الاول : هو تشابه
الكتابين من حيث المادة والمنهج وطريقة العرض وما الى ذلك ، بحيث يصدق
أن يكون الكلام على أى منهما كلاما على الآخر تقريبا ، الا بفروق سنعرض
لها ونسئها . والثاني : هو اعتقاد جملة من الباحثين المحدثين ^(٣) أن كتاب
الاصمعي ليس للاصمعي وانما هو نسخة اخرى من اصدار ابن السكيت
محاولين أن يجدوا من هذا التشابه الذى ألمحنا اليه الأدلة على هذا الرأى
والبراهين الكافية لما يذهبون اليه ، وسنحاول أيضا الرد عليها ومناقشتها ما
أمكننا ذلك .

وتلخص أدلتهم على خطأ نسبة الكتاب للاصمعي وانه نسخة اخرى
من كتاب ابن السكيت في النقاط التالية :

« (٣) كالدكتور رمضان عبد التواب في مجلة المكتبة ج ٥٥ ص ٦ وما بعدها ،
ومحي الدين توفيق ابراهيم في مجلة كلية الشريعة سنة ١٩٦٨ م
ص ٢٧١ وما بعدها وحسين محمد في مجلة اللسان العربي ج ٩ سنة
١٩٧٢ ص ١١٠ وما بعدها .

١ - الفاظ الاضداد التي وردت في كتاب الاصمعي هي نفس الفاظ الواردة في كتاب ابن السكيت ، وعبارات الكتاب الاول وترتيبه هي نفس عبارات وترتيب الكتاب الثاني •

٢ - اتفاق الكتابين في طريقة العرض ، فهما يرجعان الى المادة المجردة المشتق منها اللفظ ، فـ (القرء) مثلاً في مادة (قرأ) و (الضراء) في مادة (ضرا) وهكذا •

٣ - الرواية عن الشيوخ واللغويين والرواة هي نفسها في الكتابين ، في حين كانت هناك عداوة شديدة بين الاصمعي وبين بعضهم كأبي عبيدة وابن الأعرابي •

٤ - تكرر عبارة (انشد الاصمعي) و (قال الاصمعي) وما أشبه ذلك في كتاب الاضداد للاصمعي مما يدل على ان المؤلف شخص آخر غير الاصمعي •

٥ - في كتاب الاصمعي روايات عن شيوخ مدرسة الكوفة كأبي عمرو الشيباني والفراء وابن الأعرابي ، مما يدل على أن الكتاب ليس للاصمعي (البصري) •

يخلصون من هذا الى أن كتاب الاصمعي في الاضداد ليس له وان نسبته اليه خاطئة ، بل هو لابن السكيت • أما تعليل نسبته للأصمعي في المخطوطة التي طبع منها ، فهو ورود اسم الاصمعي في أول الكتاب ، حيث تكون هذه المخطوطة منقولة عن نسخة فقدت منها صفحة العنوان (٤) • وعندما تذكروا أن المصادر المختلفة وفهارس الكتب القديمة قد ذكرت للاصمعي كتاباً في الاضداد ، اضطروا الى ان يقرّوا للاصمعي بكتاب في الاضداد الا انه ليس هذا الكتاب المطبوع بل هو كتاب آخر مفقود فيما فقد

(٤) مجلة المكتبة ج ٥٥ ص ٧ •

فلم يصل إلينا (٥) .

واعتقد أن الذي فتح الطريق أمام هؤلاء الدارسين للشك في كتاب الأصمعي هو محقق كتابي الأصمعي وابن السكيت ، في عبارته : « يتضح من مطالعة كتاب الأضداد لابن السكيت انه تتبع كتاب الأضداد للأصمعي إلا فيما ندر ، فيورد العبارات ذاتها وبالترتيب ذاته ويرفع الى الأصمعي ما يورده عنه قائلا : قال أبو سعيد أو قال الأصمعي أو الأصمعي مكتفيا بذكر اسمه في بدء ما ينقله عنه » ومن ثم يمكننا اعتبار كتاب الأضداد لابن السكيت كرواية ثانية لكتاب الأصمعي « (٦) ، وهو وان كانت المسألة عنده بعكس ما ذهبوا إليه ، إلا أنه - على ما يظهر - حفزهم للرجوع إلى الكتابين وتملي ما تيهما واستخراج هذه الأدلة البعيدة .

وعندى أن ابن السكيت - وهو تلميذ الأصمعي الأكثر من الرواية عنه - حاول أن يضع كتابا في الأضداد على غرار كتاب استاذہ الأصمعي وبوحي من مادته وبت رسم لمنهجه ، ولعله أخذ كتاب الأصمعي فزاد فيه شيئا ونقص منه أشياء وعدل هذه العبارة وقوّم تلك ، فكان بالمجموع كتاب يشبه كتاب استاذہ شبها كبيرا ويوافقه توافقا واضحا حتى في العبارة والجملة والمادة . وهذا هو الذي يفسر لنا النقطة الأولى من نقاط أدلة المشككين بنسبة الكتاب للأصمعي . ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أن ابن السكيت يذكر الأصمعي في كتابه الأضداد ثمان عشرة مرة ناقلا في هارايه او ائشاده لشاهد من الشواهد . ويظهر من اخبار ابن السكيت أنه كان من المولعين بإعادة النظر في كتبه وإعادة تنقيحها كما فعل بكتابه اصلاح المنطق ، فقد نقحه ثم اختصره مرتين ، أريد أن أقول انه ربما بدافع من هذا الولع كان في أول عهده بالتأليف ينقح كتاب الأضداد للأصمعي أو غيره ثم لما اكتملت له صناعة

(٥) مجلة كلية الشريعة ٢٧٧ ومجلة المكتبة ٧ .

(٦) ثلاثة كتب في الأضداد ١٦٣ (الهامش) .

التأليف راح ينتج مؤلفاته ومصنفاته •

ومع هذا فالاختلاف بين الكتابين ليس بالشيء اليسير ، فمجموع
الاضداد في كتاب الأصمعي مائة وخمسة ألفاظ ، في حين هي عند ابن
السكيت أربعة وتسعون لفظا فقط ، فابن السكيت لم يوافق الاصمعي في
الألفاظ التالية : قهم ، لفاً ، وجه ، أكرى ، قرع ، غابر ، طرب ، زفر ،
بلو ، صاقب ، صرد ، عرد • بل زاد عليه لفظ (قيص) (٧) الذي لم
يذكره الاصمعي في كتابه • وروى الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء تسع
مرات ، في حين روى ابن السكيت عنه سبع مرات ، وروى الاصمعي عن
أبي عمرو الشيباني أربع مرات ، في حين روى عنه ابن السكيت ست مرات
وروى الاصمعي عن أبي عبيدة ثمان عشرة مرة في حين روى ابن السكيت
عنه عشرين مرة ، وروى الاصمعي عن ابن الاعرابي أربع مرات في حين
روى ابن السكيت عنه ثلاث مرات ، وروى الاصمعي عن أبي زيد سبع
مرات في حين روى ابن السكيت عنه ست مرات ، وروى الاصمعي عن
الفراء مرتين ، في حين روى ابن السكيت عنه ثلاث مرات • ولم يرو
الاصمعي عن ابن سلام ويونس بن حبيب وأبي عبيد القاسم بن سلام
شيئا في حين روى ابن السكيت عنهم جميعا (٨) • كما يختلف الكتابان
في معالجة كثير من المواد مثل : جزور ، سدق ، جون ، قور ، ناء ، نبل ،
فكه ، بين ، ركب ، وغيرها مما يدل على اختلاف المؤلفين وتغيرهما في
الكتابين •

أما أن الكتابين يرجعان الى المادة المشتق منها اللفظ كالقرء في قرأ ،
فهذا لا يضي شيئا ، لانها طريقة متبعة في كثير من الكتب المعنية بالالفاظ وعلى
رأسها المبهجمات اللغوية ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك في الاضداد كتاب

(٧) ابن السكيت ١٧١ •

(٨) المصدر نفسه ١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢٠٣ •

الأضداد لابي الطيب فهو سار على هذه الطريقة مرجحا اللفظة الى جذرها اللغوي ، فهل يعني هذا أن كتاب ابي الطيب نسخة اخرى من كتاب ثان • والنوويون انما يتبعون هذه الطريقة فلأنها تنظم البحث في الألفاظ وتسهل الرجوع اليها • ومع هذا كان تسلسل هذه الجذور وترتيبها مختلفا بين الكتابين فمثلا نجد عند الأصمعي التسلسل : رَها - صَرى - قَلَص - خَجِل - قَهَم - لَفَأ - قَرَعَ - عَبَد - وَجَه - شَمَل - شَرى • وهو عند ابن السكيت : رَهْوَة - قَلَص - قَيْص - خَجِل - قَهَم - صَرى - شَمَل - أَدى - قَسَط • كما أنهما اختلفا في تسمية المادة أو الجذر ، فالأصمعي جعل مادة (حَزَوَّر) هي حَزَرَ ، ومادة (رَهْوَة) هي رَها ومادة (وَرَاء) هي وَرى ، في حين هي عند ابن السكيت : حَزَوَّر ورَهْوَة ووراء •

وأما الرواية عن الشيوخ فقد رأينا أنها مختلفة تماما بين الاثنين وليست نفسها كما يزعمون ، وقد فهرسنا الكتابين وأوضح لدينا أن الرواية مختلفة - كما مرّ قبل قليل - فقد يروى الأصمعي عن أحدهم رواية أو روايتين بالوقت الذي يروى ابن السكيت عنه أكثر من ذلك ، وقد يكون العكس ، كما أن ابن السكيت روى عن جماعة لم يرو عنهم الأصمعي أبدا كابن سلام ويونس وأبي عبيد ، وهنا من أجلّ وأوضح الاختلافات في الرواية عن الشيوخ في الكتابين • أما ما ادعى من وجود المداوة بين الأصمعي وبين أبي عبيدة وابن الأعرابي استنادا الى ما أخبر به القفطي في الأنباء ^(٩) ، فهي - ان صحّت - متأخرة في حياة الأصمعي ، أعني أنه بعد أن روى عنهما شيئا من شذور اللّغة - وهما أسن منه - وقد صنف بعضا من كُتبه ومن جملتها الأضداد ، نشأت منافسة وتزاحم على

(٩) انباء الرواة ٢/٢٠٢ و١٣٣/٠

قصور الخلفاء ثم تطورت الى الاتهام والمناوأة والعداوة ، وربما كان من أسبابها أيضا - خصوصا تلك التي بينه وبين أبي عبيدة - هو بذاءة أبي عبيدة وكراهية الرواة واللغويين له للؤم عنصره وشعوبيته * فنحن اذن نقترض ان تكون الرواية عنهما في الفقرة التي سبقت هذه العداوة وهي فترة جافلة بالرواية في البصرة *

وتكرر عبارة (قال الاصمعي) (١٠) أو (انشد الاصمعي) (١١) هي الاخرى شائعة في المصنفات القديمة شيوعا كبيرا واقرب الامثلة كتب الاضداد ، فهذا كتاب أبي حاتم فيه (قال ابو حاتم) كثيرا ، وكتاب أبي الطيب اللغوى كثيرا ما تكرر عبارة (قال ابو الطيب) فيه وكتاب ابن الانبارى ملىء بعبارة (قال أبو بكر) ومثل كتب الاضداد جمهرة كبيرة من الكتب في اللغة وغيرها ، ولا يعني هذا ان مؤلف اضداد السجستاني شخص آخر أو مؤلف اضداد ابن الانبارى شخص آخر وهكذا ، وانما يحدث هذا اذا كان الكتاب مرويا عن المؤلف ، فالراوى يبدأ روايته لبض نصوص الكتاب بعبارة (قال فلان) لتوثيق نسبة الكتاب الى المؤلف وارتباطه به ، وهذا الدليل - في رأيي - على المشككين لا لهم من هذه الناحية * اذ ان راوى كتاب الاصمعي يبدأ بقول (قال الاصمعي) قبل النص ليشعر ان الكتاب للاصمعي وانه مروي عنه *

تبقى مسألة اعتبروها اهم المسائل هي : كيف يروى الاصمعي (البصرى) عن امثال ابي عمرو الشيباني (١٢) والفراء (١٣) وابن الاعرابي (١٤) من الكوفيين ؟ وكان حرى بهم ان يستغربوا ايضا من رواية

(١٠) الاصمعي ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٥ .

(١١) المصدر نفسه : ٢٢ .

(١٢) الاصمعي : ٦ ، ١٠ ، ٣١ ، ٤٢ .

(١٣) المصدر نفسه : ٢٨ ، ٥٢ .

(١٤) نفسه : ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٤٨ .

ابن السكيت الذى لم يشكوا في نسبة الكتاب اليه عن امثال الاصمعي وأبي عبيدة وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وأبي زيد والآنثم وغيرهم من البصريين ، وهو الكوفي الذى عد هو وتعلب في منزلة واحدة من الدرس والمنهج الكوفي وقد مرت ترجمته والقول فيه • فلماذا لم يكن هذا مما يطعن بوساطته في الكتاب المنسوب اليه •

صحيح ان الاصمعي بصرى المدرسة الا ان روايتين عن الفراء واربع روايات عن أبي عمرو الشيباني واربعاً عن ابن الاعرابي لا يخرج منه من مدرسته ولا يعني شكاً في كتابه ، فهو قد لقيهم جميعاً في البصرة وبغداد فلا يبعد ان يكون قد سمع منهم شيئاً يسيراً وهم كما قلنا اسن منه ، وارجح ان تكون روايته عن الفراء في البصرة عندما مر بها الاخير للقي الخليل فيها وكان الخليل قد توفي ^(١٥) • وهذه الحدية المدرسية اذا صح التعبير لم تكن في اللغة كما كانت في النحو ، فقد وجدنا ابا زيد من البصريين اللغويين يروى عن الكوفيين اشياء ^(١٦) ، وكذلك ابن السكيت الذى روى الى جانب رواياته عن الكوفيين روايات عن البصريين ^(١٧) ، فالمسألة ليست بتلك الغرابة اذا عرفنا انها متوفرة في اكثر من لغوى واكثر من راو غير الاصمعي •

ومع ذلك وجدنا في عرضنا لاختلاف الرواية عن الشيوخ بين الكتابين ، ان الاصمعي في كتابه اكثر من ابن السكيت رواية عن البصريين وبالعكس وجدنا ابن السكيت اكثر من الاصمعي رواية عن الكوفيين بل روى عن من لم يرو عنهم الاصمعي من الكوفيين كأبي عبيد مثلاً •

نخلص من ذلك كله الى ان الادلة التي ساقها من شك في نسبة

• (١٥) انظر سؤال الاصمعي للفراء عن بيت من الشعر : التنبيهات ٨٦ •

• (١٦) نزهة الالباء ١٧٥ •

• (١٧) بغية الوعاة ٤١٨ •

كتاب الاصمعي اليه بل نفى هذه النسبة الخاطئة ، هذه الادلة متهاقنة ولا تقوم على ساق امام التمحيص والنظر الدقيق الذي يتطلبه البحث وتريده الموضوعية في الدراسة ، وربما اراد كل واحد منهم - بعد ان ظفر بالمفتاح عند هفتر - ان يفتح ابوابا جديدة مهما كانت صحة ما يذهب اليه ، لهذا وجدنا بينهم من يصرح بأنه واصل الى هذه الحقيقة قبل فلان ، ويحدد بالاشهر المدة التي سبق فيها صاحبه (١٨) .

اذن فكتاب الاضداد للاصمعي ليس نسخة اخرى من كتاب ابن السكيت سقطت منه صفحة العنوان بل هو للاصمعي نفسه ، وذلك للاختلاف الذي وجدناه بين الكتابين ، مما يؤكد انهما ليسا لمؤلف واحد هو ابن السكيت ، الا ان يكون ابن السكيت قد الف كتابين في الاضداد بهذا المقدار من الاختلاف ، وهو بعيد الاحتمال والتصديق . خصوصا وان الكتب القديمة وفهارس المؤلفات قد أكدت وجود كتاب في الاضداد للاصمعي - كما مرت الإشارة الى ذلك - وهو بلا شك غير كتاب ابن السكيت الذي اشارت اليه نفس الكتب والمصادر . والتخريج الذي خرج به الموضوع من ان صفحة المخطوطة الاولى التي تحمل عنوان الكتاب واسم المؤلف الذي هو ابن السكيت كما يدعون قد سقطت ، واخذ اسم المؤلف من اول علم ذكر في الكتاب وهو الاصمعي . اقول ان هذا التخريج ضعيف لا تؤيده الحقائق ، واذا صدق في كتاب آخر كالغريب المصنف مثلا حين سقطت منه صفحة العنوان فنسب الى ابي عمرو الشيباني لا ابتداء الكتاب بذكره (١٩) ، فلا يصدق على اضرار الاصمعي ، ذلك انه لو افترضنا ان تكون النسخة التي حقق منها هفتر الكتاب ساقطة الصفحة الاولى ، فهل نسخة البغدادي صاحب خزانة الادب كذلك وهو قبل هفتر

(١٨) مجلة كلية الشريعة : ٢٧١ وما بعدها .

(١٩) مجلة المكتبة ج ٥٥ ، ص ٧ .

بقرون لم تكن فيها طباعة ، ولا مطبعة ، والظاهر انه كان يملك كلا الكتابين
اعني اضداد الاصمعي واضداد ابن السكيت فقال بعد ان اورد قول
الراجز :

تَمُدُّ بِالْأَغْصَاقِ أَوْ تَلَوِّيَهَا وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّ نَشْكِيهَا

قال : « وهذا الرجز اورده ابو زيد في نوادره والاصمعي في كتاب
الاضداد . وقال : تقول أشكيت الرجل اذا أتيت اليه ما يشكو منه واشكيت
نزعته عنه شكايته ، وكذا قال ابن السكيت في اضداده وأنشد هذا الرجز
وأورده ابن جني ايضا في سر الصناعة . (٢٠) » ، وقول الاصمعي
بنصه موجود في اضداد (٢١) ، ومثله في اضداد ابن السكيت (٢٢) ،
فالبغدادى وقد نشر امامه مصادره وكتبه يرجع الى نوادر أبي زيد واضداد
الاصمعي وأضداد ابن السكيت وسر الصناعة لابن جني وغيرها من الكتب ،
وهو يعي عن ينقل ولن الكتاب ومن هو المؤلف الحقيقي ، لان صفحات
العنوان الاولى لم تكن ساقطة من هذه الكتب !! كما لم يسبق النص في
كتاب الاصمعي بعبارة من اى نوع تشعر بنقله عنه . وقد نقل البغدادى
في مكانين آخرين من الخزائن عن ابن السكيت دون الاصمعي (٢٣) ونص
على كتابه ، الذى سجل لنا ابن خثير سند روايته الطويل ، فقد حدثه به ابو
عبدالله محمد بن سليمان النفري عن خاله . . . عن ابي بكر بن الانباري
عن ابيه عن ابي محمد عبدالله بن محمد بن رستم عن يعقوب بن
السكيت (٢٤) .

(٢٠) خزانة الادب ٤ / ٥٣٠ .

(٢١) الاصمعي ٥٧ .

(٢٢) ابن السكيت ٢٠٨ .

(٢٣) خزانة الادب ٢ / ١٤٧ ، ٤ / ٢٠٠ .

(٢٤) فهرسة ابن خثير ٣٨٢ .

ويلاحظ على منهج الأصمعي في اضداده انه يشبه منهج قطرب وأبي عبيدة من حيث عدم الاستشهاد على كلا المعنيين المتضادين كما في «الضراء» (٢٥) و «أَوْجَهَه» (٢٦) وغيرهما • او الاستشهاد على احد المعنيين دون الآخر كما في «أَدَا» (٢٧) ، و «قَوَّرَ» (٢٨) و «أَمِين» (٢٩) وغيرها • الا انه اختلف عنهما في استشهاده في الحديث • كما شابه قطربا في التفاته احيانا الى اللغات كما في «قَرَأَ» يقول : « وأهل الحجاز يقولون قِرَّةً بغير همز ، يعني أُنْكَ ان مرضت بعدها فليس ذلك من وباء تلك البلدة ، وقوله المقر وأهل الحجاز يقولون عَقْرُ الدار وأهل نجد عَقْرُ الدار ، وأهل الحجاز يضمون العين والمقر أصل الدار ومنه قيل العقار » (٣٠) • وعني بالمشتقات أكثر من عناية أبي عبيدة بها ، يظهر هذا في مواد (ذَقِرَ) و (قُرَّ) و (صَرَى) و (ناهِل) (٣١) •

ولا يلتزم الأصمعي منهجا مرسوما في كتابه ، ولا يحاول الخروج الى نتائج في معنى اللفظ ، أو يعلل ذلك التناقض والاختلاف • وكان يتحاشى اذا تعرض للفظ قرآني أن يبت فيه برأى ، بل يورد ما جاء فيه مبيِّنا أصح تلك الأقوال ، تاركا للقارئ التفضيل والترجيح • ويقلد من الشاهد القرآني • كما لم يشر في أول الكتاب الى الغرض من تأليفه أو الدافع لذلك • ولو راجعنا مادتي (أَقْوَى) و (سَجَرَ) في كتابه (٣٢) ،

-
- (٢٥) الأصمعي ١١
 - (٢٦) الأصمعي ١٨
 - (٢٧) الأصمعي ١٩
 - (٢٨) الأصمعي ٤٤
 - (٢٩) الأصمعي ٥١
 - (٣٠) الأصمعي ٦٥
 - (٣١) الأصمعي ٣٧
 - (٣٢) الأصمعي ٨ ، ١٠

تبيين طريقته في ايراد الشاهد القرآني مع الألفاظ ، وكيف أنه يذكر الألفاظ التي في الآيات ثم يتبعها الآية ، اذا رأى أن المعنى واضح صريح لا لبس فيه ولا غموض ، وفي هذا دليل على ان تخرجه من القول في القرآن لم يكن شديدا فلا مانع احيانا من تفسير ما جاء في اللغة فيه على ما تروى الاخبار . ولهذا لم يقتصر الاصمعي على ذكر الازداد في كتابه ، بل ذكر ايضا كلمات اختلف في معانيها باختلاف مواضعها ومناسباتها ، مثل مادة (المولى) التي ذكر لها سبع دلالات ليست متضادة مع الدلالة الاولى (٣٣) .

اما ابن السكيت فيلاحظ على منهجه كثير مما لوحظ على منهج الاصمعي ، خصوصا في ناحية عدم الاستشهاد على كلا المعنيين أو الاستشهاد على أحد المعنيين أو الاستشهاد على كليهما . وشواهد كثيرة متنوعة من القرآن والشعر والأمثال ، والى جانب هذه عني بالحديث كما في (صرى) (٣٤) و (خفي) (٣٥) و (المولى) (٣٦) و (باع) (٣٧) و (مثل) (٣٨) . وطريقته في العرض تكون بأن يذكر المادة اولا ثم يتبعها بمعنيها المتضادين ثم بالشواهد والامثلة كما في مادة (جلل) يقول : «جلل» : والجلل الهين ، والجلل العظيم ، فقد جلت مصيبتهم اى عظمت ، وأشد للبد . . . (٣٩) . أو أنه أحيانا يذكر المعنى الاول ويتبعه بشواهد ثم المعنى الثاني ، مثل مادة (أقوى) يقول : « والمقوى الذى لازاد معه ولا مال له ، وكذلك الدار التي قد اقوت من اهلها ، قال الله تبارك

-
- (٣٣) الاصمعي ٢٤ - ٢٧ .
 - (٣٤) ابن السكيت ١٧٢ .
 - (٣٥) ابن السكيت ١٧٩ .
 - (٣٦) نفسه ١٨٠ .
 - (٣٧) نفسه ١٨٤ .
 - (٣٨) نفسه ٨٦ .
 - (٣٩) نفسه ١٦٧ .

وتعالى : (ومتاعاً للمُقْوِينَ) ، وفي موضع آخر المقوى الكثير المال ، يقال أكثر من اتیان فلان فإنه مقوٍ .. (٤٠) »

وعني بالمشقات كناية السابقين مثل الاصمعي وقطرب ، الا انه لم يخضع لقطرب ومارواه في اضداده ، لشكه في صحة روايته - كما بينا سابقا - فلم يوافقه في ثلثي اضداده أو أكثر . وبهذا تحرر من سيطرة المنهج البصري سيطرة كاملة ، وان كنا نلمح آثاره في روايته عن الاصمعي وأبي عبيدة وغيرهما ، فهو اقرب من الاصمعي للكوفيين مع تأثيرات بصرية تركتها تلمذته لبعض البصريين ، والاصمعي اقرب من ابن السكيت الى البصريين مع تأثيرات كوفية تركها سماع قديم عن بعض الكوفيين ولقي عابر لاثنين أو ثلاثة من شيوخهم .

كتاب أبي عبيد

المؤلف هو أبو عبيد القاسم بن سلام الخزاعي الهروي (٤١) ، ولد سنة احدى وخمسين ومائة . كان أبوه عبدا روميا لرجل من اهل هراة . نشأ أبو عبيد مولى للازد في خراسان ، ثم ولي قضاء طرسوس ايام ثابت بن نصر بن مالك . قدم بغداد وحدث بها ما أخذه عن ابي زيد الانصاري وابي عبيدة والاصمعي واليزيدي وغيرهم من البصريين ، وابن الاعرابي وأبي زياد الكلابي ويحيى الاموي وأبي عمرو الشيباني والكسائي والفراء من الكوفيين وروى الناس من كتبه نيفا وعشرين كتابا في القرآن والفقه .

(٤٠) ابن السكيت ١٦٧ .

(٤١) تراجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ٢١٧ ومراتب النحويين ٩٣ وتهذيب اللغة ١٩/١ والفهرست ١٠٦ ونزهة الالباء ٩٣ وانباه الرواة ١٢/٣ ونور القبس ٣١٤ وتاريخ بغداد ٤٠٣/١٢ ومعجم الادباء ١٦ / ٢٥٤ ووفيات الاعيان ٣ / ٢٢٥ والنجوم الزاهرة ٢ / ٢٤١ والمزهر ٢ / ٤١١ وبغية الوعاة ٣٧٦ وشذرات الذهب ٢ / ٥٤ و تاج العروس ٣٦/١ والكنى واللقاب ١١٣/١ وتاريخ بروكلمان ٢ / ١٥٥ والاعلام ٦ / ١٠ .

ولأبي عبيد من المصنفات : غريب القرآن ، غريب الحديث ، المقصور والممدود ، القراءات ، الامثال السائرة ، عدد آي القرآن ، المذكر والمؤنث ، وغيرها . ثم انه لما حج اقام بمكة حتى توفي ودفن فيها في (دور جعفر) سنة اربع وعشرين ومائتين ، وله من العمر ثلاث وسبعون سنة .

وأقدم اشارة لكتابه (الاضداد) هي اشارة (المزهر) للسيوطي (٤٢)

المتوفى سنة ٩١١ هـ ، وهي اشارة متأخرة لو قيس بما ذكره ابن النديم المتوفى سنة ٣٧٧ من اشاراته لكتب الاضداد ، ومن الغريب ان لانشر في المصادر المختلفة والفهارس القديمة التي سبقت السيوطي على ذكر لكتاب الاضداد بين كتب أبي عبيد ، فهل كان الكتاب محتفيا ثم ظهر بعد ذلك او كان مفقداً فمشر عليه السيوطي ؟ لا أظن ذلك ، اذ لو كان الامر هكذا لسمعنا بخبره من غير السيوطي من المتأخرين الذين فهرسوا الكتب وغنوا بذكرها وتصنيفها كحاجي خليفة في كشف الظنون او اسماعيل البغدادي في هدية العارفين او ايضاح المكنون أو غيرهما . أما كتاب (الأضداد والضد) الذي نسب بروكلمان الى ابي عبيد القاسم بن سلام والذي زعم وجوده في مكتبة عاشر افندي فهو لغير ابي عبيد وقد اخطأ بروكلمان . فالحقيقة انه لا وجود لكتاب بهذا الاسم في مكتبة عاشر افندي ١٧٤ ، وانما وهم بروكلمان ١٥٨/٢ فنسب الى ابي عبيد هذا الكتاب ، وهو في الحقيقة لأبي حاتم السجستاني كما في دفتر عاشر افندي وكما في بروكلمان نفسه ٢ / ١٦٠ في ترجمة أبي حاتم ، ولقد تحققت بنفسني من ذلك اذ انني سألت قبل حوالي عشر سنوات مضت المستشرق ديتير عن حقيقة هذم المخطوطة فأخبرني بما ذكرته لك الآن « (٤٣) .

(٤٢) المزهر ١/٥٨١ ، ٢/٢٤٩ .

(٤٣) رسالة شخصية من الدكتور رمضان عبد التواب بتاريخ

١٩٧٢ / ٣ / ٣٠ .

الذى نراه ان كتاب (الاضداد) الذى نسبه السيوطي وحده لأبي عبيد ، ما هو الا (باب الاضداد أو كتاب الاضداد) من الغريب المصنف ، نسخته ناسخ دون سائر ابواب الكتاب - والتي سمي بعضها بالكتب ككتاب الطير أو كتاب الوحوش - معنونا اياه (كتاب الاضداد لأبي عبيد) ، حتى اذا وقع بيد السيوطي ظن انه كتاب خاص لأبي عبيد في الاضداد ، يؤيد هذا الذى نذهب اليه ان اوضح ما نقل عنه من آرائه في الاضداد هي من (باب الاضداد أو كتاب الاضداد) في الغريب المصنف بالحرف الواحد .

أما اذا ورد اسم ابي عبيد اثناء الكلام على ضد من الاضداد في كتاب او معجم ، وليس هذا اللفظ المبحوث من مادة (باب الاضداد) في الغريب المصنف ، فذلك لأنه - بعد الملاحظة الدقيقة - لم ينقل عنه الا معنى واحدا من معني هذا اللفظ ، وتفسير هذا الامر بعد ذلك يسير في احتمال ان يكون قد ورد ذكر هذا اللفظ في مصنف من مصنفاته الاخرى ، أو في باب آخر من ابواب الغريب المصنف ، لأن اللفظة في هذه الحالة عند أبي عبيد ليست من الاضداد ، وانما هي مادة لغوية يذكر لها معنى من المعاني .

ومن الامثلة التي تدعم هذه المقولة مادة (شعب) (٤٤) ، فما ورد منقولاً عنه في لسان العرب وتاج العروس من امر ضديتها ، فهو بنصه في الغريب المصنف (٤٥) ، بما في ذلك الشاهد الذى انشده ابو عبيد لعلي بن الغدير الغنوى في الشعب بمعنى التفريق :

وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَشْعَبُ أَمْرَهُ

شَعَبَ الْعَصَا وَيَلِجُ فِي الْعَصِيَانِ

(٤٤) لسان العرب ٤٩٧/١ وتاج العروس ١٣٣/٣ .
(٤٥) الغريب المصنف ٥١٩ .

ومثل هذا مادة (القُرْء) (٤٦) ، فهي بنصها في الغريب المصنف (٤٧) ،
منقولة عنه في اللسان والتاج . ومثلها مادتي (البَيْع) و (التَّاهِل) في
لسان العرب (٤٨) ، فهي في الغريب المصنف ومن مواد باب الاضداد
فيه (٤٩) . اما مادة (النَّبَل) في لسان العرب التي ورد فيها قول ابي
عبيد بتضادها ، فلا وجود لها في (باب الاضداد) من الغريب المصنف ، الا
ان هذا لا يعني انها منقولة من كتاب في الاضداد لابي عبيد ، لأننا وجدناها
منقولة عنه في اضداد ابن السكيت (٥٠) ، ونحن نعرف ان ابن السكيت
عاصره ، وربما سمع منه شفاها هذه اللفظة ، فجاء ابن منظور ونقلها عنه
في اللسان بوساطة كتاب الاضداد لابن السكيت .

وأما ورود ذكره في جملة من الفاظ الاضداد الواردة في لسان
العرب أو تاج العروس أو الزهر أو غير ذلك من المعجمات والمصنفات
اللغوية ، فلا يتعدى الامر نقل احد معني الضد عنه دون الآخر مما يشعر
ان اللفظة عنده محصورة الدلالة بهذا المعنى المنقول عنه دون سواء من
المطاني ، وهي - اى اللفظة - على هذا ليست من الاضداد عند ابي عبيد ،
وبهذا نفسر عدم ورودها في (باب الاضداد) في الغريب المصنف ، لانها
يمكن ان تذكر في اى موضع آخر سوى (باب الاضداد) ، ربما كانت في
باب من ابواب الغريب المصنف تدرج تحته كما سنرى ، وربما كانت في
مصنف آخر من مصنفات ابي عبيد كما اشرنا الى ذلك قبل قليل . ومن
امثلة هذا النوع : نَشَد (٥١) ، مَسِيح (٥٢) ، المَرْوَب (٥٣) ،

(٤٦) لسان العرب ١ / ١٣٠ وتاج العروس ١ / ٣٦٦ .

(٤٧) الغريب المصنف ٥٢٥ .

(٤٨) اللسان ٨ / ٢٣ ، ١١ / ٦٨١ .

(٤٩) الغريب المصنف ٥١٩ ، ٥١٨ .

(٥٠) ابن السكيت ٢٠٣ .

(٥١) لسان العرب ٣ / ٤٢١ ، تاج العروس ٩ / ٢٢٠ .

(٥٢) اللسان ٢ / ٥٩٤ .

(٥٣) اللسان ١ / ٤٤٠ .

النَّوْءُ (٥٤) ، غَمَدَ (٥٥) ، ظَلَمَ ظُلْمَاءَ (٥٦) .

ولا يفوتنا ان تنبه على خطأ وقع فيه محققو كتاب المزهري للسيوطي بخصوص كتاب الاضداد لأبي عبيد ، يقول السيوطي : « وأنشد أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الاضداد لأبي داود [كذا] الايادي :

رُبَّ كَلْبٍ رَأَيْتُهُ فِي وِثَاقٍ جُعِلَ الْكَلْبُ لِلْأَمِيرِ جَمَالَا
رُبَّ تَوْرٍ رَأَيْتُ فِي جُحْرِ نَمْلِ وَقِطَاعَةٌ تُحْمَلُ الْأَثْقَالَا

وقال : الكلب : الخلقة تكون في السيف ، والثور : ذكر النمل » (٥٧) .
ففسحوا كتاب الاضداد - في الفهرس الذي عملوه للكتب الواردة في المزهري - لأبي داود الايادي وليس لأبي عبيد ، لأنهم فهموا من العبارة « وأنشد أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الاضداد لأبي داود الايادي » ان الكتاب للأخير وما أبو عبيد سوى شاعر انشد البيتين في الكتاب ، في حين ان المسألة معكوسة ، فالكتاب - كما يقصد السيوطي - لأبي عبيد ، لانه ذكره ايضا منسوباً لأبي عبيد في موضع آخر من المزهري (٥٨) ، وما أبو داود الايادي - وليس أبو داود - غير شاعر هذين البيتين فلم يكفهم الخطأ في نسبة الكتاب حتى اخطأوا في اسم أبي داود على شهرته ، واضنه في المخطوطة (دواد) بغير همز .

والظاهر من دراسة (باب الاضداد) في الغريب المصنف وأبواب الكتاب عامة ان ابا عبيد كان ينكر كثيراً من الالفاظ ان تكون من الاضداد ، ويحاول ان يعقد لها فصولاً وابواباً في كتابه ليشعر انها تدرج تحت هذا

(٥٤) اللسان ٢٧٤/١

(٥٥) تاج العروس ٤٦٩/٨

(٥٦) المزهري ٢ / ٢٤٩

(٥٧) المزهري ١ / ٥٨١

(٥٨) المزهري ٢ / ٢٤٩

الباب او ذاك وليست من الاضداد في شيء . ففي باب (فعولة) ادرج (الاكولة) من الضم وهي التي تعزل للأكل ^(٥٩) ، وقاسها على الجلوبة والركوبة والعلوفة ، وكل من هذه الالفاظ له معنى واحد ، لا كما عد قطرب والتوزي بعضها من الاضداد . وفي باب (فعلت وأفعلت) جعل وفيت بالعهد وأوفيت بمعنى واحد ، وعذرت الرجل وأعذرت به بمعنى واحد من العذر وأنشد قول الاخطل :

فأَنْ تَكْ حَرْبُ ابْنِي نَزَارٍ تَوَاضَعَتْ

فَقَدَّ اعْذَرْتَنَا فِي كَلَابٍ وَفِي كَعْبٍ ^(٦٠)

الا انه عقد بابا آخر للموضوع سماه (باب آخر من فعلت وأفعلت) يوجد فيه ان قسما من الافعال يكون لازما ومتعديا في آن واحد فقال : « سَنَدْتُ الى الشيء أسند سُوداً اذا استندت إليه وأسندتُ غيري » ^(٦١) ، ولم ير في هذا تضادا من نوع ما ، بل أكثر من ذلك فقد عقد ابوابا ذكر فيها من الالفاظ ماعده في (باب الاضداد) من الاضداد ، من مثل ما فعله في (باب افعلت الرجل وغيره اذا وجدته كذلك) قال : « أبو عبيدة وعَدَنِي الرجل فأخْلَفْتَهُ أَيْ وَجَدْتَهُ قَدْ أَخْلَفَنِي قَالَ : وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشَى :

أَتَوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوِّدَا

فَمَضَتْ وَأَخْلَفَ مِنْ قَتِيلَةٍ مَوْعِدَا. ^(٦٢)

وقد ذكر هذا الرأي وأنشد الشاهد عنه في باب الاضداد ، الا ان الظاهر ان ابا عبيد احس ان الامر لا يتعدى ان يكون بفعل الهمزة التي هي

(٥٩) الغريب المصنف ٢٨٤ .

(٦٠) المصدر نفسه ٣١٧ .

(٦١) نفسه ٣٢٤ .

(٦٢) نفسه ٣٤١ .

من عوارض التصريف ومثل هذا ما فعله في (باب الكتاب والاستماع)
 قال : « أبو زيد : كتبت اسمي أكتبه كتباً ومثله نَمَقْتُه نَمَقًا وَلَمَقْتُه
 أَلَمَقُهُ لَمَقًا » (٦٣) ، وكان قد ذكر (لَمَقْتُ) في باب الاضداد على
 انها بمعنى كتبت وبمعنى محوت *

وعقد بابا سماه (باب الاسمين يكون احدهما مع صاحبه فيسمى باسم
 صاحبه ويترك اسمه) ، ومما قال فيه : « الظَّعَائِنُ هي الهَوْدَجُ ، وانما
 سميت النساء ظُعَائِنَ لأنهن يكنَّ في الهوداج » (٦٤) ، فهو هنا يتنبه الى
 انتقال مجال الدلالة بفعل العلاقة المكانية بين الاصلين ، في حين عد
 الاضداديون قبله وبعده (الظعينة والظعائن) من الاضداد * (٦٥)

وبهذا نستطيع ان نفسر قلة مواد (باب الاضداد) في الكتاب ، اعني
 ان ابا عبيد قد اخرج من هذا الباب ما ادخله غيره فيه ، لهذا لم يشتمل
 (باب الاضداد) في الغريب المصنف الا على اربعين مادة فقط ، وحتى هذه
 الاربعون قابلة للتقليل فيما لو اعمل فيها ابو عبيد طريقته في ارجاع المواد
 الى ابوابها ومحاولة تفسير دلالاتها ، خصوصا تلك التي يكون اثر التصريف
 واضحا فيها *

كتاب التوزي

المؤلف هو أبو محمد عبدالله بن محمد التوزي أو التوجي (٦٦) ،

(٦٣) الغريب المصنف ٥٠٠ .

(٦٤) الغريب المصنف ٥٤٦ .

(٦٥) الاصمعي ٤٦ وابن السكيت ٢٠٠ والصغاني ٢٣٧ وابن الانباري

١٦٤ .

(٦٦) تراجع ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ٦٥ وطبقات النحويين

واللغويين ١٠٦ ومراتب النحويين ٧٥ ونزهة الالباء ١١٩ ونور القبس

٢١٥ وانباه الرواة ٢ / ١٢٦ ولب اللباب ٥٥ والمزهر ٢ / ٤٠٧

والأشباه والنظائر ٣ / ٢٢ وبقية الوعاة ٢٩٠ وتاج العروس ١ / ٣٤

وهدية العارفين ١ / ٤٤٠ وتاريخ بروكلمان ٢ / ١٦٢ ومعجم

المؤلفين ٦ / ١٤٣ .

منسوب الى موضع من بلاد فارس اسمه توز وهم يسمونه اليوم (توج) •
ودعي بالقرشي لانه كان مولى لقريش • وهو من اكابر ائمة اللغة ، أخذ
عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والأخفش قرأ كتاب سيويه على
الجرمي • قال عنه المبرد : ما رأيت أحداً أعلم بالشعر من أبي محمد
التوزي ، كان أعلم من الرياشي والمازني وأكثرهم رواية عن أبي عبيدة ،
ونقل انه ناظر أبا حاتم السجستاني في اللغة والنحو فتفوق عليه •

كان التوزي يغلط استاذه أبا عبيدة في اللغة والشعر ، فقد نقل عن
أبي عبيدة أنه فسر (جمانة) و (العاقِر) في البيت :

أما الفؤاد فلن يزال موكلاً

بهوى جمانة أو بحب العاقِر

على أنهما امرأتان • فيضحك التوزي ويقول : هما والله رملتان عند
بيوتنا • صنّف التوزي كتباً منها : الخيل ، الامثال ، الأضداد ، وغيرها •
توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين في خلافة المتوكل •

أما كتابه (الأضداد) فربما كانت الإشارة اليه هي أقدم الاشارات
على الاطلاق لمجموع كتب الاضداد • فقد ذكره ونقل عنه المبرد المتوفي
سنة ٢٨٥ هـ في كتابه (الكامل) ، وبين التوزي والمبرد من الزمن اشتان
وخمسون سنة فقط بلحاظ تاريخ وفاتيهما ، أما اذا أخذنا زمن تأليف
الكامل بنظر الاعتبار - اى في حياة المبرد - فتكون المدة اقصر من ذلك ،
ونستشعر من نصوص المبرد المنقولة عن الكتاب ، أنه رأى الكتاب أو حدثه
التوزي نفسه عما فيه « حدثني التوزي في كتاب الأضداد » (٥٧) « وانشدني
التوزي عن أبي زيد » (٥٨) ، « ذكر التوزي في كتاب الاضداد » (٥٩) ،

(٥٧) الكامل ١ / ٢٥٥ •

(٥٨) الكامل ٣ / ٢٢٧ •

(٥٩) الكامل ٣ / ٢٢٨ •

مما يوثق نسبة الكتاب ووجوده متداولاً في الأيدي مدة من الزمن • حتى إذا جئنا إلى ابن خير الأشبيلي (ت ٥٧٥) وجدناه يروى الكتاب عن شيوخه في الأندلس ، فيقول : « كتاب الأضداد لأبي محمد التوزي ، حدثني به أبو عبدالله محمد بن سليمان النفري عن خاله الأديب أبي محمد غانم بن وليد المخرومي عن أبي عمر يوسف بن خيرون السهمي عن أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد عن أبي علي البغدادي عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان سعيد بن هارون الأشناداني عن أبي محمد عبدالله بن محمد التوزي مؤلفه رحمه الله » ، (٦٠) •

وعلى أن الكتاب من الكتب الضائعة التي لم تصل ، إلا أننا نستطيع أن تبيين شيئاً منه مما نقلته عنه الكتب والمصادر ، فقد نقل عنه المبرد في (الكامل) مرتين (٦١) ، وفي (ما اتفق لفظه واختلف معناه) مرة واحدة (٦٢) ، وذكره أبو الطيب اللغوي في أضداده خمساً وسبعين مرة (٦٣) ، فيكون مجموع ما نقل عنه من آرائه وإنشاده في الأضداد ثمانياً وسبعين مرة • وهي كل ما وصلنا عنه في هذا الموضوع إذ تكون هذه المجموعة من النقول هي زبدة كتابه ، ومنها نستطيع أن نتعرف على منهجه فيه وروايته للأضداد •

وبالرغم من أن أغلب ما نقل عنه في الأضداد جاء عارياً من سند الرواية إذ تبدأ النقول عادة بصيغة (قال التوزي) إلا أننا عثرنا بينها على سبع مرات يرجع التوزي فيها رواية الأضداد إلى أبي عبيدة (٦٤) ، ومرتين إلى

-
- (٦٠) فهرسة ابن خير ٣٨٤ •
 (٦١) الكامل ١ / ٢٥٥ ، ٣ / ٢٢٧ - ٢٢٨ •
 (٦٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه ٥ •
 (٦٣) أبو الطيب : فهرس أعلام الكتاب •
 (٦٤) أبو الطيب ١ / ١٠٤ (التلعة) ، ١ / ١٨٦ (الحرزور) ، ١ / ٢٤٠ •
 (حقيقت) ، ١ / ٢٩٦ (الثوب) ، ١ / ٣٥٣ (أسررت) ، ١ / ٤٢٦ (التصريم) ، ٢ / ٥٢٣ (الفقر) •

الاصمعي (٦٥) ، ومرة واحدة الى أبي عبيد (٦٦) ، ومرة واحدة الى أبي زيد (٦٧) ، ومرة واحدة الى أبي مالك (٦٨) ، مما يؤكد أن أخذه عن أبي عبيدة في الاضداد كان أكثر من أخذه عن سائر اساتذته ، وأن الكتاب كان مملوءا بالنقل عنه من غير نص على ذلك . وهذه المرات السبع صورة من ذلك ، لأن أبا الطيب وغيره ممن يعنى بنقل الرأى والشاهد لا يهتم بعد ذلك أن يذكر عمن رواه صاحب الكتاب الذى ينقل عنه الا في النادر ، حتى وان كان صاحب الكتاب قد نص على مصادره وذكر أسانيد نصوصه .

الا أن اللات للنظر في نقول أبي الطيب عنه أنه يقرنه دائما بأبي حاتم ويقول (قال أبو حاتم والتوزى) وهذا يصدق على الأكثر ااعم مما نقل عنهما ، ولم يفرقهما الا في مرات قليلة جدا . وهذا أمر يدعو للتساؤل حين يكون النص المنقول عن كتابيهما متحدا للدرجة التي تخوّل أبا الطيب أن يقول دائما (قال أبو حاتم والتوزى) فهل كان النص فعلا متحدا في الكتابين ؟ يظهر أنه كذلك ، فبين أيدينا كتاب السجستاني في الأضداد يؤيد صحة نقل أبي الطيب عنه ، ولكن ليس بين أيدينا كتاب التوزى ، فتكون هذه الصحة في النقل عن أبي حاتم قرينة على الصحة في النقل عن التوزى ، وحين يوحد أبو الطيب النص بينهما ويشرهما في القول ، يكون مؤكدا بعد ذلك أن نص كتاب التوزى موحد مع نص أبي حاتم ، ان لم نقل وحدة كاملة فلا أقل من وحدة في المواد اللغوية وطريقة عرضها والاستشهاد عليها . فهل نقل أحدهما عن الآخر نقلا موسعا أو حكى عنه شيئا يفسر هذا التشابه الكبير بين الكتابين ؟ لا يبدو هذا الاقراض صحيحا ،

(٦٥) ابو الطيب ١ / ١٠٣ (التلعة) ، ١ / ٣٦٥ (المسنجور) .

(٦٦) نفسه ٢ / ٦٤٦ (منجباب) .

(٦٧) نفسه ١ / ٣٥٦ (سوى) .

(٦٨) نفسه ١ / ٣٥٣ (أسررت) .

لأن التوزى - وهو تلميذ أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي - لا يمكن أن يروى عن تلميذهم شيئاً أو يحكي عنه لغة ، علماً بأن التوزى متقدم في العصر عليه فقد توفي سنة ٢٣٣ في حين توفي أبو حاتم سنة ٢٤٨ ، فهل العكس صحيح ، أى هل كان أبو حاتم هو الراوى عن التوزى والناقل عنه معظم مادته في الأضداد ؟ الرجوع الى كتاب أبي حاتم لا يريد هذا أبداً ، فلم يذكر التوزى فيه مرة . اذن لابد أن يكونا قد التقيا في ورد واحد ، اعني ان مصادرهما لابد ان تكون واحدة ، فهل هذا الاحتمال وارد ؟ الظاهر أنه كذلك ، لأمر الأول : أن كلا منهما تلميذ أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي ، وهؤلاء كثيراً ما يردون عند أبي حاتم في أضداده كما وردوا فيما نقل عن التوزى من الأضداد . والثاني : أنهما من مدرسة واحدة هي مدرسة البصرة وقد تعاضرا في الدراسة فيها والتصنيف في مواد اللغة والتأثر بمنهجها في العرض والمعالجة . والثالث وهو أهمها : أنهما كانا راويي أضداد أبي عبيدة خاصة ، لكثرة النقل عنه عند كليهما ، وهذه الكثرة أكسبتهما تشابهاً في المادة والاستشهاد عليها ، يتوضح هذا فيما نص عليه عندهما أنه عن أبي عبيدة ، أو فيما نص عليه أحدهما أنه عنه وأغل الثاني هذا النص ، بمعنى أنه حين ينص التوزى على أن هذا الحرف من الأضداد عن أبي عبيدة ، ولانجد أبا حاتم قد نص على مثله في كتابه نعرف بهذه القرينة أنه رواه أيضاً عن أبي عبيدة ، والعكس صحيح اذ أنه حين ينص أبو حاتم على نقله هذا المعنى عن أبي عبيدة ولا ينص التوزى ، نعرف أنه نقله عن أبي عبيدة أيضاً ، والامثلة على هذا كثيرة ، فمثلاً تفريق التوزى في مادة (القموء) التي هي للصخر والسمن بين المعينين : « قال التوزى : قَمُوءٌ في الصخر أى صارت قَمِيئة ، وقَمَاءٌ قَمَاءٌ في السمن لا غير » (٦٩) ، هذا التفريق هو لأبي عبيدة وان لم ينص التوزى ، عرفنا

ذلك من نقله عند أبي حاتم حيث يقول : « وقال أبو عبيدة : يقال قَمَاتُ
الماشية قَمَاتًا إذا سمنت ، ويقال : صَفَرُ فلان وقَمُوَ قَمَاءَةً » (٧٠) ،
ومثله نقل أبي الطيب عن التوزي أنه ذكر لمادة (يَتَفَكَّهُونَ) - التي هي
بمعنى يتندمون أو يتلذذون - معنى ثالثا : « قال التوزي : يَتَفَكَّهُونَ
أيضا يأكلون الفاكهة » (٧١) ، في حين هي عن أبي عبيدة في أضداد
السجستاني (٧٢) ، وسوى هذين المثالين كثير .

كما أننا نستطيع أن نعرف بهذه الوساطة من المقصود مثلا بعبارة (وقال
بعضهم) عند أبي حاتم في مادة (الْمَسْجُور) (٧٣) ، فبالمقارنة بما نقل
منها التوزي نعرف أنه الاصمعي (٧٤) ، أو بعبارة (يقال زعموا) عند أبي
حاتم في مادة (الْمِنْجَاب) (٧٥) ، فبالرجوع الى هذه المادة عند التوزي
نعرف أنها عن أبي عبيد القاسم بن سلام (٧٦) . هذا عدا النص المشترك
بينهما على أبي عبيدة في مواد : (الْفَقْر) (٧٧) ، (أَخْفَيْتُ) (٧٨) ،
(أَسْرَرْتُ) (٧٩) وغيرها من ألفاظ الأضداد التي نص كلاهما على
مصدرها .

ويختلط الأمر أحيانا على أبي الطيب في النقل عنهما ، كقوله في مادة
(سَوَى) : « قال أبو حاتم : وأنشدنا أبو زيد لحسان أو غيره :

-
- (٧٠) أبو حاتم ١٣٢ .
 - (٧١) أبو الطيب ٢ / ٥٤٦ .
 - (٧٢) أبو حاتم ١٣٢ .
 - (٧٣) أبو حاتم ١٢٧ .
 - (٧٤) أضداد أبي الطيب ١ / ٣٦٥ .
 - (٧٥) أبو حاتم ١٣٤ .
 - (٧٦) أضداد أبي الطيب ٢ / ٦٤٦ .
 - (٧٧) أبو حاتم ١٤٧ وأبو الطيب ٢ / ٥٢٣ .
 - (٧٨) أبو حاتم ١١٥ وأبو الطيب ١ / ٢٤٠ .
 - (٧٩) أبو حاتم ١١٤ وأبو الطيب ١ / ٣٥٣ .

أَنَا فَلَمْ نَعْدِلْ سِوَاهُ بغيره

نبيُّ أَتَى من عندِ ذِي العَرْشِ صادقٌ

قال اللغوى : وأما التوزى فانه روى هذا البيت بعينه على غير هذا
الروى وقال أشموني أبو زيد :

أَنَا فَلَمْ نَعْدِلْ سِوَاهُ بغيره

نبيُّ أَتَى من عندِ ذِي العَرْشِ هاديا (٨٠)

في حين نجد رواية البيت في أضداد أبي حاتم هي نفس رواية التوزى
له ، والروى نفس الروى وليس (صادق) كما قال أبو الطيب (٨١) .
فهل هذا التغير في أضداد السجستاني من فعل النسخ اذ تكون في نسخة
أبي الطيب (صادق) وفي نسختنا المحققة (هاديا) ، أم انه تخطيط من أبي
الطيب ووهم ، اذ من الممكن أن تكون روايته معكوسة بين أبي حاتم
والتوزى ؟ الذى أرجحه ان كتاب التوزى كان يحوى الروایتين وربما
علق التوزى عليهما ، فاكتمى أبو الطيب باحداهما عن الأخرى وقارن بينها
وبين رواية أبي حاتم للبيت الشعرى . فكثيرا ما يعلق التوزى على الشواهد
تعليقات مختلفة تعنى بشرح المفردات تارة أو باختلافات الروايات تارة أخرى
أو بيان الوجه اللغوى في الاستعمال أو بالتخريج النحوى وما الى ذلك ،
مثل تعليقاته على الشواهد في مواد : (البَسَل) (٨٢) ، (بَيَضَة
الْبَلَد) (٨٣) ، (الحَزْوَر) (٨٤) ، (أَرَم) (٨٥) ، (السَّدَف) (٨٦) ،

(٨٠) ابو الطيب ١ / ٣٥٦ .

(٨١) أبو حاتم ١٢٣ .

(٨٢) ابو الطيب ١ / ٣٤ .

(٨٣) نفسه ١ / ٥٣ .

(٨٤) نفسه ١ / ١٨٨ .

(٨٥) نفسه ١ / ٣٢٢ .

(٨٦) نفسه ١ / ٣٤٨ .

(شَرَيْتُ) (٨٧) ، (عَسَّسَ) (٨٨) ، (أَقَدْتُ) (٨٩) ،
 (فَزَعَ) (٩٠) ، وغيرها . فلا يبعد على هذا ما رجحناه في أمر رواية
 بيت حسان .

ومهما يكن من أمر فإن حسن الظن هو الذي دفعنا لقول ما قلناه في
 أمر تشابه الكتابين تشابها كبيرا وخصوصاً فيما نقل فيهما عن أبي عبيدة وهو
 الطالب فيهما إذا اخذنا بنظر الاعتبار ما قلناه في كشف كل منهما للآخر عن
 مواطن النقل عن أبي عبيدة . والا فنحن نظنّ ظناً - لا يدعمه من الأدلة
 سوى الحالة العامة التي نحن فيها من أمر الكتابين - أن كلاهما حاول بعد
 وفاة أبي عبيدة سنة ٢١٠ أن يدعى الكتاب مضيفاً من عنده ما لا يعني من
 فقر أو يسمن من جوع ، من مثل ردود أبي حاتم على أبي عبيدة في تفسير
 الآيات الكريمات - وسنأتي على بيانها في الكلام على كتاب أبي حاتم - أو
 بنقل رواية أو روايتين عن الأصمعي وأبي زيد وغيرهما مقحمة في الكتاب ليشعر
 أنه من تأليفه . ولا حاجة لأن نقول في خلق أبي حاتم شيئاً فقد كفتنا مصادر
 ترجمته هذه المؤونة ، الا أنه لا يفوتنا أن نذكر أنه كان كثير الاتهام
 لغيره بادعاء الكتب وسرقتها ، وفي هذا تفسير نفسي لما نذهب إليه .

ونقول في التوزي ما قلناه في أبي حاتم ، مع تسجيل غرابتنا من قلة
 ذكره لأبي عبيدة فيما نقل عنه في الاضداد . فبالوقت الذي نقل عنه ابو
 الطيب خمساً وسبعين مرة ، لم يذكره راوياً عن أبي عبيدة الا في سبع
 مرات ، خصوصاً وقد عرفنا عن طريق ابي حاتم ان أغلب ما رواه التوزي
 هو عن ابي عبيدة . فان كان ابو الطيب لا يذكر سلسلة الرواية عند نقل

(٨٧) نفسه ١ / ٣٩٩ .

(٨٨) نفسه ٢ / ٤٩٠ .

(٨٩) نفسه ٢ / ٥٣٩ .

(٩٠) نفسه ٢ / ٥٤٣ .

نص من النصوص فلماذا ذكر أبا عبيدة في سبع مرات من خمس وسبعين مرة ؟ وقد قلنا قبلا أن أبا الطيب وغيره ممن يعنى بنقل الرأى ، لا يلتزم نقله مضمنا ، وإنما يكفي بأن يذكر صاحب الكتاب الذى ينقل عنه ، ولكن لماذا هذه المرات السبع التي ذكر فيها أبو الطيب أبا عبيدة فيما نقل من كتاب التوزى ؟ الظاهر ان هذه هي كل المرات التي ذكره فيها التوزى نفسه في الكتاب ، مهملا ذكره فيما أخذه عنه في سائر المواد أو ما هو قريب من ذلك . لأن هذه النسبة هي شبيهة بنسبة ما ذكره أبو حاتم في كتابه عن أبي عبيدة لمجموع مواد الكتاب ، فقد بلغت مواد الأضداد عند أبي حاتم (١٦٩) مادة ، ذكر أبا عبيدة في عشرين منها . وقد عرفنا أن التوزى وأبا حاتم قد نقلوا عن أبي عبيدة أكثر مما نصا عليه أنه عن أبي عبيدة ، كما كشف كل منهما عن هذه الحقيقة عند الآخر . فيكون في الامر بعد ذلك اخفاء متعمد لأبي عبيدة عند كلا التلميذين في كتابيهما في الأضداد ، وهي الحقيقة التي نرمي الوصول إليها .

ونحن نفترض بعد هذا ان تكون ظواهر كتاب أبي عبيدة التي تلمسناها فيما روى عنه من الأضداد هي نفسها في كتاب التوزى ، وخصائص المنهج هي نفس الخصائص . فمثلما فات ابا عبيدة أن يعمل فكره قليلا في تفسير التضاد الحاصل لجملة من الألفاظ - كما حاول ذلك الفراء مثلا في أضداد آيات القرآن الكريم أو ما فعله أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (الغرب المصنف) - فات التوزى ايضا أن يفعل ذلك في كتابه فقد ذكر من الأضداد ما يفسر تضاده بعوامل التصريف ، مثل : (الأكولة) للشخص الآكل والهاء للمبالغة ، وللشاة المأكولة (٩١) ، و (التسيع) للتابع والمتبوع (٩٢) ،

(٩١) ابو الطيب ١ / ٢٤ .

(٩٢) نفسه ١ / ١٠١ .

و (ركوب) (٩٣) ، و (الرغوث) (٩٤) ، و (الزجور) (٩٥) ، و
(الزاهق) (٩٦) ، و (الصريم) (٩٧) ، وقال المبرد : « أنشدني التوزي
عن أبي زيد :

يَا رِيَّهَا إِنَّ سَلَمَتَ يَمِينِي وَسَلَمَ السَّاقِي الَّذِي يَلِينِي
وَلَمْ تَخُنِّي عُقْدُ الْمَنِينِ

يريد الجبل الضعيف ، فهذا هو المعروف ، ويقال : منين ومنون
كقتيل ومقتول وجريح ومجروح ، وذكر التوزي في كتاب الأضداد أن المنين
يكون القوي ، فجعله فعلاً من المنة والمعروف هو الأول (٩٨) ، وقال
المبرد ايضاً : « وقوله :

يَظَلُّ مِنْهَا صَاحِبُ الْقَوْمِ كَالْمُودِي

فالمودي في هذا الموضع الهالك ، وللمودي موضع آخر يكون فيه
القوي الجاد ، حدثني بذلك التوزي في كتاب الأضداد وأنشدني :

وَدُونَ يَحْمُونَ السَّيْلَ السَّابِلَا

المودي بالهمز : التام الأداة والسلاح ، وبغير الهمز : الهالك (٩٩) ،
وواضح من هذا أنه لم يلتفت إلى دور العوارض التصريفية في الإيهام بتضاد
اللفظة وقد تبه المبرد في التاليين إلى هذا *

وبالوقت الذي يذكر فيه ألفاظاً تضادها واضح مثل : (البسمل) للحرام
والحلال (١) ، و (النَّحِيح) للبخيل والسخي (٢) ، يذكر ألفاظاً لا تضاد

(٩٣) أبو الطيب ١ / ٣٠٦ .

(٩٤) نفسه ١ / ٣٠٨ .

(٩٥) نفسه ١ / ٣٣٢ .

(٩٦) نفسه ١ / ٣٣٣ .

(٩٧) نفسه ١ / ٤٢٦ .

(٩٨) الكامل ٣ / ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٩٩) الكامل ١ / ٢٥٥ .

(١) أبو الطيب ١ / ٣٤ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٦٥٠ .

في معنيها مثل (اجْلَمَب) مضى واضطجع ^(٣) ، وليس المضى ضد
الاضطجاع وانما الإقامة ، والجلوس ضد الاضطجاع • ومثلها (الزَاهِق) ^(٤)
للميت والسمين • ولا تضاد بينهما فقد يكون الميت سمينا • ومثلها
(أَشْفَّ) ^(٥) ، وغيرها • لذا فهذه الألفاظ وأشباهها مما عده من الأضداد ،
هي في الحقيقة ليست منها ، بل هي للمشترك اللفظي اقرب وبه الصق •
وما ذكر ما يفسر بشمولية المدلول الأول ، مثل (الدائم) للساكن
والمتحرك ^(٦) والدائم يصدق على كليهما اذا كان كل منهما دائما على الحالة
التي هو فيها من السكون او الحركة ، ومنه ما يفسر على التناؤل مثل
(المَفَاَزَة) للمنجاة والمهلكة ^(٧) ، و (المُقْوَى) للضعيف الذي لا زاد له
ولا مال وللقوى ^(٨) ، ومنه ما يفسر على السلب مثل : (خَفِيتُ
وَأَخْفَيْتُ) ^(٩) و (ثَابَ وَأَثَابَ) ^(١٠) ، و (رَمَّ وَأَرَمَّ) ^(١١) •

اما شواهد فمتوعة ، منها الشعر الذي كان يطلق بعد ايراده تعليقات
مختلفة كما أشرنا الى ذلك سابقا • ومنها القرآن وقد استشهد بآياته في :
(الأكولة) ^(١٢) و (خَفِيتُ) ^(١٣) و (التفكه) ^(١٤) ، و (المفازة) ^(١٥) •

-
- (٣) ابوالطيب ١ / ٦٦ •
(٤) نفسه ١ / ٣٣٣ •
(٥) نفسه ٢ / ٤١٢ •
(٦) نفسه ١ / ٢٦٤ •
(٧) نفسه ٢ / ٥٦٠ •
(٨) نفسه ٢ / ٥٦٩ •
(٩) نفسه ١ / ٢٣٨ •
(١٠) نفسه ١ / ١٢٤ •
(١١) نفسه ١ / ٣٢٢ •
(١٢) نفسه ١ / ٢٤ •
(١٣) نفسه ١ / ٢٣٨ •
(١٤) نفسه ٢ / ٥٤٦ •
(١٥) نفسه ٢ / ٥٦٠ •

و (المقوى) (١٦) ، و (الهاجد) (١٧) . وفي خلال استشهاده بالقرآن قد يعرض لآراء المفسرين كما في (خَفِيتُ وَأَخْفَيْتُ) . ومن شواهد الامثال كما في (حزور) (١٨) ، ومنها القصص والابحار كما في (الجون) . وقد ذكر قصة الدروع التي عرضت على الحجاج (١٩) ، ومنها التمثيل بلغة العرب واستعمالاتها كما في (النَّحِيج) (٢٠) ، الا أن التوزي يبعد أحيانا في شواهد عن موطن الشاهد ، ففي مادة (بَيْضَةُ الْبَلَد) التي هي للمدح وللذم : « أنشد التوزي في المدح :

كَانَتْ قَرِيشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ فَالْمُحُ خَالِصُهُ لِعَبْدٍ مَنَافٍ

قال أبو حاتم : ليس هذا من هذا الباب قال أبو الطيب : وهو كما قال « (٢١) .
ويذكر اللغات أحيانا عند ايراد المعاني كقوله في (خَفِيتُ وَأَخْفَيْتُ) :
« لغتان في الاظهار والكتمان جميعا » (٢٢) ، كما عرض لمشتقات بعض الألفاظ مثل (شَعَبْتُ) فبعد ان ذكر المعنيين المتضادين : أصلحت وفرقت ، راح يقول : « والشعب الفرقة من الفرق . يقال هؤلاء شعبي أي فرقتي . وأنشد :

وَقَدْ عَلِمَ الشَّعْبُ أَنَّا لَهُمْ إِزَاءٌ وَأَنَا لَهُمْ مَعْقِلٌ » (٢٣)

وأوضح من هذا ما فعله في مادة (حَرَسَ) وقد ذكر لها معنى واحدا هو : حفظ وكلاً ، قال : « يقال حَرَسَ فلان الشيء يحرسه حرساً

(١٦) أبو الطيب ٥٦٩/٢ .

(١٧) نفسه ٢ / ٦٨٠ .

(١٨) أبو الطيب ١ / ١٨٦ - ١٨٨ .

(١٩) ما اتفق لفظه وأختلف معناه ٥ .

(٢٠) أبو الطيب ٢ / ٦٥٠ .

(٢١) المصدر نفسه ١ / ٥٥ .

(٢٢) نفسه ١ / ٢٣٨ .

(٢٣) نفسه ١ / ٠٣ - ٠٤ .

وحراسة وحراسة ومحرساً ، اذا حفظه وكلاه ، والشئ محروس
وَحَرِيس « (٢٤) .

كتاب أبي حاتم

المؤلف هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السمجستاني
الجشمي (٢٥) ، سكن البصرة وظل بها ، واذا ما خيبت بغداد أهله عاد الى
البصرة وبقي فيها الى ان مات . أخذ عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي
وعمر بن كركرة وروح بن عباد وغيرهم ، وقرأ كتاب سيبويه على
الاحفش مرتين . وكانت تقرأ على أبي حاتم كتب الاخفش فيرد ما فيها ،
واتهم الاخفش بسرقة كتاب علي الجمل في النحو ، وكتاب أبي عبيدة في مجاز
القرآن ؛ ! كان حسن العلم بالعروض واخراج المعنى ، ويعد من الشعراء
المتوسطين . ترك النحو بعد اعتناؤه به ، ولم يكن حاذقاً فيه ، حيث انه كان
اذا التقى هو والمازني تشاغل او بادر خوفاً من ان يسأله المازني عن النحو .
أخذ عنه ابن دريد وعليه اعتمد في اللغة ، وجالسه شمر وابن قتيبة ،
وكان المبرد يحضر حلقة ويلتزم القراءة عليه وهو غلام . قيل ان ابا
حاتم كان يظهر السنة ويضمم الاعتزال ، وقيل انه كان يضم الخارجية
كأبي عبيدة ، وبهذا فسروا احترام أبي عبيدة له . قال الرياشي لجماعة

(٢٤) أبو الطيب ١/ ٢٢٥ .

(٢٥) تراجع ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ٧٠ وطبقات النحويين
واللفويين ١٠٠ ومراتب النحويين ٨٠ وتهذيب اللغة ١ / ٢٢ ونزهة
الالباء ١٢٩ وانباء الرواة ٢ / ٥٨ ووفيات الاعيان ٢ / ١٥٠ ومعجم
الادباء ١١ / ٢٦٣ ونور القبس ٢٢٥ والفلاكة والمفلوكون ١١٣
والنجوم الزاهرة ٢ / ٣٣٢ والمزهر ٢ / ٤٠٨ وبغية الوعاة ٢٦٥
وشذرات الذهب ٢ / ١٢١ والعدة في الرجال ١٧٩ وهدية العارفين
١ / ٤١١ وتاريخ بروكلمان ٢ / ١٥٩ والكنى والالقب ١ / ٤٢
وتاريخ آداب اللغة العربية ٢ / ١٨٥ ومعجم المطبوعات ١٠٠٨
والاعلام ٣ / ٢١٠ .

وهم يدفونونه ويترحمون عليه : ذهب معه بعلم كثير ، فقال له بعض اصحابه :
كتبه ، فقال : الكتب تؤدى مافيا ، ولكن صدره • وكان الاصمعي يجلبه
من أجل القرآن ويقوم له ويعاقله • قيل انه كان يتصدق كل يوم بدينار
على أنه لم يكن من الغنى في شيء ، فقد كان يتعاطى بيع الكتب والتجارة
فيها •

له من المؤلفات : ما يلحن فيه العامة ، المذكر والمؤنث ، المقصور
والممدود ، القراءات ، خلق الانسان ، الاتباع ، النخل ، الوحوش ، الادغام ،
الاضداد ، وغير ذلك كثير • توفي سنة ثمان وأربعين ومائتين في يوم مطير ،
وصلّى عليه سليمان بن القاسم •

أما كتابه في الأضداد فلعله كان أكثر منهجية ونضجا في تصنيفه ممن
وصلتنا كتبهم قبله : قطرب والاصمعي وابن السكيت • ويتجلى ذلك مثلا
في عنوان الكتاب اذ اختار له أبو حاتم أن يكون (كتاب المقلوب لفظه في
كلام العرب والمزال عن جهته والأضداد) وفي هذه التسمية دقة لم نعهدها
عند قطرب والأصمعي وابن السكيت ، ذلك أن أبا حاتم تنبّه الى ما يمكن
ان يدخل في هذا مما عدّ من الاضداد وهو ليس منها ، وهو (المقلوب لفظه
في كلام العرب والمزال عن جهته) لأن المقلوب والمزال قد دخلا عند أولئك
في الأضداد ، وما يدرينا فلعل أبا عبيدة كان قد أسمى كتابه تسمية قريبة
من هذه •

كما تظهر هذه المنهجية في تقديمه للكتاب بمقدمة قصيرة يوضح فيها
اسباب التأليف ودوافعه ، وهذا ما لم يفعله الاصمعي ولا ابن السكيت ، أما
قطرب فقد فعل مثل هذه المقدمة بشيء من الاختصار ، ففي الوقت الذي يكون
فيه الدافع للتأليف عند قطرب هو جمع مواد الاضداد لقلتها وظرافتها في
العربية يكون الدافع عند السجستاني بالدرجة الاولى هو توضيح حقيقة
المعاني القرآنية ، حيث يقول أبو حاتم : « حملنا على تأليفه أننا وجدنا من

الأضداد في كلامهم والمقلوب شيئاً كثيراً • فأوضحنا ما حضر منه إذ كان
يجيء في القرآن الظن يقيناً وشكاً • والرجاء خوفاً وطعماً ، وهو مشهور في
كلام العرب ، وضد الشيء خلافه وغيره ، فأردنا أن يكون لا يرى من
لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال : (إنها لكبيرة) إلا على
الخاصين يظنون) مدح الشاكين في لقاء ربهم ، وإنما المعنى
يستيقنون » (٢٦) •

ثم يوضح أبو حاتم مفهوم التضاد مناقشنا ماورد من تفسير معنى الضد
بقوله : « قال أبو حاتم : زعم قوم أن بعض العرب يجعل الضد مثل النّد ،
ويقول : هو بضادتي ، في ذلك المعنى ، ولا أعرف أنا ذلك • فأما المعروف
في الضد في كلام العرب فخلاف الشيء ، كما يقال : الايمان ضد الكفر ،
والقل ضد الحمق ، وفي القرآن (ويكونون عليهم ضداً) أي
أضداداً » (٢٧) • وهو بهذا يرسم لنفسه السبيل التي يسلكها في كتابه
محاولاً أن يكون ما يورده من الأضداد في كتابه أن يخالف المعنى الأول
المعنى الثاني مخالفة الضدّ والاّ فهو من المقلوب أو المزال أو المشترك أو
أنه يسجل شكّه في صحة الزعم بضديته •

غير انه لم يوفق في ترتيب موادّه وتنظيمها بحسب تسلسل ما ، وهو
في هذا يشبه سابقه ، الاّ أنه يختلف عن الاصمعي وابن السكيت في أنه
لا يرجع الى المجرد فيبدأ به كما فعلاً في كتابيهما ، فهو يذكر اللفظ الضدّ
في صدر الحديث عنه كما فعل قطرب ، ويورد شواهد المخلقة عليه ، ولا
يذكر المجرد منه الاّ اذا كان المجرد نفسه من الأضداد •

وقد تأثر أبو حاتم بأبي شيبة تأثراً واضحاً في الكتاب ، فقد ورد ذكره
عشرين مرّة في أثناء معالجاته للأضداد ، وقد بيّنا رأينا في هذا التأثر عند

(٢٦) أبو حاتم ٧ ٢ •

(٢٧) نفسه ٧٥ •

الكلام على أصداد التوزي ، كما تأثر بالاصمعي ونقل عنه رأيه في عشرين موضعاً أيضاً ، وبأبي زيد الأنصاري وقد نقل عنه في ثلاثة عشر موضعاً ، وهؤلاء هم اساتذته في اللغة والشعر والغريب ، يضاف اليهم الاخفش في موضعين (٢٨) وابن سلام في موضع واحد (٢٩) و (بعض شيوخنا) في موضعين (٣٠) ، ومن القراء مجاهد في موضع واحد (٣١) ، ومن المفسرين ابن عباس في خمسة مواضع (٣٢) ، ومن العرب الفصحاء أبو مسعود الحرمازي في موضع واحد (٣٣) ، وابن مروان في موضع واحد كذلك (٣٤) .

غير أننا نلاحظ فرقا بين موقف أبي حاتم من شيوخه وبين موقف الآخرين ، خصوصا موقفه من أبي عبيدة ، فكثيرا ما يردّه وينكر عليه فيما يرتأى ويذهب اليه ، في حين نجده يحترم رأى الاصمعي وان خالفه أيضا ، ولملحه بذلك كان يخفي ما يريد اخفاء عن طريق هذا الجحد والانكار ، فقد علق على بيت أبي ذؤيب :

اِذَا لَمَسْتَهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لِسْعَهَا

وخالَفَهَا فِي بَيْتِ نَوْبٍ عَوَامِلٍ

بقوله : « والنّوب جمع نائب ، ونوب أراد أنها تختلف وتأتي بالسمع والصل ، وليس قول أبي عبيدة أراد أنها سود مثل ألوان النوبة لجنس من الجبش بشيء . . . » وان كان الاصمعي قد ذكر ذلك ، فانه لم يصحّ

(٢٨) ابو حاتم ١٠١ ، ١٢٣ .

(٢٩) نفسه ١٢٩ .

(٣٠) نفسه ١٣٨ ، ١٤١ .

(٣١) نفسه ٩٨ .

(٣٢) نفسه ٨٣ ، ٩٧ ، ١٢٤ ، ١٤٤ ، ١٤٧ .

(٣٣) نفسه ١٤٣ .

(٣٤) نفسه ١٤٤ .

عندنا من وجه آخر ، (٣٥) • وقال أبو حاتم أيضا : « قال أبو عبيدة : الخنْذِيد من الخيل الفحل والخصي ، وغلط إنما الخنْذِيد الفائق من الخيل ومن كل شيء » (٣٦) • وقال أيضا « وكان أبو عبيدة يقول : خاف من الخوف ومن اليقين ، وكان يقول (فأنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا) يريد أيقنتم ، ولا علم لي بهذا لأنه قرآن ، فأنما تحكيه عن رب العالمين ، ولا تدري لعله ليس كما يظن » (٣٧) •

وهذا يجرتنا الى ملاحظة مهمة في ذوق أبي حاتم ، هي تخرجه الشديد من القول في القرآن واتخاذ الآيات الكريمات وسائل للحكم والاستشهاد الذي قد يكون خاطئا • فهو يرفع أسلوب القرآن ولقته عن مواطن الشبهات ، ذلك أن القرآن لم يخضع لما خضع له الشعر واللغة من تغير قد يدفع بهما الى مواطن الشك كالتصحيف والغلط في الرواية وخلط الشاعر نفسه فيما يقول • قال أبو حاتم في مادة (عسعس) : « قال أبو عبيدة : (واللَّيْلُ إِذَا عَسَعَسَ) : أقبل ، ويقال أدبر ، وأنشد لعلقة بن قرط التيمي فجمله اقبالا :

مُدَّرِعات اللَّيْلِ لَمَّا عَسَعَسَا وَاذَّرَعَتْ مِنْهُ بَهِيمًا حَنْدِسا

البهيم الاسود الذي لا يخالطه بياض ، والحنْدِس الشديد السواد ، قال : زعموا أن ابن عباس رحمه الله قال : عسعس أدبر والله أعلم ، قال أبو عبيدة : وقال الزبرقان في الادبار :

وماء قديم عهد دأى به

سوى الطير قد باكرن ورد المغلس

(٣٥) أبو حاتم ٨٢ •

(٣٦) أبو حاتم ٨٧ •

(٣٧) نفسه ٨٨ •

وَرَدَتْ 'بأفراس عتاق وفتية

فوارط في أعجاز ليل ممسعين

قال أبو حاتم : قد تقلد أبو عبيدة أمرا عظيما ، ولا أظن هاهنا معنى أكثر من الاسوداد ، عسوس : أظلم واسود في جميع ما ذكر ، وكل شيء من ذا الباب في القرآن فتفسيره يتقى ، ومالم يكن في القرآن فهو أسير خطبا ، (٣٨) • ويتضح موقفه هذا بشكل أوضح في كلامه على مادة (أَسَرَ) اذ يقول : « وقال أبو عبيدة : أَسَرَّتْ الشيء أخفته وأظهرته أيضا ، وكان يقول في هذه الآية : (وَأَسَرُّوا النَّدْمَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) : أَظْهَرُوهَا • ولا أثق بقوله في هذا والله أعلم ، وقد زعموا أن الفرزدق قال :

فَلَمَّا رَأَى الْحَجَّاجَ جَرَدَ سَيْفَهُ

أَسَرَ الْحَرُورَى الَّذِي كَانَ أَضْمَرَ

ولا أثق أيضا بقول الفرزدق في القرآن ، ولا أدري لعله قال : الذي كان أظهره ، أى كنتم ماكان عليه ، والفرزدق كثير التخليط في شعره ، وليس في قول نظيره جريير والأخطل شيء من ذلك ، فلا أثق به في القرآن » (٣٩) • من هذا يظهر تمسك أبي حاتم بالاستعمال القرآني ورفض الشواهد التي تخالف هذا الاستعمال ، فقد أثار الشبهات من وجهات متعددة في قول الفرزدق ، ووضع بهذا أصولا لقياس معنى اللفظة ، وحاول أن يبعد القول بتضاد لفظ قرآني قياسا على الشاهد الشعري ، اذ نستشعر من قوله أنه ينكر التماذى في الاعتماد على الشاهد الشعري دون تمحيص أو تدقيق ذلك الذي قاد أبا عبيدة الى الخطأ فيما ذهب اليه •

ونستطيع أن نقول ان كتاب أبي حاتم في الأضداد هو من كتب

(٣٨) أبو حاتم ٩٨ •

(٣٩) نفسه ١١٥ •

الدراسات القرآنية لسيطرة القرآن على قلم أبي حاتم وفكره في الكتاب سيطرة تامة فلا يكاد يذكر اللفظ ويذكر معنيه المتضادين حتى يرجع على آيات القرآن ذاكرا أن هذا اللفظ ورد في الآية الفلانية والآية الفلانية حتى يستنفد جميع الآيات المتضمنة لهذا المعنى أو اللفظ ، وربما أوحى له آيات القرآن بمعان قريبة وألفاظ متشابهة ليست من الأضداد في شيء فيساق وراء تفسيرها وبيان معانيها ، مثل قوله في (ضَيْنٍ وَظَنَيْنِ) : « وأما قوله (وما هو على الغيب بضَيْنٍ) وبظَنَيْنِ ، فهما وجهان معروفان ، فالضَيْنُ البخل ، يقال : ضُنِنْتُ أَضْنَ ضَنَا ، والظَنَيْنِ المتهم وهو من الظَنَةِ أى التُّهْمَةِ ... وبشر ظنون لا يوثق بمائها ، ورجل ظنون لا يوثق بما عنده أى متهم » (٤٠) ، حتى يصل الى جمع الظنة على الظنائن ، ويضرب لذلك الأمثلة وينشد الشواهد ، وجميع هذا ليس من الكلام على الأضداد ، وقد وصل اليه دون وعي ، أوصلته اليه آيات القرآن •

وأبو حاتم خلال ذلك كله لا يدع المناسبة تمرّ قبل أن يسجل رأيا خاصا أو تفسيراً معيناً لبعض أوجه التضاد في الألفاظ مما أغفله السابقون وقد أخذنا عليهم هذا الإغفال ، فقد تنبّه مثلا الى أن بعض الأضداد خلقها الطبع الاجتماعي أو النفسي التوافق الى التفاؤل ، فقال : « وقال بعضهم : المسّجور الفارغ ، بلقني ذاك ولا أدري ما الصواب ، ولا أقول في (البحر المسّجور) شيئا ، ولا (وإذا البحارُ سُجِّرَت °) لأنه قرآن فأنا أثق به ، وقالوا : قالت جارية بالحجاز : ان حوضكم لمسجور ، ولم تكن فيه قطرة ، قال أبو حاتم : يمكن ان يكون هذا على التّفؤل ، كما يقال للمعطشسان ريّان ، وللملذوغ السّليم » (٤١) • ومثل هذا التفسير ذهب اليه في (عقوق) للمرأة الحامل والحائل ، قال : « أَظُنُّ هذا من التّفؤل كأنهم أرادوا أنها ستحمل ان شاء

• (٤٠) أبو حاتم ٧٨

• (٤١) نفسه ١٢٧

«الله» (٤٢) ، ومثل ذلك ماقاله في مادة (المَفَاة) (٤٣) .

وفسر بعض الفاظ الأضداد بما يسمّى بـ (المعتقدات الشيعية) من
مثل فكرة إصابة العين ، يقول : « قال أبو عبيدة مهرة شوها قبيحة وجميلة ،
قال أبو حاتم : لا أظنهم قالوا للجميلة شوها الا مخافة أن تصيها عين ،
كما قالوا للفراب أعور لحدّة بصره » (٤٤) .

كما تنبّه الى اللغات ، فقد ذكر لغة تميم في مادة (مُشِيح) (٤٥) ،
ولغة الحجاز في مادة (عُنوة) (٤٦) ، ولقبي طيء واليمن في مادة
(الساميد) (٤٧) ، ولقبي بني عقيل وقيس في مادة (لَمَق) (٤٨) .

واستشهد بالحديث النبوي كما في مادة (فَرَط) : « وفي الحديث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا فَرَطُكُمْ على الحوض أي
مقدمكم » (٤٩) ، ومثله في مادة (دائم) (٥٠) . كما استشهد بالأخبار
والمأثورات كقصة الحجاج والدروع (٥١) ، وبتفسير القرآن كما في
(فَوْق) فقد نقل رأى الاخفش في تفسير الآية (٥٢) ، كما نقل تفسير ابن
عباس في خمس آيات أشرنا الى مواضعها سابقا .

وذكر ماكان على صيغة (فَعُول) وتكلم على : ركوب (٥٣) ،

(٤٢) أبو حاتم ١٣٨ .

(٤٣) نفسه ٩٩ .

(٤٤) أبو حاتم ١٣٧ .

(٤٥) نفسه ١٢٦ .

(٤٦) نفسه ١٢٦ .

(٤٧) نفسه ١٤٤ .

(٤٨) نفسه ١٠١ .

(٤٩) نفسه ١٤١ .

(٥٠) نفسه ١٢٩ .

(٥١) نفسه ٩٢ .

(٥٢) نفسه ١٠١ .

(٥٣) نفسه ١١٠ .

وَفَجَّوعٌ ^(٥٤) ، وَذَعُورٌ ^(٥٥) ، وَزَجُورٌ ، حَتَّى يَصِلَ بِهَا إِلَى (جَزَوْزَةٍ)
الَّتِي ذَكَرَ لَهَا مَعْنَى وَاحِدًا هُوَ : « الْجَزَوْزَةُ : الَّتِي تُجْزَرُ » ^(٥٦) ، دُونَ
أَنْ يَذَكَرَ لَهَا مَعْنَى مُضَادًّا وَدُونَ أَنْ يَسْتَشْهَدَ • وَيَتْرَكُ هَذِهِ الصِّيغَةَ لِيَنْتَقِلَ
إِلَى صِيغَةِ (فَعِيلٌ) وَمِنْ مَوَادِّهَا الَّتِي ذَكَرَهَا : نَحِيضٌ وَسَمِيعٌ وَأَلِيمٌ ^(٥٧) .
وَذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ (الْمَوْلَى) مَعْدَدًا لِلْفِطْطَةِ سَبْعَةَ مَعَانٍ دُونَ أَنْ يَنْسِبَهَا إِلَى أَبِي
عَبِيدَةَ كَمَا نَسَبَتْ عِنْدَ ابْنِ السَّكَيْتِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَبَا حَاتِمٍ كَانَ يَرَى فِيهَا أَنَّهَا
مِنْ الْأَضْدَادِ بِالرَّغْمِ مِنْ انْصِرَافِهَا إِلَى هَذِهِ الْمَعَانِي السَّبْعَةِ •

وَيَعْقِدُ فَصْلًا فِي آخِرِ الْكِتَابِ يَبْدُوهُ بِقَوْلِهِ « قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : وَقَدْ ذَكَرَ
بَعْضُ أَصْحَابِنَا حُرُوفًا لَا عِلْمَ لِي بِهَا أَتَقَالُ أَمْ لَا » ^(٥٨) ، وَيَذَكَرُ فِيهِ الْأَلْفَاظَ
الَّتِي يَشْكُ فِي مَعَانِيهَا مِثْلَ (أَتَابَ) ^(٥٩) ، أَوْ الَّتِي هِيَ مِنَ الْمَشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ
مِثْلَ (فَادَ) ^(٦٠) ، أَوْ الَّتِي كَانَ التَّصْرِيفُ سَبِيحًا وَاضِحًا فِي ضِدِّيَّتِهَا مِثْلَ
(زَعُومٌ) ^(٦١) ، أَوْ الَّتِي هِيَ مِنَ الْمَقْلُوبِ مِثْلَ (نَاءٌ) : « قَالَ أَبُو حَاتِمٍ :
يُقَالُ نَاءٌ بَنِي الْحَمَلِ نَوَاءً فِي مَعْنَى نُوءَتْ بِهِ أَيْ نَهَضَتْ بِهِ مَتَاقِلًا ، وَهُوَ
شَبِيهُهُ بِقَوْلِهِمْ تَهَيَّبْنِي الْبِلَادَ إِذَا تَهَيَّبَتْهَا ، وَقَوْلِ الْجَعْدِيِّ :

كَانَتْ فَرِيضَةٌ مَاتَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّيْنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ
يُرِيدُ كَانَ الرَّجْمُ فَرِيضَةُ الزَّيْنَاءِ ، وَكَقَوْلِ الْإِخْطَلِ :
مِثْلَ الْقَنَافِدِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ
نَجْرَانُ أَوْ بَلَغَتْ سَوَاتِيَهُمْ هَجْرُ

(٥٤) أَبُو حَاتِمٍ ١١١ •

(٥٥) نَفْسُهُ ١١١ •

(٥٦) نَفْسُهُ ١١٣ •

(٥٧) نَفْسُهُ ١٣٣ •

(٥٨) أَبُو حَاتِمٍ ١٤٨ •

(٥٩) نَفْسُهُ ١٤٨ •

(٦٠) نَفْسُهُ ١٤٨ •

(٦١) نَفْسُهُ ١٥٠ •

مقلوب ، أراد قد بلغت سواآتُهم هَجْرًا ... وقالوا : أدخلت الخفَّ
في رجلي ، والقلنسوة في رأسي ، والمعنى أدخلت رجلي في الخفَّ ورأسي
في القلنسوة ، وقال تعالى : (ما ان مفاتيحه لتنوء بالعُصْبَة) والمعنى أن
العصبة تنوء بالمفاتيح » (٦٢) .

وكان قد أشار قبل هذا الى اتساع العرب في استعمال (فَعَلَ) في
الكلام على (أَضَبَ) قال أبو حاتم : « اتسعت العرب فجعلوا (فعل) في
مواضع لما لم ينقطع بعد ولما لم يكن بعد ، وجعلوا (يَفْعَلُ) واخواتها لما
قد كان ، فقال تعالى : (كَيْفَ نَكْلَمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ) أى من هو
في المهد ... وقال الحطيئة فجعل شهد في معنى يشهد :

شَهِدَ الْحُطَيْئَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ
أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعَذْرِ

وقالوا في يفعل لما لم يقع ، قال الشاعر :

وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّيْسِمْ يَسْبُتِي
فمضيتُ ثُمَّتَ قَاتُ لا يعنيني

أى ولقد مررت » (٦٣) . وفي هذا جواب لأبي عبيدة وغيره ممن عدَّ
(كَانَ) من الأضداد للماضي والمستقبل و (يَكُونُ) من الأضداد للحاضر
والماضي (٦٤) ، لان عبارة ابي حاتم (اتسعت العرب) تفسر هذا الاسلوب
وتتفي عنه التضاد المختلف « والاختلاف في الدلالة الزمنية للفعل في اللغة
العربية مجال بحث وجدل في القديم والحديث وقد دعا هذا الاختلاف
وعدم اختصاص كل صيغة في الفعل بزمن ، بعض الباحثين المحدثين الى
الزعم بعدم مجازاة الفعل في العربية للزمن ، فالماضي غير مختص بالزمن

(٦٢) أبو حاتم ١٥٢ - ١٥٣ .

(٦٣) أبو حاتم ١٣١ - ١٣٢ .

(٦٤) ابن الانبارى ٦٠ .

الماضي ، والمضارع غير مختص بالحال أو الاستقبال الخ ، وحاول أن يرجع بهذا الى خاصيّة عامة في اللغات السامية ، كما جعله وجها للخلاف بينها وبين اللغات الاندو أوروبية » (٦٥) .

وعلى كل حال فمحاولات أبي حاتم لتفسير بعض ألفاظ الأضداد بالتفاؤل وبالخوف من العين والملقوب وبتساع العربية في الاستعمال واللغات وغير ذلك ، تنبئ عن تمكّن من الموضوع ومن السيطرة عليه ، لم نشهدا بهذا الوضوح عند من سبقه من الأضداديين . الاّ اننا نوّكد هنا ماقلناه في أمره مع أبي عبيدة وكتابه في الأضداد . اذ ربّما كانت هذه النظرات في كتاب أبي عبيدة الضائع ، سترت عليها مناقشات أبي حاتم له وردّه في آرائه وتقليطه فيما نقل .

كتابا ابن قتيبة والثعالبي

المؤلف الاوّل هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٦٦) ، نسبة الى مدينة (دينور) التي ولي القضاء زمانا بها ، ونسب أبوه الى (مرو) لأنّه كان أعجميا أو تركيا فقيلا (المروزي) . أخذ ابن قتيبة عن ابي حاتم والرياشي وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي واسحاق بن راهويه ومحمد بن زياد الزياتي . وكان فاضلا في اللّغة والنحو والشعر عالما بفريب القرآن ومعانيه . قيل عنه انه كان يغالي في مذهب البصريين ،

-
- (٦٥) اثر القرآن في تطوّر النقد العربي ١٧٤ .
(٦٦) تراجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ٢٠٠ ومراتب النحويين ٨٤ وتهذيب اللغة ١ / ٣٠ والفهرست ١١٥ ونزهة الالباء ١٤٣ وتاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠ وانباء الرواة ٢ / ١٤٣ ووفيات الاعيان ٢ / ٢٤٦ والنجوم الزاهرة ٣ / ٧٥ والمزهر ٢ / ٤٠٩ وبغية الوعاة ٢٩١ وشذرات الذهب ٢ / ١٦٩ والعدة في الرجال ١٨١ وتاريخ بروكلمان ٢ / ٢٢٢ والكنى والالقب ١ / ٣٧١ وتاريخ آداب اللغة العربية ١٧٠ / ٤ / ٢٨٠ .

الأنه خلط المذهبين، وحكى في كتبه عن الكوفيين • أخذ عنه جملة من العلماء منهم ابنه القاضي أحمد وابن درستويه وغيرهما •

أقرأ كتبه بغداد الى حين وفاته ، وهي كثيرة منها : اعراب القرآن ، معاني القرآن ، تأويل مشكل القرآن ، أدب الكاتب ، مختلف الحديث ، الشعر والشعراء ، الخيل ، دلائل النبوة ، اصلاح غلط أبي عبيد ، المسائل والاجوبة ، وغير ذلك • اما وفاته فقيل انها بسبب هريسة أكلها فأصابته حرارة اضطرب منها ساعة ومات • وذلك سنة ست وسبعين ومائتين •

والمؤلف الثاني هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (٦٧) ، ولد سنة خمسين وثلاثمائة • والثعالبي نسبة الى خياطة جلود الثعالب ، لأنه كان قرّاء قبل أن يظهر أدبه ويعلو نجمه ويبعد صيته ، اخذ عن أبي بكر الخوارزمي ، واتصل بطائفة من رجال الادب والملك في عصره ، وكان فيما يظهر مرضياً عنه من جميع من صحبهم من الرؤساء والوزراء • كان شاعرا وكاتبا ، وان لم يكن في شعره من الطبقة العالية ، أما نثره فجيّد يغلب عليه السجع ولكنه برىء من التكلف ومن الغموض ، ونقل في كتابه (فقه اللغة) فصولا برمتها عن كتب غيره من امثال أبي عبيدة وابن دريد والخوارزمي وأبي الحسن الجرجاني وابن الأعرابي والفارابي وغيرهم • ومؤلفاته كثيرة جدا منها : يتيمة الدهر ، فقه اللغة ، نسيم السّحر ، سحر البلاغة وسرّ البراعة ، فرائد القلائد ، سر الأدب ، وغيرها • توفي سنة ثلاثين واربعمائة •

أما الكتابان المنسوبان اليهما في الاضداد ، فلا نملك فيما عد من

(٦٧) تراجع ترجمته في : نزهة الالباء ٢٤٩ ووفيات الاعيان ٢ / ٣٥٠
وشذرات الذهب ٣ / ٢٦٤ والعدة في الرجال ١٨٢ والكنى والالقب
١١٤/٢ وتاريخ آداب اللغة العربية ٢٨٤/٢ والنشر الفني في
القرن الرابع ٢ / ١٧٩ •

مؤلفات ابن قتيبة والتعاليبي في مصادر ترجمتهما والفهارس القديمة اية اشارة الى هذين الكتابين أو الى انهما ألفا في الاضداد ، نعم عقدا للأضداد فصولا في كتبهما ، واحصوا منها مقدارا ، وربما ناقشا ضدّة بعضها ، الا أن هذا لايعني أنهما ألفا في الاضداد كتابين مستقلين • اذ لو كان ذلك يعني أنهما ألفا في الأضداد لعدّ جميع اللغويين الذين تناولوا الأضداد في كتبهم ممن ألف في الاضداد بهذا التفسير •

غير أننا وجدنا فهرسا لمخطوطات مكتبة (كاشف الغطاء) في النجف ، منشورا في مجلة الأقلام بعنوان (الآثار المخطوطة في النجف - القسم الثاني) (٦٨) ، يذكر مايلي :

١ - اسماء الأضداد : رسالة صغيرة ، تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الباهلي الدينوري المتوفى ٢٧٦ هـ ، بخط علي نقى الرضوى ، فرغ منه عام ١٢٥٣ هـ ، ٢٥/٧ سم ١٤/٤ سم ، رقمه ٩٧ •

٢- اسماء الأضداد : تأليف أبي منصور عبدالمك بن اسماعيل النيسابوري المعروف بالتعاليبي المتوفى ٤٣٠ هـ • يوجد ضمن الكتاب المتقدم وبالتعريف نفسه •

وهذا أمر يشير الاستغراب للوهلة الاولى ، وقد عرفنا أن الكتابين لم يذكر قبل هذا في أى مصدر أو فهرس قديم ، اذ لو صحّ ذلك فلا يفوت ابن النديم والقفطي والسيوطي مثلا أن ينبّه واحد منهم على الاقل لهذين الكتابين ، خصوصا وأن المؤلفين من المشاهير الذين عنت الكتب بذكر مصنفاتهما وأخبارهما عناية كبرى ، واهتمت الفهارس المختلفة بعد كتبهما ورسائلهما اهتماما واضحا •

فما كان منا الا أن قصدنا المخطوطة في مكانها من المكتبة ، واذا هي

ضمن مجموع يتكون من (٢٢٠) صفحة ، في كل صفحة ١٢ سطرا ،
رقمه (٨٩٨) أدب ، فيه شيء من ديوان امرىء القيس وشيء من ديوان
النابغة وقصائد متفرقة لابن دريد وأبي الشيص والشريف الرضي وغيرهم ،
وخلق الانسان للزجاج وفتيا فقيه العرب لأحمد بن فارس . مرتبة كلها
ترتبا عشوائيا لاتنظيم فيه ولا دقة . وقد كتب ناسخ هذا المجموع في أول
الكتاب (فهرس مافي هذه المجلدة) - كما هو واضح في الصورة الاولى -
الآ أنه لم يسلسل المحتويات هنا كما هي في داخل المجلدة . فقد بدأها
- كما يبدو في الصورة - بعبارة : قال أبو منصور الثعالبي النيسابورى :
فصل في تسمية المتضادين باسم واحد من غير استقصاء . وكان قد وضع في
الفهرس أسماء الأضداد بعد ديوان امرىء القيس وديوان النابغة .

وبهما يكن من أمر فبعد دراسة ماسمى بـ (أسماء الاضداد) لابن
قتيبة والثعالبي في مجلة الاقلام نقلا عن فهرس هذه المجلدة دون تمحيص
ونظر . ظهر أنهما ليسا كتابين أو رسالتين لابن قتيبة والثعالبي في الأضداد ،
وإنما هما فصلان في الأضداد نسخهما الناسخ بالحرف الواحد من كتابيهما
المشهورين (ادب الكاتب) و (فقه اللغة) ، مضافا الى كل واحد منهما
شذورا مما نص عليه الجوهري في الصحاح أنه من الاضداد ، وقد أشار
الناسخ الى ان هذا من الصحاح عند كل نقل من الكتاب . كما أن اشارته
في أول كل فصل الى أن هذا (فصل في تسمية المتضادين باسم واحد)
تشعر أنه نقله من كتاب كبير مقسم الى عدة فصول في مواضيع العربية ،
وأما في النسخ هذه هي التي هدتنا الى معرفة الحقيقة .

والآن نحاول ان نخرج مادة هذه المنسوخة في كتابيهما والصحاح
للجوهري لنضمن سلامة النتيجة التي وصلنا اليها في خصوص هذين
الكتابين الذين نصصنا أمام كل منهما في قائمة كتب الأضداد أنه (وهم) .
وقد وقع فيه - في رأيي - واضح فهرس المكتبة المنشور في مجلة الاقلام ،

ولا يمكن الاحتجاج من قبله بتسمية الناسخ • لأنه - اى الناسخ - لم ينسب
أسماء الأضداد في فهرسه الصغير في اعلى الصفحة الاولى الى مؤلف معين
أو مؤلفين ، كما فعل بسائر منسوخاته الاخرى ، اعتقادا منه بأنه امر واضح
للدارس او القارى • •

فبالنسبة للشعالي فمن قوله : فصل في تسمية المتضادين باسم واحد
من غير استقصاء ، الى قوله : الخشيب من السيوف ، الم يصقل وهو ايضا
الذى أحكم وفرغ من صقله • في فقه اللغة ص ٤٨٦ •

وقوله : الغريم الذى عليه الدين وقد يكون الغريم الذى له الدين •
في الصحاح (غَرَمَ) ١٩٩٦/٥ • باختلاف يسير • ومن قوله : بَعَثَ
الشيء شريته الى قول الفرزدق : والشَّيْبُ ليسَ لبائعِهِ تجارُ • في
الصحاح (بَيْعَ) ١١٨٩/٣ •

ثم في اثناء ذلك يستحسن الناسخ قصيدة لعبد قيس بن خفاف بن
حريش بن مرة بن عبد بن حنظلي البرجمي يوصي ابنه ، فينسخها عن
كتاب (مختار أشعار القبائل من مختار أشعار البراجم) لأحمد بن الحسين
الغضائرى ، كما يذكر ذلك في آخر القصيدة ، يعود بعدها الى الأضداد •

فمن قوله : الجَوْنُ : الابيض وأشد أبو عبيدة ، الى قوله : رجل
صَتَمَ ووقوم صَتَمَ • في الصحاح (جَوْنٌ) ٢٠٩٥/٥ • ومن قوله
رجل صَتَمَ ، الى قوله غليظ شديد • في الصحاح (صَتَمَ) ١٩٦٤/٥ •
ومن قوله : الصَّرِيم : الليل المظلم ، الى قول بشر : تجلّى عن
صريمته الظلام • في الصحاح (صَرَمَ) ١٩٦٦/٥ •

بعد ذلك يبدأ النسخ عن ابن قتيبة في أدب الكاتب بالبسملة والحمد
والصلاة ، لتكون تفرقا بين الفصلين المنسوخين ، وليشعر بانتهاء الاول
وابتداء الثاني •

فمن قوله : باب تسمية المتضادين باسم واحد : الجَوْنُ وهو الأبيض ،

الى قوله : وشرَّيتُ الشيءَ : اشتريتُه وبعته • في أدب الكاتب
ص ١٦١ - ١٦٣ • وقد علق الناسخ في الهامش أمام العبارة الأخيرة بقوله :
(انتهى كلام ابن قتيبة هنا) •

ومن قوله : الشَّفَّ بالكسر الفضل والريح ، الى قوله : وهو من
الأضداد عن ابن السكيت • في الصحاح (شَفَّفَ) ٤ / ١٣٨٢ •

ومن قوله : البَيْنَ : الفراق ، الى قوله : يريد ما بينكم ، عن
الجوهري • في الصحاح (بَيْنَ) ٥ / ٢٠٨٢ •

وبعدها يستحسن الناسخ قصيدة ينسبها مرة لبشار بن برد ومرة
لأبي الشيص وينقلها ثم يبدأ بنسخ ديوان امرئ القيس •

ونقل في الهامش ثلاثة نصوص من الصحاح لتوضيح المفردات التي
وردت في فصل ابن قتيبة ولشرح معانيها •

فمن قوله في الهامش الأعلى المقلوب : الجلال الأمر العظيم ، الى
قوله : أى هين يسير • في الصحاح (جَلَلَّ) ٤ / ١٦٥٩ •

ومن قوله في الهامش الجانبي الأعلى : النَّبَلُ بالتحريك : الكبار ، قال
بشر ، الى قوله : وهي العظيمة • في الصحاح (نَبَلَّ) ٥ / ١٨٢٤ •

ومن قوله في الهامش الجانبي الأسفل : ومثل بين يديه مثولا ، الى
قوله : والمائل الرِّسوم • في الصحاح (مَثَّلَ) ٥ / ١٨١٦ •

وقد كتب هذه الهوامش بالخط الفارسي المائل على طريقة الشروح
القديمة التي كانت تسجل برسم مختلف على هامش الكتاب المشروح
للتفريق بينها وبين الاصل •

والظاهر أن الناسخ لم يقصد من هذا أن يؤلف كتابا في الاضداد
يجمع فيه ما قال العلماء في الأضداد ، لانه لو قصد الى هذا لجمع الفصلين
معا ووحّد المادتين ، ولنقل من فقه اللغة وأدب الكاتب أشياء كثيرة تخص

وَبَعِثْنَا نَحْنُ الْبَشِيرَ وَهُوَ قَوْلُ الْأَصْحَارِ قَالَ لَوْ رَدُّوا إِلَى الْبَشَرِ
 لَمَا رَجَعُوا مِنْهَا وَمَا كُنْتُمْ لَكُمْ إِلَّا بَشِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ قَالَ جِبْرِيلُ
 خُفَّافٌ بَرْدٌ رَشِيخٌ مَرْتَمِدٌ مِنْ عَمِيدٍ مِنْ خُفَّافِ الْجَحِيمِ يُوَسِّدُ
 بِجَبَلٍ أَتَى الْكَافِرَ بِسَبْعِهِمْ قَادُوا وَجْهَهُ إِلَى الْكَافِرِ وَفَاجِلٌ
 أَوْصِيَهُمْ بِالْإِيمَانِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَجَاءَهُمْ
 أَنْفَعُ مَا أَفْقَهُمْ وَوَيْسَ نَذِيرُهُ
 وَالصَّبْفُ كَرَمٌ قَانٌ بَيْدُهُ
 وَكَأَمْ قَانٌ الصَّبْفُ خَيْرٌ لِحَالِهِ
 وَجَاءَهُمْ جَالًا خَارِجٌ لِسَبَابِهِ
 وَكَأَمْ قَانٌ بَابُ مَرْحَلٍ
 وَكَأَمْ قَانٌ بَابُ مَرْحَلٍ
 وَكَأَمْ قَانٌ بَابُ مَرْحَلٍ
 وَكَأَمْ قَانٌ بَابُ مَرْحَلٍ

فَمِنْهُمْ مَنْ هَذَا الْجَلَدُ فِيهِ دِيْوَانُ امْرِئٍ إِلَى الْقَيْسِ
 فِيهِ دِيْوَانُ النَّاجِيَةِ وَفِيهِ اسْمُ الْأَصْحَارِ وَفِيهِ فَيْضُ الْقَيْسِ
 وَفِيهِ حَقُّ ابْنِ حَبِيبٍ طَبَا وَمِنْهُ قَصِيدَةُ ابْنِ رُبَيْدٍ فِي مَعْصِيَةِ الْإِيمَانِ
 وَفِيهِ صَفْوَةُ خَلْقِ الْأَنْبِيَاءِ وَفِيهِ قَصِيدَةُ ابْنِ رُبَيْدٍ فِي مَعْصِيَةِ الْإِيمَانِ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ مَوْلَى الْخَلِيفَةِ الْأَوَّلِ فَكُنْ فِي تَعْمِيدِ الْأَصْحَارِ
 بِاسْمِهِ وَاصْلُحْ عَمَلَكَ بِاسْمِهِ هَذَا الْبَيْتُ الْمَوْجُودُ فِي الْبَيْتِ وَفِيهِ
 الْقَصِيدَةُ الْأَوَّلُ وَفِيهِ الْقَصِيدَةُ الْأَوَّلُ وَفِيهِ الْقَصِيدَةُ الْأَوَّلُ
 الْجَمَلُ الْبَشِيرُ الْجَمَلُ الْبَشِيرُ الْجَمَلُ الْبَشِيرُ
 هُوَ عَظِيمٌ مِنْهُ الْجَمَلُ الْبَشِيرُ وَفِيهِ الْقَصِيدَةُ الْأَوَّلُ
 فِيهِ السُّبُحُ مِنَ الْأَمْرِ عَقْلٌ وَفِيهِ الْقَصِيدَةُ الْأَوَّلُ
 الْقَصِيدَةُ الْأَوَّلُ عَالِيَةُ الْبُيُوتِ وَفِيهِ الْقَصِيدَةُ الْأَوَّلُ
 فِيهِ الْقَصِيدَةُ الْأَوَّلُ عَالِيَةُ الْبُيُوتِ وَفِيهِ الْقَصِيدَةُ الْأَوَّلُ

دليل نعم وعنده نعم وكل نعم والجميع نعم وكل نعم

دليل نعم وعنده نعم وكل نعم والجميع نعم وكل نعم

جهدهم بالهداية في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم
قال لنا بعد ذلك يا بني غياضنا كما ما بغياضهم والجميع
صوتهم كصوتنا وقالوا في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

وكل نعم وعنده نعم وكل نعم والجميع نعم وكل نعم

بجهدهم بالهداية في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

قال لنا بعد ذلك يا بني غياضنا كما ما بغياضهم والجميع

صوتهم كصوتنا وقالوا في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

بجهدهم بالهداية في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

قال لنا بعد ذلك يا بني غياضنا كما ما بغياضهم والجميع

صوتهم كصوتنا وقالوا في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

بجهدهم بالهداية في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

وكل نعم وعنده نعم وكل نعم والجميع نعم وكل نعم

بجهدهم بالهداية في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

قال لنا بعد ذلك يا بني غياضنا كما ما بغياضهم والجميع

صوتهم كصوتنا وقالوا في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

بجهدهم بالهداية في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

قال لنا بعد ذلك يا بني غياضنا كما ما بغياضهم والجميع

صوتهم كصوتنا وقالوا في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

بجهدهم بالهداية في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

قال لنا بعد ذلك يا بني غياضنا كما ما بغياضهم والجميع

صوتهم كصوتنا وقالوا في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

بجهدهم بالهداية في غيظنا منكم يا بني اللهم اللطيف العظيم

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

أَفَافًا مَدْرًا أَتَيْنَا بِذِيكَ فَجِئْنَا بِكَ مِنَ الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي قَدْ أَلْمِزُوا

وحدید نری بہر قول کہی کہ از عقلہ الطیاری الایمان

أَكْبَحُ مِنْ هَذِهِ الْأَهْطَالِ وَالْمُنْعِ فِي جَبَلِ هُوَ الْعَصَا وَهُوَ الْمَحَلُّ

وَمَا يَكُونُ خَفَاءً إِلَّا مَا عَلَّمَ اللَّهُ بِمَا يَعْبُدُ خَلْقًا وَمَا يَكُونُ

مَلِكًا خَلَقَ لَهُ مِنْ تَحْتِ سَعْدِهِ سَبْعَ مَمَلِكَاتٍ وَبَنَى بَيْنَ مَمَلِكَاتِهِ أَسْجُدًا كَالْعِزَّةِ وَالْكَوْكَبِ

سورة مائدة قال الله عز وجل ان الله لا يهدي القوم الظالمين

١٠٠

وَأَمَّا الْفُلُ فَأُرْسِلَتْ بِرَحْمَةٍ مِنَّا لِيُبَيِّنَ مَا نَالِ الْغَاثِ وَالْفَاطِثِ

مسجد علی و محمد بنی و باب و مسجد بنی و مسجد

فنا بوجہ قیام اس پر استغنی

سید کاظم و از جمله اعیان شریف

سَمِعْتُ سَيِّدِي مُحَمَّدًا وَرَأَيْتُ رَسِيْلِيْكَ السَّيِّدَ السَّجُوْدَ
لَا يَخْلُقُ فِيْ طَلْعِهِ عِلْمُ الْعَالَمِ اَقْلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَالْأَسْفَارُ وَالْجِبَالُ الشَّيْءُ الصَّغِيرُ وَالْجِبَالُ الشَّيْءُ الْكَبِيرُ
وَالْجِبَالُ الْكِبَارُ وَالصَّغِيرُ ثَمَّ أَسْمَاءُ ذَوَاتِ الْكِبَارِ وَثَمَّ أَسْمَاءُ

دُرُودِ سَمَاءِ جَانَنُكَ وَ آسَمَاءِ هَمْنِهَا اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ

أَيُّهَا الْبَنَاتُ لَمَّا قَالَتْ لِهِنَّ هُنَّ كَجَمْعٍ مِثْلِهِ وَهِيَ الْعَطِيَّةُ

وَالْحَالِ الرَّجَاءُ فَانْهَيْهَا عَنِ الْخَلْسِ الْهَالِكِ وَانْهَيْ

مِنْهَا الزَّيْتُ وَالْعُطَايُ وَالْمَالُ الْفَائِمُ وَالْمَالُ الْوَالِدُ

الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ مَلَكُوتٌ مُّغْتَمِبٌ وَأَعْيُنُهُمْ فِي غَمَامَةٍ وَيُؤْمِنُونَ بِأُيُنْهُمْ وَهُمْ فِي عِصْفَانٍ

الطاهر المستغفر المغفور والمجاهد المحمدي بالليل

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنَّهٗ هَدَانَا ۚ وَمَا كُنَّا لَنَكْتَسِبَهَا ۖ وَلَآ اَنَّهٗ عَلَّمَنَا ۚ وَلَآ اَنَّهٗ عَلَّمَنَا ۚ وَلَآ اَنَّهٗ عَلَّمَنَا ۚ

وَقَدْ كَفَرَ يَكْفُرُ

کتاب الفیہ فی التفسیر

وَهَلْ يَجِدُ رَسَلَتِ وَأَحْسِبُ سَبِيحَ دَهْرِهِ
عَلَيْهِمْ وَأَلْفَ قَامِ الْأَهْلَاءِ الشَّعْرِ فِي الْبَيْتِ الْكَلَامِ

[illegible]

وَقَدْ جَاءَ بِهَا جَدُّهُ سَابِقًا

وَالشَّيْءُ بِهِمْ وَشَرٌّ بِهَا الشَّيْءُ الَّذِي تَتَّبِعُونَ

وَالشَّيْءُ بِهِمْ

فَرَبِّهِمْ بِالْإِيتْيَانِ وَالْإِيمَانِ

وَالشَّيْءُ بِهِمْ وَشَرٌّ بِهَا الشَّيْءُ الَّذِي تَتَّبِعُونَ

حَلَّالٍ لِلْمَسْكِينِ فَجَاءَ بِالْإِيمَانِ

بِالْإِيمَانِ فَجَاءَ بِالْإِيمَانِ

وَمِنْ وَفْقِهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ

يَحْلُجُّونَ جُلُودًا وَالْإِيمَانِ

لَيْسَ لَهُمْ عَنْ رِزْقِ اللَّهِ يَرْفُضُونَ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ السَّكِينِ

وَأَمَّا فُلَانٌ فَأَمَّا هَذَا

بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمُ الْوَصْلُ وَهُوَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَفَرِحَتْ

خَلْقًا وَكَلِمَةً وَصَرًّا

لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ مَا بَيْنَ رُوحٍ وَالْإِيمَانِ

وَصَلَاتِ بْنِ هَاشِمٍ وَرَبِّهَا

تَقَطَّعَ وَهَذَا كَلِمَةُ النَّصَبِ عَلَى كَلِمَةِ بَرِّهَا بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ

فَلَا يَجُوزُ عَلَيْهَا عَلَى الرِّقَابِ

أَجْرُهُمْ بِنَاءً يَحْتَمِلُ لِبَنَاءِ بْنِ بَرٍّ وَهَذَا الْإِيمَانُ

بِكَلَامٍ مَرَّةً وَفَتْحًا

الْمَشْهُورُ وَهَذَا الْإِيمَانُ بِنَاءً لِلشَّيْءِ وَقَالَ

مَنْ كَلَّمَ هَاجَرَ الْمَخَانِ

أَبْنَى الرَّهْمَانُ لَهُ مَا فِي هَاجَرَ

فَجَاءَ بِهِمْ بِالْإِيمَانِ

تَقَرَّرَتْ بِرُوحٍ مِنَ الْإِيمَانِ فَجَاءَتْ

الأضداد عرض لها المؤلفان في غير هذين الفصلين ، ولاستوعب مثلاً كسل مانصّ الجوهري عليه من الأضداد ، إضافة لما يمكن أن يجده لابن قتيبة في مؤلفاته الأخرى من بحوث الأضداد كالذى في كتابه (تأويل مشكل القرآن) (٧٠) وكتاب (المسائل والأجوبة) (٧١) وغيرهما . إلا أن الناسخ لم يفعل هذا لأنه لم يكن يقصد التأليف ، وكل الذى رُمى إليه أن يجمع في هذه (المجلدة) اشتاتا من الشعر واللغة والأخبار ، لتكون حاوية للمتعة والظرافة واللذة . وربما لبيان مهارته في الخط وإتقانه لأنواعه المختلفة . أو لتثبيت اسمه على كتاب بشكل من الأشكال أو كان قد طلب إليه أن يفعل ذلك ففعل . ومهما تكن الحقيقة فوجود كتابين باسم (أسماء الأضداد) لابن قتيبة والثعالبي هو مجرد وهم ليس إلا . كما هو واضح من دراسة هذه المنسوخة وتخريج مادتها في كتابيهما (أدب الكاتب) و (فقه اللغة) ، وتعليقات الناسخ في (الصحاح) للجوهري ، وقد اثبتنا صورتها هنا لتسم للقارئ الدارس المقارنة بين المادة والتخريج ، وليقف بنفسه على حقيقة الموضوع .

كتاب عسل بن ذكوان

المؤلف هو أبو علي عسل بن ذكوان النحوى العسكرى (٧٢) ، كما ذكرته بهذا الاسم كل مصادر ترجمته سوى (الفهرست) لابن النديم ، فقد سماه (عبيد بن ذكوان) ، واحتمال التصحيف وارد وقريب ، ذلك أن أسنان السنين في عسل هي الباء والياء في عبيد ، واللام في تلك هي الدال في هذه بشيء من الصنعة في رسم الأخيرة .

أخذ عن المازني والرياشي ودماد ، وعاصر المبرد وكان من طبقته

(٧٠) في الفصل الذى عقده للمقلوب من الالفاظ .

(٧١) ص ١٠ وما بعدها .

(٧٢) تراجع ترجمته في : اخبار النحويين البصريين ٨٠ ومراتب النحويين

١٣٧ والفهرست (مصر) ٧٩ وانباه الرواة ٢ / ٣٨٣ ومعجم الادباء

١٢ / ١٦٨ وبغية الوعاة ٣٢٤ .

ونظرائه الا انه لم يكن له نباهته ولم يشتهر شهرته كما تقول مصادر ترجمته ، وكان مقيما للافادة بعسكر (مكرم) من كور الاهواز ، وأخذ عنه الناس ورووا كتبه وهو مذكور هناك ، وكان قد قرأ كتاب سيبويه على المازني . له من الكتب : الجواب المسكت ، أقسام العربية ، الأضداد . ولم تذكر لنا المصادر تاريخ وفاته ، فقد اكتفت بأن حددت عصره بعصر المبرد ، وعلى هذا تكون وفاته قريبة من وفاة المبرد سنة خمس وثمانين ومائتين .

أما كتابه (الأضداد) - وهو من الكتب المفقودة - فلم يذكره من المصادر القديمة الا (الفهرست) لابن النديم ، وعنه نقل اسماعيل البغدادي في (ايضاح المكنون) . فالفهرست هو المصدر الوحيد الذي أشار الى الكتاب وعده ثالث مصنفات عبيد بن ذكوان . الا أن نسخ الفهرست نفسه اختلفت في الاشارة الى كتاب الأضداد لعبيد ونسبته اليه ، فقد اتفقت طبعا (فلوجل) و (مصر) على ذكر الكتاب منسوبا الى عبيد بن ذكوان (٧٣) الا أنه غير مذكور مع كتابيه الآخرين في طبعة (طهران) (٧٤) ، وفي هذه الأخيرة زيادة على ما في تلكما الطبعتين ، ففي طبعتي فلوجل ومصر تنتهي ترجمة عبيد بذكر مصنفاته الثلاث . الا أن الترجمة في طبعة طهران الأخيرة تنتهي بهذه العبارة - وهي بعد ذكر كتابيه : الجواب المسكت وأقسام العربية - : « روى أبو بكر محمد بن الحسن بن مروان عن أبي ذكوان كتاب الأضداد عن التوزي » (٧٥) ، وقد وضعها المحقق بين هلالين ليعلم أنها زيادة على ما في طبعة فلوجل ، كما نصّ على ذلك في مقدمته ، فهي اذن موجودة في النسخة التي حقق منها الكتاب التحقيق الثالث الاخير ، وهي تشعرنا أن كتاب الأضداد الذي ذكر منسوبا لعبيد في النسختين الأوليين ما هو الا

(٧٣) فلوجل ٥٩ ومصر ٨٩ .

(٧٤) طهران ٦٥ .

(٧٥) طهران ٦٥ .

كتاب التوزي رواه عنه أبو ذكوان ورواه عن أبي ذكوان أبو بكر محمد بن الحسن بن مروان ، والكتاب على هذا ليس له وإنما هو راو له عن مؤلفه ، ولأمانع زمتنا من أخذ أبي ذكوان عن التوزي وإن لم يذكر لنا تاريخ وفاته ، إلا أنه بالقياس إلى وفاة المبرد معاصره (٢٨٥) والذي تلمذ للتوزي (٢٣٣) يكون جائزا أن نطمئن إلى هذا الأمر . فهل كان موضوع كتاب الأضداد هو كما ورد في نسخة طهران ، وإن عيدا لم يؤلفه وإنما رواه عن التوزي ؟ •

بعد النظرة الفاحصة لما ورد في النسخ الثلاث ودراسة ترجمة عيد بن ذكوان وموضعها من الكتاب ، نخرج بالنتيجة التي تؤيد نسبة الكتاب لعيد وأنه هو المؤلف الحقيقي له ، وأن الكتاب الذي رواه أبو ذكوان عن التوزي هو كتاب آخر من تأليف التوزي وقد مرت دراسته ، وذلك ملاحظة لأمر : الأول : أن هذه العبارة الزائدة في نسخة طهران نصت على أن راوى كتاب التوزي هو أبو ذكوان « روى أبو بكر محمد بن الحسن بن مروان عن أبي ذكوان كتاب الأضداد عن التوزي » وليست هذه هي كنية عيد بن ذكوان صاحب كتاب الأضداد وإنما كنيته هي (أبو علي) ، واسمه مختصرا (ابن ذكوان) وليس أبو ذكوان لو قلنا بأنه اكتفى بهذا الجزء منه • والثاني - وهو الأهم - : أن ترجمة عيد بن ذكوان في الفهرست وردت ضمن جملة من تراجم معاصري المبرد الذين نظروا في كتاب سيبويه ، ولم يكن لهم نباهة المبرد ولا شهرته ، وأول هؤلاء هو أبو ذكوان القاسم ابن اسماعيل ، ثم عيد بن ذكوان ، فأبو يعلى •• الخ ولتوضيح ذلك نقل النص المشترك في هذا الفصل بين النسخ الثلاث ، فيما عدا ذكر كتاب الأضداد في النسخة الطهرانية •

يقول ابن النديم : « وقد نظر في كتاب سيبويه في عصره جماعة لم يكن لهم كنيته ، يعني المبرد • مثل أبي ذكوان القاسم بن اسماعيل ،

ولأبي ذكوان كتاب معاني الشعر رواه ابن درستويه ، وقع الى سيرا ف أيام
الزنج ، وكان علامة اخباريا قد لقي جماعة ، وكان التوزي زوج أم أبي
ذكوان . ومثل عبيد بن ذكوان وكان مقيما بمسكر مكرم ، وله من الكتب : كتاب
الأضداد ، كتاب جواب المسكت ، كتاب أقسام العربية ، (٧٦) وبعد هذا
النص مباشرة تنفرد نسخة طهران بالعبارة التي نقلناها .

ومن هذا الكلام يدرك الدارس تماما أن العبارة ليست في محلها من
السياق اذ هي - لو افترضنا وجودها في نسخة المؤلف نفسه - لا بد أن
تكون ملصقة بترجمة أبي ذكوان القاسم بن اسماعيل ، لا بترجمة عبيد
بن ذكوان . فأبو ذكوان هو المنصوص عليه في العبارة ، والتوزي زوج
أمه ، فهو ربيه الذي درس عليه (٧٧) ، واخذ عنه وروى كتابه في
الأضداد .

وبهذا نعيد الامور الى نصابها الصحيح ، ويكون أبو ذكوان راويا
لكتاب التوزي في الأضداد ، ويكون عبيد بن ذكوان مؤلفا في الأضداد .
والخطأ هنا كان من الناسخ في نسختنا الطهرانية ، وكثيرا ما يحدث مثله في
نسخ المخطوطات ، اذ يفوت على الناسخ سطر من أسطر الكتاب ، أو يكرر
سهوا نسخ سطر من الأسطر ، أو يلتبس عليه ما تشابه من الكلام فيكون من
جراء ذلك مثل هذا الخطأ والتحريف .

الآن انا في الوقت نفسه نسجل تساؤلنا عن سبب اغفال مصادر ترجمة
عبيد المختلفة لكتابه (الأضداد) ، خصوصا تلك التي عنت بذكر مؤلفات
الترجمين كمعجم الادباء وبغية الوعاة . صحيح ان ياقوت والسيوطي نقلوا
عن الفهرست لابن النديم غير أنهما لماذا لم ينقلا عنه (كتاب الأضداد)
لعبيد بن ذكوان ، فهل كانت نسختاهما خاليتين من ذكر الكتاب كنسخة

(٧٦) مصر ٨٩ وفلوجل ٦٠ وطهران ٦٥ .

(٧٧) بغية الوعاة ٣٧٥ .

طهران ؟ وشيء آخر هو أننا لم نعر لعيد - وهو المؤلف في الأضداد - على أى ذكر في كتب الأضداد ، ولا في مصادر اللغة ومعجماتها التي عرضت للأضداد وسجلت آراء العلماء فيها • لهمهم أهملوا كتابه واستبعدوه لضعفه واختصاره • أو ربّما كان ضياعه قديما جدا •

كتاب ثعلب

المؤلف هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني النحوى المعروف بثعلب (٧٨) ، امام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه • ولد سنة مائتين ، وابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة سنة ست عشرة ، وحفظ كتب الفراء فلم يشذّ منها حرف ، وعني بالنحو أكثر من غيره ، فلما اتقنه أكبّ على الشعر والمعاني والغريب ، اذ نظر في النحو وله ثمان عشرة سنة ، وصنّف الكتب وله ثلاث وعشرون سنة ، وكان يدرس كتب الفراء وكتب الكسائي درسا •

لازم ابن الاعرابي بضع عشرة سنة ، وسمع من محمد بن سلام الجمحي وعلي بن المغيرة الأثرم وسلمة بن عاصم وعبيدالله بن عمر القواريري وخلف والزبير بن بكار وأبي الحسن احمد بن ابراهيم • أدب اولاد محمد بن عبدالله بن طاهر ، وناظر المبرد وجالس ابن كيسان ،

(٧٨) تراجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ١٥٥ ومراتب النحويين ٩٥ وتهذيب اللغة ١ / ٢٦ والفهرست ١١٠ وتاريخ بغداد ٥ / ٢٠٤ ونزهة الالباء ١٥٧ وانباء الرواة ١ / ١٣٨ ونور القيس ٣٣٤ ووفيات الاعيان ١ / ٨٤ ومجالس العلماء للزجاجي ٩٤ - ١٢٤ ومروج الذهب ٤ / ٢١٦ ومعجم الادباء ٥ / ١٠٢ والنجوم الزاهرة ٣ / ١٣٣ والاشباه والنظائر ٣ / ٢١ والمزهر ٢ / ٤١٢ وبغية الوعاة ١٧٢ والاكمال ١ / ٥٠٩ وشذرات الذهب ٢ / ٢٠٧ وروضات الجنات ١ / ٢٠١ وتاريخ بروكلمان ٢ / ٢١٠ والكنى والألقاب ١١٥ / ٢ وتاريخ آداب اللغة العربية ٢ / ١٨٠ ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٠٣ والاعلام ١ / ٢٥٢ ومدرسة الكوفة ١٤٤ - ١٦١ والمدارس النحوية ٢٢٤ - ٢٣٥ •

ونقل السيوطي في الأشباه والنظائر هذه المجالس • أخذ عنه محمد بن العباس اليزيدي والأخفش الأصغر ونظويه وأبو عمر الزاهد وابن عرفة وأبو بكر بن الأنباري وأبو موسى الحامض وإبراهيم الحربي وغيرهم • له من المصنفات : المصون في النحو ، معاني القرآن ، القراءات ، معاني الشعر ، ما ينصرف وما لا ينصرف ، الفصيح ، المجالس ، الأضداد ، وغيرها كثير • توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين •

أما كتابه الضائع في الأضداد فقد عدّه ابن الدهان (ت ٥٦٩) بين كتب (الكبار من العلماء) التي يرجع إليها للاستزادة والاطلاع على الشواهد • ولم يكف محقق أضداد ابن الدهان بهذه الإشارة للاقرار بتأليف ثعلب كتابا في الأضداد ، ونفى أن يكون له كتاب مستقل في الأضداد ، وإنما كان يعرض لها في مصنفاته وكتبه (٧٩) ، وقد مرّ في الكلام على كتاب الأضداد للفراء - الذي أشار إليه ابن الدهان أيضا - عدم قناعة المحقق بالإشارة نفسها إلى كتابه ، نافيا أن يكون للفراء كتاب في الأضداد ، وإنما عرض لها في مصنفاته (٨٠) •

وإذا كنّا في أضداد الفراء لا نملك غير إشارة ابن الدهان ، فنحن هنا في أضداد ثعلب نملك ذكرا آخر للكتاب ، نستطيع به أن نوّكد تأليف ثعلب إياه ووجوده متداولاً في الأيدي مدة طويلة من الزمن • فقد رواه ابن خير الأشيلي (٥٧٥) عن شيوخه ، وذكر لنا سند هذه الرواية في فهرسته فقال : « جزء فيه الأضداد لثعلب ، حدثني به أبو عبد الله محمد بن سليمان النفري عن خاله الأديب أبي محمد غانم بن وليد المخزومي عن أبي بكر عبادة بن ماء السماء عن أبي بكر الزبيدي عن أبي علي البغدادزي عن أبي عمر محمد بن عبد الواحد المطّرز عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب رحمه

(٧٩) ابن الدهان ٩١ الهامش •

(٨٠) المصدر نفسه والصفحة •

الله ، (٨١) ، ومعنى هذا أن الكتاب وصل الى الاندلس عن طريق أبي علي
القالي (البغدادى) - على ما يبدو من سند الرواية - وتلقفه العلماء بالرواية
واحدا عن واحد ، وهذا يبعد الشك في تأليفه أو وجوده •

ونحن نستطيع - في حالة عدم وجود الكتاب بين أيدينا الآن - أن
تبيين ظواهره المنهجية وخصائصه المدرسية مما خلفته لنا المصادر التي عثيت
بنقل رأيه في الأضداد ، وعلى رأسها كتابه (مجالس ثعلب) الذي حفظ لنا
خمس عشرة مادة من مواد الأضداد التي ذكرها ثعلب نفسه وناقشها ،
ومثله كتابه المفقود (مجاز الكلام وتصاريقه) الذي نقل السيوطي عنه احدى
عشرة لفظة من الأضداد (٨٢) ، كما حفظ لنا كتاب (الأضداد) لابن الانباري
رأيه في مواد الأضداد وانشاده لشواهدا في واحد وستين موضعا ، يضاف الى
ذلك ورود ذكره في مواد الأضداد في لسان العرب خمس عشرة مرة ،
وفي مواد الأضداد في تاج الحروس ست مرات ، وقريب من هذين العديدين
في تهذيب اللغة والصحاح • فيكون من مجموع ذلك مادة وفيرة تصلح
أن تكون صورة صادقة قريبة لكتابه المفقود معدة للدراسة واستجلاء
الظواهر المختلفة •

وأول هذه الظواهر كون مصادره كوفية بحتة ، ذلك أن أبا بكر بن
الانباري لم ينقل رأيه في لفظة من ألفاظ الأضداد أو تفسيره لمعنى من المعاني
أو انشاده لشاهد من الشواهد الا وهو مسند في روايته لاسانته الكوفيين
عن طريقين • الأول : عن سلمة عن الفراء في أربعة عشر موضعا ، والثاني :
عن ابن الاعرابي في ثلاثة عشر موضعا ، ومرة واحدة عن الأثرم ومرة
واحدة عن الكسائي دون ذكر الوساطة ، فيكون مجموع الآراء المذكور
فيها سند الرواية تسعة وعشرين رأيا من واحد وستين مرة ذكر فيها ابن

(٨١) فهرسة ابن خير ٣٨١ •

(٨٢) المزهر ١ / ٣٩٣ •

الانبارى ثعلباً في أثناء معالجاته لألفاظ الاضداد * أما المرات البواقى
 فذكره منشداً أو مخبراً أو مفسراً دون أن يسند ذلك لغيره ، مما يدل على
 أن هذا المنقول هو له وحده ، سمعه منه ابن الانبارى تلميذه وصاحبه * أما
 المصادر الاخرى فقد سكنت هي أيضاً عن ذكر السند بما في ذلك كتابه
 (مجالس ثعلب) * اذن فمصادر ثعلب هي مصادر الكوفيين ورأيه هو رأيهم
 ووجهته في الدرس والطرح والمعالجة هي وجهتهم ، كما يملى عليه كل
 ذلك ارتباطه بسلمة والفراء والكسائي وابن الاعرابي في النقل والرواية
 والاحتجاج * وهذا الرجوع في رأى الى الفراء يدل على اهتمام الفراء
 ببحوث الاضداد ، ويقوى الاعتقاد بتأليفه مصنفاً فيها *

والظاهر أن كتابه (الاضداد) كان قائماً على ذلك ، وقد رجع اليه ابن
 الانبارى فنقل منه ما شاء في كتابه مضيفاً الى هذا النقل ما سمعه منه مشافهة
 أو ما دونه عن كتاب آخر كالمجالس ، يدل على ذلك قول أبي بكر بن
 الانبارى في مادة (الالهmad) معلقاً على الشاهد الشعري ومفسراً معنى
 (الكُرَز) في قوله رؤبة :

لَمَّا رَأَيْتَنِي رَاضِياً بِالْأَهْمَادِ كَالْكُرَزِ الْمَشْدُودِ بَيْنَ الْأَوْتَادِ
 * وأخبرنا أبو العباس قال : يقال : هو الباز ، وهو البازى ، فمن
 قال : هو الباز قال في التثنية : هما البازان والجمع البازان ، على مثال
 قولهم : الخال والخيلان * ومن قال : هو البازى قال في التثنية : هما البازيان
 وفي الجمع البزاة ، على مثل القاضي والقضاة * قال ابو بكر : في الباز لغة
 ثالثة لم يذكرها في هذا الكتاب وذكرها لنا في بعض امالية ، قال : ويقال هو
 الباز بهمز الألف « (٨٣) » * فقول ابن الانبارى : انه «لم يذكرها في هذا
 الكتاب » ولم يذكر اسم الكتاب قبلاً يشعر انه كتاب (الاضداد) ، لدلالة
 قرائن الحال والكلام على ذلك *

و ثعلب كثيراً ما يعلق على شواهد التي يسوقها ، ويخرج أحياناً في هذه التعليقات الى امور من التفسير لا تمت للموضوع المبحوث بصلة ، تقوده اليها لفظة مبهمة او معنى غريب او استعمال خاص • ومن اقرب الامثلة على ذلك ما نقلناه من تفسير لفظة (الْكُرْتَز) الواردة في شاهد شعري سيق في مادة (الاهْمد) التي هي من الاضداد تنصرف للاقامة والسير ، وواضح من الشاهد ان (الْكُرْتَز) ليس محل الشاهد في هذا البيت • ومثل هذا تعليقه على الشاهد في مادة (النِدْ) (٨٤) وكذلك في مادة (المَسْجور) (٨٥) ، ومادة (نُوتُ) (٨٦) ، ومادة (الصَّفْر) التي هي للامتلاء والخلو ، وقد ورد أثناء الكلام عليها قول النبي « لا عَدَوِي ولا هامة ولا صفر » ، فأبعد ثعلب في التعليق على هذا الحديث حتى نقل عن ابي الاعرابي أنه : « قال : الهامة طائر يسكن القبور تشاءم به العرب ، وتطير به ، فأبطل النبي صلى الله عليه ذلك من ظنهم • قال أبو العباس عن ابن الاعرابي ثم سمّت العرب الميت هامة على جهة الاتساع وأنشد :

قَانْ تَكْ هامةٌ بهراةَ تَرْقُو فقد أَرْقَيْتُ بالمرْوينِ هاما » (٨٧)

وواضح أن التعليق الطويل على (الهامة) ليس من صلب الكلام على الضد • وقد قاد هذا التعليق الجانبي الى الاستشهاد الجانبي ايضا وهكذا • أما شواهد فمعظمها من الشعر ، وهو يكثر من الاستشهاد به ، حتى ليزكر بيتين أو ثلاثة قبل البيت الذي فيه موطن الشاهد ، كأنه يحرص بذلك على أن تكون الفكرة التي يريد بها الشاعر متكاملة واضحة حتى لينشد ثلاثة ايات في سبيل ذلك ، اذا لم تكن واضحة في بيت واحد ، وأمثلة ذلك في

(٨٤) ابن الانباري ٢٦ •

(٨٥) نفسه ٥٦ •

(٨٦) نفسه ١٤٥ •

(٨٧) نفسه ٣٢٥ •

المواد : النداء ، القراء ، المولى ، ذكور ، ليل نائم ، تلحج ، اللحن ، لائق (٨٨) ،
وغير هذا كثير .

أما شواهد من غير الشعر فتكاد تكون معدومة ، فلم ينقل عنه انه
استشهد بآية كريمة أو حديث شريف أو مثل سائر . اللهم الا تعرضه
لتفسير بعض ألفاظ الآيات الكريمات مما يشتم منها التضاد في معنيها ، ومن
أمثلة ذلك قوله : « وقال أبو العباس في قوله عز وجل (ما بعوضة فما
فوقها) : يقال دونها وهو قليل ، وتكون (ما) صلة ، وما فوقها أى اكبر
منها ، أجود » (٨٩) وهو رأى الفراء أيضا كما مر سابقا والظاهر أن ثعلبا
قد تأثر به . وقوله : « أكاد أخفيها : أريد أسترها ، ومن قال أخفي قال
أظهر . و (أسروا الندامة) قال : من رؤسائهم » (٩٠) ، فقد لاحظ في
الفعل (أخفي) حركة الهمزة ليعلم هل هي أصلية أم هي للسلب وقد فرّق
بها المعنى ، وقد مال في (أسروا) الى المعنى المشهور خلافا لغيره ، وهو في
هذا كالفراء أيضا . وقد فرّق في المعنى في قوله تعالى (لقد تقطع بينكم)
فقال : « بفتح النون أى ما بينكم ، وبينكم بضمّ النون أى وصلكم » (٩١)
وكانه بهذا يترك الامر للقراءات التي يشعر ثعلب بهذا الاسلوب من
الحكم على معاني القرآن واستعمالاته أنه يحترمها ويقرّها وان لم ينص
على ذلك ، وقد نص الفراء عليها في هذه الآية عندما عرض لتفسيرها كما
مر سابقا ، وهي خصيصة كوفية - اعني احترام القراءات - والا فبإمكان
كل منهما أي الفراء وثعلب ، لو لم يكن كذلك أن يقطع بحكم في معنى
اللفظ مفيدا أنه هو الصواب فيه وأن مادونه خطأ كما فعل أبو عبيدة مثلا في

(٨٨) ابن الانباري ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ١٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٦٤ .

(٨٩) مجالس ثعلب ١ / ١٩١ .

(٩٠) مجالس ثعلب ١ / ٢٣١ .

(٩١) نفسه ١ / ٢٦٣ ولسان العرب ١٣ / ٦٢ .

بته في معاني القرآن ، إلا ان منهج هؤلاء يختلف عن منهج اولئك تمام
الاختلاف ، اذ لا يمكنهم جحد القراءات وتناسيها وعدم الاعتراف بها في
ترتيل المصحف الكريم *

وحاول ثعلب أن يفسر التضاد في بعض الألفاظ فيردها تارة الى
التصريف واخرى الى التفاؤل وثالثة الى السياق والقرائن الكلامية وما الى
ذلك . فقال مثلاً في تفسير (الظن) الذي يقع شكاً مرة ويقيناً مرة :
« وقال أبو العباس : انما جاز أن يقع الظن على الشك واليقين لأنه قول
بالقلب ، فاذا صحّت دلائل الحق وقامت اماراته كان يقيناً ، واذا قامت
دلائل الشك وبطلت دلائل اليقين كان كذباً ، واذا اعتدلت دلائل اليقين
والشك كان على بابه شكاً لا يقيناً ولا كذباً » (٩٢) . وقال في (السليم)
و (المفاضة) : « وقال أبو العباس : قالت العرب : انما سمينا المددوغ
سليماً لما به . وقال بعضهم : سميت المفاضة مفاضة تفاؤلاً أي ينجو من
سلكتها » (٩٣) . وقال في (القرء) وقد تنبّه للتصريف وما يمكن أن
تؤديه الهمزة في فعلت وأفعلت : « وأخبرنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء
قال : يقال : أقرأت المرأة اذا حاضت ، وقرأت : حملت . ويقال :
قد أقرأت الحية اقراءً اذا جمعت السم شهراً ، فاذا وفي لها شهر
مجته » (٩٤) ، ومثل هذا التفسير بالتصريف في مادة (الفاري) (٩٥) .
كما لاحظ في (الخنذيد) شمولية المدلول الأوّل فقال : « وأخبرنا أبو
العباس عن ابن الاعرابي قال : الخنذيد الضخّم والخناذيد : الضخام
وأشدنا :

(٩٢) ابن الانباري ١٦ .

(٩٣) مجالس ثعلب ١ / ١٧٠ والمزهر ١ / ٣٩٣ وابن الانباري ١٠٦ ، وفي

الاخير ان ثعلباً نقله عن سلمة عن الفراء .

(٩٤) ابن الانباري ٣٠ .

(٩٥) نفسه ١٦٠ .

يَصُدُّ الْفَارِسُ الْخَنْدِيزُ عَنِّي

صدودَ البكر عن قمر هجان

وأخبرنا أبو العباس عن ابن الأعرابي قال : الخنديز : الضخم ،
والخنازيد : الضخام • وأنشدنا :

تَعْلُوْا وَاسِيَهْ خَنَايِدُ خَيْمٍ ٩٦

فليس الخنديز على هذا من الأضداد يكون للفحل ويكون للخصي من
الخيـل ، وإنما هو الضخـم منها سواء كان فحلا أو خصيا • كما رجع في
تفسير (بَرِحَ) الى الأصل اللغوي للفظـة ، وقالوا انها من الاضداد للظهور
والخفاء ، ومنها (بَرِحَ الْخَفَاءُ) فقال : « قال أبو العباس : أصل (بَرِحَ)
صار في براح من الأرض ، وهو البارز المنكشف والخفاء : المستور المكتوم •
فاذا قال القائل : بَرِحَ الْخَفَاءُ ، فمعناه ظهر المكتوم » . (٩٧) •

ودعاه استقراؤه لكلام العرب وتعمقه فيه أن يشترط في (الوراء)
شرطا ليكون استعمالها في المعنى الثاني جائزا فقال : « قال ثعلب : الوراء :
الخلف ولكن اذا كان مما تمرّ عليه فهو قدّام ، هكذا حكاه الوراء بالالف
واللام ، ومن كلامه أخذ » (٩٨) • وتنبّه للتصحيف ودوره في خلق
التضاد : « وَرَقَاءٌ بَيْنَهُمْ يَرْقَأُ رَقَاءً : أَفْسَدَ وَأَصْلَحَ • وَرَقَاءُ مَا بَيْنَهُمْ
يَرْقَأُ رَقَاءً اذا أَصْلَحَ • فَأَمَّا رَقَاءُ بِالْفَاءِ فَأَصْلَحَ ، عن ثعلب » (٩٩) ، فمعنى
الاصلاح عنده بالفاء وليس بالقاف ، ومن هذا يستتج أن التصحيف في
اللغة - وهو قريب جدا بين القاف والفاء - خلق من الفعل (رَقَأَ)
• ضدا

(٩٦) ابن الانباري ٥٩ - ٦٠ •

(٩٧) ابن الانباري ١٤١ •

(٩٨) لسان العرب ١ / ١٩٣ وتاج العروس ١ / ٤٨٦ •

(٩٩) لسان العرب ١ / ٨٨ •

وناقش ثعلب مضطرا الشاهد الذي سيق دليلا على ضدية (البعض)
 وحاول أن يجد تفسيرا مقبولا للمعنى الذي يريده الشاعر ، فقال : « قال
 أبو العباس أحمد بن يحيى : أجمع أهل النحو على أن البعض شيء من
 أشياء أو شيء من شيء الا هشاما فانه زعم أن قول لييد :

أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

فادعى وأخطأ أن البعض ههنا جمع ، ولم يكن هذا من عمله وانما
 أراد لييد بعض النفوس نفسه « (١٠٠) » وأشار الى القلب اللغوي ودوره
 في خلق التضاد ، كما في مادة (تَلَحَّلَحَ) التي تعني أقام وتعني زال ،
 فيقول في تفسير المعنى الثاني : « وأنشدنا في المعنى الآخر أبو العباس عن
 سلمة عن الفراء :

تَقُولُ وَرَبِّياً كَلِمَا تَنْحَنَحَا شَيْخٌ إِذَا حَرَّكَتَهُ تَلَحَّلَحَا •
 أراد بـ (تَلَحَّلَحَ) تحلل ، فقدّم اللام وآخر الحاء ، كما قالوا :
 جذب وجذب ، وعاث في الارض وعثا ، هذا تفسير الفراء « (١) » • ووجد أن
 الادغام سبب ما اعتبر من الازداد خطأ ، ذلك أنهم قالوا ان الفعل (برَدَ)
 له معنيان متضادان هما المعنى المعروف وسخّن ، وذلك لقول الشاعر :

عَافَتْ الشَّرْبَ فِي الشِّتَاءِ فَقُلْنَا بَرْدِيهِ تُصَادِفِيهِ سَخِينَا

« قال أبو بكر : وحكى لي بعض أصحابنا عن أبي العباس أنه كان يقول
 في تفسير هذا البيت : بل رديه ، من الورود فأدغم اللام في الراء ،
 فصارتا راء مشددة « (٢) » •

كل محاولات التفسير هذه تعطي صورة عن تفتح الذهن واستيعابه

(١٠٠) لسان العرب ١١٩/٧ •

(١) ابن الانباري ٢٣٦ •

(٢) نفسه ٦٤ •

للفكرة وانكاره أن يكون مثل هذه الالفاظ من الأضداد وقد ظهر بوضوح سبب تضادها وانصرافها الى معنيها الوهميين بما نصّ عليه ثعلب أو أشار اليه من تفسير • وهذا من خصائص المنهج الكوفي الذي رأيناه عند الفراء بوضوح وجلاء ، ولم نجده عند البصريين أمثال قطرب وأبي عبيدة والأصمعي ، اللهم الا أبا حاتم فكان في كتابه شيء من ذلك ، غير أن هذا الشيء محصور في ردوده على أبي عبيدة • ولا ينافي أن تؤمن مدرسة الكوفة بالنقل والرواية في اللغة ، وأن تحاول تفسير تضاد الالفاظ بحجة أن الاضداد نفسها قد رويت ونقلت عن العرب • ذلك أنهم يحاولون تفسير ما روي عن العرب أنفسهم وما نقل عنهم ، فهم في ذلك على المنهج نفسه من احترامهم للرواية والنقل • والا لأنكروا وجود هذه الالفاظ في اللغة ولجحدوا ورودها عن العرب •

الا أن ثعلباً أغفل تفسير بعض الالفاظ في الوقت الذي يكون تفسيرها سيرا بيننا ، مثل قوله : « قال أبو العباس : ويقال طَوَاهُ ، أي أتاَه وجازه » وهو من الاضداد» (٣) • في حين لا يتم معنى اللفظة الا بما اعتبره معنيين متضادين معا وهو الاتيان والاجتياز ، وبعبارة اوضح نقول ان (طَوَاهُ) له معنى واحد هو أتاَه وجازه معا ، وليس كل منهما معنى خاصا تنصرف اليه اللفظة على حدة انصرفا مضادا • وكذلك قوله : « النَّاهِلُ : العطشان والريان ، من الاضداد » (٤) ، وقد فسرهُ غيره على التفاضل كأبي حاتم السجستاني مثلاً (٥) ، ومثل هذا (السَّاجِدُ) للمنحني والمنتصب (٦) ، في حين يكون المعنى الثاني في لغة طيء دون سائر اللغات

(٣) مجالس ثعلب ٢ / ٢٥٠ •

(٤) المصدر نفسه ١ / ١١٨ •

(٥) أبو حاتم ١٢٧ •

(٦) المزهر ١ / ٣٩٣ نقلاً عن مجاز الكلام وتصاريقه •

العربية • و (الْمُتَظَلَّم) للذي يشكو من ظلامته ، وللظالم ^(٧) في الوقت الذي يكون دور التصريف واضحا في كون الصيغة من صيغ السلب • و (القنص) للصائد والصيد ^(٨) ، وهو أيضا بسبب عوارض التصريف كما لم ينص ثعلب على المقلوب في كلام العرب ، كقوله : « تقول العرب : بُوتَ بالحمل أنوء به نوءاً أي نهضت به ، وناء بي الحمل أي بُوت به نهوضاً • ويقال ناء النجم ينوء نوءاً اذا سقط » ^(٩) وكان أبو حاتم أيضا قد عدّ هذامن المقلوب وجعله في الفصل الذي عقده في آخر كتابه ، ونص على أنه ذكر فيه « حروفا لا علم لي بها أقال أم لا » ^(١٠) وفي (المسجور) لم ينص ثعلب الا على المملوء ^(١١) ، كما لم ينص في (البسّل) الا على الحلال ^(١٢) ، كأنه لم ير فيهما الا معنى واحداً ، فهي على هذا ليست من الاضداد غير أن ثعلبا برر كل ذلك ووضحه بقوله : « الاسماء كلها لعملة ، خصت العرب ما خصت منها من العلل ما نعلمه ، ومنها ما نجهله » ^(١٣) • وهو بهذا يثبت لنفسه تواضع العالم الذي أيقن بعد طول المران والتجربة والبحث أنه لا يمكن الاحاطة بأساليب العرب واستعمالاتهم وعلل لغتهم فلا بد من الاقرار بما يعلم منها وما يجهل •

وهناك شيء يجب ان لا يغيب عن البال ، هو اننا الان تحت رحمة وسيط بيننا وبين الكتاب ، قد لا يكون ناجحاً في عكس الصور الكافية

(٧) المزهر ١ / ٣٩٣ •

(٨) نفسه ١ / ٣٩٣ •

(٩) مجالس ثعلب ٢ / ٤١٧ •

(١٠) ابو حاتم ١٤٨ •

(١١) لسان العرب ٤ / ٣٤٥ ، وفي المزهر ١ / ٣٩٣ ان ثعلبا ذكر المعنى الثاني وهو (الفارغ) في كتابه (مجاز الكلام وتصاريقه) •

(١٢) ابن الانباري ٦٣ •

(١٣) نفسه ٧ •

عن الكتاب فيما نقل عنه ، وربما كان هذا الوسيط - وهو أبو بكر بن
الانباري في الدرجة الاولى - مهتما في جوانب معينة من كتاب ثعلب فأكثر
من النقل منها • كاهتمامه الواضح بالشعر والتعليقات المختلفة على الشواهد
الشعرية ، دون غيره من الشواهد الذي يشمل القرآن والحديث والمثل
والمأثور وغير ذلك • ويؤيد هذا ان ثعلبا نفسه قد اهتم بالقرآن وآياته
في مجال الاضداد عندما عرض لها في كتابه (المجالس) ولا بد أن يكون
تعرضه لها أكثر في كتاب يجرده للاضداد • الا أن أبا بكر لم ينقل عنه
شيئا من ذلك في كل المواضع التي ذكره فيها • أريد أن أقول انه ربما
وجدنا في الكتاب - لو كان في أيدينا الان - كل ما افتقدناه في مجموع
هذه النقول الكثيرة عنه ، والتي حفلت بها معجمات الاضداد وكتب اللغة •

كتاب ابن الانباري

المؤلف هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري
النحوي^(١٤) ، كان أبوه القاسم بن محمد الانباري من علماء الحديث
واللغة وهو أول اساتذة ابنه ابي بكر • فنشأ الولد واسع الدراية متقنا
لعلوم القرآن والحديث والرواية ، علما بنحو الكوفيين وأكبرهم حفظا
للغة في زمانه زاهدا متواضعا • اتدبه الخليفة الراضي لتأديب الامير
عبدالواحد بن المقتدر • أخذ عن ثعلب بعد أخذه عن ابيه ، وعن ابي

(١٤) تراجع ترجمته في : طبقات النحويين واللفويين ١٧١ وتهذيب اللغة
٢٨/١ والفهرست ١١٢ وتاريخ بغداد ٣/١٨١ ونزهة الالباء ١٨١
والانساب ١ / ٣٥٣ ونور القبس ٣٤٥ ووفيات الاعيان ٣ / ٤٦٣
ومعجم الادباء ١٨ / ٣٠٦ والفلاكة والمفلوكون ١٥٧ وانباء الرواة
٣ / ٢٠١ والوافي بالوفيات ٤ / ٣٤٤ والنجوم الزاهرة ٣ / ٢٦٩
والمزهر ٢ / ٤١٣ وبغية الوعاة ٩١ وشذرات الذهب ٢ / ٣١٥ وتاريخ
بروكلمان ٢ / ٢١٤ وطبقات اعلام الشيعة ٤ / ١١٦ وتاريخ آداب
اللغة العربية ٢ / ١٨٢ والكنى والالقب ١ / ٢٠٩ ومعجم المطبوعات
٤١ والاعلام ٧ / ٢٢٦ والمدارس النحوية ٢٣٧ •

جعفر احمد بن عبيد وجماعة ، كان يكتب عنه وابوه حي • وكان يحفظ فيما ذكر ثلثمائة ألف بيت شاهد في القرآن ، واكثر ما يمليه من غير دفتر ولا كتاب • وحدث انه كان يحفظ ايضا عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدھا ، يرويھا عن أبيه ويرويھا عنه أبو العباس محمد بن ابراهيم بن اسحاق الطالقاني من مشايخ الصدوق راوية الحديث الشيعي المعروف •

أخذ عنه أبو عمر بن حيويه وأبو الحسين بن البواب وأبو الحسن الدارقطني وأبو الفضل بن المأمون واحمد بن محمد بن الجراح ومحمد بن عبدالله بن أخي ميمي وغيرهم • أملى كتابه (غريب الحديث) في خمس واربعين ألف ورقة ، وله (شرح الكافي) في ألف ورقة ويقول الصفدي : « وكتاب الاضداد ما رأيت اكبر منه في بابہ » وله غير هذه مصنفات كثيرة منها : الهاءات ، المشكل ، المذكر والمؤنث ، الزاهر ، المقصور والممدود ، اللامات ، الكافي في النحو ، الهجاء ، وغير ذلك • توفي ليلة النحر من ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ببغداد •

أما كتابه (الاضداد) فقد وصلنا وطبع عدة طبعات أشرنا اليها سابقا ، وخيرها التي بتحقيق الاستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم^(١٥) • والكتاب في الوقت نفسه أكبر واوسع كتب الاضداد التي مرت • اذ وصل عدد الاضداد فيه الى سبعة وخمسين وثلاثمائة ضدا ، ويكاد يكون هذا العدد ضعف عدد الاضداد عند أبي حاتم وضعفيه عند الاصمعي وثلاثة اضعافه عند ابن السكيت ، وفي هذا تتجلى سعة الحفظ والرواية ، وقد جاءت شروحه غاية في الافاضة والاكتظاظ بالاستطرادات والتعليقات التي لا تمت الى فكرة الاضداد بصلة الا قليلا •

ويعتبر كتاب ابن الانبارى مرحلة جديدة من التأليف في الاضداد ،
اذ ألفه ابن الانبارى متأثراً بمحاولات سابقيه : الفراء والاصمعي وابني
عييدة وثعلب وغيرهم ، محاولاً أن يجمع بينها ليكمل بعضها بعضاً ، مضيفاً
اليها من رأيه الخاص ، بمنهج أكثر شمولاً ونضجاً * وكان الدافع لتجريد
مثل هذا الكتاب لدراسة الاضداد هو الرد على الطاعنين في لغة العرب
والمنتقسين من حكمتها وبلاغتها ، فيقول في مقدمته للكتاب : « هذا كتاب
ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة ، فيكون الحرف
منها مؤدياً عن معنيين مختلفين ، ويظن أهل البدع والزيف والازراء بالعرب ،
أن ذلك كان منهم لتقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس في
محاوراتهم » (١٦) * فهو يشير هنا الى دوافع تأليفه الكتاب ويرسم لنفسه
الطريق ، ثم يحاول بعد ذلك أن يوجب على ما أثار أهل البدع والزيف
والازراء بالعرب بأجوبة مختلفة تفند اشكالهم في الالتباس الذى يحصل
من جراء انصراف اللفظة الواحدة الى المعنيين المتضادين ، فيقول في
مقدمة كتابه : « فأجيبوا عن هذا الذى ظنوه وسألوا عنه بضروب من الاجوبة »
أحدهن : ان كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ،
ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ،
فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لانها يتقدمها ويأتي بعدها
ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال
التكلم والاخبار الا معنى واحد » (١٧) ، ثم يضرب لذلك الامثلة ويسوق
الشواهد الشعرية والقرآنية ويعلق عليها ويبين أن سياق اللفظة هو الذى
يحدد المعنى ويفرده عما سواه ويخصصه للسامع * وهو بهذا يعتبر أول من
فسر التضاد بالسياق ، فانهفتح لكثير من الباحثين المحدثين الغربيين والعرب

(١٦) ابن الانبارى ١

(١٧) ابن الانبارى ٢

هذا الباب - كما مر سابقا - فراحوا يفسرون المشترك بالسياق أيضا ،
وأيدوا هذه الفكرة بالنسبة للاضداد •

وفي نهاية هذا الجانب من الكلام قال - وهو يقصد الاضداد - :
« وهذا الضرب من الالفاظ هو القليل الطريف في كلام العرب » (١٨) ،
معتبرا هذا الضرب من الالفاظ هو احد الاضرب الثلاثة لالفاظ العربية ،
اذ ان « اكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين : أحدهما أن يقع اللفظان
المختلفان على المعنيين المختلفين ، كقولك : الرجل والمرأة ، والجمل
والناقة ، واليوم والليلة ... والضرب الاخر ان يقع اللفظان المختلفان
على المعنى الواحد كقولك : البر والحُنة ، والعيَر والحِمار ، والدُّبَّ
والسَّيِّد ... » (١٩) ، وهو بهذا التقسيم ينحو منحى سيبويه ويفيد منه ،
لان سيبويه في (الكتاب) هو أول من قسم لغة العرب أقسامها الثلاثة ،
التي أخذها عنه من جاء بعده من المعنيين باللغة وبالاضداد والمشارك خاصة ،
وصدروا بها كتبهم ومصنفاتهم ، وابن الانباري واحد منهم •

بعد هذا ينتقل ابن الانباري الى التفسير الثاني لنشوء الاضداد
ويستمي : التداخل على جهة الاتساع ، ونحن سميناه : شمولية المدلول
الاول ، فقال : « وقال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ،
فالاصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع • فمن ذلك
الصَّريم ، يقال لليل صَريم وللنهار صَريم ، لان الليل ينصرم من
النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد ، وهو
القطع ، وكذلك الصَّارخ المُغِيث ، والصَّارخ المُسْتَفِيت ، سميا بذلك
لان المُغِيث يصرخ بالاغاثة ، والمُسْتَفِيت يصرخ بالاستغاثة ، فأصلهما

(١٨) ابن الانباري ٦ •

(١٩) نفسه ٦ - ٧ •

من باب واحد « (٢٠) » ، وهكذا يستمر في ايراد الشواهد والامثلة المختلفة مؤيدا هذه الفكرة ، وهي أن تكون اللفظة في اصل وضعها في اللغة مشتملة على كلا المعنيين وصالحة للانصراف لكل منهما على حدة لاشتراكهما فيها على جهة الاتساع وشمولية المدلول •

ثم يعرض للتفسير باللهجات العربية ، وذلك بأن يكون كل من المعنيين المتضادين قد جاء من لهجة مستقلة ثم جمع المعنيان عن طريق السماع ، يقول : « وقال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء ، قالوا : فالجَوْن الأبيض في لغة حي من العرب ، والجَوْن الاسود في لغة حي آخر ، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر « (٢١) » ، وينقل لتأييد ذلك آراء ثعلب والفراء والكسائي في اللغات التي اعتورت (حَسِبَ يَحْسِب) و (فَضِّلَ يَفْضُل) و (مَتَّ أَمُوت) وغيرها ، وكيف تداخلت هذه اللغات فيما بينها فكان لكل ماض منها صورتان ولكل مضارع منها صورتان أيضا •

وينتهي ابن الانباري مقدمته الطويلة هذه بتوضيح منهجه في الكتاب وفضله على غيره ، وما زاد فيه مما ليس في سواء ، فيقول : « وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة وصنفوا في احصائها كتباً ، نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء ، وأسقط منها جزءاً ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها ، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ علمي ، ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه ، اذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعد منه زيادة

(٢٠) ابن الانباري ٨-٩ •

(٢١) ابن الانباري ١١-١٢ •

الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد ، (٢٢) ، فهو بالإضافة الى جمعه ما قال القدماء في كتبهم المصنفة في الأضداد ، درس هذه الظاهرة وحاول تحليلها ، فكلامه هنا يثبت أنه يأخذ كلام سابقه لا جمعاً أو احصاءً كما فعل بعضهم ، بل دارساً ومعللاً ، على حسب معرفته ومبلغ علمه . ثم أشار الى مسألة اخرى هي استيفاء الاحتجاج واستقصاء الشواهد ، ومحاولة الخروج من هذا كله الى نتائج عامة .

والآن - قبل أن نترك دراسة المقدمة - تساءل : اذا كان ابن الانباري وقف بنفسه على ما يمكن أن يخصه سياق الكلام من معنى للفظه ، وما كان للاتساع في اطلاق اللفظة وتداخل معانيها من دور في خلق التضاد ، وما أحدثته اللهجات المختلفة من اجتماع المعنيين المتضادين في اللفظة الواحدة ، اذا كان قد وقف على كل ذلك وآمن به وفسر كثيراً من الألفاظ والشواهد والاستعمالات بهذه التفسيرات المنطقية المقبولة ، فلماذا عدّ الألفاظ التي تدرج تحت هذه النقاط - فتفقد صفة التضاد وضعاً وأساساً - من الأضداد ؟ أهو تناقض في موقفه من الأضداد ، بحيث يكون سليماً أمام أهل البدع والزيغ ، وإيجابياً أمام نفسه ، أم انه اندفاع غير مدروس الى الجمع والاستقصاء ، مهما كان تلمس هذه المواد مشحوناً بالتفسير والتأويل والالصاق ؟ كلاهما صحيح ، فهو حين يجد صوت العربي الغيور على لفته يصيح في نفسه ، نراه راداً على الشعوبيين الذين أرادوا الطعن في اللغة والأزراء بالعرب والانتقاص منهم في عدم هذه الدقة في الدلالة ، محاولاً أن يجد التفسيرات والمبررات المختلفة لوجود هذه الألفاظ في اللغة . وحين تحتمل الرغبة في نفسه في أن يكون مستوعباً ومستوفياً ومتفوقاً على غيره. ممن خاض هذا الجانب من التأليف ، نراه مندفعاً الى الاحصاء غير الواعي واللّم غير المنظم ، ليكون هذا مجالاً للمكاثرة

بالمادة والمفاخرة بالعلم والتوسع بالرواية والنقل ، وان كان قد عرض أيضا الى هذه التفسيرات السابقة وغيرها أثناء معالجته لبعض الالفاظ في الكتاب •

أما مصادره فمتنوعة مختلفة ، الا أنها في الاغلب الأعم كوفية ، فقد روى عن استاذه ثعلب عن سلمة بن عاصم عن الفراء عن الكسائي ، وعن ابن الاعرابي بوساطة ثعلب أيضا ، وعن ابن السكيت • وهؤلاء هم شيوخ مدرسة الكوفة في اللغة • ولكنه روى كذلك عن بعض شيوخ مدرسة البصرة كقطرب وأبي عبيدة والاصمعي وأبي حاتم وابن قتيبة ، وقد ناقشهم وردتهم ووقف منهم موقف المفند في كثير من المواضع وخصوصا ابن قتيبة • ومال الى أسانده الكوفيين وأيدهم وكرر النص على أن ما يقولونه هو الصواب • بحيث يعطي كتابه بشكل عام صورة واضحة لنزعة الكوفية الخالصة المتمثلة أولا بتلمذته لثعلب والاكثار من الرواية عنه وعن شيوخته ، وثانيا بموقفه من بعض شيوخ البصريين وردة آرائهم ، وثالثا بذوقه اللغوي القائم على الاكثار من الشواهد الشعرية والقرآنية وذكر آراء المفسرين والاحتجاج بالقراءات ولهجات العرب وأساليبهم المختلفة وما الى ذلك ، مما يؤكد فكرة الاعتماد على النقل والرواية واحترامهما ، والبعد عن التمحّل والتعقّر والنظر الفلسفي العقلي •

والأمثلة على ذلك من الكتاب كثيرة ، وقد مرّ قسم كبير منها خلال دراستنا لكتب الأضداد المفقودة والتي تلمسنا مادتها في كتاب ابن الانباري ، وعرفنا هناك مقدار اعتماده على ثعلب وشيوخه بالتسلسل الى الكسائي الذي تقرض أنه أخذ مادته عن الخليل ، أما رده لآراء البصريين وتغليطهم فيها فواضح في جملة مواضع ، منها قوله في مادة (الرّجاء) : « وقال سهل السجستاني : معنى قوله : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ) : فمن كان يخاف لقاء ربّه ، وهذا عندنا غلط ، لأن العرب لا تذهب بالرجاء

مذهب الخوف الا مع حروف الجحد ، وقد استقصينا الشواهد لهذا « (٢٣) ،
ومرّ بنا في دراسة كتاب الفراء انه أول من اشترط هذا الذي يقوله ابن
الانباري من وجوب الجحد (النفي) لتصرف لفظة الرجاء الى معنى
الخوف ، وابن الانباري يرد على أبي حاتم البصري من وجهة النظر الكوفية
هذه • وشييه بهذا التخليط ما نجده في كلامه في مادة (اللَّحْن) وإيراده
الشاهد :

منطق "صائب" وتلحّن "أحيا" نأ وخيرُ الحديث ما كانَ لَحْنًا
قال : « وقال ابن قتيبة : اللحن في هذا البيت الخطأ ، وهذا الشاعر استملح
من هذه المرأة ما يقع في كلامها من الخطأ • قال أبو بكر : وقوله عندنا
محال ، لأن العرب لم تزل تستقيح اللحن من النساء كما تستقيحه من
الرجال ويستملحون البارح من كلام النساء كما يستملحونه من
الرجال » (٢٤) وغلط ابن الانباري ابن قتيبة أيضاً في مادة (الشَّنَق)
فقال : « ورد ابن قتيبة على أبي عبيد اختباره وما ذهب اليه في اشناق
الديّات ، وقال : ليست أشناق الديّات كأشناق الفرائض ، لأن الديّات
ليس فيها شيء يزيد على عددٍ من عددها أو جنس من أجناسها فيلغى ،
قال : وانما أشناق الديّات أجناسها • • • وقال أبو بكر : والصواب عندنا
قول أبي عبيد ، والذي اختاره ابن قتيبة وذهب اليه خطأ بدليل من بيت
الأخطل وآخر من بيت الكمي • اذ كان الأخطل قال : تَعَلَّقُ أَشْنَقُ
الديّاتِ بِهِ • فأضاف الاشناق الى الديّات لأنها زيادات عليها » (٢٥) ،
فابن الانباري في هذا الكلام ثبت كوفيته عن طريقين : الأول ردّه وتعليطه
لابن قتيبة البصري المغالي ، والثاني دفاعه عن رأي أبي عبيد والوقوف معه

(٢٣) ابن الانباري ١٧ •

(٢٤) ابن الانباري ٢٤١-٢٤٢ •

(٢٥) ابن الانباري ٣٠٧ - ٣٠٨ •

في التفسير • ومثل هذا الموقف من ابن قتيبة نجده في مواد : (البَل) (٢٦) ،
 (تَوَسَّدَ) (٢٧) ، (البَعْل) (٢٨) ، وغيرها • وبالرغم من أن ابن
 الأنباري لا ينص على الكتاب الذي ينقد فيه آراء ابن قتيبة ، إلا أنه كما
 يظهر كتابه (تأويل مشكل القرآن) والفصول التي عقدها فيه للمقلوب
 خاصة •

وشواهد ابن الأنباري في الكتاب كثيرة جداً ومتنوعة تنوعاً عجيباً ،
 أكتبت كتابه هذه الضخامة والسعة ، بحيث لو أننا جرّدنا الكتاب من
 الشواهد واقتصرنّا على مواد الأضداد وبيان معانيها المتضادة فقط ، لم يبق
 في أيدينا إلا جزء صغير لا يتعدى ثلث الكتاب • وتتوزع هذه الشواهد على
 الشعر والآيات القرآنية والأحاديث والأمثال والمأثور من كلام العرب
 والقصص والأخبار ، وما يستتبع كل ذلك من شرح لألفاظ الشواهد
 اللغوية والتعليق على موطن الشاهد والتعرض لآراء المفسرين والفقهاء في
 دلالة الآيات والأحاديث واختلاف القراءات وعرض وجهات نظر النحاة
 واللغويين في استعمالات العرب المختلفة في كلامهم ، حتى كانت من مجموع
 ذلك دراسة لغوية غزيرة المادة واسعة الرواية دقيقة النتائج • فلا يكاد
 يخلو الكلام على أي مادة من مواد الأضداد في الكتاب من الاستشهاد
 بمجموع هذه الأنواع المختلفة من الشواهد أو ما هو قريب من هذه
 النسبة • إذ بلغ عدد الآيات التي استشهد بها في الكتاب (٢٦٩) آية ،
 والأحاديث (٥٣) حديثاً ، والأشعار (٧٩٦) بيتاً ، أنصاف الآيات (١١)
 شطراً ، والأرجاز (٩٩) رجزاً ، ومثل هذه الأعداد استشهد بالأمثال
 والأخبار والمأثور وهكذا • وشعراؤه يتوزعون مختلف العصور ففيهم

(٢٦) نفسه ٩٣ •

(٢٧) نفسه ١٨٦ - ١٨٧ •

(٢٨) نفسه ٢٢٦ - ٢٢٨ •

الجاهليون كأمريء القيس والاعشى وزهير بن أبي سلمى والافوه الأودى
وطرفة بن العبد والنابغة الذبياني والخنساء وغيرهم ، وفيهم الاسلاميون
(المخضرمون وصدر الاسلام) كحسان بن ثابت وابن الزبيري وعبدالله
ابن رواحة وكعب بن زهير وكعب بن مالك وغيرهم ، وفيهم الامويون
كالاخط والكميث والفرزدق وجريير وذو الرمة والراعي النميري وكثير
وابن قيس الرقيات وغيرهم . ولم يستشهد للعباسيين مطلقاً كأنه ممن
لا يحتاج بلغتهم في الشعر ، ولكنه مع ذلك يعتبر من المتوسعين في الاستشهاد
والمساهلين فيه باستشهاده بشعر الفرزدق وجريير والاخط وغيرهم من
شعراء العصر الاموي الذين أسقطهم غيره من اللغويين والنحاة - البصريين
خاصة - من دائرة الاحتجاج بلغتهم والاستشهاد بشعرهم .

ولكننا نأخذ عليه عدم الدقة في المنهج في أحيان كثيرة ، اذ ليست كل
الاستطرادات في التعليق والاستشهاد موفقة اذ كثيراً ما يورد شاهداً على أحد
المعنيين المتضادين ثم يستطرد في شرح الشاهد وإيراد شواهد أخرى على
شرحه مبتعداً بها عن صلب الموضوع ، ففي مادة (أَخْلَفْتُ) مثلاً أتى
بعضة أبيات من الشعر ليس منها سوى بيت واحد على فكرة التضاد (٢٩) ،
ومثل هذا الأمر نجده في أكثر من نصف مواد الكتاب . وبما أن « أكثر
دراسة ابن الانباري منصبته على الألفاظ التي جاءت في القرآن واعتبرها
السابقون من الأضداد وأخطأوا فيها التأويل ، يمكن أن يقال انه حاول
أن يهدم نظرية الأضداد السابقة بتوسّع وافاضة . ويجتهد فيما وقف
العلماء حياله صامتين من آيات القرآن ، فيحاول أن ينفذ من الحيز الضيق
المضروب حول اللفظ القرآني . ويحاول أن يوفق بين اللفظ والسياق
دون التحامل على الآية أو على اللفظ ، ويرفض القول بالقلب والتناقض

والتضاد ، دون مبرر ودون اعمال الفكر « (٣٠) » ، وقد سلك في ذلك سبلا عدة من التفسير أشار الى بعضها في مقدمته التي صدر بها الكتاب •

فقد أرجع الى اختلاف لهجات القبائل كثيراً من الاختلاف في مدلول اللفظ مثل قوله في (المعصِر) وقد نقله عن قطرب : « فهو في لغة قيس وأسد : التي دنت من الحيض ، وهو في لغة الأزد : التي ولدت أو تَعَنَسَتْ » (٣١) ، وقوله في (وَتَب) : يقال : وَتَب الرجل اذا نهض وطفر من موضع الى موضع ، وحمير تقول : وثب الرجل اذا قَعَدَ » (٣٢) ، وقوله في (السُدْفَة) : « فبنو تميم يذهبون الى أنها الظلمة وقيس يذهبون الى أنها الضموء » (٣٣) ، وهكذا في كثير من ألفاظ الازداد . كما فسر بعض الازداد بالتفسير النفسي الاجتماعي ، فأرجعها للتفاؤل مثل قوله في (المَفَازَة) نقلا عن الأصمعي وأبي عبيد : « سُمِّيَتْ مَفَازَة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز ، كما قيل للأسود : أبو البيضاء ، وقيل للعطشان : رِيَّان » (٣٤) ، وقوله في (السَّلِيم) نقلا عن الاصمعي وأبي عبيد أيضاً : « انما سُمي المدوغم سَلِيماً على جهة التفاؤل بالسلامة ، كما سميت المهلكة مَفَازَة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز » (٣٥) ، وقوله في (النَّاهِلِ) : « يقال للعطشان : ناهِل وللريَّان ناهِل • وزعموا ان الاصل فيه للرّي ، وانما قيل للعطشان ناهل ، تفاؤلاً بالرّي » (٣٦) ، ومثل هذا التفسير في الفاظ كثيرة اخرى • وقد مر في عرضنا لافكار مقدمته انه ذكر

(٣٠) اثر القرآن في تطور النقد العربي ١٨٠ بتصرف قليل •

(٣١) ابن الانباري ٢١٦ •

(٣٢) نفسه ٩١ - ٩٢ •

(٣٣) نفسه ١١٤ •

(٣٤) نفسه ١٠٥ •

(٣٥) ابن الانباري ١٠٦ •

(٣٦) نفسه ١١٦ •

ان من التضاد ما نشأ نتيجة التداخل بين المعاني على جهة الاتساع ، وضرب
لذلك مثلاً (الصَّريم) و (الصَّارِخ) ، كما ذكر هناك ان من الاضداد
ما يخصص دلالة السياق ، وضرب لذلك مثلاً (الجَلَل) و (الظَّن) ،
وهنا نذكر مادة (فَوْق) وكيف عالج تضادها بالسياق وما اشترطه في
ذلك من الكلام ، فيقول ناقلاً عن قطرب : « فوق تكون بمعنى (دون) مع
الوصف ، كقول العرب : انه لقليل وفوق القليل ، ولا تكون بمعنى (دون)
مع الاسماء ، كقول العرب : هذه نملة وفوق النملة ، وهذا حمار وفوق
الحمار ، قال : لا يجوز أن تكون (فوق) في هاتين المسألتين بمعنى (دون)
لانه لم يتقدمه وصف ، انما تقدمته النملة والحمار وهما اسمان » ورد
قول المفسرين الذين ذكروا فيه ان (فَوْقا) في الآية بمعنى (دون) (٣٧) .»

وذكر ابن الأنباري (المقلوب) وأجاز وروده في كلام العرب اذا
أُمنَ اللبس ووضح المعنى ، فقال : « ويقال : تَهَيَّبْتُ الطريق
وتَهَيَّبَنِي الطريق بمعنى ، وهذا من الاضداد ... قال أبو بكر : وهذا
عندي مما يقلب ، لأن اللبس يؤمن في مثله ، فيقال تَهَيَّبَنِي الطريق
لانه معلوم ان الطريق لا تَتَهَيَّب أحداً ، فاذا جاء ما يمكن اللبس فيه ،
لم يكن الفاعل بتأويل المفعول ، والمفعول بتأويل الفاعل ، ألا ترى أنه
لا يسوغ لقائل أن يقول : ضربني عبدالله وهو يريد ضربت عبدالله لأن في
هذا أعظم اللبس ، والقلب معروف في كلام العرب عند بيان المعنى » (٣٨) ،
فلم يكتف ابن الأنباري أن يعالج في كتابه الاضداد دون أن يعرج على
المقلوب من الكلام ، وعوارض التصريف التي تصرف (الفاعل) الى
الفاعل والمفعول ، أو (المفعول) للفاعل والمفعول أيضاً ، باحثاً هذه
الصيغ الاسمية ومشيراً الى دور التصريف في اختلاف دلالاتها ، وان كان

(٣٧) ابن الأنباري ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٣٨) ابن الأنباري ٩٩ - ١٠٠ .

قد أدرجها في مواد الأضداد وبثها في كتابه بشكل يشعر انه اعتبر هذه الاستعمالات من الاضداد ، سائراً في ذلك على منهج السابقين الذين حذوا بدورهم حذو المؤلف الأول : قطرب ، الذي مر في دراسته انه عد من الأضداد صيغتي (فاعِل) و (مَفْعُول) المنصرفتين كليهما الى الفاعل والمفعول .

وضمن ابن الانباري كتابه كذلك ملاحظات وإشارات لغوية وبلاغية مختلفة فقد تعرض لمسألة تغيير معنى اللفظ المفرد الى معنى الاثنين ، ثم من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى الخطاب وهكذا ، كما أشار بخفاء الى مسألة تغير مجال الدلالة وانتقال المعنى ، كما في مادة (الظَّعِينَة) فهي « المرأة في اليهودج ، والظعينة : الهَوْدَج ، وقد يقال للمرأة وهي في بيتها : ظعينة ، والأصل ذاك » (٣٩) ، فبارته (والأصلُ ذاك) تشعر أنه يعتبر دلالة اللفظ الاولى وهي (المَرأة في الهَوْدَج) أساس المعنى ، ثم انتقل الى مجال آخر للعلاقة السببية والمكانية . وعرض كذلك لأسلوب الاستفهام وتفسيره عندما تكلم على اداة الاستفهام (هَلْ) وانصرافاتها المختلفة (٤٠) ، وذكر التشبيه البلاغي عند التطبيق على شواهد مادة (السَّاجِد) (٤١) .

والكتاب كذلك لا يخلو من الاصطناع والتكلف والبعد في التفسير ، بل حفل بطائفة كبيرة من الالفاظ التي ألصقت بالأضداد ، ولا تتوفر فيها فكر التضاد بوجه من الوجوه ، مما يدلّ على أن الذين تصدوا لجمع الأضداد اندفعوا في هذا السبيل اندفاعاً عجيماً ، فصاروا يتلمسون هذه المادة في ضروب من التأويل والتفسير ، والنظر الصحيح لا يمكن أن يثبت

(٣٩) ابن الانباري ١٦٤ .

(٤٠) ابن الانباري ١٩١ .

(٤١) نفسه ٢٩٤ - ٢٩٧ .

ذلك « (٤٢) فأني تضاد حقيقي مثلاً في (إذْ وإِذا) الأولى للماضي والثانية للمستقبل . (٤٣) و (إنْ) للنفي والشرط . (٤٤) و (حايْ حايْ) لزجر الغنم ودعوتها . (٤٥) و (لا) للجحد والاثبات . (٤٦) و (ما) اسماً وحرفاً (٤٧) و (هلْ) للاستفهام وبمعنى قد . (٤٨) وغير ذلك مما لا يتوصل إليه إلا بالتكلف الشديد والالصاق المتعمد الضعيف . ثم ما وجه القياس في الدلالة اللغوية ، واللغة سماع ونقل ، يقول ابن الانباري في مادة (النَّاهِل) : « ويقال : رجلٌ مُنْهَلٌ إذا كانت إبله عطاشاً ، كما يقال : رَجُلٌ مُعْطِشٌ » . ورجلٌ مُنْهَلٌ على القياس إذا كانت إبله رواء » . (٤٩) والظاهر انه بهذا متأثر بالنظرة البصرية للغة ، وقد عرفنا أنه نقل عن البصريين كثيراً من الآراء ووجهات النظر في الكتاب ، والقياس خصيصة من خصائص مدرسة البصرة ، ومع ذلك فلا يقبل من البصريين أنفسهم أن يقيسوا في دلالة الألفاظ وفي مباحث الأضداد ، فضلاً عن أن ابن الانباري كوفي لا يأخذ بالقياس ويؤمن بالنقل والرواية في اللغة ويدرسها واصفاً مستقرياً لا متكلفاً مقتعلاً .

وقد أشرنا الى أن المكائرة وأسباباً أخرى « دفعت الرواة الأقدمين وعلماء اللغة على الذهاب بعيداً في هذا السبيل ، فأدخلوا في الموضوع أشياء كثيرة لم تكن تشتمل على طبيعة الأضداد » . (٥٠) ويقول استاذنا

(٤٢) التطور اللغوى التاريخي ١٠٠ .

(٤٣) ابن الانباري ١١٨ .

(٤٤) المصدر نفسه ١٨٩ .

(٤٥) نفسه ٤٠٢ .

(٤٦) نفسه ٢١١ .

(٤٧) ابن الانباري ١٩٥ .

(٤٨) نفسه ١٩١ .

(٤٩) نفسه ١١٧ .

(٥٠) التطور اللغوى التاريخي ١٠١ .

الدكتور السامرائي أيضاً وقد بحث ظواهر كتاب ابن الانباري : « وقد أَحْصَيْتُ من هذا القليل ما يقرب من مائة وخمسين مادة حفلت بها كتب الأضداد وهي لا تملك الضدية الا بهذه الوجوه البعيدة من التأويل والتفسير » . (٥١)

ومع هذا كله يظل كتاب (الأضداد) لابن الانباري من أجل ما أُلِّفَ في هذا الموضوع ، وأكمل المحاولات الجادة لدراسة هذه الظاهرة ، بما اشتمل عليه من استيعاب واستقراء ودقة في أكثر الأحيان . وكان وما يزال المصدر الرئيس الذي يُرجع اليه في هذا الباب من اللغة ، فقد نقل القدماء عنه كثيراً واستشهدوا بآراء المؤلف فيه في كل مصنفاتهم ومعجماتهم اللغوية ، بدءاً من تلاميذ ابن الانباري نفسه وانتهاءً بالبغدادي صاحب الخزانة ، (٥٢) كما رجع اليه الباحثون المحدثون في دراساتهم القيمة عن الأضداد ، وعدوه أنضج الدراسات القديمة في هذا الموضوع وأشهرها جميعاً .

كتاب ابن درستويه

المؤلف هو أبو محمد عبدالله بن جعفر بن محمد بن درستويه الفسوي الفارسي النحوي ، (٥٣) ولد سنة ثمان وخمسين ومائتين في ناحية (فسا) من نواحي فارس واليها نسب ، وكان أبوه من كبار المحدثين وأعيانهم . وابن درستويه أحد النحاة المشهورين والادباء المذكورين جيداً .

(٥١) نفسه ١٠١ .

(٥٢) خزانة الادب ٣/٣٥٦ و ٤/٧٦ .

(٥٣) تراجع ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ١٢٧ والفهرست ٩٣ ونزهة الالباء ١٩٧ وتاريخ بغداد ٩/٤٢٨ وانباء الرواة ٢/١١٣ ووفيات الاعيان ٢/٢٤٧ والنجوم الزاهرة ٣/٣٢١ وبغية الوعاة ٢٧٩ والاكمال ٣/٣٢٣ وشذرات الذهب ٢/٣٧٥ وتاريخ بروكلمان ٢/١٨٦ والكنى والالقب ١/٢٧٣ وهدية العارفين ١/٤٤٦ والاعلام ٤/٢٠٤ وابن درستويه وكتابه تصحيح الفصيح لعبدالله الجبوري .

التصنيف والتأليف • أخذ عن ابن قتيبة والمبرد وثلعب والدارقطني وغيرهم • درس كتاب سيبويه على المبرد وبرع فيه ، وكان يرغم أخذه عن ثعلب شديد التعصب للبصريين في النحو واللغة ، وثقه ابن منده وغيره وضعفه هبة الله اللالكائي • أخذ عنه عبيد الله المرزباني وغيره من الأعلام • وكان من تعصبه للبصريين أن وضع كتاباً في الرد على المفضل بن سلمة في كتابه (نقض كتاب العين) لاعتباره الخليل بصرياً يجب الدفاع عنه •

ألف ابن درستويه كثيراً من الكتب التي عُدَّت غاية في الجودة والاتقان ، منها : تفسير كتاب الجرمي ، الإرشاد في النحو ، الهجاء ، تصحيح الفصيح وهو شرح فصيح ثعلب ، المذكر والمؤنث ، مناظرة سيبويه ، ابطال القلب ، الأضداد أو كما سماه (ابطال الأضداد) ، وغيرها • توفي سنة سبع وأربعين وثلثمائة ببغداد •

ف عنوان كتابه في الحقيقة هو : (ابطال الأضداد) ، وقد ذكره ابن درستويه نفسه أكثر من مرة في كتابه (تصحيح الفصيح) وأرجع إليه تفصيل ما يوجزه في هذا الأخير من مسائل الأضداد • والظاهر أن فقد قديم ، ذلك أننا لم نثر في كتاب من الكتب المعنية بالأضداد خاصة وباللغة عامة إشارة الى مادته أو نقلاً عن آرائه ، أوارجاعاً إليه أو ما يشبه ذلك ، فقد سكت كل كتب الأضداد حتى المعاصرة نسبياً ككتابي ابن الانباري (٣٢٨هـ) وأبي الطيب اللغوي (٣٥١هـ) عن ذكره أو الإشارة إليه ، ومما يؤكد قدم فقدانه ان السيوطي عندما وجد ذكر ابن درستويه لكتابه (ابطال الأضداد) في شرح الفصيح ، قال : « فاستفدنا من هذا أن ابن درستويه ممن ذهب الى إنكار الأضداد وأن له في ذلك تأليفاً » . (٥٤) نفهم من هذا أنه لولا اخبار ابن درستويه بأن له كتاباً في (ابطال الأضداد)

أثناء الكلام في كتابه (تصحيح الفصيح) لما عدّت المصادر بعده هذا الكتاب في جملة كتبه ولما عرفنا منها ان له تأليفاً في هذا الموضوع •

والكتاب كما يوحي به العنوان قائم على انكار الأضداد وهدم فكرة التضاد وإبطالها ، وهذا المذهب أخذ به جماعة في تلك الحقبة وروجوا له ، وعرفنا عن طريق (المخصّص) أن بعض شيوخ ابن سيده قد نادوا به أيضاً ، (٥٥) الى جانب ابن درستويه الذي ألف في ذلك كتاباً • ويبدو أن ابن درستويه كان مغرماً بإبطال الظواهر اللغوية ؛ بحيث ان ولعه في هذا تعدى (إبطال الأضداد) الى (إبطال القلب) كما توضّح من قائمة مؤلفاته • ولا أدري فيما اذا كان مدفوعاً حقاً الى ذلك بدافع الحرص على اللغة من الابتذال والتعسف حين وجد أن الأمر تجاوز كونه جمعاً واحصاءاً الى كونه مكاثره وتمحلاً شديداً لا جدوى منه ، أم بدافع غيرته على العربية لكيلا تكون مجالا للطعن والازراء من قبل الشعوبيين أم انه رأى فعلاً ما يمكن أن تفسر به الأضداد من التفسيرات الكثيرة التي وجدنا بعضها عند غيره من الاضداديين كابن الانباري ؟ لا نستطيع أن نقطع بشيء في ذلك ما دما نجهل عمله في الكتاب والمنهج الذي سار عليه والنتائج التي وصل اليها في هذه السبيل • وكل الذي نملكه بخصوص (ابطال الأضداد) ما أشار اليه مؤلفه في كتابه تصحيح الفصيح : « قال ابن درستويه : النّوء : وهو الارتفاع بمشقة وثقل ، وقد قيل للكوكب قد ناء اذا طلع فهو ينوء • وقد قيل للجارية المثلثة اللّحيمة اذا نهضت قد ناءت •• وقد زعم قوم من اللغويين : أن النّوء السقوط أيضاً وأنه من الأضداد • وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا : في إبطال الأضداد ، وليس هذا موضع

ذكره ، (٥٦) وعندما عرض لتفسير أبي عبيد لقول حزمي بن عامر :
 أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكَرَامَ وَأَنْ أُوْرثَ ذَوْدًا شَصَائَصًا نَبَلًا
 » قال ابن درستويه : وقد بينا من تفسير هذا الشعر وغيره في كتاب :
 ابطال الأضداد ، وما لا يصلح ذكره هاهنا (٥٧) فكل ما استطعنا عرفانه
 من المواد التي أبطل تضادها في الكتاب المفقود هما مادتي : (نأء) و (النبل)
 اللتين بحثهما كتب الأضداد بالتفصيل ذاهبة في (نأء) الى الارتفاع
 والسقوط ، وفي (النبل) الى الصغار والكبار من الحجارة • ولا بد أن
 يكون ابن درستويه قد أنكر تضاد هاتين المادتين في كتابه (ابطال الأضداد)
 بصورة من الصور •

وقد مرّ علينا في دراستنا للمشترك اللفظي في تمهيد هذه الرسالة ،
 أن ابن درستويه كان من منكريه والرادين على سيبويه في اعتباره لفظه
 (وَجَدَ) من المشترك ، حين قسم سيبويه كلام العرب الى أقسامه الثلاثة
 المشهورة ، ونص على أن منه : اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ممثلاً لذلك
 بلفظة (وَجَدَ) فيقال وَجَدَ الشيءَ وَجَدَانًا وَوَجَدَ عليه مَوْجِدَةً
 ووجد به وَجْدًا (٥٨) ، وهكذا ، مشيراً بذلك الى المشترك ، فقال ابن
 درستويه في رده : « هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أن من كلام العرب
 ما يتفق لفظه ويختلف معناه ، لأن سيبويه ذكره في أول كتابه ، وجعله
 من الاصول المتقدمة • فظنّ من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أن
 هذا لفظ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة ، وانما هذه المعاني كلها شيء واحد ،
 وهو اصابة الشيء خيراً كان أو شراً ، ولكن فرقوا بين المصادر لأن
 المفعولات كانت مختلفة ، فجعل الفرق في المصادر بأنها أيضاً مفعولة ،

(٥٦) تصحيح الفصحى ق ٨ ب ، ونقله المزهري ١/٣٩٦ •

(٥٧) نصحيح الفصحى ق ٢٥٦ أ •

(٥٨) كتاب سيبويه ٧/١ •

والمصادر كثيرة التصاريح جدا ، وأمثلتها كثيرة مختلفة وقياسها غامض ، وعلمها خفية ، والمفتشون عنها قليلون ، والصبر عليها معدوم . فذلك توهم أهل اللغة أنها تأتي على غير قياس ، لأنهم لم يضبطوا قياسها ، ولم يقفوا على غورها » (٥٩) . يعطينا هذا النص فكرة أولية عن طريقة ابن درستويه في ردّ المعاني وارجاعها الى أصل دلالي واحد . وما يصدق على المشترك هنا يصدق على الأضداد لتشابه الظاهرتين في كون اللفظة منهما منصرفة الى أكثر من معنى ، يكون في المشترك متعدداً من غير تضاد ، وفي الأضداد ثنائياً متضاداً . فاسلوبه في تخريج (وَجَدَ) يكون صورة عن اسلوبه في تخريج ألفاظ الأضداد التي بحثها في كتابه (ابطال الأضداد) ، ثم يشرح ابن درستويه هذه الفكرة فيقول : « من هاهنا يجب أن يتعرف ذلك . وان قول ثعلب : وَقَفْتُ الدَّابَّةَ وَوَقَفْتُ أَنَا وَوَقَفْتُ وَقَفًّا للمساكين ، لا يجوز أن يكون الفعل اللازم من هذا النحو والمجاوز ، على لفظ واحد في النظر والقياس ، لما في ذلك من الالباس ، وليس ادخال الالباس في الكلام من الحكمة والصواب ، وواضع اللغة عز وجل حكيم عليم . وانما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني ، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، أو أحدهما ضد الآخر ، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية » (٦٠) ، فهو بهذا ينكر أساساً أن يكون وجود المشترك أو الأضداد من الحكمة في اللغة ، لما يورثه ذلكما الشيئان من التعمية والالباس في الكلام .

الا اننا لو سلمنا لابن درستويه بأن الاغلب الاعم من حروف الأضداد يجوز فيه التفسير والانكار والتخريج ، فلا يمكننا ان ننكر - ولا هو أيضا - كل ما ورد من الأضداد ، لان شيئاً قليلاً ونادراً حفلت به هذه اللغة . لهذا

• (٥٩) المزهر ٣٨٤/١

• (٦٠) المزهر ٣٨٥/١

اضطر ابن درستويه الى الاعتراف بمجيء هذا القليل النادر فقال : « ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعل ، كما يجيء فعل وأفعَل ، فيتوهم من لا يعرف العلل انهما لمعنيين مختلفين وان اتفق اللفظان ، والسماع في ذلك صحيح عن العرب ، فالتأويل عليهم خطأ » (٦١) ، فالسماع الصحيح عن العرب يؤيد مجيء النادر من الاضداد الذي لا يحتمل التأويل ، لان التأويل في هذه الحالة خطأ . وكان يؤمن ابن درستويه في هذا الصدد بأن « يجيء ذلك في لعتين متبايتين أو لحذف واختصار وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ » (٦٢) .

وعلى كل فربما أعطتنا هذه الآراء والنظرات المنقولة عن ابن درستويه ملامح من منهج الكتاب وطريقته في معالجة الاضداد واسلوبه في انكارها وما الى ذلك من الظواهر العامة التي اشتمل عليها الكتاب . وسواء كانت ألفاظ الاضداد بالكثرة التي سجلها ونقلها المؤيدون المكثرون كابن الانباري وأبي الطيب اللغوي ، أم بالقلّة التي اعترف بها المنكرون كابن درستويه ، فإن النتيجة تبقى واحدة ، وهي ان الاضداد ظاهرة لغوية موجودة في عربيتنا القديمة ، وما هذا الاختلاف في وجهات النظر عند القدماء من علماء اللغة ، الا صورة من صور معاناتهم لهذه المشكلة اللغوية ، حيث وجدوها متجسدة أمامهم بهذا الوضوح ، وقد مر أن هذا التطرف في انكار الاضداد الذي حمل لواءه ابن درستويه ، قد دفع العلماء المعنيين بهذه الجوانب اللغوية الى الوقوف بالموقف المضاد تماما ، كالذي فعل ابن فارس مثلا في تجريده كتابا مستقلا يدافع به عن الاضداد ويؤيد ورودها في اللغة بشكل واسع وكبير .

(٦١) المزهر ١/ ٣٨٥ .

(٦٢) المزهر ١/ ٣٨٥ .

كتاب أبي الطيب

المؤلف هو ابو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي (٦٣) ، من مشاهير اللغويين والمصنفين ، ولد في عسكر (مكرم) وفيها نشأ ، وعلى كتابتها تلقى علومه الاولى . وعندما قدم بغداد هو وأبوه لقي أبا عمر الزاهد ومحمداً بن يحيى الصولي وأخذ عنهما اكثر ما أخذ ، وان كان قد أفاد من غيرهما أشياء . رحل الى حلب بعد أن أقام في بغداد زماناً . وحلب آنذاك تحت حكم سيف الدولة ، فانضم الى مجلسه وكان ينافسه فيه ابن خالويه الذي ثبت مركزه في هذا المجلس .

والظاهر أنه كان يميل الى مذهب الكوفيين لان اكثر نقله في اللغة عنهم وان كان لا يهمل الرواية عن البصريين ، وهذا ظاهر في تعظيمه للكوفيين في طبقاته الكبير ، لان استاذ الزاهد هو تلميذ شيخ الكوفيين ثعلب فعلمه موصول الحلقات بعلم الكوفيين . ولابي الطيب مؤلفات كثيرة منها : الابدال ، الاتباع ، شجر الدر ، الفرق ، المثني ، الأضداد في كلام العرب ، طبقات الشعراء ، مراتب النحويين ، وغيرها . وظل مقيماً بحلب الى ان قتله المستنق فيمن قتل عندما دخل حلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة بعد الهجرة .

أما كتابه (الأضداد في كلام العرب) الذي حققه الدكتور عزة حسن بدمشق سنة ١٩٦٣ ، فهو اضخم كتب الأضداد على الاطلاق ، ما سبق منها أبا الطيب وما ألف بعده ، من حيث سعة المادة المبحوثة وكثافة الشروح والتعليقات وكثرة الشواهد والاستطرادات . وقد وضع أبو الطيب في مقدمته القصيرة التي صدر بها الكتاب منهجه العام فقال : « هذا كتاب

(٦٣) تراجع ترجمته في : بغية الوعاة ٣١٧ وتاريخ بروكلمان ٢/٢٤٢ والإعلام ٤/٣٢٥ ومقدمة كتاب الابدال ٤٤ وابو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة ١٧ - ٣٤ .

الأضداد في كلام العرب ، تحريرا في تأليفه بعد ما سبق من كتب السلف في معناه ، احكام تصنيفه ، واحسان ترصيفه ، والزيادة على ما ذكر منه ، والغاء ما خلط من غيره فيه لتقوى مُنَّة القائلين به ، ويضعف قول النافين له ، (٦٤) ، وبهذا حدد لنفسه الطريق ورسم لكتابه المنهج الذي يسير عليه ، وكان كما قال ، والتزم بما أخذ على نفسه ، وسرى كيف طبق هذه النقاط في الكتاب حتى اكسبته روح الدقة والتنظيم وأشاعت فيه الطابع العلمي المميز .

وبين المؤلف أيضا في هذه المقدمة معنى الاضداد ، وحدد فكرة التضاد وفرق بينها وبين فكرة الاختلاف فقال : « والاضداد جمع ضد ، وضد كل شيء ما نافاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل ، والشجاعة والجبن . وليس كل ما خالف الشيء ضدا له . ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم . فالاختلاف أعم من التضاد ، اذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين » (٦٥) . فكأنه يريد أن يوضح ما شاع في كتب غيره من الخلط بين الاضداد وغيرها من الالفاظ التي تكون معانيها مختلفة غير متضادة كأن تكون من المشترك مثلا . وسرى انه الحق بأخر كتابه فصولا لانواع هذه الالفاظ التي عددها سواء من الاضداد وهي عنده ليست منها : « ونرى من سبقنا الى هذا الكتاب قد أدخل فيه ما ليس فيه ، مما نحن ذاكرو صدر منه في آخره ، بعد الفراغ من المقصد منه » (٦٦) .

وختم مقدمته بذكره انه رتب الكتاب على حروف المعجم ، وذلك بأن يذكر في كل باب من أبواب الحروف كل الالفاظ التي تدرج تحته ، فقال :

(٦٤) ابو الطيب ١/١ .

(٦٥) نفسه ١/١ .

(٦٦) نفسه ٢/١ .

« وقد رأينا ان نبويه على حروف المعجم ، اذ كانت همم أهل زماننا مقصورة عليه وقلوبهم مائلة اليه » (٦٧) • وهو بهذا أول كتب الاضداد يجسي مرتبا على حروف المعجم ، وذلك الترتيب يكون على الحرف الاول من اللفظة ، ألا أن ألفاظ الحرف الواحد ليست مرتبة ترتيبا معجميا ، اذ لم يلاحظ الحروف الثواني والثالث وغيرها • هذا عدا الابواب الاربعة الاخيرة ، فهي مرتبة ترتيبا معجميا دقيقا • وربما كان سبب هذا التغير في الدقة من عمل النساخ ، كأن يكون احدهم راغبا في ترتيب الابواب الاربعة الاخيرة دون غيرها ، والعكس بعيد في أن يغير هذا النسخ في كل ابواب الكتاب ترتيبها المعجمي الدقيق ، وربما كان من عمل أبي الطيب نفسه ، لان هذه الابواب تختلف عن سائر ابواب الكتاب في طبيعة موادها وهي ليست من المتن اللغوي فيه • ومهما يكن فانه كان يرجع الى مجرد اللفظة حين يريد نسبتها الى الحرف ، فلفظة (الأَهْنَف) في باب الهاء (٦٨) ، ولفظة (التَّيْمُن) في باب الياء (٦٩) ، وهكذا جميع المواد •

قلنا انه اوسع الكتب من حيث المادة فقد بلغ مجموع الفاظ الاضداد فيه (٣٣٩) ضدا بما في ذلك الالفاظ التي عقد لها الفصول الاربعة الاخيرة والتي هي بمثابة ذيل لكتابه ، في حين كانت عند ابن الانباري - كما مر في دراسته - لا تتجاوز (٣٥٧) ضدا والتي كانت تمثل أوسع كتب الاضداد الى ذلك الحين • واذا كان مناط الامر أن يكون الكتاب التالي أوسع من السابق واكثر عدد ألفاظ ، فلا بد ان يكون الصغاني مثلا (ت ٦٥٠ هـ) أكثر الفاظا من سابقه الا أنه مع ذلك ظلت أضداده أقل عددا من أضداد أبي الطيب ، اذ هي عنده (٣٣٧) ضدا فقط •

(٦٧) ابو الطيب ٢/١

(٦٨) نفسه ٢/٦٨٣

(٦٩) نفسه ٢/٦٨٨

وطريقة أبي الطيب في معالجة اللفظة أن يذكرها ويذكر معنيها
 المتضادين مستشهدا على كلا المعنيين بالشواهد المختلفة ناصا على المعاني
 الأخرى التي تنصرف إليها اللفظة شارحا الغريب منها ومعلقا على الشواهد
 ومستطردا إلى ذكر كل ما يتعلق بالموضوع من بعيد حتى يخرج أحيانا
 إلى بحث أمور لا تمت إلى صلب الموضوع بصلة ، ومن أمثلة ذلك :
 التَّلْعَة (٧٠) ، والثَّلَّة (٧١) ، والخَشِيب (٧٢) ، والسَّدَف (٧٣) ، وغيرها
 من الأضداد . لهذا كانت شواهد من التنوع والكثرة بشكل عجيب ، وهي
 شبيهة بتنوع شواهد ابن الأنباري وكثرتها - وقد قلنا في موضع سابق من
 هذا الباب أنها خصيصة كوفية تعبر عن الاهتمام بالنقل والرواية واستقراء
 لغة العرب - إلا أننا نعتقد بأن أبا الطيب لم ير كتاب ابن الأنباري ، ولم
 يقع إليه ، ذلك أنه لم يذكره في كتابه ولم ينقل عنه شيئا ، وبعد جدا أن
 يكون ذلك لقرب المصريين وبعد المصريين .

فشواهد أبي الطيب توزع الشعر والقرآن والحديث والمأثور من
 كلام العرب والأمثال وما إلى ذلك ، يضاف إليها أقوال المفسرين والفقهائ
 كابن عباس ومجاهد وغيرهما في انصراف الآيات والأحاديث إلى معانيها
 التشريعية ، وآراء اللغويين والرواة في أساليب العرب في نظمها ونثرها ،
 مناقشا كل ذلك بالتأييد مرة وبالرد والتفنيد مرة ذاكراً خلافاً للأضداديين
 فيما ينقل من مسائل . فمن القرآن استشهد بـ (١٧٦) آية ، ومن
 الأحاديث بـ (٥٩) حديثاً ، ومن الشعر بـ (٧٢٩) بيتاً ورجزاً ، ومن كلام
 العرب المأثور بـ (٢٤) قولاً ، ومن الأمثال بـ (١٣) مثلاً ، وبشيء غير

(٧٠) أبو الطيب ١/ ١٠٣ .

(٧١) نفسه ١/ ١٣٩ .

(٧٢) نفسه ١/ ٢٥٥ .

(٧٣) نفسه ١/ ٣٤٦ .

قليل من القصص والخبار والحكايات • دالا بذلك على وفرة حفظه
 ومخزونه ، وسعة اطلاعه وبخه ، وتقصيله الدائب لمصنفات العلماء
 ومؤلفاتهم وأمالي الرواة ونواديرهم ومجاميع الشعراء ودواوينهم ، ومن
 مصاديق ذلك توزع الشعراء مثلاً مختلف العصور ، فقد استشهد للجاهليين
 امثال : النابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى وطرفة بن العبد وليد بن ربيعة
 وامرئ القيس وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعلقمة الفحل
 وعنترة بن شداد وعروة بن الورد وغيرهم ، واستشهد للاسلاميين
 (المخضرمين وصدر الاسلام) امثال : حسان بن ثابت والحطيئة وأبي ذؤيب
 الهذلي وكعب بن زهير ودريد بن الصمة والشماع والخنساء وغيرهم ،
 واستشهد للامويين (العصر الاموي) امثال : جرير وذى الرمة والاخلط
 والفرزدق وجميل بن مضر وقيس بن ذريح والطرماع بن حكيم وعمر بن
 أبي ربيعة وغيرهم ، وكان من توسعه في الاستشهاد بالشعر أن استشهد لابن
 ميادة وهو من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ، ولمحمد بن ذؤيب
 الهشلي العماني وهو من شعراء الرشيد ، وكلاهما من المتأخرين عن عصر
 الاستشهاد • وأبو الطيب بهذا يختلف عن ابن الانباري الذي وقف عند
 حدود شعراء العصر الاموي لم يتعداهم ، وهو موقف كثير من العلماء قبله ،
 لشكهم في صحة لغة هؤلاء بعد تفشي المولد وازدياد الاختلاط بالاعاجم ،
 غير أن أبا الطيب كان أقرب الى طبيعة الاستقراء وروحه ، لان الاقرار بصحة
 الاساليب العربية في كل العصور أمر وارد لان المتكلمين هم العرب ، وفي
 البيئة العربية •

أما مصادره فمتنوعة أيضاً ، فيها الكوفي وفيها البصري ، وعندي أنه
 كوفي الاتجاه بالرغم من الاكثار من الرواية عن البصريين ، ذلك أنه وقف
 مع الكوفيين وخطأ بعض البصريين وردّ على آخرين ، بالاضافة الى كونه
 تلميذ لغلّام ثعلب أبي عمر الزاهد ، فهو موصول المادة والرواية بالكوفيين ،

فقد ذكر منهم في كتابه : الكسائي والفراء وابن الاعرابي وأبا عمرو
 الشيباني وأبا عبيد القاسم بن سلام وغيرهم ، وقد ذكرهم مرات عديدة وفي
 مواضع مختلفة وأيدهم في آراء كثيرة • صحيح أنه روى عن البصريين
 في الكتاب أكثر مما روى عن الكوفيين ومواضع ذكرهم في الكتاب أكثر
 عددا من أولئك ، إلا أن الكثرة وحدها لا تعني الوجهة والمنهج والموقف ،
 خصوصا أنه أكثر من الرجوع إلى من ألتف في الاضداد منهم كقطرب
 وأبي عبيدة والأصمعي والتوزي وأبي حاتم ، لأن كتبهم مصادر كل من
 يتصدى للتأليف في هذا الموضوع وإن كان كوفيا ينبغي الرد والتفنيد •
 بل كان أبو الطيب يستعين في تغليط البصري ببصري آخر ، كأن يذكر
 ردّ أبي حاتم على التوزي مؤيدا هذا الرد ، يقول في مادة (بَيْضَةُ الْبَلَدِ) :
 « وأنشد التوزي في المدح :

كَانَتْ قَرِيشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ

فَالْمُحُ خَالصُهُ لِعَبْدٍ مَنَافٍ

قال أبو حاتم : ليس هذا من هذا الباب • قال أبو الطيب : وهو كما
 قال (٧٤) « فكأنه بتأييده لردّ أبي حاتم قد ردّ التوزي نفسه • ومثل هذا
 في مادة (بَرْد) وأنشد :

شَكَتِ الْبَرْدَ فِي الْمِيَاهِ فَقُلْنَا

بَرْدِيهِ تَوَافِقِيهِ سَخِينَا

• قال قطرب : معنى بَرْدِيهِ في هذا البيت سَخْنِيهِ • وقال أبو حاتم :
 هذا خطأ ، إنما هو بَرْدِيهِ من الورد ، ولكنه أدغم اللام في الراء ،
 كما يقرأ (كَلَا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) ، قال أبو الطيب : وهذا الصحيح

(٧٤) أبو الطيب ١/ ٥٥٠ •

وبه يستقيم معنى البيت « (٧٥) ، فكأنه بهذا خطأ قطرباً كما خطأه أبو حاتم •
وبالمقابل كان يذكر آراء الكوفيين ورواياتهم محتجاً بها على ما يذهب اليه
وما يريد أن يصله من نتائج ، وهذا واضح في المواضع التي ذكر بها
الفرء خاصة • فهو على هذا كوفي المنهج والدرس بقدر ما تستدعي
الدراسة المعجّمة من هذين الجانبين لأنها - كما أشرنا قبلاً - تختلف عن الدراسة
النحويّة في شدة التعصب للمذهب ، وليس أبو الطيب بصريّ الاتجاه كما
توهم أحد دارسيه (٧٦) ، ذاهباً الى هذا بسبب كثرة الرواية التي ذكرناها
عن البصريين ، والتي وجد الكتاب مملوءاً بها ، ناسياً أن كتبهم في
الأضداد - بحكم سبقها - هي مما يجب الرجوع اليه من قبل الدارس
الجديد •

وقد يسأل سائل فيقول : انك قلت ان أبا الطيب تلمذ لأبي عمر
الزاهد غلام ثعلب ، فلماذا لم يذكر استاذهُ أبا عمر ولا ثعلباً في الكتاب ، وهما
أقرب اللغويين الكوفيين اليه ، علماً بأن أبا عمر الزاهد روى كتاب الأضداد
لثعلب (٧٧) ؟ وهو سؤال وارد ، أميل في الاجابة عليه الى تعليل أظنّه
تظنيّاً ، مدفوعاً اليه بشكّي في أمانة أبي الطيب ووثاقته • ذلك أنه لم يتنكر
لاستاذهُ أبي عمر في هذا الكتاب وحده ، وانما تنكر له في كل مصنفاته
اللغوية ، خصوصاً تلك التي كان أبو عمر قد سبقه الى التّأليف في بابها ،
وعلى رأسها كتاب أبي الطيب (شجر الدر) الذي وضعه على غرار
(المداخل) لأبي عمر أول من ألف في هذا الفنّ ، ولا يحتاج الموضوع
الى تعليق في أن أبا الطيب قد تعلم من أبي عمر هذا النوع من التّأليف وأنه
حذا في كتابه حذو ذلك الكتاب • ولكنّه لم يشر ولا مرّة لاستاذهُ

(٧٥) أبو الطيب ١ / ٨٦ •

(٧٦) عادل أحمد زيدان : ابو الطيب اللغوى وآثاره في اللغة ١٠٩ •

(٧٧) فهرسة ابن خير ٣٨١ •

أبي عمر ، ولكي يكمل هذا الإنكار ويخفي حقيقة المسألة جرّد الكتاب من أسماء الرواة واللغويين ، وشيئ بهذا ما فعله في (الإبدال) اذ قصر ذكر الاسماء على مواضع قليلة جدا لو قورنت بكمية المادة المنقولة . وهذا كتاب (الأضداد) يحاول فيه أبو الطيب بإبعاده اسمي أبي عمر الزاهد وتعلّب أن يخفي ما حفل به الكتاب من آراء تعلّب ونظراته في الأضداد التي أخذها أبو الطيب عن أبي عمر راوى كتاب (الأضداد) لتعلّب . ولعلّ كل ما ينسبه أبو الطيب لنفسه من رأي وحُجّة في الكتاب هو لتعلّب ، وخوفاً من ألا يبقى له شيء في الكتاب حاول طمس هذين العلمين وإنكار فضلهما في تلقينه مادة الأضداد . سالكاً من أجل ذلك - ونقولها بموضوعية قاسية - سبيل الكذب والتدليس ، اذ ينسب لبعض الأضداديين ما ليس لهم وهو لغيرهم . فقد نسب لقطرب في مادة (حاليق) (٧٨) ومادة (الشّرى) (٧٩) ما لم يقله وينسده في أضداده ، كما نسب لأبي حاتم السجستاني في مادة (برّدت ') (٨٠) ومادة (التّيع) (٨١) ومادة (الأجرّد) (٨٢) نصوصاً ليست موجودة في كتابه (الأضداد) . ولا يمكن أن نقول انه لم يرجع الى كتابي قطرب وأبي حاتم ، لأن كل النصوص التي نقلها عنهما تؤيد هذا الرجوع الى الكتابين ، فهي موجودة في أضداد قطرب وأضداد أبي حاتم أما بالحرف الواحد أو بالفكرة العامة للكلام .

أما هذه المواضع التي نقل فيها عن قطرب وأبي حاتم ما ليس في كتابيهما ، فلا نعتقد كما اعتقد غيرنا بأنها بسبب اختلاف نسخ الكتابين ، اذ

(٧٨) أبو الطيب ٢٠٩/١ .

(٧٩) نفسه ٣٩٣/١ .

(٨٠) نفسه ٨٦/١ .

(٨١) نفسه ١٠١/١ .

(٨٢) نفسه ١٦١/١ .

تكون نسخة أبي الطيب من كليهما تختلف بعض الشيء عن النسخ الأخرى التي وصلتنا^(٨٣) . ولكننا نميل إلى الاعتقاد بأن هذا الكلام المنسوب لقطرب وأبي حاتم ليس لهما أصلاً لا في نسخة أبي الطيب ولا في النسخة التي وصلتنا بل هو لغيرهما ، وقد تعمد أبو الطيب التدليس في ذلك جرياً على ما وضخاه من سلوكه العلمي . وخير دليل على ما نقول أن أبا الطيب نسب لقطرب أنه قال : « الشَّرى بمعنى البيع في لغة غاضرة حي من بني أسد ، وأنشد للمسيب بن علس :

يُعْطَى بِهَا ثَمَنًا فَيَمْنَعُهَا ويقول صاحبه ألا تَشْرَى^(٨٤)

وقد علق محقق الكتاب على هذا البيت في الهامش بقوله : « ان البيت من قصيدة تروى للمسيب بن علس ، وتروى للأعشى الكبير ميمون راوية المسيب . . . ولم ترد القصيدة في ديوان الأعشى المطبوع . وقال العلامة عبدالعزيز الميمني الراجكوتي في حاشية خزانة الأدب ٢١٦/٣ : القصيدة وجدت في نسخة ديوان الأعشى ببلد رامبور (الهند) غير منقوطة في ٥٢ بيتاً ، وليست في طبعة الديوان ، لأنها رواية ثعلب^(٨٥) . اذن فالبيت الذي ادعى أبو الطيب ان قطرباً قد انشده شاهداً في مادة (الشرى) ولم نجده مع الكلام في أضداده ، هو لمنشده الحقيقي ثعلب الذي روى القصيدة كاملة في ديوان الأعشى الذي عمله . كما نسب أبو الطيب لأبي حاتم أنه خطأ قطرباً في جعل (برّديه) بمعنى سخّنيه في البيت :

شَكَتِ البرْدَ في المِياهِ فَقُلْنَا برّديه توافقيه سَخِينَا

فقال : « وقال أبو حاتم : هذا خطأ ، إنما هو برّديه من الورود ، ولكنه

(٨٣) أبو الطيب اللغوى وآثاره في اللغة ١١٠ .

(٨٤) أبو الطيب ١/٣٩٣ .

(٨٥) نفسه ١/٣٩٣ - ٣٩٤ .

أَدغم اللام في الرّاء كما يقرأ (كَلّا بَلّ ران على قُلوبِهِم) •• (٨٦) ،
ولما لم يكن هذا الكلام موجودا في أضداد أبي حاتم ، فلا بد أن يكون لغيره
كما افترضنا ذلك • فلو رجعنا الى دراستنا لأضداد ثعلب لوجدنا هذا الكلام
ينصه لثعلب ، سقناه هناك لبيان تنبه ثعلب لما يمكن أن يوهم به الادغام من
التضاد ، فنقلنا بعد ايرادنا الشاهد قول أبي بكر بن الانباري :
« وحكى لي بعض أصحابنا عن أبي العباس أنه كان يقول في
تفسير هذا البيت : بَلّ رِديه من الورود ، فأدغم اللام في الرّاء •• » (٨٧) ،
فالقول اذن لثعلب أيضاً • وفي هذين الاكتشافين الصغيرين بصيص يهدينا
للاعتقاد بأن سائر هذه الاقوال والشواهد المنسوبة لقطرب وأبي حاتم وهي
ليست لهما ، ما هي الا من هذا النوع ، اذا كنا استطعنا أن نقبض على
حقيقتين منها ، فنحن نفترض في الباقيات عين الحقيقة •

نعود الآن لطواهر الكتاب الاخرى ، فنذكر منها اهتمامه الكبير باللغات أو
ما نسميه في الدرس اللغوي الحديث باللهجات ، وقد أكثر من النص عليها
في طائفة من الاضداد مرجعا اليها المعاني المتضادة التي تنصرف اليها اللفظة ،
كارجاعه معنى البَيْع في (الشَّرَى) الى لغة غاضرة ، حي من بني أسد (٨٨) ،
و « القَلْتُ التَّقَرَة الصغيرة في السهل أو الجبل وفي الصخرة ونحوها ،
لغة قيس وتميم وأسد » (٨٩) • و « هي حجازية في كنانة وخزاعة ونصر
وهذيل ، يقولون : لَمْ أَرَجُ أَي لم ابال » (٩٠) • و « السَّامِدُ
الحزين في كلام طيء ، واللاتهي في كلام سائر أهل اليمن » (٩١) ، وشبهه

(٨٦) ابو الطيب ٨٦/١ •

(٨٧) ابن الانباري ٦٤ •

(٨٨) ابو الطيب ٥٨٧/٢ •

(٨٩) نفسه ٣٠٠/١ •

(٩٠) نفسه ٣٧٢/١ •

(٩١) ابو الطيب ٣٧٢/١ •

بهذا في كثير من المواضع ، حتى انه ذكر ما يقرب من تسعين من لغات القبائل والبطون والافخاذ والارهاط والجماعات والابناء ، وما الى ذلك مما انتشر واسعا أو انحسر ضيقا من اللهجات العربية القديمة .

قلنا قبل ان أبا الطيب قد الحق بكتابه أربعة أبواب أشار الى فكرتها في مقدمة الكتاب ، ضمنها الألفاظ التي اعتبرها الاضداديون قبله من الاضداد ، ولكنها لم تصح أن تكون منها عنده ، وفي انتهائه من الكلام على ما صح عنده من الاضداد قال : « هذا آخر الأضداد على الحقيقة » . وقد أدخل علماءنا المتقدمون فيها أشياء ليست منها ، نحن نذكرها أبوابا ، ثلثا يظنّ ظان " أننا غفلنا عنها » (٩٢) وأول هذه الابواب باب (يستوي فيه لفظ الفاعل والمفعول) ، ويشرح المقصود بهذا العنوان فيقول : « وهو ما جاء على (مُفْتَعِل) و (مُفْتَعَل) مما عينه منقلبة عن ياء أو واو . فليس يبين فيه كسر العين وفتحها لسكون الألف » (٩٣) ، فهذا الباب قائم على ذكر الألفاظ التي مثل « المَبْتَع » : المُشْتَرِي شيئا من الأشياء . والمَبْتَع أيضاً : الشَّيْء الذي تَشْتَرِيه » (٩٤) . ومثله : (المُجْتَاب) (٩٥) و (المُجْتَا ح) (٩٦) و (المُخْتَال) (٩٧) وهكذا في ٢٠ لفظة . يأتي بعده باب (يستوي فيه لفظ الفاعل والمفعول به لادغام عينه في لامه) ، ومواد هذا الباب مثل قوله : « غزا فلان في بني فلان فابْتَضَّهم ، أي استأصَلَهُم ، فهو مَبْتَضٌّ وهم مَبْتَضُّون » (٩٨) .

-
- (٩٢) ابو الطيب ٦٨٨/٢
 - (٩٣) نفسه ٦٩١/٢
 - (٩٤) نفسه ٦٩١/٢
 - (٩٥) نفسه ٦٩٢/٢
 - (٩٦) نفسه ٦٩٣/٢
 - (٩٧) نفسه ٦٩٥/٢
 - (٩٨) نفسه ٧٠٥/٢

وقوله : « اَخْتَصَصْتُ ' فلاناً بكذا وكذا اَخْتَصَّصُهُ اختِصاصاً ، فانا مُخْتَصَّصٌ وهو مختصٌ » أيضاً^(٩٩) ، والحقيقة ان هذا الباب يعتبر من الباب الاول ، لان مدار الامر واحد ، وهو استواء الفاعل والمفعول بالصفة ، الا ان الفرق اليسير الذي سوَّغ لأبي الطيب افراد مواد هذا الباب عن مواد الباب الاول ، هو كون مواد الباب الأوّل عينها منقلبة عن ياء أو واو ، لذا كانت هذه العين حرف مَدٍّ صائتٍ وهو الألف ، اما مواد الباب الثاني فعينها مدغمة في لامها ، وكلا الحرفين العين واللام من الحروف الصامتة أى التي ليست بأحرف مَدٍّ ، حتى انه قال في آخر هذا الباب وقد ذكر فيه « (١٩) لفظة : » وسبيل هذا الباب سبيل الأول في الاعراب ، لا يبين في غير الفعل منه ، لأن الحرف اذا أدغم في غيره سكن ، فكل ما فيه بمعنى (الفاعل) فوزنه مُفْتَعَلٌ بكسر العين ، وما كان بمعنى (المفعول) فوزنه مُقْتَعَلٌ بفتح العين »^(١٠٠) .

وعقد الباب الثالث لـ (ماجاء مسمّى باسم غيره ، لما كان من سببه ، فأدخله من كان قبلنا في الأضداد) ، ويقصد أبو الطيب فيه الى موضوع انتقال مجال الدلالة للعلاقة السببية ، وشمولية المندلول الأول ، ومن أمثلة هذا النوع انه قال : « ناقةٌ عُسْراءٌ ، وهي التي بلغت عشرة أشهر من حملها » وبعضهم يقول : هي التي دخلت في الشهر الذى فيه تتاجها ، فاذا نُسِجَتْ بقي عليها اسمُ العُسْراءِ أيّاماً »^(١) ، وقوله : « وكذلك الوجور : الدّواء الذى يؤجر به الانسان ، وقد أوجرَتْه إياه أَوْجِرُهُ ايجاراً » ثم قالوا أَوْجَرَهُ الرِّمَحُ اذا طَعَنه فيه »^(٢) .

(٩٩) ابو الطيب ٧٠٧/٢

(١٠٠) نفسه ٧١٠/٢ .

(١) نفسه ٧١١/٢ .

(٢) نفسه ٧١٥/٢ .

• وواضح ان المعنى الثاني في (عُشْرَاء) كان بسبب شمولية المدلول الاول •
 والمعنى الثاني في (الوَجُور) كان بسبب انتقال مجال الدلالة للعلاقة
 السببية بين الدواء ومكان الطعنة • وهكذا في (١٦) لفظة •

أما الباب الرابع فكان لما (تكلمت به العرب مقلوب المعنى ، مزالا عن
 جهته ، فخلط بالأضداد وليس منها) ، ومن مواد المقلوب في هذا الباب :
 « نَاءَ بَيِّ الحِمْلُ يَنْوُءُ نَوْءًا ، وَاِنَّمَا أَنْتَ تَنْوُءُ بِهِ ، أَيْ تَنْهَضُ »
 متاقلاً » (٣) ، ومنها أيضا : « يَخِيلُ اللهَ اِرْكَبِي ، وَالخِيلُ في الحقيقة
 تَرْكَبُ وَلَا تَرْكَبُ » (٤) • ومن المزال عن جهته : « قول الشاعر :

أَتَجَزَعُ أَنْ نَفْسُ أَتَاهَا حَمَامُهَا
 فهلاّ التي عَنْ بَيْنَ جَنْبَيْكَ تَدْفَعُ
 يريد : فهلاّ عن التي بَيْنَ جَنْبَيْكَ تَدْفَعُ ، وقال الآخر :

أُسْلِمُوها في دِمَشْقَ كَمَا أُسْلِمَتْ وَحْشِيَّةٌ وَهَقَا
 يريد : كَمَا أُسْلِمَ الوَهْقُ وَحْشِيَّةٌ ، (٥) ، وهكذا في (١٦) مادة
 من المقلوب والمزال عن جهته •

الحق ان فكرة هذه الأبواب الأربعة تدعو للاعجاب بأبي الطيب
 وتقدير فهمه لمسألة التضاد ، فهو يجعله مواد هذه الابواب خارجة عن مواد
 الأضداد ينكر على السابقين اعتبارهم لها أنها من الأضداد ، حيث كانت
 جميع هذه المواد والاستعمالات حتى عهد قريب جدا من أبي الطيب تعتبر
 من الاضداد ، فهذا ابن الانباري قد خلطها بمواد كتابه فكانت منها ، وكذلك
 فعل من سبق ابن الانباري في التأليف في الأضداد، غير ان ابا الطيب قد تنبه الى
 العلل التصريفية والدلالية التي خلقت من هذا أضدادا ، فنصّ على العلّة في

(٣) ابو الطيب ٧٢٠/٢ •

(٤) نفسه ٧٢١/٢ •

(٥) نفسه ٧٢٦/٢ - ٧٢٧ •

أول كل باب وأدرج المواد شارحا دور هذه العلة في انصراف اللفظة الواحدة الى المعنيين المتضادين فانصرافها الى الفاعل والمفعول هو بسبب التصريف ، اذ تكون عين الفعل منقلبة عن واو أو ياء ، او ان تكون هذه العين مدغمة باللام . كما ان هناك الفاظا تنصرف الى المعنى وما يلتصق به من معنى آخر بسبب العلاقة السببية او المكانية ، او تنصرف الى كلا المعنيين بسبب عمومية المدلول الأصلي وشموليته ، كما أن من أساليب العرب ما يقلب فيه المعنى اذا أمن اللبس ، ومنها ما يزال عن جهته اذا كان المعنى مفهوما ، فلا يجوز أن يعتبر كل ما كان بسبب واحد من هذه الاسباب أضدادا ، وانما يجب ان يرجع به الى علة لالفائه من معجم الاضداد التي ينبغي ان تتوفر فيها فكرة التضاد بوضوح .

ومع هذا فقد كان في المواد التي اعتبرها ابو الطيب من الاضداد ما يحمل العلة نفسها وقد فاته ان يتنبه لها فيخرجها من الأضداد . فمنها ما كانت الضدية فيه بسبب شمولية المدلول القديم مثل الماتَم (٦) ، الخَلَط (٧) ، البَيْع (٨) ، الجَوْن (٩) ، الشَّرَى (١٠) ، القَلَت (١١) ، التَّسْيَان (١٢) ، فِرْع (١٣) ، هاج (١٤) ، الأَخْضَر (١٥) ، الأصْفَر (١٦) ، وغيرها . ومنها ما كان اختلاف الصيغ والتصريف هو العلة كالتى على زينة

(٦) ابو الطيب ١٨/١ .

(٧) نفسه ٢٦٣/١ .

(٨) ٤٠/١ .

(٩) ١٥١/١ .

(١٠) ٣٩٣/١ .

(١١) ٥٨٧/٢ .

(١٢) ٦٤٨/٢ .

(١٣) ٥٤٠/٢ .

(١٤) ٦٨٢/٢ .

(١٥) ٢٢٩/١ .

(١٦) ٤٢٤/١ .

(فَعَلَ وَأَفْعَلَ) مثل : ثَبِتَ ' وَأَثَبَتْ ' (١٧) ، والافعال التي تتعدى للمفعول أو بحرف الجرّ مثل : رَاغَ وَرَاغَ عَنْ (١٨) ، ضَاعَ (١٩) ، اللَّفَّ (٢٠) ، وغيرها • ومنها ما كان التصحيف هو سبب تضادّها مثل : بَرَدَ (٢١) ، بَلَجَ (٢٢) ، ومنها ما كانت طبيعة الصيغة هي سبب انصراف اللفظة الى المعنيين المتضادين مثل صيغة (فَعُول) التي منها : الْأَكُولَة (٢٣) ، ذَعُور (٢٤) ، رَكُوب (٢٥) ، رَعُوث (٢٦) ، الزَّعُوم (٢٧) ، الزَّجُور (٢٨) ، وكثير غيرها مما وجدنا أمثالها عند الاضداديين قبله ، وصيغة (فَعِيل) التي منها : الْأَكِيل (٢٩) ، السَّامِع (٣٠) ، الصَّارِخ (٣١) ، الْقَنِص (٣٢) ، وهكذا حيث تدل هاتان الصيغتان على الفاعل والمفعول على السواء بسبب العوارض التصريفية ومثلهما صيغة (فَاعِل) التي تنصرف للفاعل والمفعول وهو اسلوب عربي واسع مثل ، الْخَائِف (٣٣) ، الْعَارِف (٣٤) ، الْعَاصِم (٣٥) ، وغيرها •

• ١٢٤/١ (١٧)

• ٣٢٨/١ (١٨)

• ٤٥٢/١ (١٩)

• ٦١٦/٢ (٢٠)

• ٨٦/١ أبو الطيب (٢١)

• ٨٦/١ نفسه (٢٢)

• ٢٤/١ (٢٣)

• ٢٨٠/١ (٢٤)

• ٣٠٦/١ (٢٥)

• ٣٠٨/١ (٢٦)

• ٣٣٦/١ (٢٧)

• ٣٣٢/١ (٢٨)

• ٣٠/١ (٢٩)

• ٣٦٦/١ (٣٠)

• ٤٢٩/١ (٣١)

• ٦٠٣/٢ (٣٢)

• ٢٣٧/١ (٣٣)

• ٥٠٤/٢ (٣٤)

• ٥٠٦/٢ (٣٥)

يضاف الى ذلك ما في الكتاب من السهو والخطأ ، فقد نسب أبو الطيب شطرا من بيت الى رُؤبة في حين هو للعجاج (٣٦) ، وقد أشار الى ذلك محقق الكتاب ، كما نسب بيتا للهذلي في حين هو لليد (٣٧) ، كما نسب للقرآن آية ليست فيه هي : (وان أردتم أن تنكحوا أزواجكم) (٣٨) وقد علق المحقق عليها بقوله : انها ليست من التنزيل وما نراها الا سهواً أو سبق قلم من شيخنا أبي الطيب (٣٩) .

وبالرغم من كل ذلك فبقى للكتاب قيمته اللغوية الكبيرة وفضله في خدمة العربية ، جنباً الى جنب مع كتب الأضداد الاخرى التي سبقته في الظهور ، ولكنه فاقها في المنهج والدقة والتبويب والاستقراء الواسع ، وعزل الألفاظ التي ألصقت بالأضداد وليست منها ، وذلك بعملية تصفية جيدة تتم عن فهم للفكرة وادراك للغرض .

كتاب الأمدي

المؤلف هو أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي الاصل ، البصري المنشأ (٤٠) ، من أئمة الادب واللغة . يقول عنه ابن النديم «مليح التصنيف» متعاطي مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب . أخذ عن الأخفش والزجاج والحامض وابن السراج وابن دريد ونفطويه وغيرهم . واشتغل في الكتابة

(٣٦) ٣١٧/١

(٣٧) ١٥٥/١

(٣٨) ٧١٢/٢

(٣٩) وقد تنبّه لجميع هذه الأوهام السيد عادل أحمد زيدان في كتابه :

أبو الطيب اللغوي وآثاره في اللغة ص ١٠٦ .

(٤٠) تراجع ترجمته في : الفهرست ٢٢١ وانباء الرواة ٢٨٥/١ ومعجم

الادباء ٧٥/٨ وبغية الوعاة ٢١٨ وروضات الجنات ٧٥/٣ وهدية

العارفين ٢٧١/١ وتاريخ بروكلمان ١٧٦/٢ والكنى والالقب ٥/٢

والاعلام ١٩٩/٢ .

في البصرة واشتغل بها في بغداد بعد قدومه اليها ، ففي البصرة كتب للقضاة من بني عبد الواحد ، وفي بغداد كتب لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان بحضرة المقتدر بالله • يقول القفطي : « له شعر حسن ، واتساع تام في علم الشعر ومعانيه رواية ودراية وحفظاً وصنّف كتباً في ذلك حسناً » • وانهت رواية الشعر القديم والخبار في آخر عمره بالبصرة اليه • وله من الكتب : المختلف والمؤتلف ، الموازنة بين الطائيين ، فعلت وأفعلت ، نثر المنظوم ، معاني شعر البحترى ، الأضداد ، ديوان شعره ، وغير ذلك • وقد توفي في البصرة سنة سبعين وثلاثمائة بعد الهجرة •

أما كتابه (الأضداد) فاسمه الحقيقي كما ذكرته المصادر هو (الحروف من الأصول في الأضداد) قال ياقوت الحموي بعد أن ذكره بهذا الاسم : « رأيت بخطه في نحو مائة ورقة » (٤١) • وهذا يعني أن الكتاب ليس بالصغير إذ تكون المائة ورقة مائتي صفحة ، وهذا يعني ايضاً ان الكتاب كان يحوى مادة غزيرة واسعة ، غير أننا - والكتاب مفقود - لا نستطيع أن تبيّن منهج الأمدى فيه وطريقة معالجته للموضوع ، الا اذا توفرت في المصادر المعينة بهذا الجانب من اللغة نقول "كافية ونصوص كثيرة من الكتاب عند ذاك يمكن أن ينكشف لنا شيء من ذلك المنهج ، كالذى فعلناه في درس الكتب السابقة التي لم تصل • ولكن المصادر بخلت هذه المرة ، فلا نملك فيها نقلاً من الكتاب أو رأياً للأمدى في الأضداد والسبب في ذلك ان كتب الاضداد التي عُنيت بنقل آراء العلماء وبسط وجهات نظرهم قد سبقته في الظهور ، إذ يكون أقربها اليه زمناً كتاب أبي الطيب (ت ٣٥١هـ) وبين المؤلفين ما يقرب من عشرين سنة قد يكون الأمدى قد ألف أضداده خلالها • أما

الكتب المتأخرة عنه فمنها الذى لم يصل ككتابي ابن فارس وابي البركات الانبارى ، ومنها الذى وصل ولم يعن بذكر رأى أو شاهد أو تعليق وانما اكتفى بذكر ألفاظ الاضداد مرتبة على حروف المعجم ككتابي ابن الدهان والصغاني ، لهذا لا يمكن أن نعثر له على ما يفيد في كتب الاضداد ، وكل ما استطعنا الحصول عليه كلام طويل في كتابه (الموازنة) فيه تعرض لضدية (دُون) و (فَوْق) وفيه استشهاد بالقرآن لمعاني اللفظيتين • ننقله هنا ليكون نموذجا يوضح اسلوبه في معالجة الأضداد ، ومدى استيعابه لفكرة التضاد ، وبالتالي تصور منهجه وطريقته في كتابه الضائع • فبعد أن ذكر بيت أبي تمام:

الودُّ للقُرْبَى ولكنَّ عُرْفَهُ للأُبْعَدِ الأَوْطَانِ دُونِ الأَقْرَبِ

قال : « قال : فقد تأتي (دُون) بمعنى فَوْق ، كما تأتي (فَوْق) بمعنى دُون ، في قول الله عزَّ وجلَّ : (انَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) ذكر أن معناه فما دونها ، لأن (فَوْق) قد تكون دُون عند ما هو فَوْقَهَا ، و (دُون) قد تكون فَوْق عندما هو دونها ، فيجوز أن يكون أراد الشاعر بقوله (دُون الأَقْرَبِ) أي : فوق الأَقْرَبِ بمعنى زيادة على ما أعطاه الأَقْرَب ، أو تكون (دُون) ههنا بمعنى امام لأن بعض اهل اللغة جعلها من الاضداد ، وانها تأتي بمعنى خلف وبمعنى أمام مثل وراء ، فيكون معنى قوله (دُون الأَقْرَبِ) أي : امام عُرْفِهِ في الأَقْرَبِ ، اي : قبله • قلت له : أما ما قيل في قوله عزَّ وجلَّ (فَمَا فَوْقَهَا) أن معناه فما دونها ، فان أهل العربية على خلاف ذلك ، وليس لهذه اللفظة عندهم الا وجهان ، أحدهما : أن يكون فما فوقها بمعنى فما هو أكبر منها ، لأن البعوضة نهاية في الصغر ، فيكون المعنى أنه تعالى لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بين هذا الشيء الذى هو غاية الصغر الى ما هو فوقه ، أي : ما زاد عليه وتجاوزه • والوجه الآخر : أن يكون فما فوقها بمعنى فما فوقها في الصغر ، وهذا قول أبي العباس محمد بن يزيد المبرد وأبي اسحاق الزجاج

والكسائي من قبلهما وأبي عبيدة ، وما أظن غير هؤلاء من النحويين يقول
 إلا مثل ذلك » (٤٢) • ويستمر في بيان المعاني الأخرى التي يمكن أن
 تنصرف إليها لفظة (دُون) مناقشاً ضدتها ومفندا القول في ذلك راجعا الى
 المعنى العام ، يقول « وأما ما ذكرته من أن (دُون) تأتي بمعنى خلف وأنها
 عند أهل العربية من الاضداد مثل (وراء) ، فقد أخبرتك أن معناها عند
 أهل اللغة والعربية التقصير عن الغاية ، وإذا كان الشيء وراء الشيء أو أمامه
 أو يمنة منه أو شأمة ، صلح في ذلك كله أن تقول : هو دونه ألا ترى أنك
 إذا قلت : (بيوت بني فلان دون الحرة) صلح أن تكون دونها الى
 مهبط الشمال ، أو الى مهبط الجنوب أو الى غيرهما من الجهات ، فلا يعلم المخاطب
 أى الجهات التي تعني ، فليس هذا من الأضداد في شيء ، وإنما جعلها قوم من
 الأضداد لمّا رأوها تستعمل في هذه الوجوه لما فيها من الابهام ، وكذلك (وراء)
 إنما هي من المواراة والاستتار ، فما استتر عنك فهو وراء ، خلفك كان
 أو قدّامك ، هذا اذا لم تره أو تشاهده ، فأما اذا رأيته فلا يكون أمامك
 وراء ، وإنما قال ليد :

أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ تَرَخَسْتَ مَنِيَّتِي

لِزُومِ الْعَصَا تَحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ

بمعنى أليس أمامي ، لأنه قال بذلك قبل أن يرى ويشاهد نفسه وقد لزّم العصا •
 وكذلك قول الله تعالى (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
 غَصْبًا) قالو : انه كان أمامهم ، وصلاح ذلك لأنهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه •
 فقد وضح لك الآن معنى (دُون) وانها لا تخرج عن بابها الذي وضعت له ،
 إلا ترى أنك تقول : (نَزَلَتُ الْقُرْيَةَ دُونَ النَّخْلِ) ، فيجوز أن تكون
 القرية أمام النخل وخلفه ، ويكون المعنى أنك أفردت القرية بنزولك ، ولم

تخرج على النخل ، وكذلك (لَقِيتُ زَيْدًا دُونَ عَمْرٍو) و (أَكَلْتُ السَّمَكَ دُونَ اللَّبَنِ) أخرجت عمرا من لقاتك واللبن من أكلك • فكذلك قول الطائي (دُونَ الْأَقْرَبِ) قد أخرجهم من العرف ، وهذا لاشيء أوضح منه « (٤٣) • من هذا كله نخلص الى ملاحظات عدة ، منها :

١ - انه من القائلين بانكار التضاد اذا وضع السبب الذي يوهم بهذا التضاد ، وهذا ظاهر في قوله « فليس هذا من الأضداد في شيء ، وانما جعلها قوم من الأضداد لما رأوها تستعمل في هذه الوجوه لما فيها من الابهام » ، والانكار خفيفة بصرية تبلورت عند ابن درستويه في كتابه (ابطال الأضداد) •

٢ - ان الاعلام الذين استشهد برأيهم على صحة رأيه هم من البصريين سوى الكسائي ، فذكره المبرد والزجاج وأبا عبيدة يوحى بميله الى منهجهم ومدرستهم أكثر من ميله الى الجانب الكوفي • والسبب في الرجوع الى الكسائي الى جانب البصريين هو أنه تلمذ لمن خلط المذهبين - على حد تعبير كتب التراجم - امثال الاخفش الاصغر وأبي موسى الحامض وابن السراج وغيرهم ممن درس على اساتذة المدرستين وعلى الأخص المبرد وثعلب ، فلا بد أن ينزع الأمدى في مذهبه الى المدرستين ، الا انه - كما يظهر - الى البصريين أميل ، والى منهجهم أقرب •

٣ - ان اسلوبه لا يخلو من نزعة عقلية جدلية ، هي من خصائص الاسلوب البصري المتأثر بالفلسفة والمحاكمات العقلية والجنوح للقياس والعامل ، فهو هنا يستعين بفكرة التناسب والنسبية العقلية مثل قوله : « لَأَنَّ فَوْقَ قَدْ تَكُونُ دُونَ عِنْدَ مَا هُوَ فَوْقَهَا ، وَدُونَ قَدْ تَكُونُ فَوْقَ عِنْدَ مَا هُوَ دُونَهَا • • » • وقد يفسر لنا هذا المنزع تسميته لكتابه (الحروف

من الاصول في الاضداد) لأن في هذا العنوان ما يوحى بذلك •

٤ - تنبهه الى عوامل خلق الأضداد التي يمكن أن يفسر تضاد الألفاظ بها ، منها النسبية التي أشرنا إليها قبل قليل ، ومنها ارجاعه المعاني الى معنى أصلي عام ، كالذى فعله في (وراء) التي قالوا انها تعني خلف وقدام ، فقال : « انما هي من المؤارة والاستتار ، فما استتر عنك فهو وراء ، خلفك كان أو قدّامك ، هذا اذا لم تره أو تشاهده ، فأما اذا رأيته فلا يكون أمامك وراء » وهذا ماسميناه شمولية المدلول الأول ، ومثل هذا التفسير قاله في (دون) حين أرجع المعاني كلها الى معنى أصلي واحد هو (التّقصير عن الغاية) ، وربما كان هذا البحث عن الأصل المعنوي من اسباب ذكر (الأصول) في عنوان كتابه اذ يكون عمله فيه على هذا الاساس •

٥ - انه لم يغفل عن الاستشهاد بالرغم من كون المادة المبحوثة قد جاءت عرضا اثناء شرحه لبيت من أبيات أبي تمام ، فقد استشهد في (فوق) بالقرآن ، كما استشهد به في (وراء) • كما استشهد بيت شعري للبيد في (وراء) • وأكثر من الامثلة التي صنعها من كلامه لتوضيح الفكرة وتقريب المعنى الذى يقصد اليه •

ومهما يكن من أمر فلا يمكن أن يقطع بشيء مادام الكتاب مفقودا ، ولاتكتمل دراسته مادنا بهذا الفقر أمام النصوص • فليس من الطبيعي أن يكون نص من النصوص لانملك غيره صورة عن كتاب مفقود ، الا أننا قلنا ان هذا النص يبصرنا بطريقة المعالجة ويضع أيدينا على خط عريض واسع ، ربما استطعنا منه ان نفرض بعض الملامح الجزئية والمسالك الثانوية الاخرى •

كتاب ابن فارس

المؤلف هو أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن حبيب القزويني

الهمذاني الرازي (٤٤) ، ولد بقزوين ونشأ وأقام بهمدان * اخذ عن أبي بكر احمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب ، وأبي الحسن علي بن ابراهيم القطان وأبي عبدالله احمد بن طاهر بن المنجم * ولما بدأ التدريس بهمدان كان بديع الزمان من ملازمي حلقة * يقول القفطي : « كان واسع الادب متبحرا في اللغة العربية فقيها شافعيًا وكان يناظر في الفقه ، وطريقته في النحو طريقة الكوفيين » * وتلمذ له صاحب بن عباد وقال في حقه : « شيخنا ممن رزق حسن التصنيف » ، اذ صنف ابن فارس كتبًا كثيرة نالت شهرة واسعة ، منها : مقاييس اللغة ، متخير الألفاظ ، الصحابي في فقه اللغة ، المجمل ، قياقيع العرب ، غريب اعراب القرآن ، الاضداد ، وغيرها * توفي بالرى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، ودفن مقابل مشهد القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني *

أما كتابه في (الاضداد) فمن العجيب أن لا نجد ذكره الا على لسان مؤلفه ابن فارس في كتابه (الصحابي) اذ يقول : « ومن سنن العرب في الاسماء ان يسموا المتضادين باسم واحد * نحو (الجون) للاسود ، و (الجون) للأبيض * وأنكر ناس هذا المذهب ، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده * وهذا ليس بشيء ، وذلك ان الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهندا ، والفرس طرفا ، هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد وقد جرّدنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا ردّ

(٤٤) تراجع ترجمته في : يتيمة الدهر ٣/٣٦٥ ونزهة الالباء ٢١٩ ووفيات الاعيان ١٠٠/١ ومعجم الادباء ٨٠/٤ وانباء الرواة ٩٢/١ والفلاحة والفلكون ١٤١ والنجوم الزاهرة ٢١٢/٤ وبغية الوعاة ١٥٣ وشذرات الذهب ١٣٢/٣ وروضات الجنات ٢٣٢/١ وتاريخ بروكلمان ٢٦٥/٢ والكنى والالقب ٣٦٠/١ وتاريخ آداب اللغة العربية ٣٠٩/٢ ومعجم المؤلفين ٤٠/٢ والاعلام ١٨٤/١ والعلامة اللغوي ابن فارس الرازي ٣٣-٧٣ *

ذلك ونقضه ، فلذلك لم نكرره « (٤٥) » . ونستشف من هذا النص أن ابن فارس كان من مؤيدى فكرة الأضداد والمتحسين لها ، لدرجة أنه يجرد كتابا في رد المنكرين ونقض حججهم ، والظاهر أن على رأس هؤلاء المنكرين الذين عناهم ابن فارس بالرد ابن درستويه بكتابه (ابطال الأضداد) فقد سبق هذا الأخير ابن فارس بحوالي خمسين سنة ، ويبدو من عبارة ابن فارس (وأنكر ناس) أن المنكرين كثيرون فقد كان لابن درستويه جماعة ساروا على نهجه مرّة علينا منهم الآمدى . وإذا كان انكار الأضداد موقف بصرى تجلّى واضحا عند ابن درستويه والآمدى وغيرهما ، فتأييد الأضداد والدفاع عنها والأكثر من روايتها موقف كوفي تجلّى عند ابن الأنبارى وابي الطيب وعند ابن فارس الآن اذ هو كوفي الدرس والمصادر كصاحبه . واعتبر ابن فارس أن تسمية المتضادين باسم واحد هو من سنن العرب ، وهذا يشعر بكثرة هذه الألفاظ . وان انكار هذه السنّة ليس بشيء ولا وجه له ، لأنه اذا جاز أن نقرّ ورود المترادف لأن روايته عن العرب صحيحة فلماذا لانقرّ ورود الأضداد وقد صحت روايتها عن العرب ، والرواة هم أنفسهم الذين رووا ذلك وهذا . وهو بهذا يرسّخ مذهبه اللغوى القائم على الرواية والنقل والاعتماد عليهما اعتمادا كلياً ، اذ اللّغة عنده توقيف من الله ، فكل ماورد منها على لسان العرب لا بد أن يكون لحكمة وعلة أرادها الموقف الأول ، فلا يمكن على هذا انكار الأضداد بعد أن رويت عن العرب حتى ساغ أن يسميها من سننهم .

وابن فارس بقوله : (فلذلك لم نكرره) قد سدّ علينا كل طريق يمكن أن يصل بنا الى الكتاب ، لأنه بالتزامه بعدم تكرار ما ذكره في ذلك الكتاب ، قد جعلنا في منأى عن مادته ومحتواه وما يتصل بذلك من ذكر

حجج المنكرين وطريقته في ردّ هذه الحجج ونقضها ، لهذا فسوف لا نفيده من نص واحد في الصحابي وآخر في المجلد وثالث في المقاييس شيئاً يكون صورة عن الكتاب أو نموذجاً منه ، بسبب ما ذكرناه من عدم تكرار مادة الكتاب من جهة ، ولأن هذه النصوص لا تعالج ما جعله سبب وضع الكتاب وهو ذكر ما احتج به المنكرون وذكر ردّ ذلك ونقضه •

والظاهر أن الدراسات اللغوية عند ابن فارس قد اختلطت بالقييدة وتأثرت بالمذهب الديني ، ابتداءً بأخذه بفكرة التوقيف في نشأة اللغة وانتهاءً بالأضداد ، فيها هو يقول في (القروء) التي هي للحيض والأطهار : « قال أبو الحسين : وهذا ابن داود ، قد أنكر على الشافعي ، مقالته في القروء أنها الأطهار ، واستشهداه بقريت الماء في الحوض • ولو علم ابن داود مغزى الشافعي ، لعرف مكان الشافعي من اللغة » (٤٦) • فمن الواضح أنه مال إلى رأي الشافعي في المسألة لكونه شافعيّ المذهب ، محتجاً على ابن داود أنه لم يعلم مغزى الشافعي ، وحتى كانت اللغة مغزى ليكون أخذها على أساس المغازي • وإنما هي استعمال ، قد تختلف البيئات العربية في طريقته لسبب من الأسباب ، كما اختلفت بيئتا العراق والحجاز في معنى (القُروء) فعند أحدهما الحيض وعند الأخرى الأطهار ، وبما أن اللفظة قد وردت في التنزيل فيترتب على تحديد معناها الحكم الشرعي الخاص ، لذلك اختلف فقهاء البيهقيين بدورهم في هذا التحديد الذي ليس وراءه (مغزى) من أي نوع •

ونصّ ابن فارس أحياناً على اللهجات أو اللغات في ذكر المعاني المتضادة كقوله في مادة (وَتَب) : « ومن الاختلاف اختلاف التضاد ، وذلك قول حَمِيرٍ للقائم : تَبْ أَي أَقْعَدُ ••• والوثاب : الفِراش بلغة حمير •

قال : وهم يسمّون الملك اذا كان لا يغزو (مَوْثَبَان) يريدون أنه يطيل الجلوس ولا يغزو . ويقولون للرجل (ثَبَّ) أي اجلس » (٤٧) .
كما تفرّد أحياناً بذكر معنى مضاد للمعنى الشائع للفظه ، فخلق منها ضداً مثل : « التَّكْدُ بالضم » : الفزيرات اللبن من الابل ، والتي لا لبن لها ، ضدّ . وهذه عن ابن فارس صاحب (المجمل) ، قال ناقة نكداء : لا لبن لها . قال الصّاغاني : تفرّد بها ابن فارس وقد خالفه الناس » (٤٨) ، وذكر من رواة الاضداد أبا زيد الانصاري ناقلاً روايته عن أبي حاتم ، قال : « قال أبو حاتم : قال أبو زيد : أمم أي صغير وعظيم . من الاضداد » (٤٩) .

اريد أن اخلص من هذا الى افتراض وجود مثل هذه الظواهر التي استطعنا لمّها من كتبه الأخرى في كتابه المفقود في الاضداد لأننا حين لا نستطيع الحصول على شيء من مادة الكتاب مبثوثاً في مصنفاته اللغوية والمصنفات التي يحتمل أن تكون قد نقلت عنه شيئاً ، فلا أقلّ من تصوّر بعض الظواهر العامة لمنهج في التّأليف ، حسب ما تسعف به المصادر المختلفة وان كانت قليلة لا تغني من الرجوع الى الكتاب نفسه للتثبت منها .

كتاب ابن الدهان

المؤلف هو سعيد بن المبارك بن علي بن عبدالله بن سعيد البغدادي المعروف بابن الدهان (٥٠) . ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة بئر طابق ،

(٤٧) الصّاحبي ٢٢ .

(٤٨) تاج العروس ٢٣٧/٩ (نكد) .

(٤٩) مقاييس اللغة ٣٠/١ .

(٥٠) تراجع ترجمته في : نزهة الالباء ٢٤٧ ووفيات الاعيان ١٢٤/٢ وانباء الرواة ٤٧/٢ ومعجم الادباء ٢١٩/١١ ونكت الهميان ١٥٨ والفلاكة والمفلوكون ١٦٤ والنجوم الزاهرة ٧٢/٦ وبغية الوعاة ٢٥٦ والعدة في الرجال ١٧٨ وهدية العارفين ٣٩١ والكنى واللقاب ٢٧٥/١ وتاريخ آداب اللغة العربية ٤٠/٣ والأعلام ١٥٣/٣ .

كان من أعيان النحاة المشهورين بالفضل ومعرفة العربية ، حتى لقب بـسيويه عصره . أخذ عن علي بن عيسى الرّماني وأبي القاسم هبة الله محمد بن الحصين وأبي غالب أحمد بن البناء وجماعة . رحل الى أصبهان وسمع بها واستفاد من خزائن وقوفها ، وكتب الكثير من كتب الأدب بخطه ، ووعاد الى بغداد واستوطنها زمانا . وخرج من بغداد قاصدا دمشق واجتاز الموصل ، فلقاه فيها الوزير جمال الدين الاصبهاني المعروف بالجواد وأحسن اليه وأكرمه وبلغه أن الغرق استولى على بغداد فسير من يحضر كتبه ان كانت سالمة ، فوجدها قد غرقت فيما غرق .

وكان يقال في زمانه : النحويون ببغداد أربعة ، ابن الجواليقي وابن الشجري وابن الخشاب وابن الدهان ، وكان الناس يرجحون ابن الدهان على الجماعة المذكورين مع ان كل واحد منهم امام . أخذ عنه أبو زكريا الخطيب التبريزي وغيره من الأعلام . له مصنفات كثيرة منها : شرح الايضاح لأبي علي الفارسي في أربعين مجلدة ، وقد أخذ عنه الناس في بغداد ، والفصول الكبرى ، الفصول الصغرى ، شرح كتاب التلّمع لابن جني ، العقود في المقصور والمدود ، الأضداد ، وغيرها . توفي بالموصل سنة تسع وستين وخمسمائة بعد الهجرة .

أما كتابه (الأضداد في اللغة)^(٥١) فهو شيء يختلف تماما عن كتب الأضداد السابقة ، فاذا صحّ أن ننسب الى الكتب السابقة صفة الأدب بسبب كثرة الشواهد الشعرية والتثنية والتعليقات المختلفة بجانب بحثها اللغوي ، فلا يصحّ هذا بالنسبة لكتاب ابن الدهان ، فهو الى الترتيب المعجمي الجاف أقرب ، اذ خلا من الشواهد والتعليقات خلوا تاما ، فقد

(٥١) حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين ضمن المجموعة الاولى من نفائس المخطوطات - الطبعة الثانية : بغداد ١٩٦٣م .

اكفى بايراد الضدّ وذكر معنييه المتضادين معريا كتابه من كل ما دون هذا . بل جعل تبرير هذا الاختصار هو كثرة شواهد وتعليقات الكتب السابقة ، بحيث أغتته عن ذكرها ، فأرجع اليها القارئ للاطلاع على هذه الشواهد والوقوف فيها على ما لم يذكره هنا ، وهو يشرح ذلك مينا سبب التأليف بقوله في صدر مقدمته : « فانه لما كثرت تصانيف العلماء فيما ورد من الالفاظ المتضادة المعاني من العرب ، ورأيت في بعض كتبهم أشياء لا يجب ذكرها ، وفي بعضها اختلالا فيما يجب ذكره ، ورأيت بعضها مشحونة بالاستشهادات بأمثلة وأبيات . أحببت أن أجمع ما ورد فيها مختصرا معرى من الاستشهادات ، وذكرت بعض ما كتبت راضيا عنه لأنه مذكور في كتبهم ، الا أنني ذكرت في الفصل (وفيه نظر) علامة لما يجب أن أذكر ، وأحلت شواهد ما ذكرته على كتب الكبار من العلماء ، كالاصمعي والفراء وأبي علي قطرب وابن السكيت وأبي العباس ثعلب وأبي حاتم السجستاني وأبي بكر بن الانباري ، فمن شك فيما ذكرته فليقصد هذه الكتب فانه يجده فيها والعهد له وعليه » (٥٢) . فعندما يذكر اللفظة ومعنييه المتضادين ويذيل ذلك بعبارة (وفيه نظر) فمعنى هذا أنه يرجع القارئ الى كتب الاضداد السابقة التي ذكر مؤلفيه للاطلاع على الشواهد الشعرية والقرآنية الخاصة بها ، ومن أمثلة هذه المواد في كتابه : الماتّم ، إذ ° ، رَجُلٌ مُؤَدِّ (٥٣) ، بَعْدُ ، البُحْتَرُ (٥٤) ، حايّ حايّ ° ، خان النعيم (٥٥) ، سَمِعَ ° ، ما أَسَرَّنِي (٥٦) ،

(٥٢) ابن الدهان ٩١ .

(٥٣) نفسه ٩٣ .

(٥٤) نفسه ٩٤ .

(٥٥) نفسه ٩٦ .

(٥٦) نفسه ٩٩ .

أشدّه (٥٧) ، وهكذا في (٢٢) لفظة مذيّلة بهذه العبارة • ويستوحى من ارجاعه الى الشواهد الخاصة بهذه الطائفة من الألفاظ ، انه مزعزع الايمان بضديتها وشاك في اصالة هذه الضدية ، والاّ فلماذا خص هذه المجموعة من الاضداد بعبارة (وفيه نظر) ليرجع الى شواهدا في كتب الأضداد ، في حين ذكرت كتب الاضداد من الشواهد لكل الاضداد التي ذكرها في كتابه ، ما يدعو للارجاع اليها لو كان الأمر مجرد ارجاع ، ولكنه لم يقتنع بصحة ذهاب هذه الكتب الى ضديتها ، فأحال القارئ اليها ليحكم بنفسه على ذلك بعد اطلاعه على الشواهد • أضف الى ذلك انه كان محققا في عدم قناعته وايمانه بضدية هذه الالفاظ ، فنظرة فاحصة للمواد : اذا ، اذا ، بعد ، حايّ حايّ ، يكون ، لا ، وغيرها تكفي لتأييده في شكه وتغني عن التثبت من ضديتها دون الرجوع الى الشواهد •

وبالرغم من ذلك فقد فاته التنبيه على كثير من الألفاظ التي يخرجها النظر السليم من قائمة الأضداد ، منها ما كانت طريقة الاستعمال سببا في اعتبارها من الاضداد كالفعل (كان) (٥٨) الذي قال عنه أنه للماضي والمستقبل ، ومنها ما كان لهزمة السلب الدور الواضح في لمح التضاد فيها مثل (أشكيتُه) (٥٩) التي ذكر ان احد معنيها : أزلتُ شكواه ، ومنها ما كان خلاف فقهي أو غير فقهي السبب في اختلاف معنيها مثل (أشدّه) (٦٠) التي قال انها تعني ثمانين عشرة سنة وأربعين سنة ، ومنها ما كانت الصيغة الصرفية مما يستوى فيها الفاعل والمفعول مثل ل (الغريم) (٦١) للدائن والمدين وغير ذلك مما كان يجب أن يلحق بالذي

(٥٧) ابن الدهان ١٠٠

(٥٨) ابن الدهان ١٠٥ •

(٥٩) نفسه ١٠١ •

(٦٠) نفسه ١٠٠ •

(٦١) نفسه ١٠٣ •

قال عنه (وفيه نظر) •

وابن الدهان من مؤيدي فكرة الاضداد المدافعين عنها ، وهو هنا يقف الى جانب ابن الانباري وابي الطيب وابن فارس ، فيكون • موقفه على هذا موقف الكوفيين من الأضداد ، بالرغم من كون دراسته النحوية على طريقة البصريين كما يظهر ذلك من شجرة اساتذته ، الا أن الظاهر أنه فصل بين الامرين حين وجد أن مسألة الانكار على العربية هذا الفن قد استغلها أعداؤها من الشعوبيين ، فلا بد من الدفاع اذن • ونظرة مقارنة بين كتابه وكتاب ابن الانباري تظهر أنه لم يزد شيئاً ولم ينقص في مواد الاضداد ، فقد حذا حذو ابن الانباري ونقل منه ، فكأنه بهذا الاعتبار قد اختصر كتاب ابن الانباري واسقط منه كل الشروح والتعليقات مكتفياً بإيراد الضد ومعنييه ايراداً معجماً مجرداً • ومع ذلك فقد صبغت دراسته البصرية الكتاب بصبغة تشعر بذهابه هذا المذهب ، وأول مظاهر هذه الصبغة النفور من الاستشهاد ورواية الاخبار والاحاديث ونقل التعليقات وما يتصل بذلك - كما اشرنا قبل قليل - مما وجدناه بأجلى صورته في كتب الكوفيين قبله ، ولندعه يقول : « وقد طعن قوم في هذا الفن وقالوا : ليس من الحكمة أن تقع الكلمة على الشيء وضده ، لما فيه من اللبس على السامع ، والحكمة تقتضي غير ذلك • وأجابوا عن ذلك بأشياء ليس هذا المختصر محلها ، وأقرب ما يقال : ان العرب شعوب وقبائل ، وبطون وأفخاذ ، وعماير تنوع ، والعربية انما هي مواضعة ، فوضع بعضهم (الجَلَل) للشيء العظيم ، ووضعت بعضهم (الجَلَل) للشيء العظيم ، ونقلت النقلة ذلك عنهم ، لأن العربي وضع (الجَلَل) للشيء الحقيق والعظيم وحده ، وفيه غير ذلك » (٦٢) • فتفسيره للاضداد يعتمد أول ما يعتمد على اللهجات العربية ولغاتها ، باختلاف القبائل بلهجاتها ولدت تضاد

(٦٢) ابن الدهان ٩٢ •

معاني اللفظة الواحدة ، وذلك بعد أن جمعت اللغة ودوت موحدة •
ونفهم من المثل الذي ساقه في (الجَلَل) أنه يعتبر أن العربية الأم كانت
تنصرف ألفاظها الى الضدين على أنهما معنى واحد ، فاختصت القبائل
بعدئذ باستعمالها بان تنصرف اللفظة عند واحدة منها الى احد المعنيين وعند
الآخرى الى المعنى الآخر ، فصار لللفظة معنيان متضادان وهما في الواقع
معنى واحد ، وهذا معنى قوله : « لأن العربي وضع (الجلل) للشسيء
الحقير والعظيم وحده » • غير ان ابن الدهان برغم ذلك لم يشير في متن
كتابه الى القبائل واختصاص كل منها بمعنى من المعاني ولا بشكل عابر ،
كأن ينص مثلاً في (السُدْفَة) انها تعني الظلمة عند قيس ، وتعني الضوء
عند تميم وانما اكفى بذكر المعنيين دون ذكر اللهجتين^(٦٣) ، فليس للكتاب
- على هذا - قيمة تذكر من الناحية اللغوية التاريخية ، كالتى لمسناها في
كتب الاضداد السابقة •

والكتاب بعد مرتب المواد على حروف المعجم ، أخذاً بالحرف الاول
للمجرد ، الذي هو الأصل المشتق منه ، فمادة (ما أَسْرَنِي) في باب
السين^(٦٤) ، لانها من (سَرَّ) ، ومادة (أَشْدَّه) في باب الشين^(٦٥) ،
لانها من (شَدَّ) • ومادة (المَأْتَم) في باب الهمزة^(٦٦) ، لانها من
(أَتَمَّ) وهكذا • ولكن ابن الدهان ترك هذا الترتيب في الاحرف
الثواني والثالث للالفاظ ، فلم يعر لغير الحرف الاول شيئاً من الاهتمام ،
والظاهر أنه كان أخذاً بهذا الترتيب في جملة من مصنفاته اللغوية اذ يقول
في مقدمة هذا الكتاب : « فالتقطت هذه الالفاظ ، وبوبتها على حرف (أ)

(٦٣) ابن الدهان ٩٩

(٦٤) ابن الدهان ٩٩ •

(٦٥) نفسه ١٠٠ •

(٦٦) نفسه ٩٣ •

(با) (تا) (ثا) ، وبدأت منها الكلمة واطرحت الزائد ، كما فعلت ذلك في كتاب (الضاد والظاء) ، وكتاب (الغين والراء) ، وكتاب (المقصور والمدود) •••• (٦٧) • يضاف الى هذا أنه خلط بين الكلمات خلطاً عشوائياً ، فمثلاً يذكر اسماً من الاضداد وبعده يذكر حرفاً ثم فعلاً أو بالعكس دون تصنيف في ذلك ومن غير فصل بين هذه الاقسام ، وهذا ما اشتركت فيه كل معجمات الأضداد دون استثناء ، سوى المفقود منها الذي لا نستطيع الجزم فيه بشيء قاطع في هذا المجال • هذا عدا أننا لا نجد في الكتاب باب (الطاء) بالرغم من وجود كثير من ألفاظ الاضداد من هذا الباب حفلت بها كتب الأضداد السابقة كمادة (طَوَاهُ) التي ذكرها ثعلب (٦٨) ، ومادة (أَطْلَبَ) التي ذكرتها أغلب كتب الاضداد (٦٩) ، والتفت محقق الكتاب الى عدم وجود هذا الباب ورأى أنه ساقط من قلم الناسخ ، وهو عندنا التفسير الوجيه •

ومن الممكن تسجيل بعض الملاحظات التي تعنّ لدارس الكتاب ، منها أن المؤلف أخطأ في معاني ألفاظ لغوية ليست بالقليلة ، منها مثلاً (النَّبَل) فذكر أنها تعني الجِلَّة من المال وللصَّغار منه (٧٠) ، في حين أنها تعني الحجارة كبيرة وصغيرة ، ولا علاقة للمال في ذلك • كما قصر (المَوَلَى) على المَعْتَق والمُعْتَق دون غيرهما من المعاني ، وكنا قد درسناها عند الاقدمين انها منصرفة الى عشرة معانٍ مختلفات اخر كالصاحب والصديق والسيد وابن العم والصهر وغير ذلك مما جعلنا نعتبر اللفظة من المشترك وليست من الاضداد • ولا يخلو العمل في الكتاب من التقعر

(٦٧) ابن الدهان ٩٢ •

(٦٨) مجالس ثعلب ٤٢٥/٢ •

(٦٩) انظر : الصغاني ٢٣٧ مثلاً •

(٧٠) ابن الدهان ١٠٦ •

مثل اعتباره (لَمْ أَضْرِبْ عَبْدَ اللَّهِ وَلَمْ يَضْرِبْنِي) مادة من مواد
 الإضداد قال فيها : « يحتمل عدم الفعلين ووجودهما » (٧١) • وفي هذا
 اسراف كبير اذ يجب أن تكون الأضداد الفاظاً مفردة ، لا عبارات أو
 أقوالاً أو أساليب تصطنع فيها الضدية اصطناعاً على هذا الشكل البعيد عن
 روح العمل الدقيق ، وقريب من هذا (أَفْلَتَ الرَّجُلُ الرَّجُلُ) :
 اذا تخلص منه فلم يطقه ، واذا أعانه وخلصه (٧٢) ، وواضح ان الدور
 في هذا للهمزة التي تكون مرة أصيلة في الرباعي ومرة داخلية على الثلاثي
 للتعدي أو يكون لتقديم المفعول على الفاعل ، وقد عرضنا لهذا النوع سابقاً ،
 وغير ذلك كثير لو غربل الدارس مواد الكتاب جميعها •

وعلى كل فالكتاب متأخر في طرقة الموضوع ، فقد سبق بتأليف
 كثيرة في ميدان الأضداد كانت على جانب كبير من التوسع والافاضة ، وابن
 الدهان بالرغم من اختصاره المخل في الكتاب ، لم يستطع أن يأتي بجديد
 يضاف الى هذه الدراسات الأضدادية ، بل يستشعر الدارس أنه انما
 ألّف هذا الكتاب لأن عرفاً قد جرى أخيراً بين اللغويين أن يؤلف في
 الأضداد مثل هذه المختصرات التعليمية الضعيفة ، كما فعل بعده الصغاني
 مثلاً من تأليفه كتاباً في الأضداد على هذا النسق ؛ وفي هذا التقليد منتهى
 ذوبان الشخصية والروح العلمية اللتين يجب أن تظلا قائمتين تشعران
 بوجودهما في كل كتاب •

كتاب أبي البركات الانباري

المؤلف هو أبو البركات عبدالرحمن بن أبي الوفاء محمد بن
 عبيدالله بن أبي سعيد الانباري الملقب بكمال الدين (٧٣) ، اللغوي النحوي

(٧١) ابن الدهان ١٠٢ •

(٧٢) نفسه ١٠٣ •

(٧٣) تراجع ترجمته في : انباء الرواة ١٦٩/٢ ووفيات الاعيان ٣٢٠/٢ =

المعروف • سكن بغداد من صباه الى أن توفي بها ، تفقه على مذهب الشافعي على ابن الرزّاز بالمدرسة النظامية ، وأعاد بها الدرس بمدرسها • وقرأ النحو على النقيب أبي السعادات ابن الشجري ، حتى برع وصار من المشار اليهم في النحو • وسمع بالانبار من أبيه وبغداد من عبد الوهّاب الأنماطي • ودرس اللغة على الشيخ أبي منصور موهوب بن الخضر الجواليقي • وتفنن بالأدب حتى صار شيخ وقته •

كان اماماً ثقة صدوقاً فقيهاً مناظراً غزير العلم ورعاً زاهداً لا يقبل من أحد شيئاً ، خشن العيش خشن الملبس لم يتلبس من الدنيا بشيء • وكان مقيماً برباط له بشرقي بغداد ، لا يخرج الا يوم الجمعة ، فقد كانت حياته جداً محضاً ، منقطعاً فيها للتدريس والتأليف ، وذكر أن له مائة وثلاثين مصنفاً في اللغة والاصول والزهد وأكثرها في فنون العربية • منها : أسرار العربية ، الانصاف في مسائل الخلاف ، نزهة الالباء في طبقات الادباء ، الاغراب في جدل الاعراب ، حواشي الايضاح ، حلية العربية ، الاضداد ، وغيرها • توفي سنة سبع وسبعين وخمسائة ، ودفن باب أبرز بقرية الشيخ أبي اسحاق الشيرازي •

أما كتابه (الاضداد) فأول من ذكره الصفدي في (الوافي بالوفيات) ١٧١/٢ وعنه نقل السيوطي في المزهري ٣٩٧/١ والبغية ٣٠١ ، وغريب أن نجد بعد هذا كتب التراجم التي سبقت الوافي مفصلة ذكر الكتاب ضمن كتبه التي ذكرت له ، وعلى رأس هذه المصادر انباء الرواة ووفيات الاعيان ، وكلاهما من مصادر التراجم المعنية بذكر المصنفات والمؤلفات ،

= وفوات الوفيات ٥٤٧/١ والوافي بالوفيات ١٧١/٢ والفلاحة والمفلوكون ١٥٢ والنجوم الزاهرة ٩٠/٦ وبغية الوعاة ٣٠١ وشرحات الذهب ٢٥٨/٤ وتاريخ آداب اللغة العربية ٤١/٣ والكنى والالقب ٢١٠/١ ومقدمة محقق نزهة الالباء ج وطبقات الشافعية للسبكي ٢٤٨/٤ وابن الشجري ومنهجه في النحو ٣٠٧ وما بعدها •

وخصوصا الاول منهما اذ يجهد القفطي فيه ان يحصي مؤلفات المترجم فلا يبقى شيئا ما أمكن ذلك . فلماذا لم يذكر كتاب (الاضداد) لابي البركات الانباري ؟ الراجع أن في المسألة وهما وقع فيه الصفدي ، وقد احتمل هذا الوهم وأشار اليه الدكتور ابراهيم السامرائي محقق كتاب (نزهة الالباء في طبقات الادباء) ، اذ قال معلقا على كتاب (الاضداد) الذي عده في مؤلفات أبي البركات : « ذكره الصفدي في الوافي ، وربما كان كتاب (الاضداد في اللغة) لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري وهو كتاب مطبوع » (٧٤) . الظاهر أنه كذلك ونحن نميل اليه ، اذ من الممكن أن يقع هذا اللبس بعد تشابه اللقنين واشتهار ابن الانباري بتأليفه كتاب (الاضداد) ، حتى اذا ترجم الصفدي لابي البركات الانباري سها وذكر له كتاب (الاضداد) لابي بكر بن الانباري .

يضاف الى ذلك اننا لا نعرف ابا البركات من المعنيين بالاضداد عناية واضحة - بما يمكن ان تقدمه مؤلفاته التي بين ايدينا من هذه المعرفة - فهو لم يبحث هذه الظاهرة في واحد من مصنفاته ولم يتعرض لها تعرضا يطمئنا الى عنايته بهذا الجانب من اللغة ، وكل ما حصلنا عليه مما يمكن ان يحسب على ملاك الاضداد نصاب اثنان في كتابه (زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء) يقول في الاول : « الظَّنَّ ضد اليقين . قال الله تعالى : (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ) » (٧٥) . وقد تكون بمعنى اليقين . قال الله تعالى : (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) .. » (٧٦) . ويقول في الثاني : « وَالْمَظْلُومَةُ : الأرض التي حُفِرَتْ ، ولم تُحْفَر قط . »
وانشد :

(٧٤) مقدمة نزهة الالباء ص : هـ .

(٧٥) النساء ١٥٧ .

(٧٦) زينة الفضلاء ٧٩ .

الا أُواريَ لَأَيَّ مَا أُبَيِّنُهَا
والنُّوَى كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ « (٧٧)

وصحيح ان المادتين من مواد الاضداد التي ذكرتها وعالجتها كتب الاضداد ،
الا ان هذا لا يعني نصرا للصفدي في نسبة كتاب في الاضداد اليه ، اذ بلغ
بعد أبي البركات عن الاضداد أنه لم ينصّ حتى في هذين الموضوعين أن
المادتين من الاضداد ، كما لم يذكر من كتب الاضداد في كتابه (نزهة
الالباء) سوى كتاب قطرب (٧٨) ، علما بأنه ترجم لكل مؤلفي كتب الاضداد
السابقين ، فلا يعقل انه ألف كتابا في الاضداد ولا يعرف من كتب
الاضداد الا واحدا ، واذا كان يعرفها فلا أقل من أن يستحضرها في ذهنه
عند الكلام على أحد مؤلفيها • فالنتيجة التي نريد أن نخلص اليها من هذا
كله هي نفي أن يكون لابي البركات الانباري كتاب في (الاضداد) ، وانما
نسبه اليه الصفدي سهوا نتيجة تشابه اسم ابي بكر بن الانباري في اللقب
مع ابي البركات الانباري ، وهو أمر ممكن الوقوع في مثل هذه الحالة •

كتاب الصفّاني

المؤلف هو رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن
القرشي العدوي العمري (٧٩) ، ولد بمدينة (لاهور) سنة سبع وسبعين
 وخمسمائة أيام خسرو ملك الغزنوي ، ونشأ بفزنة ودخل بغداد سنة
خمس عشرة وستمائة وذهب منها بالرياسة الشريفة - كما يقول

(٧٧) زينة الفضلاء ٨٨ •

(٧٨) نزهة الالباء ٦١ •

(٧٩) تراجع ترجمته في : فوات الوفيات ١ / ٢٦١ والجواهر المضيئة
٢٠٢/١ والنجوم الزاهرة ٢٦/٧ وتاريخ ثغر عدن ٥٤/٢ ولب اللباب
١٦٠ وبغية الوعاة ٢٢٧ وشذرات الذهب ٢٥٠/٥ وروضات الجنات
٩٤/٣ والكنى واللقاب ٣٧٨/٢ وتاريخ آداب اللغة العربية ٤٩/٣
والاعلام ٢٣٢/٢ ومجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٩ الجزء
١ ص ٤٨ •

السيوطي - الى صاحب الهند فبقي مدة ، ثم عاد الى بندا وسمع من النظام المرغيناني • ودرس في مكة على أبي الفلوح نصر بن أبي الفرج الحصري ، وفي اليمن قرأ معالم السنن للخطابي وكان يعجب بهذا الكتاب ومصنفه • أخذ عنه الشريف الديماطي الذي قال : « كان شيخنا صالحا صموتا عن فضول الكلام ، صدوقا في الحديث اماما في اللغة والفقه والحديث ، قرأت عليه وحضرت دفنه بداره بالحريم الظاهري » • ولقب في مكة بالمتهجي الى حرم الله تعالى ، وله تصانيف كثيرة منها : مجمع البحرين في اللغة ، التكملة والذيل والصلة ، الشوارد في اللغات ، توشيح الدريدي ، العباب ، فعال وفعالان ، اسماء الغادة ، الاضداد ، وغيرها • وكانت وفاته سنة خمسين وستمائة •

أما كتابه (الاضداد) (٨٠) فهو أشبه ما يكون بكتاب ابن الدهان من حيث الاختصار واطراح الشواهد والتعليقات ، فقد ألفه الصغاني بعد الاطلاع على كتب الاضداد السابقة ، وأخذ ما رآه جديرا بالاخذ منها وترك ما بنا الطبع عنه لبعده عن حد الاضداد ، مشيرا في المقدمة الى الكتب المؤلفة في الرد على من قال بالاضداد وهي كتب المنكرين ، مصرحا أنه قد تجرأ الاختصار الذي لولاه لذكر جميع الشواهد الشعرية الخاصة بالاضداد ، يقول في هذه المقدمة القصيرة : « هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في الكتب المصنفة في الاضداد من عهد قطرب محمد بن المستير الى زمان امام أئمة الهدى وعلم التقى أبي جعفر المنصور المستنصر بالله ... مرتبا على حروف المعجم بعد الاطلاع على الكتب المصنفة والفوائد المؤلفة في الرد على من قال بالاضداد وما ينو الطبع عنه لبعده عن حد الاضداد ، اقتفي فيه آثار من جمع فيها لئلا يخلو الكتاب مما ذكره مع القدرة على اطراحه وأحاطة العلم به ، فان القادر على اثبات شيء أقدر منه على الغائه فليمهد

(٨٠) حققه الدكتور اوغست هفتر ضمن (ثلاثة كتب في الاضداد) بيروت

الناظر فيه العذر ان شاء ، مثل قولهم : البائِة وما عِنْدَه بَائِةٌ لَيْلَةٌ ،
 أي مَيِّتٌ لَيْلَةٌ ، ولولا تحرى الاختصار لذكرت شواهدا من
 الاشعار ٠٠٠ » (٨١) ، فاستفدنا من هذا الكلام ان قطربا أول من ألف في
 الاضداد فعلا ، ليس بسبب تقدم تاريخ وفاته وانما بنص الصغاني على
 ذلك ، وان الصغاني ألف كتابه هذا في خلافة المستنصر بالله أي بين ستي
 ٦٢٣ - ٦٤٠ ، بمعنى انه ألفه في الربع الاخير من حياته اذ توفي سنة
 ٦٥٠ هـ واستفدنا كذلك أنه وقف من الاضداد موقفا وسطا ليس فيه
 اندفاع للمكاثرة ولا مغالاة في الانكار ، وانما جمع ما صح عنده من كتب
 المؤيدين للفكرة واطرح ما لم يصح بعد اطلاعه على كتب الرد على
 اولئك المؤيدين ، وضرب مثلا بلفظة (البائِة) التي تكلفوا فيها التضاد ،
 ولولا رغبته في الاختصار لذكر ما يجب ذكره من الشواهد •

ورتب الصغاني مواد كتابه على حروف المعجم ، على طريقة ابن
 الدهان بالرجوع الى الحرف الاول للمجرد الذي تشتق منه اللفظة ، الا
 انه يختلف عن ابن الدهان في انه أخذ الاحرف الثواني والثالث بنظر
 الاعتبار في هذا الترتيب بالوقت الذي أهملها ابن الدهان ، ففي باب الهمزة
 مثلا جعل الصغاني (الأَبْض) قبل (الأَبْل) (٨٢) ، و (الأَزَر) قبل
 (أَسَد) (٨٣) ، ملاحظة للحرف الثاني والثالث ، وهو بهذه الدقة يتلافى
 ما أغفله ابن الدهان ، لانه تمرّس بالعمل المعجمي في (التكملة) و (مجمع
 البحرين) و (العباب) وغيرها من معجماته اللغوية • ولكنه لم يتلاف بعثرة
 الكلمات واختلاط الاسم والفعل والحرف ، بل جعلها متداخلة شأن كل
 كتب الاضداد ، مكثفا بترتيبها جميعا على حروف المعجم فقط فمثلا نجد
 (البِطَانَة) و (بَعْد) و (بَعْض) و (بَعْل) سلسلة هكذا في باب

(٨١) الصغاني ٢٢١ - ٢٢٢ •

(٨٢) الصغاني ٢٢٢ •

(٨٣) نفسه ٢٢٣ •

الباء حتى يصل الى (بَعْتُ) و (البَيْن) (٨٤) . أما ما عدا ذلك فهو يكتفي - كابن الدهان - بذكر اللفظة متبعا اياها بمعنيها المتضادين دون اضافة أي شيء آخر ، كقوله : « الجَوْن : الأسود والأبيض » (٨٥) . و « الاخفاء : الاظهار والكتمان » (٨٦) .

أما المواضع التي نقل فيها الزبيدي في التاج آراء الصغاني في الاضداد وتعليقاته على هذه الالفاظ ، فليست عن كتاب (الاضداد) كما يبدو لاول وهلة لان الكتاب كما قلنا ليس فيه أكثر من ذكر اللفظة ومعنيها المتضادين ، وانما نقل الزبيدي ذلك عن معجمه (التكملة والذيل والصلة) ، ففي (أَفِدَ) ذكر الزبيدي المعنيين المتضادين أُسْرَعَ وَأَبْطَأَ وقال : « قال الصغاني : وكأنه من الاضداد » (٨٧) . وقول الصغاني بنصه مع ذكر المعنيين المتضادين ومشتقاتهما في التكملة في الكلام على المادة نفسها (٨٨) . وكذلك في مادة (قَعَدَ) ، فقد ذكر الزبيدي انها بمعنى قام وجلس واستشهد لكلا المعنيين وذكر مشتقاتهما الاخرى وقال : « فهو ضدّ » ، صرح به ابن القطّاع في كتابه ، والصاغاني وغيره « (٨٩) . والمادة وجميع الشواهد التي ساقها الزبيدي فيها والمعاني المختلفة التي تتفرع عن مشتقاتها والتصريح بصدّيتها ، كل ذلك في التكملة أيضا (٩٠) . وعلى هذا فالصغاني قد اختصر في كتابه (الاضداد) ما وسعه وأفاض فيه وشرحه في معجمه (التكملة) ، وكأنه لم يرد أن يكرر كلاما قاله قبل تأليف أضداده في كتاب موسع كالتكملة .

(٨٤) الصغاني ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٨٥) نفسه ٢٢٧ .

(٨٦) نفسه ٢٢٨ .

(٨٧) تاج العروس ٣٩٠/٧ .

(٨٨) التكملة والذيل والصلة ١٩١/٢ .

(٨٩) تاج العروس ٤٨/٩ .

(٩٠) التكملة والذيل والصلة ٣٢١/٢ .

فمثلا مادة (السَّاجِد) لم يزد في الاضداد على ذكر : المنحني والمتصب^(٩١) ، دون أن يشير الى أن احد المعنيين هو لغة قبيلة ، في حين أنه في التكملة قد أشار الى ذلك ، فبعد أن تكلم على هذه المادة واستشهد لمعانيها وذكر النخلة الساجدة وهي التي املها حملها ، وذكر قوله تعالى : (وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا)^(٩٢) أي رُكْعًا ، حتى قال : « السَّاجِدُ : المتصب في لغة طيء ، وهو من الاضداد »^(٩٣) . ومثل ذلك مادة (الْمُعْبَد) التي قال في الاضداد : البعير المُذَكَّل والمُكْرَم^(٩٤) ، غير أنه أسهب في التكملة في الكلام على هذه المادة فذكر معنيها واستشهد لكل واحد منهما بالشعر والأمثال ونصّ في آخر هذا الحديث الطويل على أن اللفظة من الاضداد^(٩٥) . وشييه بهاتين المادتين كثير من المواد التي يجدها الدارس مفصلة مستشهدا عليها بالشعر والقرآن والحديث والأمثال عند رجوعه الى (التكملة) في حين هي بهذا الإيجاز غير النافع في (الاضداد) . وفي الكتاب شيء لافق للنظر ، فبعد أن التزم الصغاني أن يعرّي كتابه من الاستشهاد والتفسير والتعليق وذكر الرواة والعلماء ، نجد أنه ذكر ابن الاعرابي في مادتين والاصمعي في مادة واحدة ، قال : « ابن الاعرابي : الزَّعَمِيّ : الكاذب والصادق »^(٩٦) . وقال : « ابن الاعرابي : الوَرَقَةُ الكريم من الرجال والخسيس منهم »^(٩٧) . وقال : « ثَوْبٌ يَدِيٌّ للواسع والضيق ، عن الاصمعي »^(٩٨) فلماذا فعل ذلك ، وهو

• (٩١) الصغاني ٢٣٢ .

• (٩٢) البقرة ٥٨ .

• (٩٣) التكملة والذيل والصلة ٢/٢٤٧ .

• (٩٤) الصغاني ٢٣٨ .

• (٩٥) التكملة والذيل والصلة ٢/٢٧٨ .

• (٩٦) الصغاني ٢٣١ .

• (٩٧) نفسه ٢٤٧ .

• (٩٨) نفسه ٢٤٨ .

لم يسمع من ابن الاعرابي ، ولا الاصمعي ، فاذا كان قد نقل هذه المواد
عمن سمع ابن الاعرابي او الاصمعي فلماذا لم ينص في المواد الاخرى على
مصدرها الذي رواها اول مرة ، كأن يذكر قطربا والفراء وابا عبيدة وثعلبا
وغيرهم ممن ملأت اسمائهم كتب الاضداد التي اطلع عليها الصغاني ونقل
عنها ، خصوصا كتاب ابي بكر بن الانباري الذي نص الصغاني في آخر
كتابه على الرجوع اليه واقتفاء اثره اذ يقول : « آخر كتاب الاضداد والله
الحمد والمنة ، وفيه كلمات ليست هي عندي من الاضداد ، ولكنني قفوت
فيها آثار من سبقني الى جمعها مثل ابن الانباري وغيره ، حذار ان يقال
اهمل شيئا مما اثبتوه » (٩٩) . فاذا كان الامر كذلك فلماذا لم ينقل عن
ابن الاعرابي في سائر الفاظه التي ذكرها له ابن الانباري واكتفى بذكره
في لفظتين ، وكذلك الاصمعي . فالذي يبدو أن هذا الامر حدث بأحد
سبيين الاول أن يكون سبق قلم من الصغاني نفسه ، اذ نسي في هذه
الالفاظ الثلاث أنه لا يذكر علما وسها عن هذا الالتزام . والثاني أن يكون
من فعل الناسخ ، بأن أضاف من عنده هذه الاشياء ، وكثيرا ما يحدث مثل
هذه الاضافات من النساخ في المخطوطات القديمة . واني أنسب الى فعل
الناسخ أيضا تكرار مادة (الطاعيم الكاسي) في هذا الكتاب ، فقد ذكرت
في مكانين منه (١٠٠) .

أما المذهب المدرسي فلا يمكن أن يكون واضحا في مثل هذا الكتاب
المعري من المصادر والشواهد والرواة ، كما أن مقدمته لا تشعر بأكثر من
كونه وسطا في نظرتة للاضداد ، الا أنه الى طبيعة المدرسة البصرية أقرب
بشارته مثلا الى أنه أفاد من كتب المنكرين في اطراح كثير من الاضداد ،
وهي الكتب التي عبر عنها أنها ردت على القائلين بالاضداد . يؤيد ذلك

(٩٩) الصغاني ٢٤٨ .

(١٠٠) الصغاني ٢٣٧ ، ٢٤٣ .

أنه ذكر في آخر كتابه أنه جمع فيه ألفاظا قفا فيها ابن الأنباري ولكنها ليست عنده من الاضداد • عدا هذا الاختصار الذي يوحى بالنفور من رواية الشعر ونقل لغة العرب واستعمالاتهم ، التي كان الاهتمام بها والاكثار منها من خصائص كتب الكوفيين في الاضداد ، وعكس ذلك من خصائص كتب البصريين • ومع ذلك فلا يمكن ان تتكلف هذه الحقيقة تكلفا ، لانه حتى لو كان الكتاب حاويا جميع هذه الامور التي اعتبرناها من خصائص المنهج الكوفي ، فان هذه المدرسية التي نبحت عنها غير واضحة في مصنفات عصر الصناني وضوحها في مصنفات السابقين ، لان العهد قد قدم بالصناني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ ، وضعفت الملاحح في زمانه ، ولم يعد الطابع المدرسي يصنع مصنفات اللغويين كما كان ابان الصراع المدرسي في القرن الثاني والثالث والرابع •

وكنا نتوقع ألا نجد كثيرا من الالفاظ التي احتواها الكتاب لبعدها عن الاضداد ، ولان الصناني اطرح « ما ينبو الطبع عنه لبعده عن حد الاضداد »^(١) غير أننا عثرنا على جملة من هذه ، كقوله : « ان قام عبد الله أي ما قام وقد قام »^(٢) والتكلف في هذا واضح لان (ان) هذه مرة تأتي نافية ومرة مخففة من الثقيلة ، والاستعمال كفيل بصرفها الى أحد السياقين • ومثلها : « يَقُومُ هذا أَوْ هذا ، على الشك وعلى العطف ، أي وهذا »^(٣) • ونقل عن السابقين « بَرَدَ : اذا بَرَدَ واذا أَسْخَنَ »^(٤) • ومرر علينا أن شاهدتهم الوحيد على المعنى الثاني قول الشاعر (بَرَدِيهِ) وتنبه ثعلب الى أنه ادغام والاصل (بَلَدِيهِ)

(١) الصناني ٢٢٢ •

(٢) نفسه ٢٢٣ •

(٣) نفسه ٢٢٣ •

(٤) نفسه ٢٢٤ •

ونقل هذا التنبّه ابن الأنباري^(٥) ، وصاحبنا الصغاني مطلع على كتاب ابن الأنباري باعترافه • وقال : « يقال في زَجَرِ الغنم وطَرَدَها حاءٍ حايٍ وحاءٍ حايٍ وحاءٍ حاءٍ وفي دعائها »^(٦) ، وهي أصوات تصدر عن الراعي لا معنى لها ، يستخدمها في رعيه الغنم وتوجيهها ، ولا معنى لتضاد هذه الأصوات المبهمة • وقال : « سُمْتُه بعيري اذا عرضته ليشتريه ، وسُمْتُه بعيره اذا أَرَدْتُ اشْتِراءه منه »^(٧) ، وواضح أنه لولا ذكر بعيرى أو بعيره بعد الفعل لما انصرف هذا الانصراف المتضاد ، اذ لا يحمل الفعل أكثر من معنى التقديم والعرض ، وانما كان هذا الاختلاف من سياق الكلام الذى يوجّه معنى الفعل • وقال : « الصَّلَاة : مسجد المسلمين وكنيسة اليهود »^(٨) ، وغريب أن يفضّل وهو اللغوى المطلّع عن أن معنى الصلاة في اللغة هو الدعاء ، وفي مسجد المسلمين دعاء وفي كنيسة اليهود دعاء • وقال : « لَمْ أَضْرِبْ عَبْدَ اللَّهِ وَلَمْ يَضْرِبْنِي زَيْدٌ : يكون جَحْدًا واثباتًا ، أي لم أَضْرِبْ عَبْدَ اللَّهِ حَتَّى ضَرَبَنِي زَيْدٌ ، فوقع ضربى بعبدالله لما وقع بي ضَرْبُ زَيْدٍ »^(٩) ، أبعد هذا الكلام ولا ينبو الطبع عنه لبعده عن حدّ الاضداد ؟ فليس من المستساغ أن يكون مثل هذا من الاضداد ، فالدراسة اللغوية بعيدة عن هذه الصنعة الفلسفية المتكلفة ، التي تحتاج الى اعادة قراءة العبارة ليتوصل الى موطن التضاد فيها • وكل هذا الذى ذكرناه هو عدا اللفاظ التي يفسّر تضادها بالتصريف مثل : أَطْلَبَهُ^(١٠) ، الْمُتَطَلَّمُ^(١١) ، الْفَرِيمُ^(١٢) ، والتي على صيغة (فَعُول)

(٥) ابن الأنباري ٦٤ •

(٦) الصغاني ٢٢٨ •

(٧) نفسه ٢٣٣ •

(٨) نفسه ٢٣٦ •

(٩) الصغاني ٢٣٦ • (١٠) نفسه ٢٣٧ •

(١١) نفسه ٢٣٨ • (١٢) نفسه ٢٤٠ •

المنصرفة الى الفاعل والمفعول مثل : الذَّعُورُ (١٣) ، الرِّكُوبُ (١٤) ،
 زَعُومُ (١٥) ، والتي على صيغة (فاعِل) المنصرفة للفاعل والمفعول مثل :
 البَائِثَةُ (١٦) ، الحَازِمُ (١٧) ، الحَالِقَةُ (١٨) ، ومن الألفاظ ما يفسَّر
 بشمولية المدلول الاول مثل : الصَّارِخُ (١٩) ، الصَّريِّمُ (٢٠) ، ومنها
 ما يفسر بانتقال مجال الدلالة مثل : الطَّعِينَةُ (٢١) ، عَزَّ رَتْهُ (٢٢) ،
 الكَأْسُ (٢٣) ، ومنها ما يفسر باختلاف اللهجات مثل : السَّاجِدُ (٢٤) ،
 السُّدُفَةُ (٢٥) ، المَعْصِرُ (٢٦) . وغير ذلك من الالفاظ التي كان من
 الطبيعي استبعادها عن الكتاب .

وقد استدرك السيد نورالدين الجزائري (ت ١١٥٨ هـ) في كتابه
 (فروق اللغات) كثيرا من ألفاظ الاضداد على كتاب (الاضداد) للصغاني ،
 فقد عقد فصلا في كتابه بدأه بقوله : « فصل في الاضداد ، ذكرها أبو
 الحسن الصغاني ولكنه أهمل منها كثيرا ، ونحن نذكر ما ذكر وأهمل على
 ترتيب حروف التهجي » (٢٧) ، وينهج نهج الصغاني في عدم الاستشهاد

• (١٣) نفسه ٢٣٠

• (١٤) نفسه ٢٣١

• (١٥) نفسه ٢٣١

• (١٦) نفسه ٢٢٤

• (١٧) نفسه ٢٢٧

• (١٨) نفسه ٢٢٨

• (١٩) نفسه ٢٣٥

• (٢٠) نفسه ٢٣٥

• (٢١) نفسه ٢٣٧

• (٢٢) نفسه ٢٣٩

• (٢٣) نفسه ٢٤٣

• (٢٤) نفسه ٢٣٢

• (٢٥) نفسه ٢٣٢

• (٢٦) نفسه ٢٣٩

• (٢٧) فروق اللغات ١٩٠ - ١٩١

والتعليق ، والظاهر أنه استعان بكتاب ابن الانباري في هذه المهمة ، لان أكثر الالفاظ التي استدرکها على الصغاني هي في كتاب ابن الانباري . وبعضها من التي تفرد بها ابن الانباري . ومع ذلك فليس استدرک الجزائري مما يزيد من قيمة كتاب الصغاني ، اذ يبقى كتابا تعليميا مختصرا لا يقدم مادة جديدة ولا يوضح معالم تاريخية من حياة اللغة ، ولا يتكسر اسلوبا في بحث الاضداد لم يسبق اليه ، وربما كان الذوق السائد في تلك الفترة يميل الى مثل هذه المختصرات التعليمية ، والعرف قد جرى على التأليف في علوم العربية وفنون اللغة على هذه الشاكلة ، فكان كتاب الصغاني صدى لذلك كما كان كتاب ابن الدهان من قبله .

كتاب العتائقي

المؤلف هو كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن ابراهيم العتائقي (٢٨) ، من علماء الحلة ولد فيها وتعلم ، كان يعاصر الشيخ الشهيد وبعض تلاميذ العلامة الحلي . مال في تصنيفه ودرسه الى الفلسفة والتاريخ والتصوف . سافر الى فارس وأقام في أصفهان مدة عشرين سنة ، عاد بعدها الى النجف ، والعتائق من قرى الحلة واليها نسب . له مصنفات كثيرة بعضها ما يزال موجودا في خزائن المخطوطات في النجف ، يقول القمي في الكنى والالقب : « رأيت جملة منها في الخزانة المباركة الغروية ، ولعل بعضها كانت بخطه » . من مصنفاته : الاعمار ، التصريح في شرح التلويح ، الشهادة في شرح معرب الزبدة ، شرح ديوان المتنبي ، شروح صفوة المعارف ، الاضداد ، شرح نهج البلاغة الذي اختاره من أربعة شروح هي شرح ابن ميثم وشرح قطب كيدري ، وشرح القاضي عبدالجبار

(٢٨) تراجع ترجمته في : الذريعة ٢/٢١٤ والكنى والالقب ١/٣٤٢ والفوائد الرضوية ١/٢٢٧ ومعجم المؤلفين ٥/١٦٧ والاعلام ٤/١٠٦ ، وذكر الزركلي : سفينة البحار ٢/١٥٧ ومجلة العرفان ١١/٣٧٩ .

وشرح ابن أبي الحديد وغيرها • وذهب الزركلي في الاعلام الى أن سنة تسعين وسبعمائة هي تاريخ وفاته ، دون أن يؤيد ذلك مصدر قديم ، ولعل هذا التاريخ صحيح ، لاننا نعرف أنه فرغ من كتابه (شرح نهج البلاغة) سنة ثمانين وسبعمائة ، ومن كتابه (الشهادة في شرح معرب الزبدة) سنة ثمان وثمانين وسبعمائة •

أما كتابه (الاضداد) فمفقود ، والذريعة هو المصدر الوحيد الذي ذكر الكتاب ، اذ قال الشيخ آغا بزرك الطهراني : « الاضداد في اللغة للشيخ كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن يوسف المعروف بابن العتايقي الحلبي الذي فرغ من الشهادة في شرح معرب الزبدة سنة ٧٨٨ قاله في الرياض • ثم احتمل اتحاده مع كتابه الاعمار الذي نسبته اليه الكفعمي في حواشي البلد الامين » (٢٩) ولا نملك في ما عدا هذا أية اشارة للكتاب او نقل عنه او ذكر لمادته نستطيع بوساطته تبين الكتاب ومنهجه في دراسة الاضداد ، ولعله على غرار كتابي ابن الدهان والصناني ، ولولا نص الشيخ الطهراني على انه (الاضداد في اللغة) لاحتملنا ان يكون كتابا في الاضداد المنطقية ، التي بحثها المنطقة في كتبهم ، والعتايقي من المعنيين بدراسة الفلسفة ومن المصنفين فيها كما ذكرنا في ترجمته ، الا اننا استبعدنا هذا الاحتمال للنص على أنه في اللغة ، ومهما يكن فهو كتاب متأخر بالنسبة لكتب هذا الميدان •

كتاب المدني

المؤلف هو شمس الدين محمد بن أحمد بن شرف الدين المدني الشافعي (٣٠) ، من العلماء الفضلاء ، له من الكتب : عمدة الادباء لدفع الطاعون والوباء ، الاضداد وغيرهما توفي بعد سنة أربع وتسعمائة هجرية •

(٢٩) الذريعة الى تصانيف الشيعة ٢/٢١٤ •

(٣٠) تراجع ترجمته في : معجم المؤلفين ٨/٢٦٩ وهدية العارفين ٢/٢٢٢ ومجلة اللسان العربي ٩/١٠٥ (١٧٩٢م) •

أما كتابه (الاضداد) فمخطوط بمكتبة السلمانية بالاستانة رقمه (١٠٤١) لغة ، ولم نوفق في الحصول على صورة بالميكرو فلم عنه ، لصعوبة عملية امتلاك مثل هذه الصورة بسبب تشدد نظام المكتبة التركية بمسألة التصوير والابراد . وهو على كل حال كتاب يبعد أن نجد فيه ما يستحق كبير اهتمام ، لتأخره زما من جهة ، ولعدم معرفتنا بحقيقة مؤلفه العلمية من جهة أخرى .

كتابا التميمي وابنه ملا حسن

الاول هو تقي الدين عبدالقادر التميمي المصري الحنفي (٣١) ، نحوي معروف في زمانه ، ولي القضاء مدة ، له من الآثار : حاشية على ألفية ابن مالك في النحو ، الاضداد ، وغيرهما ، توفي سنة خمس وألف هجرية .
والثاني هو ملا حسن بن تقي الدين عبدالقادر التميمي المصري (٣٢) ، له من الآثار : الاضداد . وتاريخ وفاته مجهول .

أما كتاب (الاضداد) للتميمي فهو (مختصر كتاب الاضداد لابن الانباري) ، وليست لدينا اية فكرة عن طبيعة هذا الاختصار ، هل كان مقصورا على الشواهد والامثلة ، أم على التعليقات الكثيرة والاستطرادات المتشعبة ، أم أنه شمل مواد الكتاب فحذف منها أشياء لم ير ضرورة لذكرها في الاضداد ؟ لا يمكن البت بذلك ما دام الكتاب مفقودا ، الا أن من المختصرات ما هو مفيد ينم عن معرفة واطلاع لما فيه من حذف الزائد المحشو واطراح المشكوك فيه وازافة اشياء قليلة جديدة بالاضافة ، واستدراك مهم على متن الكتاب الاصلي ، حتى يغدو الواحد منها كتابا

(٣١) تراجع ترجمته في : كشف الظنون ١١٦/١ وهدية العارفين ٥٩٩/١
ومعجم المؤلفين ٢٨٥/٥ .

(٣٢) تراجع ترجمته في : كشف الظنون ١١٦/١ ومجلة اللسان العربي
١٠٥/٩ .

جليل القدر لا يقل أهمية عما لو أُلّف في نفس الموضوع ، ومن أمثلة هذا النوع من المختصرات (مختصر العين) للزبيدي الذي يعتبر الآن من الكتب اللغوية المهمة على أنه اختصار لعين الخليل •

وأما كتاب (الاضداد) لملاّ حسن بن عبدالقادر التميمي فهو في الحقيقة ليس تأليفاً ولا اختصاراً ، وإنما ترتيبٌ للمختصر السابق على حروف الهجاء ، لأن الظاهر أن التميمي اختصر كتاب ابن الانباري على ترتيبه الأصلي الذي لم يلتزم فيه ابن الانباري أن يكون على حروف المعجم ، فجاء ملاّ حسن فرتبه على الحروف ، فكأن الأب والابن قد تعاونوا على المختصر ، فبعد أن وضعه الأب رتبّه الابن • وليس في عمل الولد ما يدل على علم او معرفة ، لان ما قام به يعتبر عملاً الى الفهرسة أقرب من كونه عملاً علمياً يقوم على الدرس أو اختصاراً يعتمد جودة الالتقاء ودقة الاطراح • وهذا المرتب هو الآخر مفقود ، الا أنه يظهر من ذكر حاجي خليفة له أنه رآه ، لانه يقول : وأول هذا المرتب : حمدا لمن بحكمته الباهرة ... الخ (٣٣) • وخلاصة القول في الكتاين - الذين يجب أن يعدّا كتاباً واحداً - أنهما لم يأتيا بجديد في موضوع الاضداد لا من حيث المادة ولا من حيث المنهج •

كتابا الأبياري وكتاب الخليلي

المؤلف الاول هو الشيخ عبدالهادي نجا بن رضوان نجا المصري الأبياري الشافعي الأزهري (٣٤) ، ولد في أبيار من اعمال الغربية بمصر سنة ١٨٢١م ، ونشأ في حجر أبيه ، وأخذ عنه مبادئ العلوم ، ثم جاور

(٣٣) كشف الظنون ١١٦/١ •

(٣٤) تراجع ترجمته في : معجم المطبوعات العربية ٣٥٨ ومعجم المؤلفين ٢٠٣/٦ وتاريخ آداب اللغة العربية ٢٢٦/٤ وايضاح المكنون

١٦١/١ والاعلام ٣٢٢/٤ وفهرس دار الكتب المصرية ٧/٧ •

في الأزهر وجدّ في طلب العلوم الإسلامية واللغوية فادرك منها شأواً بعيداً ، وتحدث القوم بعلمه وفضله ، وكان قد سمع على الشيخ السيجوري والدمهوري وغيرهما • فاستدعاه الخديوى اسماعيل لتعليم ابنائه ومن جملة توفيق باشا • وجعله الخديوى اماماً للمعينة ومفتياً وما زال في هذا المنصب حتى توفي ، وقام بما عهد اليه خير قيام مع مواظبته على التدريس في الجامع الأزهر • أخذ عنه رجال اشتهروا بالعلم والفضل منهم الشيخ حسن الطويل وغيره • وكان الأياري شاعراً اضافته الى كونه اديباً ولغويًا ثقة يرجع اليه في حلّ المشكلات، وله مراسلات مع معاصريه من الشعراء والادباء في سائر العالم العربي كالشيخ أحمد فارس الشدياق والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ ابراهيم الأحذب وغيرهم • له كتب كثيرة في مختلف الفنون ، منها : سحر العيون ، الكلام على الصوفية ، العرائس الواضحة الغرر ، ترويح النفوس على حواشي القاموس ، صحيح المعاني في شرح منظومة البلياني ، وكتابان في الاضداد ، وغيرها • توفي سنة خمس وثلاثمائة وألف هجرية •

والمؤلف الثاني هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن أحمد بن اسماعيل الحلواني الخليلي الشافعي المصري^(٣٥) ، والخليلي نسبة الى رأس الخليل قرب دمياط ، من العلماء المعروفين والادباء المشهورين ، شاعر لغوي ، له من المؤلفات : الاشارة الآصفية في البلاغة ، فصل القضية ، شذا العطر في زكاة الفطر في الفقه الشافعي ، صفوة البشرى في الاسرى ، الاضداد ، وغيرها كثير • توفي يوم عرفة سنة ثمان وثلاثمائة وألف هجرية •

(٣٥) تراجع ترجمته في : معجم المطبوعات العربية ٧٩١ ومعجم المؤلفين ١٤٦/١ وهدية العارفين ١٩٢/١ وايضاح المكنون ٨٤/١ وفهرس دار الكتب المصرية ١٢/٧ وفهرس المخطوطات المصورة ٣٦٤/١ •

أما أوّل كتابي ° الأبياري فهو المسمّى (دورق الانداد في أسماء
الاضداد) مصور بدار الكتب المصرية ضمن مجموع رقمه (٨٤٤) لفة •
والكتاب عبارة عن منظومة شعرية ضمّنها الأبياري - الذي انتهى من
وضعها سنة ١٢٩٧ هـ تقريباً - ما استطاع من ألفاظ الاضداد وذلك على
ما يبدو تسهيلاً لحفظها شأن القصائد والاراجيز التي تنظم مضمّنة علومها
ومعارف مختلفة كالفقه والنحو والبلاغة وغير ذلك مما تدعوه بالشعر
التعليمي ، وأقرب مثال الى ذلك ألفية ابن مالك التي ضمّنها قواعد النحو
والصرف ، وأوّل منظومة الأبياري قوله :

قال ابن رَضَوَانِ الأبياري مُلْتَمَسًا
من رَبِّهِ العَفْوَ مَعَ حُسْنِ الرِّضَا كَرَمًا (٣٦)
ومحاولته هذه أوّل المحاولات من نوعها في الدراسات الاضدادية ،
إذ لم يسبق الى نظم الفاظ الاضداد ، وربما كان دافعه اليها مع نزعه
التعليمية هو رغبته أن يكون له جديد في مضمار بحوث الاضداد ، ان لم
يكن هذا الجديد في المضمون فلا أقل من ان يكون في الشكل • اضافة لما
صرّح به في ابياتها من أن هذه الالفاظ تعين الاديب على تأنيق كلامه
وتزويق لفظه بما يمكن استخدامه منها في التجنيس والتورية ، اذ يقول :

أَسْمَاءُ الْأَضْدَادِ أُسْمَى مَا يُعِينُ أَدِيبَ
بِأَرَامٍ تَأْنِيقَ أَوْ تَرْنِيقَ مَا نَظَمَا
بِهَا يُحْلَى بَتَجْنِيسٍ وَتَوْرِيَّةٍ
نَظْمًا وَنَشْرًا ، وَيُجْلَى الْهَمُّ وَالْغُمَا

أما كتابه الآخر في الاضداد فهو (الرونق على الدورق) شرح فيه
منظومته السابقة (دورق الانداد في أسماء الاضداد) وهذا الكتاب

» (٣٦) فهرس دار الكتب المصرية ٧/٧ •

مفهود (٣٧) . والظاهر أن المنظومة كانت صعبة الأسلوب متداخلة الالفاظ .
اذ لا يخفى أن طبيعة الشعر وموازينه تفرض لغة خاصة يتكلفها الناظم
خصوصا في مثل هذه المواضيع العلمية ، لذلك نجد أن المنظومات التعليمية
غالبا ما تتكاثر شروحا من قبل الدارسين توضيحا لغموضها وافاضة في مادتها
لتكون الفائدة منها أعمّ للدارسين المتبعين ، ونعود الى مثالنا السابق لندل
الى كثرة شروح ألفية ابن مالك ، وفي هذه المرة يكون الناظم هو أوّل
الشارحين ، ونحن نفترض في هذا الشرح أن يكون مملوءا بالشواهد
والأمثلة والتعليقات ونقل آراء الأضداديين وما الى ذلك مما يتطلبه كتاب
قائم على شرح وتفصيل ما أوجزته منظومة ليس فيها أكثر من ألفاظ
الاضداد مجردة من كل شيء .

وأما كتاب الخليجي في الاضداد المسمى (الكأس المروّق على الدورق
في الاضداد) المحفوظه صورته في دار الكتب المصرية ضمن المجموع
السابق وبالرقم نفسه ، فهو الآخر شرح لمنظومة الاياري نفسها (دورق
الانداد) وقد فرغ من كتابة مسودته المحفوظة في الدار سنة ١٣٠٢هـ ،
وعلى هامشها تقييدات كثيرة للمؤلف وهي في ٢٣٦ لوحة ذات شطرين في
حجم الربع وبها طيارات كثيرة ، أول الكتاب : الحمد لله المنزّه عن
الضد ... الخ (٣٨) .

ويبدو من عدد لوحات المخطوطة أنه كتاب ضخّم ، فيه شرح موسع
للالفاظ وتعليق كثير واستشهاد مستوعب ومحاولات لتفسير التضاد ، ونعتقد
أنه برغم تأخره في الزمن ومعاصرته وافتقاره الاكيد للدراسات اللغوية
الحديثة في المدلول والاصوات واللهجات ، لا يخلو من فوائد كثيرة

(٣٧) مجلة اللسان العربي ١٠٥/٩ .

(٣٨) فهرس دار الكتب المصرية ١٢/٧ وينظر فهرس المخطوطات المصورة .
٣٦٤/١

«معلومات طريفة • وحاولنا محاولات جادة عديدة في الحصول على صورة منه للوقوف عليه وقوفا كاملا ، الا اننا لم نوفق الى ذلك ، وكان معه المخطوطات يخبر باضطراب التنسيق بينه وبين دار الكتب في مجال تصوير المخطوطات •

كتاب التنكابني

المؤلف هو الميرزا محمد بن سليمان بن محمد رفيع بن عبدالمطلب التنكابني (٣٩) ، وكان يلقب بالشيخي ، من الوعاظ والمفسرين ، فقيه اصولي معروف ، مشارك في بعض العلوم • له مؤلفات كثيرة ، منها : قصص العلماء ، موارد الاصول ، أسرار المصائب في وقائع أهل البيت ، توشيح التفسير ، بدائع الاحكام في شرح شرائع الاسلام ، الاضداد ، وغيرها • توفي قبل سنة عشرين وثلاثمائة وألف هجرية •

أما كتابه (الاضداد) فالذريعة مرة أخرى هو المصدر الوحيد الذي ذكره ، نقلا عن ذكر المؤلف له في أحد كتبه ، يقول الطهراني : « الاضداد لميرزا محمد بن سليمان التنكابني المعاصر ، المتوفى قبل سنة ١٣٢٠ هـ ، عده من تصانيفه في كتابه قصص العلماء » (٤٠) • والكتاب مفقود ، وبالرغم من معاصرة الشيخ آغا بزرك الطهراني لمؤلفه وعنايته الفائقة بالمخطوطات وإطلاعه على خزائنها ومكتباتها ، فانه لم ير الكتاب ولم يقع في يده ، لاننا نستشعر من كلام الطهراني أنه علم بالكتاب بعد أن وجد ذكره على لسان مؤلفه في كتابه (قصص العلماء) ، اذ لولا اشارة المؤلف هذه لما أمكن معرفته أو العثور عليه • وليست لدينا الآن اية فكرة عن الكتاب حجمه ومنهجه وطريقة تناوله الاضداد واسلوب معالجته للمشكلة وما الى ذلك ،

(٣٩) تراجع ترجمته في : هدية العارفين ٣٩٢/٢ والذريعة ٢١٤/٢
وايضاح المكنون ١٦/١ ومعجم المؤلفين ٥٤/١٠ •

(٤٠) الذريعة ٢١٤/٢ •

على حين يوحى تأخره الزمني - لحاظا لتاريخ وفاة المؤلف - أنه ليس ذا قيمة كبيرة ، اذ لا بد أن يكون قائما على التقليد والمحاكاة لكتب الاضداد القديمة .

كتابان مجهولين

الكتاب الاول لعبدالله بن محمد وهو مجهول الحياة والوفاة ، والكتاب حديث كما يبدو من نسخته الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية رقمها (٢٤١) مجاميع باسم (رسالة في بعض الالفاظ المستعملة في الضدين الموجودة في القاموس)^(٤١) ، ومن هذا العنوان الطويل للكتاب يتبين عمل المؤلف فيه ، اذ هو جمع لبعض ألفاظ الاضداد التي نصّ على ضديتها الفيروزابادى في (القاموس المحيط) ، او بعبارة اوضح فهرسة لاضداد القاموس ، وليس في هذا ما يدعو لاجاب أو اهتمام ، فليس في ذلك من الجهد سوى النسخ ، وقد مرّ في دراستنا لكتابي ابن قتيبة والثعالبي المزعومين ما هو شبيه بذلك ، ولم نسمّ ناقل فصليهما مؤلفا في الاضداد ، وانما سميناه ناسخا . وعلى كل فلا بد أن يكون الكتاب على شكل كتابي ابن الدهان والصغاني من حيث الاختصار والترتيب .

أما الكتاب الثاني فمجهول اسم المؤلف ولكنه حديث ايضا ، ونسخته الخطية محفوظة مع الاول بدار الكتب المصرية رقمها ٣٢٩ لغة ، باسم (منبه الرقاد في ذكر جملة من الاضداد)^(٤٢) . ولعله لمؤلف الكتاب السابق لتشابه العمل في الكتابين كما يظهر من العنوان ، اذ لا يتعدى العمل في هذا الكتاب أن يكون جمعا لجملة من ألفاظ الاضداد ، قد تكون مرتبة على حروف المعجم وقد لا تكون ، ولكنها على طريقة ابن الدهان والصغاني . وهذا الكتاب هو الآخر لا ينمّ عن باع كبير أو ذهنية علمية بقدر ما ينمّ

(٤١) مجلة اللسان العربي ١٠٥/٩ .

(٤٢) المرجع نفسه والصفحة .

عن الرغبة في المشاركة كيفما تكون وعلى أي صورة ، فما قيمة أن يأتي من يجمع ألفاظ الاضداد ويحصيها ويؤوبها بعد أن قام السلف الدؤوب المتبع بهذه المهمة قبله بقرون عدة ، وانما القيمة في الدراسة القائمة على الرأي والمناقشة وتفنيد وجهات النظر الخاطئة وكشف الحقائق الغامضة وغير ذلك مما يتطلبه الدرس الحديث المستفيد من جهود الاقدمين في هذا الباب •

كتاب (أضداد آي القرآن)

نشرت مجلة المورد مقالا بعنوان (ذخائر التراث العربي في مكتبة جستر بيتي - دبلن)^(٤٣) ، ترجم فيه كاتبه ما اختاره من أسماء المخطوطات العربية التي احتواها الفهرس الذي وضعه الدكتور آربري باللغة الانكليزية لمحتويات المكتبة • متقلا في اختياره بين كتب الفقه والتاريخ والتفسير واللغة ، ومن جملة ما ذكره من مجاميع اللغة ، مجموع من القرن السابع الهجري رقمه (٣١٦٥) فيه أربعة كتب قرآنية لغوية ، رابعها (أضداد آي القرآن) مؤلف مجهول ونسخته فريدة^(٤٤) • وبحكم قدم الكتاب وطرافة موضوعه وارتباطه بدراسة هذه الرسالة ، أرسلت أطلب من مكتبة جستر بيتي تصويره لي ، وفي اثناء ذلك قمت بمجرد كل ما تيسر من كتب التراجم والطبقات وفهارس الكتب القديمة والحديثة محاولة للعثور على ذكر للكتاب يكشف لنا عن مؤلفه المجهول ، ولكنني لم أجد في كل ما رجعت اليه ذكرا له • حتى اذا وصل الكتاب ظهر أنه ليس (أضداد آي القرآن) كما ذكر مترجم الفهرس ، وانما هو كتاب (عدد آي القرآن) مجهول اسم المؤلف فعلا ، وأرجح أن يكون لابي عبيد القاسم بن سلام الذي ذكر له كتاب بهذا الاسم^(٤٥) ، وهو الكتاب الوحيد الذي

(٤٣) كوركيس عواد : مجلة المورد العدد المزدوج ١ ، ١٥٣/٢ •

(٤٤) المرجع السابق ١٥٧ •

(٤٥) الفهرست (طهران) ٧٨ ، وانباء الرواة ٢٢/٣ •

يحمل هذا العنوان في الفهرست وانباء الرواة ، فتكاد تكون نسبته لابي عبيد محصورة فيه .

المهم أنه كتاب آخر غير الذي كنا نريد ، وعندى أن الخطأ حاصل بسبب سهو في الترجمة ، اذ من الواضح أن المترجم قرأ (Adad) التي هي لفظة (عدد) قرأها مشددة (أداد) فكانت في مقاله أضداد . في حين يجب ان تكتب الكلمة بدالين تحت الاول منهما نقطة (Addad) لتلفظ أضداد ومثل هذا السهو كثيرا ما يقع في الترجمة فيسبب أوهاما كثيرة، خاصة في ترجمة الالفاظ العربية المكتوبة بالحروف اللاتينية ، لان هذه الحروف قاصرة عن احتواء جميع الاصوات العربية وملايسات التشديد والادغام فيها ، لذلك يلجأ الى اصطلاح علامات ونقاط وخطوط توضع على الحروف أو بينها أو تحتها ، ويكرر الحرف اذا أريد التشديد ، كل ذلك ليتوصل الى أقرب ما يمكن من سلامة النطق ، ومن هنا تقوم ضرورة ملاحظة هذه الامور بدقة لئلا تقع مثل هذه الهفوات غير اليسيرة والتي نحن في غنى عنها .

الفصل الثالث

محاكمة الشواهد والنصوص القديمة

دأبت كتب الاضداد منذ كتاب قطرب - كما مرّ تفصيل ذلك - على ان تؤيد ما تزعمه من تضاد لفظة من الالفاظ بايراد الشواهد المختلفة على كلا المعنيين ، هذا هو الغالب ، وربما استشهدت لاحد المعنيين دون الآخر ، وربما تركت المعنيين من غير استشهاد ، بل ربما اكتفى بعضها بشواهد البعض الآخر فترك الاستشهاد البتة كابن الدهان والصغاني * ولكن الاصل في المسألة ان يدعم المعنى الذى يزعم ان اللفظة منصرفة اليه استعمال العرب له في أقوالهم ، ولعل ابن الانبارى كان أحرص الاضداديين على الشاهد ، فمثلا يقول : « قال بعض الناس : الحميم من الاضداد يقال : الحميم للحار ، والحميم للبارد * ولم يذكر لذلك شاهدا ، والاشهر في الحميم الحار » (١) ، فعدم ذكر الشاهد في رأي ابن الانبارى يجعل من المسألة زعما لا دليل عليه ، وأعلن في موضع آخر ان الشاهد هو الدليل على صحة التضاد فقال : « قال بعض أهل اللغة : الضد يقع على معنيين متضادين ، ومجره مجرى النيد ، يقال فلان ضدي : أي خيالي ، وهو ضدي : أي مثلي * قال أبو بكر : وهذا عندي قول شاذ لا يعول عليه ، لان المعروف من كلام العرب العقل ضد الحمق ، والايمان ضد الكفر * والذى ادعى من موافقة الضد للمثل لم يقم عليه دليلا تصح به حجته » (٢) والظاهر ان ابن الانبارى كان يأخذ في (الحميم) على أبي حاتم ، وفي (الضد) على قطرب ، لانهما عندما ذكرا ذلك في كتابيهما لم يقيما دليلا على التضاد بذكر الشاهد .

والحقيقة ان الاضداديين - كما قلنا - أهملوا كثيرا من الاضداد فلم يستشهدوا لها بأي شاهد ، او استشهدوا للمعنى الشائع وتركوا غير الشائع

(١) ابن الانبارى ١٣٨ وانظر : أبا الطيب ٢٠٨/١ .

(٢) ابن الانبارى ٢٧ .

خلوا من الاستشهاد ، مثال ذلك عند قطرب : (دَهْوَر) و (زَجْوَر)
و (نَهْوَز) (٣) و (بُحْتَر) (٤) ، وعنه نقلت كتب الاضداد الاخرى
هذه المواد غير مكرثة لشواهدا أيضا ككتاب ابن الانباري (٥) وكتاب أبي
الطيب (٦) . كما نجد اهمال الشاهد عند الاصمعي (٧) ، وابي حاتم (٨) ،
وابن السكيت (٩) ، في مواد اخرى كثيرة . الا انه يجب ألا يغيب عن
البال ان القدماء لم يتفقوا جميعاً على وجوب ايراد الشاهد على كل ما يروون
ويذكرون من معاني الالفاظ ، خصوصاً اذا لم يكونوا قد سمعوا هذا
المعنى مستعملاً في نص من النصوص ، وكثيراً ما تخففوا من الشواهد
التي كانت بين ايديهم فعلاً ، كما فعل ابو حاتم عندما تخفف من
الشواهد التي ذكرها الاصمعي في بعض المواد مثل (شَوْهَاء) و (مُعَبَّد)
و (مُغَلَّب) (١٠) . ويبدو من استقراء الاضداد التي ذكرت عارية من
الشاهد انها كانت معروفة عند العرب بمعنى واحد فقط ، أما المعنى الآخر
فلم يرد الا ادعاء لا دليل عليه ، وعلى ذلك فاللفظة ليست بحاجة الى شاهد
يثبت شيوعها بذلك المعنى ، ما دام هو المعنى الوحيد الذي تنصرف اليه
دون غيره ، مثال ذلك ما نقله ابو حاتم فقال : « قال أبو زيد : تصدَّق
الرجل اذا أعطى صدَقَتَه ، وبعض العرب يقول : تصدَّق سَأَل ،
والجيد تصدَّق أعطى ، وأما قول العامة فلان يُصدَّق علينا وصدَّقوا

(٣) قطرب ٢٤٨-٢٤٩ .

(٤) قطرب ٢٥٢ .

(٥) ابن الانباري ٣٥٧ - ٣٦١ .

(٦) أبو الطيب ٢٧٣/١ ، ٣٣٢ ، ٨٥ ، ٦٥٠/٢ .

(٧) الاصمعي ١٨ (وَجَه) ، ٢٤ (قَنِيص) و (كَرَى) و (تَغْرِيم) .

(٨) أبو حاتم ١٢١ (آدَم) ، ١٢٩ (أَسَد) ، ١٢٢ (مَوَد) ، ١٣١

(أَضَبَّ) ، ١٢٢ (أَفْلَتَ) ، ١٣٤ (أَمْعَنَ) .

(٩) ابن السكيت ١٩٦ (خَل) ، ١٩٩ (غَاضِيَّة) و (إِرَّة) و (ثِنِيَّ) .

(١٠) أبو حاتم ١٣٧ ، ١٤٥ .

علينا فَخَطَأً» (١١) ، فأحد المعنيين هو المشهور عن العرب ، والثاني مولد وهو من استعمال العامة فلا يعول عليه ، وكذلك علق ابن الانبارى على هذه المادة (١٢) ؛ وإلى مثل ذلك ذهب أبو الطيب أيضا (١٣) . ويتكرر هذا الموقف من اشباه هذه اللفظة في كتب أبي حاتم وابن الانبارى وأبي الطيب خاصة ، مشعرين بشكهم في صحة انصراف اللفظة الى المعنى الثاني .

نريد من هذه المقدمة أن نخلص الى دراسة شواهد الاضداد ، او بعبارة أوضح دراسة الاضداد من خلال الشواهد التي سقت عليها ، لتبين من محاكمتنا اياها مقدار ما يمكن أن تؤيد استعمال الضد بكل من معنيه في لغة العرب ، لان الشواهد عند الاضداديين هي المعول عليه ، وهي السبيل الوحيد لاثبات التضاد في لفظة من الالفاظ ، فاذا استطعنا أن نناقش الشواهد من جوانب متعددة ، فربما استطعنا ايضا ان نردّ الزعم بتضاد الالفاظ المستعملة فيها ، على ألا يغرب عن البال ان اللفظة الواحدة من الاضداد لم تستعمل في الشاهد الواحد منصرفة الى المعنيين المتضادين ، ولم يزعم أحد من الاضداديين ذلك أبدا وانما كانت تعني معنى في شاهد ، ومعنى مضادا في شاهد آخر ، وهي تؤيد ذهاب ابن الانبارى الى ان السياق يخص أحد المعنيين دون الآخر . وعلى ان هذه النظرة كافية لنفي ضدية اللفظة اساسا ، الا أننا نريد أن نعالج الشواهد من زوايا اخرى ، ربما كانت عاملا مساعدا في الكشف عن حقائق اخرى تتصل بفهم الاضداديين لفكرة النص وموقفهم من نسبة هذا النص الى قائله .

وأهم انواع الشواهد عندهم الشعر والقرآن ، وعلى ان الشاهد القرآني اقوى من الشاهد الشعرى لسلامته مما يحتمل ان يدخل الشعر من وضع وانتحال وتصحيف وتحريف ، الا ان الشعر مع ذلك لا يقلل

(١١) أبو حاتم ١٣٥ - ١٣٦ .

(١٢) ابن الانبارى ١٧٩ .

(١٣) أبو الطيب ٤٣٧/١ .

أهمية عن القرآن ، وذلك لان الشعر الجاهلي على وجه الخصوص اقدم من القرآن ، فهو قد يفصح عن استعمالات سبقت القرآن أو خلا منها القرآن ، كما قد يفيد الشعر باثياء عن اختلاف اللهجات اذا عرف القائل ، في حين لا يتيسر مثل ذلك في القرآن الا ما نصّ على أنه لغة خاصة ، ونحن نخالف ولنفسون في قوله : « ان القصائد والاساليب الشعرية المنسوبة للجاهليين لم توضع على الورق بالمداد الا في نهاية القرن الاول للهجرة على أقول تقدير ، في حين أن صحف القرآن الكريم ، كانت قد دوّنت قبل ذلك ، لذلك يجب على الباحث أن يبدأ ببحثها والنظر فيها » (١٤) ، فليس المعول في القدم هو التدوين فقط كما ذهب الى ذلك ، صحيح ان تدوين الشعر الجاهلي قد تأخر عن تدوين القرآن ، الا ان ذلك لا يعني تأخر قوله على القرآن ، وصحيح أيضا ان الشعر الجاهلي دخله الوضع والتحريف الا ان ذلك لا يعني ان ما صح منه - وهو كثير - كذلك . فليست أفهم أن يؤخر درس المعلقات الجاهلية مثلا وقد صحت روايتها ونسبها على درس القرآن لانها تأخرت عليه في التدوين ، فهي كانت محفوظة في الصدور حفظا دقيقا يفوق حفظها في الصحف التي لعب الاعجام المتأخر دوره الكبير في دخول التصحيف والخطأ اليها .

أما ما عدا الشعر والقرآن من الشواهد فهو أقل قيمة منهما . وذلك لقلته قلة واضحة لو قيس بهذين النوعين ، من جهة ، ولان بعضه ما لم يروى بلفظه كالحديث الشريف مثلا ، حيث تفقده روايته بالمعنى ، قيمته اللغوية التاريخية ، من جهة أخرى . ولذا فقد استبعدنا دراسته هنا لضآلة جدواها في مثل هذه الرسالة .

- الشعر -

يجب أن ينظر الباحث في الشواهد الشعرية الى عدة اعتبارات أساسية

مسبقة قبل القطع بنتيجة معينة ، منها :

١ - ان صرامة قَوَاعِدِ العَرُوض ، وخضوع اللغة لحكم التَّفْعِيلَةِ والقافية ، يؤدي حتما الى التَّساهل في الاستعمال وتغيير ما يجوز وما لا يجوز تغييره من الالفاظ والتراكيب .

٢ - ان التَّصْحِيفَ والتَّحْرِيفَ كان لهما أثر واضح في كثير مما روى من الشواهد الشعرية ، فكان النقل من مدونات الاوائل مصحوبا بكثير من الخلط والخطأ الذين أضاعا كثيرا من الحقائق ، كما ولدا كثيرا من المظاهر الجديدة في اللغة .

٣ - ان مما استشهد به من الشعر في كتب الاضداد كان مصنوعا مكذوبا ، وقد أشار الفراء الى بعضه ونص عليه (١٥) ، وخصوصا ما كان من أشعار الجاهليين ، وانا نعرف ان الالتحال والوضع دخلها لاسباب كثيرة أهمها المفارقة والكسب ، وقد نقلت لنا المصادر اقرار بعض الرواة بوضعهم على لسان الجاهليين ما لم يقولوه .

٤ - ان كثيرا من الشواهد الشعرية التي أوردتها كتب الاضداد غير منسوب الى قائله ، وربما استطعنا معرفة القائل في قسم منها ، وقد لا نستطيع ذلك ابدا في القسم الآخر . وعدم النسبة الى القائل تفتح باب الشك وتثير التساؤل ، ولذلك فعدم التعويل على مثل هذه الشواهد القيمة اسلم وانجع في البحث في ظاهرة لغوية كالاضداد .

٥ - ان الشواهد المنسوبة الى قائلها تمكنا من الوقوف على اختلاف اللهجات ، وذلك بعد معرفة القبيلة التي يتنسب اليها الشاعر ، فعندما نجد ان اللفظة قد استعملها أوس بن حجر مثلا في بيت من اياته

(١٥) ابن الانباري ٣٣ .

بمعنى ، واستعملها ابو ذؤيب في بيت له بمعنى مضاد ، يكون معلوما بعد ذلك ان هذه اللفظة اختلفت دلالتها لاختلاف البيئة اللغوية ، فهي قد وردت في شاهد على لسان تميمي وفي شاهد آخر على لسان هذلي •

٦ - ان الشواهد الشعرية تبصرنا بالتطور الدلالي الذي حصل للفظ على مر العصور ، فهي في اشعار الجاهليين مثلا لا تعني ما تعنيه في اشعار الاسلاميين ، وتوفر ذلك لا يشترط فيه اختلاف البيئات اللغوية ، فقد يحصل هذا التطور في ألسن القبيلة الواحدة ، بأن يستعمل علقمة ابن عبدة اللفظة بمعنى ويستعملها الفرزدق بمعنى مضاد وكلاهما تميميان ولكن الاول جاهلي والثاني اسلامي •

ان الاخذ بهذه الامور في النظر الى الشعر الذي استشهد به على تضاد الالفاظ من شأنه ان يكسب البحث دقة وتحديدًا ، ويصل به الى نتائج سليمة من الفوضى والمبالغة وتجاهل الحقائق ، ولنحاول دراسة امثلة من الاضداد المستشهد عليها بالشعر في ضوء الملاحظات السابقة •

ولنأخذ مادة (الجَوْن) التي هي بمعنى الاسود والابيض ، فقد جاءوا لكلا المعنيين بشواهد شعرية كثيرة ، بعضها منسوب الى قائله وبعضها الآخر غير منسوب ، ومنها ما أخطأوا في نسبته ، فما كان منها على معنى الاسود قول أبي ذؤيب :

الدَّهْرُ لا يَبْقَى على حَدَثَانِيهِ

جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعٍ (١٦)

(١٦) ابن الانباري ١١٢ وأبو الطيب ١٥١/١ وأبو حاتم ٩١ وديوان الهذليين ٤/١ •

وقول الخنساء :

فَلَنْ أَصَاحِبَ قَوْمًا كُنْتُ حَرْبَهُمْ

حَتَّى يَعُودَ بِيَاضًا جُودَةُ الْقَارِ (١٧)

وقول لبيد :

جَوْنٌ دَجُوجِيٌّ وَخِرْقٌ مَعْسِفٌ

يَرْمِي بِهَا الْبَيْدَاءَ وَهُمْ مُسْدِفٌ (١٨)

وقول عمرو بن معد يكرب :

تَقُولُ خَلِيلَتِي لَمَّا رَأَتْهُ

سَرَّاحَ بَيْنَ مُبَيَّضٍ وَجَوْنٍ (١٩)

وقول عمرو بن شأس :

وَأَنَّ عِرَارًا أَنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ

فَأَنِّي أَحَبُّ الْجَوْنِ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمَمِ (٢٠)

وقول ابن مقبل :

وَإِطَّأَتْهُ بِالسَّرَى حَتَّى تَرَكَتْ بِهِ

لَيْلَ التِّمَامِ تَرَى أَعْلَامُهُ جُودًا (٢١)

وقول ذي الرمة :

يُعَاوِرُنَهُ فِي كُلِّ قَاعٍ هَبَطْنَهُ

جَهَامَةَ جَوْنٍ يَتَّبِعُ الرِّيحَ سَاطِعٍ (٢٢)

(١٧) ابن الانباري ١١٢ وأبو الطيب ١٥٢/١ وأبو حاتم ٩١ وديوانه
الخنساء ٣٣ .

(١٨) أبو الطيب ١٥٢/١ وديوان لبيد ٣٥١ وفي الاول غير منسوب .

(١٩) أبو الطيب ١٥٣/١ ولسان العرب (جَوْنٌ) وفي الاول غير منسوب .

(٢٠) أبو الطيب ١٥٣/١ .

(٢١) الاصمعي ٢٧ وابن السكيت ١٩٠ وأبو الطيب ١٦٠/١ وديوان ابن

مقبل ٣١٥ وما بعدها ، ورواه ابن الانباري ١١٣ (أسدافه جونا) .

(٢٢) ابن الانباري ١١٣ وديوان ذي الرمة ٣٦٥ .

وما كان منها على معنى الايض قول الهذلي :
جون "بصارة" أقفرت لمراده
وخلا له السوبان فالبرءوم (٢٣)

وقول الراجز :
غير يا بنت الحليس لوني
مر الليلي واختلاف الجون (٢٤)

وقول الخطيم الضبابي :
يُبادرُ الآنارُ أنْ تؤوبها
وحاجبَ الجونة أنْ يغيبا (٢٥)

وقول الفرزدق :
وجونٍ عليه الجص فيه مريضة
تطلع منه النفس والموت حاضر (٢٦)

وقول ربيعة بن مقروم :
ظَلَّ وظلَّتْ حَوْلَهُ صِيْمًا
يُرَاقِبُ الجونة كالأحسول (٢٧)
وقالوا قد يأتي الجون بمعنى الأحمر واستشهدوا لذلك بقول الشاعر :

(٢٣) أبو الطيب ١٥٥/١ وقد أخطأ في نسبته فهو للبيد في ديوانه ١١٨
وما بعدها .

(٢٤) الاصمعي ٣٦ وابن السكيت ١٩٠ وأبو حاتم ٩٢ وابن الانباري ١١٣
وأبو الطيب ١٥٥/١ .

(٢٥) الاصمعي ٣٦ وابن السكيت ١٩٠ وابن الانباري ١١٣ وأبو الطيب ١٥٦/١
وسمط اللآلي ٤١/١ وفي كلها غير منسوب والنسبة من
اللسان ٢٥٦/٦ .

(٢٦) الاصمعي ٣٧ وابن السكيت ١٩٠ وأبو حاتم ٩٢ وابن الانباري ١١٢
وأبو الطيب ١٥٧/١ وديوان الفرزدق ٢٥٨ ولحن العوام للزبيدي
١٤٥ .

(٢٧) ابن الانباري ١١٢ .

تَأْوَى إِلَى دَنْ غَدَقْلٍ قَرَقَارٍ
فِي جَوْنَةٍ كَقَفْدَانِ الْعَطَارِ^(٢٨)

كما يأتي بمعنى الأخضر وشاهده قول جيهاء الاشجعي :

لَجَاءَتْ كَأَنَّ الْقَسْوَرَ الْجَوْنَ بَجَّهَا
عَسَالِيَجَهُ وَالسَّامِرُ الْمُتَسَاوِحُ^(٢٩)

هذه هي مجموعة الشواهد الشعرية التي ذكرت في مادة (الجون)
فإذا عدنا ننظر فيها في ضوء الملاحظات السابقة ، برزت أمامنا جملة أمور ،
أهمها ان اغلب الشواهد التي استعملت فيها لفظة (الجون) بمعنى الاسود
هي شواهد جاهلية فأبو ذؤيب والخنساء وليد وعمرو بن معد يكرب وعمرو
بن شأس وابن مقبل شعراء جاهليون وبعضهم ادرك الاسلام ولكن شطر
حياته الأكبر كان جاهليا ، غير ان ذا الرمة يخرق هذا الاجماع حين عد
مستعملا الجون بمعنى الأسود ، فهو شاعر اسلامي ، ولعلنا نخالف ابن
الانباري الذي فسر الجون في بيته بمعنى الغبار الاسود ، فذو الرمة يصف
حاراً وأُتْنَا ، يقول: «إذا أثار غباراً أثرن مثله» والجَهَامَةُ السَّحَابَةُ^(٣٠) ،
فلا يمكن ان يفسر الجون بالغبار الاسود تشبيها له بالسحاب ، لأنه وصفه
بأنه (ساطع) ولا يوصف الاسود بالساطع وانما الابيض البراق ، وعليه
فتفسير الجون بالابيض في بيت ذي الرمة أولى من تفسيره بالاسود ، وإذا
كان كذلك فنحن نستطيع اخراج ذي الرمة من بين الجاهليين الذين
استعملوا اللفظة بمعنى الاسود ، ونلحقه بالاسلاميين الذين استعمل أغلبهم
الجون بمعنى الأبيض ، وهذا الاستعمال المختلف بين الجاهليين والاسلاميين يوقفنا
على لون من ألوان التطور الذي حصل للفظ الجون على مر الزمن اذ هي

(٢٨) أبو الطيب ١٥٨/١ .

(٢٩) أبو الطيب ١٥٩/١ وابداله ٣٢٤/١ وامالي القالي ١٧٤/٢ .

(٣٠) ابن الانباري ١١٣ - ١١٤ .

لم تكن من الاضداد في وقت واحد •

ومن الغريب أن يكون أبو ذؤيب الهذلي مستعملاً الجون بالمعنيين في شاهدين ، وفي كلا الموضعين يعني به الحمار الوحشي كما تنص على ذلك كتب الاضداد • وقد تنبه محقق أضداد أبي الطيب إلى خطأ نسبة البيت الثاني إلى أبي ذؤيب • وذكر أن صواب نسبته إلى لييد كما هو في ديوانه والجمهرة واللسان ، وحين يزول بذلك الاشكال السابق يبرز اشكال آخر قريب من الاول ومثابه له ، لاننا رأينا لييداً قد استعمل الجون بمعنى الأسود في المجموعة الاولى فكيف يستعمله بمعنى الابيض هذه المرة ؟ ولتفسير ذلك نحتمل عدة احتمالات الاولى : ان لييدا وصف في الأول جملاً أسود وفي الثانية حماراً وحشياً - كما تنص كتب الاضداد - فلا مانع من اختلافهما في اللون ، والثانية : انه يمكن تفسير المعنى الثاني بالاسود ، فلا دليل يقطع بأنه أراد الأبيض خصوصاً واننا نرى أن العرف جرى على اعتبار الحمار الوحشي أسود اللون ، والثالثة : انه قد يؤدي اختلاف البيئة إلى اختلاف اطلاق اللفظة ، فحين أطلق أبو ذؤيب الجون في قوله (جَوْنُ السَّراة) على الحمار الوحشي الاسود ، كان لييد يريد به الحمار الوحشي الابيض ، لان الاول من هذيل والثاني من عامر^(٣١) • فاذا امكن بعد هذا اخراج لييد من بين الاسلاميين الذين استعملوا الجون بمعنى الابيض يكون اعتبار اللفظة مختصة بالسواد في الجاهلية وبالبيض في الاسلام •

ويمكن ان يعمم اختلاف البيئة اللغوية هذا على جميع شعراء الشواهد المارة اذ يكون من الجائز ان اللفظة تغير انصرافها للمعنى تبعاً لتغير القائل ، فأبو ذؤيب هذلي والخنساء من سُلَيْمٍ وعَمْرُو بن معد يكرب من اليمن ولييد من عامر ، وهكذا ، وربما يكشف لنا تقصي هذه الناحية حقائق

(٣١) انظر : شرح المغلقات السبع للزوزني ١٩٨ والشعر والشعراء لابن

قتيبة ١٩٤/١ ، ٥٤٧/٢ والادب العربي ٩٥ •

أخرى ، ذلك ان ذا الرمة الذى فسر استعماله للجون بالاسود هو من بني عديّ بن عبد مناة الذين كانوا ينزلون بادية اليمامة قرب تميم (٣٢) ، فيسّته اللغوية تسمية ، وهذا يقوى ما ذهبنا اليه من انه استعمال الجون بمعنى الابيض لا الاسود ، وذلك حملا على استعمال الفرزدق لهذا المعنى ، وهو معاصر له في الزمن ومشابه له في البيئة اللغوية ، حيث يكون في استطاعتنا ان نقرر أن تميما استعملت الجون بمعنى الابيض في هذه الفترة من تاريخها اللغوى ، وذلك على ألسنة جميع بطونها وأفخاذها ، بعد ان استعملته في الفترة السابقة بالمعنى المضاد وهو الاسود . ويجدر بنا ان نذكر ان تميما ومعها هذيل وطيء ، كانت اشهر القبائل العربية في رواية لهجاتها ، والى هذه القبائل نسبت الفصاحة واجادة القول ، وعنها أخذ في تدوين اللغة ، وقد مرّ في دراسة اللهجات شيء يؤيد هذا الا ان الملاحظ ان هذه القبائل الثلاث كانت أقل القبائل العربية نصيبا من الشعراء الجاهليين ، فلم يسعف الحظ واحدة منها ان يكون لها شاعر من الطبقة الاولى ، وانما كان شعراؤها مقلّين في الغالب ، لم يرو عنهم كثير من الشعر الجاهلي (٣٣) ، وربما كان أشهر شعراء تميم في الجاهلية علقمة الفحل ، واشهر شعراء هذيل ابسو ذؤيب واشهر شعراء طي الطرماح بن حكيم .

وشيء آخر تجدر ملاحظته هو الاضطراب الذى أشرنا اليه ، فلو كان الشاعر متحدّا مسترسلا فربما لم يقل : (مرّ اللّيلي واختلاف الجون) ولقال : واختلاف النهار ، ولكن القافية النونية أجبرته على أن يأتي بما يشير الى المعنى الذى يريده ولو كان بعيدا بعض الشيء ، اذ لا يصدق على كل نهار أن يكون أبيض ، والتقابل الذى يقصد اليه في مثل

(٣٢) انظر : الشعر والشعراء ٤٣٧/٢ والتطور والتجديد في الشعر الاموي ٢٤٣ .

(٣٣) انظر : في اللهجات العربية ١٥٢ .

هذه الصياغة يقتضي أن يكون النهار لا البياض ، لذكره الليالي قبل الجون .
ومثلها قول الشاعر (وحاجِبَ الجَوْنَةِ أَنْ يَغِيَا) ، فقيد التفعيلة هو
الذي دعاه الى ذكر الجونة كناية عن الشمس ، اذ لا يتأتى له أن يقول
(وحاجِبَ الشَّمْسِ) فجاء بما يشير الى نور الشمس وبريقه وان لم يكن
المقصود هو البياض المحض . لان (النَّهَار) و (الشَّمْس) واشباههما
هي معان اخرى تنصرف اليها لفظة الجون غير السواد والبياض ، فقد يضطر
الشاعر احيانا الى الكناية عن المعنى بما هو قريب منه ومشير اليه عندما لا
يستطيع أن يأتي باللفظة الاصلية ، فتحمل هذه الكنايات او المعاني القريبة
على المعنى الاصيل حملا غير أصيل .

ومثال مادة (الجَوْن) مواد اخرى كثيرة ، تهدي دراسة شواهدا
الشعرية التي ذكرتها كتب الاضداد الى اكتشاف حقائق مهمة في سبيل
الاستعمال وتاريخه وبثته اللغوية . فمثلا نجد كتب الاضداد تستشهد عادة
في مادة (الجَلَل) التي هي بمعنى العظيم والحقير ، بيت لبيد على معنى
الحقير :

كلُّ شَيْءٍ ما خلا المَوْتَ جَلَلٌ
والفتى يَسْمَعُ وَيُلْهِمُهُ الأَمَلُ^(٣٤)

وقول امرئ القيس على المعنى نفسه :

لِقَتْلِ بَنِي أُسْدٍ رَبَّهُمْ
ألا كلَّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلُ^(٣٥)

وبقول الحارث بن وعلة على معنى العظيم :

(٣٤) الاصمعي ٩ وابن السكيت ١٦٧ وابن الانباري ٢ وأبو الطيب

١٥٠/١ ويوان لبيد ١٩٩ .

(٣٥) ابن الانباري ٩٠ وديوان امرئ القيس ٢٦١ ومفني اللبيب ١/١٢٠ .

فَلْتَنِ عَفَوْتُ 'لَأَعْفُونَ' جَلَلًا

وَلْتَنِ سَطَوْتُ 'لَأُوهِنَنَّ' عَظْمِي (٣٦)

وعلق ابن الأنباري على البيت الأخير بقوله : « فدل الكلام على أنه أراد : فلتن عَفَوْتُ 'لَأَعْفُونَ عَفُوا عَظِيمًا ، لأن الانسان لا يفخر بصفحة عن ذنب حقير يسير » (٣٧) • ولكن أحد الباحثين ذهب الى أننا : « حين تأمل الظرف الذي قيل فيه هذان البيتان وما اكتنف قولهما من ملاسات ، نرى أن الشاعر يريد أن يعتبر العفو عن قتل أخيه أمرا بسيطا اذا قيس بما سترتب على وقوع الشحنة بين قومه ، من حرب أهلية توهنهم جميعا وتذهب بقوتهم » (٣٨) • وهو تفسير صحيح تؤيده فكرة القصيدة كاملة ، ويدعمه استقراء الشواهد الشعرية الاخرى التي ذكرت في هذه المادة حيث توقفنا هذه الشواهد على الحقيقة السالفة عنها من ان شواهد معنى (الحقير) اغلبيتها جاهلي بعكس شواهد معنى (العظيم) التي كان معظمها اسلامي • وفي مادة (عَسَّعَسَ) التي هي أقبل وأدبر ، نسبوا معنى الاقبال الى قول امرئ القيس :

عَسَّعَسَ حَتَّى لَوْ يَشَاءُ ادَّانِي

كَانَ لَهُ مِنْ نَارِهِ مَقْبِسٌ (٣٩)

ومعنى الادبار الى قول علقمة بن قرط التيمي :

حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ لَهَا تَنَفَّسًا

وَأَنْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَّعَسَا (٤٠)

(٣٦) الاصمعي ١٠ وابن السكيت ١٦٨ وأبو حاتم ٨٤ وابن الأنباري ٩٠

وأبو الطيب ١٤٦/١ ومغني اللبيب ١٢٠/١ •

(٣٧) ابن الأنباري ٣ •

(٣٨) ابراهيم أنيس : في اللهجات العربية ٢٠٧ •

(٣٩) ابن الأنباري ٣٣ •

(٤٠) الاصمعي ٨ وابن السكيت ١٦٧ وابن الأنباري ٣٣ وأبو الطيب

• ٤٩١/٢

ولكن ابن الانباري علق على البيت الاول بقوله : « قال الفراء : وكانوا يرون ان هذا البيت مصنوع » (٤١) ، وكنا قد أشرنا في ملاحظتنا الى ان قسما من الشواهد دخلها الوضع والكذب ، وعليه يكون المعنى (أدبَر) لا غير ، وهو المعنى الذي تؤيده الشواهد الشعرية الاخرى ، ويدعمه الاستعمال القرآني لهذه اللفظة (٤٢) .

وفي (النِدَّ) التي ذكروا انها بمعنى المثل والخذ ، لا يؤيد الشعر ان تكون من الاضداد ، اذ لم يستعملها لبيد الا بمعنى المثل :

أحمدُ اللهَ فلا نَدَّ له
يَدِيهِ الخَيْرَ ما شاءَ فَعَلَّ (٤٣)

وبهذا المعنى ايضا استعملها حسان بن ثابت في قوله :

أَتَهَجَّوْهُ وَلَسْتُ لَهُ بِنِدٍّ
فشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ (٤٤)

وكذلك هي في سائر ما أورده كتب الاضداد من شعر ، ولعل ضديتها متأية كما رجحنا في موضع سابق من هذه الرسالة ، من تفسيرهم لقوله تعالى (وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً) اذ يحتمل أن يكون المعنى اضدادا . ومع ذلك فأقوى المعنيين في الآية الامثال لا الاضداد (٤٥) .

أما (المُعَبَّد) فقالوا انها بمعنى المذل والمكرم ، واغلب شواهدهم

(٤١) ابن الانباري ٣٣ .

(٤٢) انظر : في اللهجات العربية ٢٠٤ .

(٤٣) أبو حاتم ٧٣ وابن الانباري ٢٤ وأبو الطيب ٦٥١/٢ وديوان لبيد ١٧٤ .

(٤٤) أبو حاتم ٧٤ وابن الانباري ٢٤ وأبو الطيب ٦٥٣/٢ وديوان حسان ٨ وما جاء على وزن أفعل من الامثال ق ١٦٦ ومشكل اعراب القرآن ٣٩٥ .

(٤٥) انظر : اللهجات العربية ٢٠٥ .

الشعرية هي للمعنى الاول مثل قول طرفة :

الى أن تحامتن العشيرة كلها

وأقردت أفراد البعير المعبد (٤٦)

الا انهم دخروا للمعنى الثاني شاهدا واحدا لم يذكروا غيره ، وهو قول حاتم الطائي :

تقول ألا أمسيك عليك فاتني

أرى المال عند الباخلين معبدا (٤٧)

والنظر في هذا البيت يهدي الى الاعتقاد بأن تصحيفا طرا عليه ، ذلك ان (الباخلين) لابد انها كانت (الباذلين) ، وما أقرب الرسمين من بعضهما ، فبمجرد أن يلتصق أحد رأسي الذال في اللام تكون خاء ، وفكرة البيت فوق هذا تقتضي ان تكون اللفظة كذلك ، فزوج الشاعر تلومه على اسرافه وترى مستنكرة ان المال عنده وعند الباذلين من أمثاله مدلل لا قيمة له • وعلى ذلك يكون المعنى واحدا في جميع الشواهد •

وذهبوا الى ان (الخنذيد) من الاضداد ، يعني الفحل والخصي

من الخيل ولم تسعفهم الشواهد الشعرية بذلك ، لان النابغة قال :

وبراذين كايات و أننا

وخناذيد خصية وفحول (٤٨)

فيين ان الخنذيد يعني الفائق الجيد سواء كان فحلا أم خصيا ، والى

(٤٦) ابن الانباري ٣٥ وشرح المعلقات السبع للزوزني ١٥٦ واشتقاق

ابن دريد ١٠ ولسان العرب ٢٧٤/٣ •

(٤٧) ابن السكيت ٢٠٩ وابن الانباري ٣٥ وأبو الطيب ٤٩٥/٢ وديوان

حاتم ١٠٩ واشتقاق ابن دريد ١٠ ولسان العرب ٢٧٤/٣ •

(٤٨) أبو حاتم ٨٧ وابن الانباري ٥٩ وأبو الطيب ٢٣٣/١ وديوان النابغة

ذلك ذهب أبو حاتم في رده على أبي عبيدة الذي زعم ضدية (الخنذيد)
مستشهدا بهذا البيت ، بل جعل أبو حاتم الخنذيد هو الفائق من كل شيء
يقال : خطيب خنذيد وشاعر خنذيد^(٤٩) ، واستشهد بقول بشر بن
أبي خازم :

وخنذيد ترى الفُرمولَ مِنْه
كَطَيِّ الزَّقِّ عُلَّقَهُ التَّجَارُ^(٥٠)
ويؤيد ما ذهب إليه أبو حاتم من أن الخنذيد هو الفائق من كل شيء
حتى من الانسان قول النابغة :

يصدُّ الفارسُ الخنذيدُ عَنِّي
صدودَ البكرِ عن قَصرِ هِجَانَ^(٥١)
الا انه يظهر ان الخنذيد من الخيل كان اكثر ما يعني الخصي ، كما
ذهب ثعلب الى تفسير الخنازيد بالخصيان من الخيل دون غيرها^(٥٢) ، يقابل
ذلك ان الخنذيد من الناس شاعرا كان او خطيبا كان يرتبط معناه بالفحل
وهي صفة اطلقت على الفائق من الشعراء والخطباء ، وربما كان هذا
الانصراف غير المتكافيء الى الخصي من الخيل والفحل من الرجال هو الذي
اوهم التضاد .

نخلص من استعراض هذه الامثلة المختلفة من الاضداد ومن دراسة
شواهدا الشعرية ، الى ان هذه الشواهد لم تستعمل هذه الالفاظ اعدادا
وانما استعملتها منصرفة الى معنى واحد في وقت واحد وفي بيئة لغوية واحدة ،
وقد اشارت هذه الشواهد الى حقيقة التطور الذي يصيب اللفظة في البيئة

-
- (٤٩) أبو حاتم ٨٧ وانظر : أثر القرآن في تطور النقد العربي ١٦٤ .
(٥٠) ابن الانباري ٥٩ وأبو الطيب ٢٣٣/١ وديوان بشر ٦١ .
(٥١) ابن الانباري ٥٩ وأبو الطيب ٢٣٤/١ وديوان النابغة ١٠٩ .
(٥٢) مجالس ثعلب ٤٣٤/٢ .

الواحدة فهي تعني في الجاهلية غير ما تعنيه بعد الاسلام . كما أشارت هذه الشواهد الى تغير المعنى بتغير البيئة التي ينتمي اليها الشاعر ، والى دور الوضع والاتصال في خلق معان جديدة ، كما اقنعنا هذه الشواهد بضرورة فهم الفكرة التي يرمي اليها الشاعر فهما كاملا يستدعي الرجوع الى القصيدة او المقطوعة تامة غير منقوصة ، لان بتر البيت قد يعكس جانبا غير الجانب الذي يريده الشاعر ، وهكذا تكون دراسة الشواهد الشعرية مفتاحا لكثير من الحقائق العلمية ، ومصباحا ينير لنا درب التطور التاريخي الذي مرت به هذه اللغة بعيدا عن الزعم والمبالغة والتعسف .

القرآن

لو استعرضنا مواد الاضداد التي جاء بها الاقدمون لوجدنا ان قسما كبيرا منها هو مما استعمل في القرآن ، اذ يصح ان نسميه - في مقابل الالفاظ الشعرية - الفاظا قرآنية ، وعلى ان الاستشهاد بالشعر عند هؤلاء الاضداديين اقترن باستشهادهم بالآيات القرآنية على تضاد الالفاظ ، الا اننا نستطيع فصل دراسة نوعي الشواهد لاختلاف طبيعة كل منها عن الآخر من حيث الاستعمال ونظر العلماء فيه ، وقد قدمنا ان في الشعر قيذا واضطرابا لا يتوفران في القرآن وهو كلام مرسل ، كما أشرنا الى إمكان دخول التصحيف في الشعر ، وتغير المناسبة من شاهد الى شاهد وما الى ذلك مما لم يكن في القرآن . ذلك ان العلماء حين شغلوا بدراسة اسلوب القرآن اعترضتهم الفاظ قد يفهم من تكرارها في مناسبات مختلفة في الكتاب المقدس انها متضادة او ما يشبه المتضادة ، وذلك بالقياس الى الشاهد الشعري الذي لم يراعوا فيه الاحتمالات المختلفة التي اشرنا اليها ، فوقعوا من جراء ذلك في اوهام كثيرة .

فينبغي ان ينظر الى الشواهد القرآنية في ضوء الملاحظات التالية :-

١ - ان هناك قراءات قرآنية معتبرة ، اشهرها القراءات السبع المعروفة ،

فاختلاف قراءتين في لفظة لا يجعل منها ضدا ، لأنها ليست كذلك في كل قراءة على حدة •

٣ - إذا كانت هذه القراءات لا تمثل اختلاف اللهجات تمثيلا كاملا ، فلا يجب ان ينفصل دور هذا الاختلاف في قراءة القرآن ومعاني ألفاظه ، وقد مرت الاشارة الى ان القرآن حوى كثيرا من لغات القبائل •

٣ - ان يقاس استعمال القرآن للفظه من الالفاظ على استعماله الاخرى للفظه نفسها في مواضع اخرى منه ، لا على الاستعمال الشعري ، لان اسلوب القرآن اسلوب خاص متميز ، وبعض صياغاته غير مألوف •

٤ - ان مفسري القرآن اختلفوا - بدافع من عقيدتهم الدينية الخاصة او بدوافع تفسيرية محضة - في تفسير معاني الآيات والالفاظ الواردة فيها ، فلا ينبغي ان يستفاد من هذا الخلاف الذي يكون من نتائجه احيانا ان يبدو في الآية او اللفظة لون من فكرة التضاد ، لا ينبغي ان يستفاد من ذلك تضادا حقيقيا •

٥ - ان سياق الآية وتركيب العبارة وفهم الفكرة التي يرمي اليها الكلام يحدد تحديدا اكد المعنى الخاص الذي تنصرف اليه اللفظة والذي لا يمكن ان تنصرف الى غيره في هذا الموضع ، بعيدا عن روح المجاملة غير المجدية التي تقسر اللفظة على أن تعني غير ما سيقت له ، لان هذا المعنى المقترض اولى بالقرآن ان يقصد اليه •

وعلى هدى هذه الملاحظات يجب ان ينظر الى الشواهد القرآنية التي ادعي انها ضمت اضدادا تشبه تلك التي ضمتها الشواهد الشعرية ، ولنحاول الاستفادة من هذه الملاحظات في دراسة امثلة من شواهد الاضداد القرآنية • ولنأخذ مادة (بَيِّن) التي قالوا انها تعني الفراق وتعني الوصل ، فأما الاول فهو المعروف الشائع من بان يبين بينا ، واما الثاني فمن الآية : (لَقَدْ

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ^(٥٣) في قراءة من قرأ بضم النون ، اذ لا يمكن ان يكون
 المعنى تقطع فراقكم ، فلا بد ان يكون المعنى وصلكم^(٥٤) . وهذه هي قراءة
 حمزة ومجاهد وآخرين^(٥٥) ، وهي اضعف القراءتين ، حيث قرأ الكسائي
 وحفص بالنصب^(٥٦) ، وقرأ عبدالله (لقد تَقَطَّعَ ما بَيْنَكُمْ) ، والنصب
 هو المشهور والاكثر في قراءة هذه الآية ، وقد علق الفراء على قراءة عبدالله
 بقوله : « وهو وجه الكلام »^(٥٧) . وعليه فلا تحتمل اللفظة تضادا من أي
 نوع ، ذلك ان قراءة (بَيْنَ) بالرفع - على ضعفها - اخرجت اللفظة من
 الظرفية الى الاسمية ، وقياس احدهما على الاخرى غير وارد لاختلاف
 اللفظتين ، فليس في (بَيْنَ) اسماً الا معنى الفراق ، وظرفاً الا معنى
 الظرفية المعروف .

وكذلك الفعل (آخَفَى) قالوا انه يعني اظهر ويعني ستر ، وذلك
 لاختلافهم في قراءة قوله تعالى (أَكَادُ أَخْفِيهَا)^(٥٨) فقد قرأ الحسن
 وسعيد بن جبر وابو الدرداء بفتح الهمزة^(٥٩) ، وقرأ أُبَيّ وسائر
 القراء بالضم^(٦٠) ، فالفتح من (خَفَى) بمعنى أَظْهَرَ ، والضم من
 (آخَفَى) بمعنى ستر على السلب أي أزال الاظهار^(٦١) . والظاهر ان
 الذي قرأ بالفتح افترض ان يكون المعنى الاظهار لان ما قبل هذه العبارة في

-
- (٥٣) الانعام ٩٤ .
 (٥٤) مجالس ثعلب ١/٢٦٣ .
 (٥٥) معاني القرآن ١/٣٤٥ ومجمع البيان ٣/٣٣٦ والنشر في القراءات
 العشر ٢/٢٦٠ .
 (٥٦) مجمع البيان ٣/٣٣٦ والنشر ٢/٢٦٠ .
 (٥٧) معاني القرآن ١/٣٤٥ .
 (٥٨) طه ١٥ .
 (٥٩) معاني القرآن ٢/١٧٦ ومختصر في شواذ القرآن ٨٧ ومجمع البيان ٧/٣٠٣ .
 (٦٠) معاني القرآن ٢/١٧٦ ومختصر في شواذ القرآن ٨٧ .
 (٦١) مجمع البيان ٧/٤ .

الآية (انَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) فلا بد ان يكون اراد اظهارها لانها آتية ، ولكن سياق العبارة بعد ذلك يوضح ان القصد هو الاخفاء ذلك ان تمام الآية (انَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) فلا يمكن ان يكون المعنى أكاد اظهارها لان الجزاء لا يتم الا بعد الاظهار ، ولو اراد الاظهار لم يقل أكاد ، فاستعماله للفعل أكاد يشعر انه اراد ان الساعة آتية وهي قريبة من الظهور ولكني أكاد اخفيها واسترها ، يقوى هذا المعنى استعماله الفعل (تَسْعَى) ، فلو كان معناها أكاد اظهارها لكان المعنى يتطلب ان يكون تمام الآية (لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَتْ) ولكنه استعمل صيغة الحاضر ، ليفسر سبب اخفائها الآن ، لان النفس ما تزال تسعى •

أما الفعل (أَسَرَ) فقد قالوا انه يعني كتم واعلن ، وهو على هذين المعنيين في قوله تعالى : (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) (٦٢) ، غير ان استقراء هذا الفعل في القرآن يهدي الى انه مستعمل في جميع مواضعه بمعنى الكتمان ، مثل : (فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ) (٦٣) و (سواء منكم من أَسَرَ القولَ ومن جَهَرَ به) (٦٤) و (ثُمَّ أَنِّي أَعلَنْتُ لَهُم وَأَسَرَّرْتُ لَهُمُ اسْرَارًا) (٦٥) و (ويعلم السِّرَّ) (٦٦) و (الله يعلم ما تُسِرُّونَ وما تُعْلِنُونَ) (٦٧) و (أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) (٦٨) ، وفي كلها لا يعني الفعل الا الاخفاء ، وهو المعنى الذي ذهب

(٦٢) يونس ٥٤ •

(٦٣) يوسف ٧٧ •

(٦٤) الرعد ١٠ •

(٦٥) نوح ٩ •

(٦٦) طه ٧ •

(٦٧) النحل ١٩ •

(٦٨) الانبياء ٣ •

إليه الفراء في تفسير الآية المختلف فيها^(٦٩) ، ومثله الطبري^(٧٠) . أما الذين قالوا بضدية الفعل من المفسرين كأبي عبيدة والجبائي^(٧١) والزمخشري^(٧٢) والفخر الرازي^(٧٣) ، فإنهم افادوا معنى الاظهار من اعتبار خارجي لا يمت للفعل بصلة وانما يتعلق بمفهوم الآية ، فالفخر الرازي مثلاً يشير بقوله : « انما أخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ الرياسة ، وفي القيامة بطل هذا الفرض فوجب الاظهار »^(٧٤) . يشير بذلك الى ان اعلان الندامة من قبل الكفار انما كان فلان ظروفهم التي تغيرت من الدنيا الى القيامة تفرض ذلك ، ويبقى الفعل في القرآن محتفظاً بمعناه الاول وهو الاخفاء ، الا ان الطبرسي ينقل لنا في تفسيره عن الازهري انه قال : « وهذا غلط لان ما يكون بمعنى الاظهار يكون بالشين المنقطة من فوق »^(٧٥) . وهذا قد يشير الى أن في المسألة ابداً لا عرض للفعل (أشَرَ) الذي لا يعني الا الاظهار ، فجاء بالسين وتوهم الاضداديون فيه معنى من معاني الضدية .

وذهب القدماء الى ضدية الفعل (قَسَطَ) وانه يعني في القرآن عدل وجار . واستقرأ هذا الفعل في القرآن يهدي الى انه في جميع الآيات وعددها قريب من ثلاثين آية يعني العدل ، سواء ما كان الفعل مستعملاً فيها ، او ما كانت صيغه الاخرى المزيدة ومشتقاته ومصادره هي المستعملة ، الا آية واحدة استعمل فيها اسم الفاعل من هذا الفعل وهو يعني الجور وذلك قوله :

-
- (٦٩) معاني القرآن ٤٦٩/١
 - (٧٠) تفسير الطبري ٨٦/١١
 - (٧١) مجمع البيان ١١٦/٥
 - (٧٢) الكشف ٥٣٢/٢
 - (٧٣) تفسير الفخر الرازي ٣/٥
 - (٧٤) تفسير الفخر الرازي ٣/٥
 - (٧٥) مجمع البيان ١١٦/٥

(وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشْدًا ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) (٧٦) ، ولا نستطيع ان نفرق بين المعنيين المتضادين بأن تنسب للثلاثي معنى وللرباعي المعنى الآخر ، لان استعمال القرآن اخضع الثلاثي والرباعي لمعنى العدل • وقد ذهب احد الباحثين الى تفسير ذلك بأنه : « ليس الا تأدبا في الخطاب أمام الله ، وتحاشيا لذكر كلمة الظلم امامه سبحانه وتعالى » (٧٧) ، وهذا التفسير لا يدعمه اسلوب القرآن العام اذ هو غير مطرد في آياته الكريمات • وعندى انه لغة قوم احتضنها القرآن فيما احتضن من اللغات ، كانت تذهب الى معنى الجور في الثلاثي ومشتقاته ، ولعدم شيوعها كان اثرها ضئيلا في الاستعمال •

وعد الاضداديون (الرجاء) من الاضداد وانه يعني ايضا الخوف ، وذلك اعتمادا على شواهد من القرآن ، كقوله تعالى : (لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) (٧٨) و (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (٧٩) و (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) (٨٠) ، وفي كلها المعنى يخافون ، ولكن ذلك ليس مطردا في الاستعمال ، اذ هو مقيد بالنفي وهو لغة ، يقول الفراء في تفسير هذه الآيات : « وهي لغة تهامية : يضعون الرجاء في موضع الخوف اذا كان معه جحد » (٨١) • وقال ايضا في تفسير قوله : (وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) (٨٢) : « قال بعض المفسرين : معنى تَرْجُونَ : تخافون • ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء الا ومعه جحد • •

(٧٦) الجن ١٤ - ١٥ •

(٧٧) ابراهيم أنيس : في اللهجات العربية ٢٠٦ - ٢٠٧ •

(٧٨) الفرقان ٢١ •

(٧٩) نوح ١٣ •

(٨٠) الجاثية ١٤ •

(٨١) معاني القرآن ٢/ ٢٦٥ •

(٨٢) النساء ١٠٤ •

ولا يجوز : رَجَوْتُكَ وانت تريد : خِفْتُكَ (٨٣) • وعليه فان استعمال الفعل في القرآن بمعنى الخوف ما هو الا تأثر بلهجة عربية ، وهو مقيس بالبحر فقط ، فلا يمكن ان يعمم هذا المعنى فيه على جميع لغات العربية وفي الالباب ايضا •

الا أنهم فسروا الفعل نفسه في مواطن اخرى من القرآن تفسيرات اخرى ، ففي قوله تعالى : (وَاذَرُ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ) (٨٤) المعنى : يعلمون (٨٥) • وفي قوله : (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ) (٨٦) المعنى أيضا : تعلمون وهو كالظن (٨٧) وفي قوله : (الْآ أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) (٨٨) المعنى : أن يظنّا ، والآية في قراءة أبي (الْآ أَنْ يَظُنَّا ••) (٨٩) وفي قوله : (فَانْ خِفْتُمْ الْآ تَعْدِلُوا) (٩٠) المعنى : أَيْقَنْتُمْ (٩١) • والحقيقة ان هذه المعاني المذكورة للفعل هي معان مقترضة فيه من قبل المفسرين المسلمين ، وليست مما ينصرف اليها الفعل انصرافا حقيقيا ، وكنا قد أشرنا في ملاحظتنا في الشواهد القرآنية الى هذه المسألة وقلنا ان كثيرا من المعاني الصقت بألفاظ القرآن على هذه الطريقة من الافتراض ، وذلك حين يحس الدارس ان هذا المعنى هو أولى باللفظة من المعنى الشائع المعروف ، فاذا ثبت هذا المعنى المقترض للفظ وشاعت فيه صارت بعدئذ من الالفاظ التي تنصرف انصرافين متضادين •

(٨٣) معاني القرآن ٢٨٦/١ •

(٨٤) الانعام ٥١ •

(٨٥) معاني القرآن ٣٣٦/١ •

(٨٦) النساء ٣٤ •

(٨٧) معاني القرآن ٢٦٥/١ •

(٨٨) البقرة ٢٢٩ •

(٨٩) معاني القرآن ١٤٦/١ •

(٩٠) النساء ٣ •

(٩١) مجاز القرآن لابي عبيدة ١١٦/١ •

والنظر الى هذه الآيات يهـدى الى الاعتقاد بمجـيء الفعل بمعناه الاصيل ، اذ لا ضرورة معنوية تدفع الى افتراض غيره •

ومثل الرجاء (الظن) الذي ذهب الاضداديون الى القول بضديته في مواضع عديدة من القرآن ، كقوله تعالى : (فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا) (٩٢) أي علموا (٩٣) ، وقوله : (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) (٩٤) أي علم (٩٥) ، وقوله : (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ) (٩٦) أي يَسْتَقِنُونَ (٩٧) • وهم حين ينسبون للظن معنى اليقين فليثبتوا ان ضدية الفعل جاءت من تضاد الشك واليقين ، والواقع لا يؤيد ما يذهبون اليه ، لان هذه الآيات لا تثبت الضدية للفعل ، وان الذى أوهمهم بمعنى التضاد شيء يتصل بفكرة الآية لا بالفعل نفسه ، لان ابن الانباري مثلاً يطل معنى اليقين في الآية الثالثة بأنه لم يذهب وهم عاقل الى ان الله عز وجل يمدح قوما بالشك في لقاءه ، فلولا هذا الافتراض التعبدى لم يكن للفعل معنى اليقين ، ولولا الايمان بحقيقة لقاء المؤمنين بربهم لم يكن للظن هذه الدلالة • والدليل على ان التضاد مستفاد من فكرة الآية لا من الفعل ان الطبرسي في تفسيره جعل لمعنى الفعل ثلاثة أوجه ، أحدها انه بمعنى يستيقنون ، والثاني انه بمعنى يحدثون نفوسهم ، والثالث انه بمعنى يظنون أنهم ملاقوا الله بالقتل (٩٨) • فتقليب الفعل على جميع الواجه المحتملة في المعنى المراد في الآية ، ليس الا محاولة للوصول الى اقرب الافكار التي ترمي اليها الآية ، ولعل المعنى الاخير الذى ذكره

(٩٢) الكهف ٥٣ •

(٩٣) معاني القرآن ١٤٧/٢ •

(٩٤) ص ٢٤ •

(٩٥) معاني القرآن ٤٠٤/٢ •

(٩٦) البقرة ٢٤٩ •

(٩٧) ابن الانباري ٣ •

(٩٨) مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٥٥/٢ •

الطبرسي هو المتفق مع المعنى الاصيل للفعل وهو أولى التفسيرات بالاخذ ، لان الآية تبحث فكرة الجهاد في سبيل الله ، وفيها بعد قوله ملاقو الله : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) ، فالمجاهدون يظنون انهم مقتولون في هذه الساعة ، والله يشجعهم ويثبت فيهم العزم ويصبرهم على الجهاد ، فمعنى (ظَنَّ) هو هو لم يتغير .

أضف الى ذلك ان القدماء استفادوا من الفعل (ظَنَّ) في القرآن معاني أخر لا صلة لها بالمعنيين المتضادين ، فهم حين عرضوا لقوله تعالى حاكياً عن يونس : (وَذَا النَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) (٩٩) لم يستطيعوا ان ينسبوا للفعل معنى الشك ولا معنى اليقين ، قال ابن الانباري : (أراد : رجا ذلك وطمع فيه ، ولا يقول مسلم ان يونس يتقن ان الله لا يقدر عليه) (١٠٠) ، فابن الانباري يحاول أن يجد مخرجاً للفعل (ظَنَّ) ينسجم مع الايمان بنبوة يونس وعدم شكه بقدرة الله ، في حين نجد الطبرسي يقر بمعنى الشك في (ظَنَّ) ولكنه يبحث عن المخرج في غيره من الآية اذ يقول : « فظن أن لن نقدر عليه : أي لن نضيق عليه عن عطاء وجماعة من المفسرين ، وقيل : ظن أن لن نقضي عليه ما قضيناه ، والقدر بمعنى القضاء عن مجاهد وقتادة والكلبي والجبائي ، قال الجبائي : ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه الى ركوب البحر ثم قذف فيه فابتلغته السمكة » (١) . فالتوجيه عند الطبرسي انصب على (لن نقدر عليه) ولم يشمل (ظن) ، لانه كما يظهر غير قائل بتغير معنى الفعل في هذه الآية ، ومهما يكن من أمر فان جميع المعاني التي الصقت بالفعل مستفادة من خارج مادته الاصلية ، اذ هي تدور مع فكرة النص وتغير مفهومه لدى المفسرين والعلماء .

(٩٩) الانبياء ٨٧ .

(١٠٠) ابن الانباري ٣ .

(١) مجمع البيان ٦٠/٧ .

وكذلك (وراء) التي قالوا انها تأتي بمعنى خلف وأمام ، اما الاول فهو المعروف ، واما الثاني ففي قوله : (مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ)^(٢) أي قدامه وامامه^(٣) ، وقوله : (وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا)^(٤) أي قدامهم^(٥) ، وقوله : (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ)^(٦) أي امامهم ملك^(٧) . ومع ذلك فقد اختلفوا في بعضها ، فلم يقل الفراء في الآية الاولى انها بمعنى أمام ، وانما قال : « مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ : أي بين يديه »^(٨) ، وهذا المعنى عند الفراء غير مطرد في (وراء) وانما هو مشروط في المواقيت ، اذ يقول : « ولا يجوز أن تقول لرجل وراءك : هو بين يديك ، ولا لرجل بين يديك : هو وراءك ، انما يجوز ذلك في المواقيت من الايام والليالي والدر ، ان تقول : وراءك برد شديد وبين يديك برد شديد ، لانك انت وراءه ، فجاز لانه شيء يأتي ، فكأنه اذا لحقك صار من ورائك ، وكأنك اذا بلغته صار بين يديك . فلذلك جاز الوجهان »^(٩) ولعل هذا الخلاف في تحديد معنى (وراء) في الآيات الكريمات يؤيد ما ذهبنا اليه سابقاً من أن اللفظة تعني في الاساس (المواراة والاستتار) وهو معنى يصدق على الخلف والأمام وغيرهما مما كان متوارياً ومستوراً ، ونقلنا عن الآمدي أنه شرط ذلك في الاشياء التي لا يقع عليها النظر دون غيرها ، والا فوراء بمعنى خلف لا غير ، ونفي الزجاج على هذا الاساس ضدية (وراء) وقال : « وراء : يكون

(٢) ابراهيم ١٦ .

(٣) مجاز أبي عبيدة ٣٣٧/١ .

(٤) الانسان ٢٧ .

(٥) مجاز أبي عبيدة ٢٨٠/٢ .

(٦) الكهف ٧٩ .

(٧) معاني القرآن ١٥٧/٢ .

(٨) معاني القرآن ١٥٧/٢ .

(٩) معاني القرآن ١٥٧/٢ .

لخلف ولقدام ، ومعناها ما توارى عنك أي ما استتر عنك • قال : وليس من الأضداد كما زعم بعض أهل اللغة » (١٠) ولو رجعنا الى الآيات التي قيل ان (وراء) فيها تعني (امام) أو (بين يديه) لوجدنا ان الاشياء التي تشير اليها هي مما لا يعاين ولا يقع عليها البصر ، فلاستعمال القرآني جارٍ على المعاني الاصلية للفظه ، والا فلماذا لم يقولوا ان في قوله تعالى : (فَبَشِّرْناها بِاسْحاقَ وَمِنْ وَّرَاءِ اسْحاقَ يَعْقُوبَ) (١١) ، وقوله : (واذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَّرَاءِ حِجابٍ) (١٢) وقوله : (انَ الذين ينادونكَ مِنْ وَّرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (١٣) ، وغير ذلك كثير من آيات القرآن ، لماذا لم يقولوا ان وراء فيها بمعنى أمام ؟ لانها استعملت فيما يعاين من الاشياء فتخصص معناها بالخلف أضف الى ذلك ان معنى (وَّرَاءِ) في الآيات التي قيل انها بمعنى أمام ، هو الخلف أيضاً ، ذلك أنه حين يقول (مَنْ وَّرَائِهِ جَهَنَّمُ) فهو يعني أنه بعد انقضاء حياته ووقوع الموت ثم الحساب يكون جزاؤه جهنم ، فهي (خَلْفَ) هذه الامور في التسلسل وكذلك (•• وراءهم يوماً ثقيلاً) أي يعقب أيامهم هذه يوم ثقل فهو خَلْفَها أيضاً ، ومثلها (وكان وراءهم ملكٌ يأخذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً) أي يتبعهم ويقتفي أثرهم فهو خَلْفَهُمْ • ويبدو أنهم فهموا هذه الاشياء فهما غير مرتبط بالزمن ، فكان تصورهم لها وكأنهم يستقبلونها فكانت بهذا التفسير (أمامهم) •

ومن هذه المواد القرآنية التي اختلفوا في تفسيرها في المصحف ، فآكسبت الضدية عن هذا الطريق : (يَهيج) (١٤) و (الحين) (١٥)

(١٠) لسان العرب ١/ ١٩٣ •

(١١) هود ٧١ •

(١٢) الاحزاب ٥٣ •

(١٣) الحجرات ٤ •

(١٤) غريب القرآن لابي بكر السجستاني ٥٦ •

(١٥) النخل لابي حاتم (مخطوط) ٢ •

و (أُنْدَاد) (١٦) و (بَعْضُ) (١٧) و (شَرَوَا) (١٨) و (عَسَى) (١٩) وغيرها كثير ، مما كانت نظرة القدماء المثالية للنص القرآني وراء قولهم بتضادها •

نخلص من هذا الى ان القرآن لم يستعمل هذه الالفاظ على أنها أضداد كما يزعم الأضداديون ، وانما أوهمهم بذلك اغفالهم لاختلاف القراءات في القرآن ، وآثار اللهجات فيه ، وقياسهم الاستعمال القرآني على الشاهد الشعري دون محاولة استقراء اللفظة التي هم في صدد معالجتها ، في جميع مواضعها في القرآن ، وتمسكهم بالنقل في تحديد المعنى متجاهلين ما يوضحه السياق من تخصيص الدلالة وتعيينها ، بعيدين عن ملاحظة ما يتقدم الآية وما يتأخر عنها من آيات تشرح فكرتها وتبين غامضها ، مدفوعين في ذلك الى ما يرون أنه هو المعنى المفترض في كلام الله وان خالف عربية القرآن نفسه ، وكنا قد أشرنا الى شيء من هذا في الفصل الذي عقدناه لتفسير التضاد ، وعرضنا له عند الكلام على كتب الاضداد ، وبيننا مبلغ التعسف الذي انجرّ اليه الأقدمون من هذه الناحية ومقدار الغلو الذي وقعوا فيه •

المعجمات اللغوية

لا نريد أن ندرس هنا تاريخ وضع المعجمات أو نعرض الى مناهجها في التصنيف والجمع ، وانما نريد أن نستقري مادتها فيما يخص موضوعنا (الاضداد) لعلها توقنا على شيء من تاريخ اللغة وتطور دلالة مفرداتها المختلفة ، ذلك ان كثيرا من الاختلافات اللفظية والمعنوية كان ناجماً عن بقاء العربية أمدا طويلا تسير بالمشافهة ، ويجب ألا يغرب عن بالنا أن كثيرا

(١٦) مجاز أبي عبيدة ٣٤/١ •

(١٧) أبو عبيدة ٢٠٥/٢ وانظر الرد في الطبري ٥٠/٢٥ •

(١٨) أبو عبيدة ٤٨/١ ومعاني الفراء ٣٠/١ ، ٥٦/١ •

(١٩) أبو عبيدة ١٣٤/١ ومعاني الفراء ٣٠٩/٢ •

من هذه الاختلافات أيضا كان من اصطناع الرواة أنفسهم نسيانا منهم أو رغبة في اظهار المعرفة ، ومصنفاتهم اللغوية مليئة بالروايات التي تثبت هذا • أضف الى ذلك ان هؤلاء الرواة كانوا يأخذون اللغة عن فصحاء أعراب البادية ، ولم يكونوا منزهين عن الخطأ أو النسيان أيضاً في وقت كانت اللغة تعرف فيه بالحفظ والشافهة دونما نصوص مكتوبة يرجع اليها فيها •

ثم ان وضاع المعجمات وعلماء اللغة كثيرا ما نقلوا عن مدونات الاعراب والرواة زيادة على السماع منهم • ولما كان من هذه المدونات ما ينقصه الدقة ، كان هناك مجال للتصحيح ، وزاد ذلك ما يمكن أن يكون قد وقع فيه الوراقون من أخطاء وهم ينسخون المعجمات والكتب اللغوية ، وقد أشار القدماء الى كثير من هذه الأوهام ونبهوا اليها وصححوا قسما منها ووضعوا مصنفاتهم يقومون بها هذه الاخطاء ، كالذي فعله علي بن حمزة مثلاً في كتابه (التنبيهات) والحريري في كتابه (درة الغواص) •

واستقراء المعجم اللغوي - كما قلنا - يوقفنا على أشياء كثيرة تتصل بتاريخ اللغة ، كاختلاف اللهجات مثلاً ، على أن المعجمات لم تلتزم النص على جميع استعمالات القبائل ، ولم تقيد كل خلافتها اللغوية ، وانما كانت تشير الى طرف من ذلك ، هذا عدا أنها كانت تلصق كثيرا من الاستعمالات الغريبة بقبائل معينة منزوية لا تعداها، والمعجمات كذلك باعتبارها كتباً أحصت أكثر معاني اللفظة وانصرافاتھا المختلفة ، تبصرنا بالتطور الدلالي الذي رافق اللفظة في مسيرتها الطويلة ، ومن أجل ذلك فنحن نستطيع أن نرجع الى هذا التطور كثيرا مما يشم فيه التضاد ، ومن المعجمات ما ينص على المعاني المجازية لللفظة الى جانب معناها الحقيقي كأساس البلاغة • ومنها ما أضاف الى كل ذلك عرض اختلافات العلماء والفقهاء والمفسرين في تحديد معنى لفظة وردت في الشعر أو القرآن كلسان العرب وتاج العروس •

ومن هنا كانت دراسة الاضداد في المعجمات اللغوية ضرورية لاستكشاف ما يمكن استكشافه من حقائق تتصل بدلالة اللفظة وتفسير تضادها ، بالاستعانة بمقارنة المعاني فيما بينها وتحديد سبيل تطورها ، مع أخذ جميع الملاحظات السابقة بعين الاعتبار ، للوصول الى أسلم النتائج في دراسة أمثلة مختلفة من الأضداد :

ولنأخذ مادة (الخَشِيب) التي ذكرت لها المعجمات اللغوية معنيين متضادين وصرحت بضديتها ، يقال : سيف " خَشِيب " للصَّيْل ، وسيف " خَشِيب " للذي لم يُصْقَل وهو الخَشِن^(٢٠) ، والمعجمات غير متفقة على تضاد اللفظة ، فالاساس لم يذكر الا المعنى الثاني ، وعلَّله الزمخشري بقوله : « وهو من الخَشَب »^(٢١) اذن فهناك ما يدعو الى التثبت من صحة نسبة المعنى الآخر للفظه . وبالرجوع الى مادة (قَشِبَ) في هذه المعجمات ، نجد انها نسبت للقَشِيب من السيوف المعنيين عينهما دون تغيير^(٢٢) . فباستطاعتنا في هذه الحالة ان نرجح امكان الابدال الذي عرض لهاتين المادتين فألصق بكل واحدة من الصورتين معنى الاخرى الى جانب معناها الاصلي ، اذ تكون (خَشِيب) للذي لم يصقل واشتقاقها من الخشب واضح كما صرح الزمخشري ، وتكون (قَشِيب) للصَّيْل وللجديد وهو معناها الشائع ، الا ان أجيال المتكلمين ابدلت الصوت الاول في كل واحدة منهما فعلفت بها الضدية بهذه الصورة ، ونقلتها المعجمات على انهما ضدان ، وعلى ذلك كتب الاضداد أيضاً^(٢٣) . ومثلها :

(٢٠) لسان العرب ٣٥٢/١ وتاج العروس ٣٥٤/٢ والقاموس المحيط ٦١/١ ، وانظر : التكملة والذيل والصلة ١١٦/١ .

(٢١) أساس البلاغة ١١١ .

(٢٢) لسان العرب ٦٧٤/١ وتاج العروس ٣٦/٤ وأساس البلاغة ٣٦٦ والتكملة والذيل ٢٤٠/١ والقاموس المحيط ١٦١/١ .

(٢٣) انظر : ابن السكيت ١٩٨ وابن الانباري ٣٢٧ ، ٣٦٣ .

(رَقَاً وَرَقَاً) (٢٤) و (لَمَقَ وَنَمَقَ) (٢٥) و (ذَبَرَ وَزَبَرَ) (٢٦)
و (أَسَرَ وَأَشَرَ) (٢٧) و (السَّبَّحَ وَالسَّبَّحَ) (٢٨)
و (أُنْجِبَ وَأُنْجِبَ) (٢٩) و (لَفَاً وَلَكَاً) (٣٠) وغيرها مما يمكن
ان يرد الى هذا الابدال الذي يعرض للاصوات المتقاربة المخارج ، على اننا
نذهب الى تفسير بعضها بالتصحيف الذي اشرنا اليه ، لعدم توفر هذا القرب
بين مخرجي الصوتين كالذي بين رَقَاً وَرَقَاً وبين أُنْجِبَ وَأُنْجِبَ
مثلا ، وكنا قد عرضنا الى هذه المواد عند مناقشتنا للاضداد وتفسيرها في اللغة
وادرجناها في الطائفة التي ارجعنا نشأة التضاد فيها الى التطور الصوتي أو
التصحيف أو الخطأ في السمع • ويمكن أن يلحق بهذا النوع من الاضداد
التي ذكرتها المعجمات مادة (بَرَدَ) التي قالوا انها تأتي بمعنى سَخَنَ أيضا
استنادا الى قول الشاعر (بَرَدِيهِ) وهو (بَلَرَدِيهِ) (٣١) ، وكذلك
مادة (الْمُعَبَّد) استنادا الى قول الشاعر (أَرَى الْمَالَ عِنْدَ الْبَاخِلِينَ
مُعَبَّدًا) (٣٢) وكنا قد رجحنا انها (الباذِلين) نسخت خطأ ، ومر الكلام
عليهما في مواضع سابقة من هذه الرسالة فلا نكرره •

فاذا انتقلنا الى مادة (صَرَدَ) نجد ان المعجم ينص على ضديّة

-
- (٢٤) اللسان ٨٨/١ والقاموس ١٦/١ والتاج ٢٥١/١
(٢٥) الاساس ٤١٥ واللسان ٣٣٢/١٠ والقاموس ٢٨١/٣ ، ٢٨٦ •
(٢٦) اللسان ٣٠١/٤ والتكملة ٥٢٣/٢ والقاموس ٣٤/٢ ، ٣٧ •
(٢٧) اللسان ٣٥٧/٤ والقاموس ٤٧/٢ ، ٥٧ •
(٢٨) التكملة ٣٩/٢ ، ١٤٩ والاساس ٢٠٠ والقاموس ٢٢٦/١ ، ٢٦١
والتاج ٤٥١/٦ •
(٢٩) التكملة ٢٧٣/١ والتاج ٢٤١/٤ ، ٢٤٩ والقاموس ٣٠/١ •
(٣٠) التكملة ٤٨/١ والاساس ٤١١ والقاموس ٢٧/١ •
(٣١) اللسان ٨٢/٣ والتاج ٤٢٨/٧ •
(٣٢) القاموس ٣١٢/١ والتاج ٣٤٠/٨ والتكملة ٢٧٨/٢ ولم يذكر
الاساس ٢٩١ الا معنى المذلل •

(مِصْرَاد) المشتقة منها ، فهي للرجل الذي يشتد عليه البرد ولا يطيقه وللرجل القوى على البرد (٣٣) * الا ان المعجم نفسه يوقفنا على حقيقة تاريخية في هذه المادة ، وهي ان جذرها (صَرَدَ) ليس عربيا وانما هو فارسيّ معرب كما صرّح بذلك الجوهري ، فالصَّرْدُ يعني بالفارسية البرْدُ (٣٤) * فاذا كان كذلك فاللفظة المشتقة لا تحمل التضاد في وضعها الاول لان أصلها دخيل ، وهي حين شاعت في العربية توسع في استعمالها بحيث اطلقت على كل ما يتصل بالبرد من معان ، ولم يقتصر في (المِصْرَاد) على المعنيين المتضادين فهي : الرجل الذي لا يصبر على البرد ، والذي يشتد عليه البرد ، والذي يقل تحمله له ، والذي يجد البرد سريعا * الخ (٣٥) ، فهي معان تدور - في صفة الرجل - مع البرْد واشتداده وشعور الانسان به * وقالوا أيضا : جيش " صَرْد " أي جامد ، والصَّرْدُ أبرد مكان في الجبال ، والصَّريدة هي النعجة التي أنحلها البرد ، والعَنْزُ الصَّرْدَةُ المُقَشَّعِرَّة ، وصَرِدَ السَّقاء صرداً اذا خرج زبدته متقطعا فيداوى بالماء الحار (٣٦) * وغير ذلك من المعاني التي يتضح منها التوسع في اطلاق مشتقات الاصل الاول ، وفي كلها يبرز المعنى الفارسي جامعا مشتركا بين هذه المعاني *

وتكشف لنا مادة (سَجَدَ) عن طرف آخر من تاريخ اللغة ، الا وهو اللهجات واختلافها في معاني الالفاظ ، فقد ذكرت المعجمات انها تعني وضع جبهته على الارض وتعني انتصب (٣٧) ، على خلاف في ذلك اذ لم يذكر

(٣٣) لسان العرب ٢٤٨/٣ *

(٣٤) اللسان ٢٤٨/٣ *

(٣٥) نفسه ٢٤٨/٣ *

(٣٦) التكملة ٢٦٤/٢ - ٢٦٥ *

(٣٧) التكملة ٢٤٧/٢ واللسان ٢٠٤/٣ والتاج ١٧٢/٨ والقاموس

٣٠٠/١ *

الاساس الا معنى الميل والتطامن^(٣٨) ، ذلك ان المعجمات التي صرحت بضديتها نسبت معنى الانتصاب الى لغة طيء من قبائل العرب ، وقائل هذه النسبة هو الخليل ، لان المعجمات نقلت عن الازهرى الذى صرح بأن ذلك لا يحفظ لغير الليث ، ولم ينقل عن الليث (أي الخليل) أنه صرح بضدية اللفظة ، وانما هم استفادوا من تخصيصه لمعنى الانتصاب في لهجة طيء تضاد هذه اللفظة ، فكان الخليل أبعد من هؤلاء نظرا للمسألة فكأنه حين وجد أن البيئات العربية اختلفت في معنى اللفظة أدرك أن التضاد ليس أصيلا فيها ، وانما هو حادث بعد توحيد لغات هذه البيئات ، وقد مرّ بحث هذه الناحية بالتفصيل في دراسة عوامل نشأة التضاد ، حيث نضيف الى المادة السابقة مادة (قَنَعَ) التي مرت في دراستنا على أنها تعني : رَضِيَ بما هو فيه وتعني سَأَلَ ، وعلى ذلكما المعنيين كتب الاضداد ومعجمات اللغة دون اشارة منها جميعا الى لغة فيها ، غير ان الخليل ذكر في (القُنُوع) معنيين متضادين آخرين فقال : « والقُنُوعُ بمنزلة الهُبُوطِ - بلغة هذيل - من سفح الجبلِ ، وهو الارتفاع أيضا »^(٣٩) . ولعل ذلك يشير الى أن في المسألة تطورا حصل لهذه اللفظة في بيئة لغوية ، اذ ارتبط معنى القنوع الذى قلنا سابقا انه مبدل من الكنوع الذى يعني الخُضُوع ، ارتبط هذا بمعنى الهُبُوط ، اذ الهُبُوط نوع من الخضوع والقنوع في الاحساس الانساني ، وبالمقابل ارتبطت القناعة التي تعني الرضا بالقسم بمعنى الارتفاع ، لان القناعة شيء محبب ومما تفخر به النفس فترتفع الشاعر ، ولهذا فان الخليل لم يصرح بضدية (قَنَعَ) لانه ارجع معنى الرضا الى القناعة ، ومعنى السؤال الى القنوع فالفعلان مختلفان في الاصل ، كما لم يصرح بضدية القُنُوع لانه ارجع أحد المعنيين الى لغة هذيل . ومثل هذه الحقيقة في اختلاف البيئات

(٣٨) أساس البلاغة ٢٠٢ .

(٣٩) العين ١٩٣ .

اللغوية ما نجده في مادة (وَثَبَ) التي تعني طفر عند عامة العرب وتعني
قعد بلغة حِمِير^(٤٠) ، وغيرها كثير مما مرّ في دراستنا سابقا •

وتشير المعجمات الى التطور الذي يحصل للمعاني عن طريق المجاز
فتكون اللفظة في نهاية المطاف من الاضداد ، فمثلا مادة (جَعَدَ) التي ذكر أنها
من الاضداد تعني البخل والكريم^(٤١)، وتقضي هذه المادة في معجمات اللغة
يوضح لنا الطريق التي سلكتها الى التضاد ، فأول ما وصف بالجعد هو
الشعر لتجمعه وتقبضه ، ثم قيل : رجل "جَعَدُ" الاصابع وجَعَدُ البنان
كناية عن بُخْلِهِ ، كأنه تتجمع أصابعه على ما في يده فلا يعطي ، واطلقت
هذه الصفة على الذئب لبخله ، فكانت (جَعَدَ) بهذا المجاز تعني البخل ،
ثم رجع الى جموده الشَّعْرُ فأروا أنها صفة عربي وهي الغالبة على شعره ،
تقابلها بسبوة الشعر التي هي الغالبة على شعور العجم والروم ، ولما كان
العرب هم المعروفون من بين جميع الاقوام بالكرم ، كان اطلاق صفة
الجعودة على أي عربي كافيا للإشارة الى صفة الكرم فيه ، ولهذا انصرفت
لفظة (الجَعَدَ) هذا الانصراف الذي يضاد الاول ، فكانت من الاضداد •
والظاهر ان معنى الكرم تأخر عن الاول بدليل أن الخليل لم يذكره في معاني
هذه اللفظة^(٤٢) ، ولان الاصمعي قال : « زعموا ان الجَعَدَ السخيّ قال :
ولا أعرف ذلك ، والجَعَدُ البَخيل وهو معروف »^(٤٣) . ومثل هذه
المادة : (المَفَازَة)^(٤٤) و (الكَأْس)^(٤٥) و (النَّاهِل)^(٤٦) وغيرها •

(٤٠) التكملة ٢٨٢/١ واللسان ٧٩٢/١ والقاموس ١٣٥/١ •

(٤١) الاساس ٦٠ واللسان ١٢٢/٣ والتاج ٥٠٢/٧ •

(٤٢) العين ٢٤٩ •

(٤٣) التاج ٥٠٣/٧ •

(٤٤) الاساس ٣٤٩ واللسان ٣٩٢/٥ •

(٤٥) اللسان ١٨٩/٦ •

(٤٦) نفسه ٦٨١/١١ •

وقد توسع الزمخشري في تتبع هذه المسألة في مواد اللغة ، فأوقفنا على الاستعمالات المجازية في ألفاظ الاضداد ، ففي (قَعَدَ) مثلاً يقول : « ومن المجاز : قَعَدَ عن الامر : تركه • وقَعَدَ له : اهتمَّ به • وقَعَدَ يَشْتَمِنِي : أَقْبَلَ • • » (٤٧) ، ومرة ان الاضداديين فسَّروا (قَعَدَ يَشْتَمِنِي) بأن معناه (قامَ) وعليه فقعد من الاضداد ، والزمخشري يبين أنها استعمال مجازي تطورت اليه اللفظة وليس معنى القيام أصيلاً في اللفظة • ومثلها : (بَسَلَ) (٤٨) و (سَجَرَ) (٤٩) •

ويهيء لنا استقرارنا للاضداد في المعجمات اللغوية الوقوف على المدلول القديم الشامل للفظ ، ذلك الذي يتطور بحكم شموليته الى مدلولين متضادين يرجعان اليه ، وهو الذي سماه القدماء (الأَصْل) ، فمثلاً نجد في مادة (طَرِبَ) انها من الاضداد تعني الفرح وتعني الحزن ، ولكننا نعثر في تضاعيف كلامهم على هذه المادة انها كانت تعني في الاصل (الحركة أو الخفة) التي تلحق الانسان في حال فرحه أو حزنه (٥٠) • وكذلك (القُرْء) للحيض والطهر فانه يرجع الى معنى (الوقت) (٥١) • و (الخَنْدِيز) للفحل والخصي فانه يرجع الى معنى (الفائق) من كل شيء (٥٢) • و (الجَعْفَر) للنهر الصغير والنهر الكبير وكلاهما يرجعان الى معنى (التَّهَر) مطلقاً (٥٣) • و (البَيْعَ والشِّراء) كل منهما بمعنى الآخر

(٤٧) الاساس ٣٧٢ •

(٤٨) الاساس ٢٢ وانظر : اللسان ٥٥/١١ •

(٤٩) الاساس ٢٠٣ وانظر : اللسان ٣٤٥/٤ •

(٥٠) الاساس ٢٧٧ والتكملة ١٩٣/١ واللسان ٥٥٧/١ والقاموس

٩٧/١ والتاج ٢٦٨/٣ •

(٥١) الاساس ٣٦٠ واللسان ١٣٠/١ والتاج ٣٦٦/١ •

(٥٢) اللسان ٤٨٩/٣ والتاج ٤٠٤/٩ •

(٥٣) اللسان ١٤٢/٤ والتاج ٤٤٥/١٠ •

وكلاهما يرجعان الى معنى (المبادلة)^(٥٤) . و (القلت) للحفرة الصغيرة وللحفرة الكبيرة والاصل فيهما (الحفرة) مطلقاً^(٥٥) . و (الوراء) للخلف والقدام والاصل (المواراة)^(٥٦) وهكذا في مواد اخرى كثيرة يتضح فيها هذا اللون من التطور التاريخي للاصل المعنوي القديم على جهة تخصيصه في المتضادين في الاستعمال ، وهذه الحقيقة - كما مرّ درسها قبلاً - تؤكد عدم توفر الضدية الاصلية في هذه الالفاظ ، وتشير الى السبيل التي سلكها كل منها حتى وصل الى التضاد .

ونقف في المادة المعجمية على التطور الدلالي العام للالفاظ ، ففي مادة (الشَّعَب) مثلاً نجد الى جانب معنيها المتضادين معاني اخرى توضح درجات التطور ومراحله ، فقد ذكروا انها تعني الجمع والتفريق ، ولكننا نجد كذلك : الشَّعَبُ الاصابع ، والشَّعَبُ القبيلة العظيمة ، والجبل ، وموصل قبائل الرأس ، وبكسر الشين : مسيل الماء في بطن الارض ، وما انفرج بين الجبلين ، والشَّعَبُ بالتحريك : ما بين المنكين وما بين القرنين ، والشَّعْبَةُ الطائفة من الشيء ، وطرف الفصن ، وما عظم من سواقي الاودية ، ومن المجاز : التأم شَعْبُ بني فلان اذا تجمعوا بعد تفرق ، وشتَّ شَعْبُهُمْ اذا تفرقوا بعد اجتماع ، والشَّعْبُ الحي الذي يَتَشَعَّب من القبيلة . . . الخ^(٥٧) . فنحن نجد بعد ملاحظة هذه المعاني ان الاصل فيها هو القبيلة مطلقاً ، ثم القبيلة العظيمة لان عظمها يهيئها للانشطار ، ثم الحي الذي يتشعب من هذه القبيلة لانه صائر الى أن يكون قبيلة وشعباً ويعظم وينشطر كما حدث لتلك ، ثم صارت القبائل ائتفرعة جميعاً شعوب واحداً

(٥٤) اللسان ٢٣/٨

(٥٥) اللسان ٧٢/٢

(٥٦) التاج ٤٨٦/١

(٥٧) العين ٣٠٦ والاساس ٢٣٦ والتكملة ١٧١/١ واللسان ٤٩٧/١

والقاموس ٨٨/١ والتاج ١٣٣/٣

شَعَب ، وبقي لموصل قبائل الرأس لفظ الشَّعْب ، فصار لكل شيء ذى اطراف متفرعة عنه يقال شَعَبَ ومنه قيل لاصابع اليد الواحدة شَعَبَ واحدها شُعْبَة وهي الطائفة من الشيء ، وهكذا حتى اطلق على كل انشطار شعب ، وعلى كل تجمع شعب ، ولذا قيل : التَّامَّ شَعْبُهُمْ تَجَمَّعُوا وَشَتَّ شَعْبُهُمْ تَفَرَّقُوا ، فاجتمع في اللفظة معنيا التجمع والتفرق فكانت من الاضداد ، ولكن ضدتيها غير اصيلة كما رأينا وانما تمت بفعل هذا التطور المستمر في دلالتها حتى تداخلت المعاني فيما بينها واستقرت بعدئذ على التضاد ، ولا يخفى ان ما ذكر لهذه اللفظة من معنى الاصلاح والافساد انما هو متصل بمفهوم التجمع والتفرق ، لان في التجمع اصلاح وفي التفرق افساد ، ثم صار المعنى يطلق على كل اصلاح حتى اصلاح الاناء المشعب وبعبسه الافساد . ومثل هذه المادة : (عَسَّعَس) (٥٨) و (نَشَد) (٥٩) و (الرَّهْو) (٦٠) وغيرها مما يمكن لحظ التطور الدلالي فيه وتتبع آثاره في مسالكه المتعددة .

ونلمح في المعجم اللغوي أيضا اشارات الى دور التصريف واختلاف الصيغ في تغيير المعنى بل في قلب المعنى الى ضده ، وهي اشارات قديمة تشعرنا بحدوث مثل ذلك في المراحل المتقدمة من تاريخ اللغة ، فمثلا في مادة (هَجَدَ) التي قالوا انها تعني نام وتعني سهر ، نجد انهم كثيرا ما أرجعوا معنى النوم الى الفعل المجرد ، ومعنى السهر الى المزيد بالتاء وتضعيف العين (٦١) ، حيث يكون الفعل مصوغا لسلب المعنى ، لان صيغة (تَفَعَّل) تفيد معنى السَّلْب ، يقول الازهري : « والمعروف في كلام العرب أن الهاجد

(٥٨) العين ٨٥ والاساس ٣٠١ واللسان ١٣٩/٦ .

(٥٩) الاساس ٤٥٦ واللسان ٤٢١/٣ والتاج ٢٢٠/٩ والعين (المخطوط) : مادة نشد .

(٦٠) اللسان ٣٤٣/١٤ .

(٦١) الاساس ٤٧٩ واللسان ٤٣١/٣ والتاج ٣٣٤/٩ .

هو النَّائم ، وَهَجَدَ هُجُوداً اذا نام ، وأما الْمُتَهَجِّدُ فهو القائم الى الصلاة من النوم ، وكأنه قيل له مُتَهَجِّدٌ لالِقائه الهُجُود عن نفسه ، كما يقال للعايد مُتَحَنِّثٌ لالِقائه الحنْث عن نفسه ، (٦٢) • ومثل هذه المادة : (مُغَلَّبٌ) (٦٣) و (أَضْعَفٌ) (٦٤) و (عَرَبٌ) (٦٥) و (أَطْلَبٌ) (٦٦) و (تَأَثَّمٌ) (٦٧) و (جَفَأٌ) (٦٨) و (الصَّارِخُ) (٦٩) وغيرها مما نستشعر فيها جميعا انها اكتسبت الضدية بهذه الطريقة من تلاقي صيغتين مختلفتين ونشأة معنيين متضادين يلصقان بالمادة الاصلية بعد أن يُنسَى الدور القديم الذي لعبه اختلاف الصيغ وتغيّر التصريف ، ومر تفصيل ذلك في الباب الاول •

واخيرا فنحن واجدون في هذه المعجمات شيئا من مناقشات اصحابها لما بين أيديهم من المعاني وكأنهم لمسوا فيها ما يدعو الى التأمل والتنبه فأحبوا تسجيل ملاحظاتهم بين خضم هذه المواد المجمعة ، فمثلا ينقلون لنا عن ابن الاعرابي انه قال : التَّغْرِيبُ ' أن يأتي بنين بيض وبنين سُود ، فهو اذن من الاضداد (٧٠) ، قال صاحب التاج : « قال شيخنا : هذا تعقبوه ، وقالوا : لا ضدية فيه فان التَّغْرِيب هو الاتيان بالتوعين جميعا ، والاتيان بكل واحد من التوعين على انفراده لا يسمى تغريبا حتى يكون من الاضداد » (٧١) •

-
- (٦٢) التاج ٣٣٤/٩
 - (٦٣) الاساس ٣٢٦ واللسان ٦٥١/١
 - (٦٤) العين ٣٢٨ - ٣٢٩
 - (٦٥) الاساس ٢٩٦
 - (٦٦) اللسان ٥٦٠/١
 - (٦٧) اللسان ٥/١٢
 - (٦٨) التاج ١٧٨/١
 - (٦٩) الاساس ٢٥٢ واللسان ٣٣/٣ والتاج ٢٩٠/٧
 - (٧٠) اللسان ٦٤٠/١ والتاج ٤٧٦/٣
 - (٧١) التاج ٤٧٦/٣

وذكر الفيروزابادي أن أَسَادَ وَأَسْوَدَ بمعنى واحد وهو : ولد غلاماً سيداً أو غلاماً أسود ، ضد (٧٢) . قال صاحب التاج : « قال شيخنا نقلاً عن بعض أئمة التحقيق : انه لا تضاد بينهما الا بتكلف بعيد . وهو أن السيد في الغالب أبيض ، والعبد في الغالب أسود ، وبين السَّوَادِ والبياضِ تضاد كما بين السيد والعبد ، فتأمل » (٧٣) ، والزمخشري لم يذكر في هذه المادة الا المعنى الثاني « أَسْوَدَتْ فُلَانَةٌ : وَلَدَتْ سُوداً » (٧٤) .

وذكروا أن (التَّكْد) بالضم : الغزيرات اللبن من الابل ، والتي لا لبن لها ، ضد (٧٥) . وزعم الصغاني ان المعنى الثاني تفرد به ابن فارس وقد خالفه الناس ونقل هذا عن الصغاني صاحب التاج (٧٦) . ويبدو أن المادة وصلت لابن فارس مصحفة ، ذلك اننا نجد في مادة (مَكْد) انهم يقولون : المكُود : الناقة الدائمة الغزر ، والناقة القليلة اللبن ، ضد (٧٧) . ونسبوا المعنى الثاني للخليل الذي انشد له :

قَدْ حَارَدَ الْخُورُ وَمَا تُحَارِدُ

حَتَّى الْجِلَادِ دَرْهْنٌ مَاكِدٌ

أي ناقص ، وقد ردّ الازهري - دون وجه حق - على الخليل وغلطه ، فقال : « وانما اعتبر الليث قول الشاعر (حَتَّى الْجِلَادِ دَرْهْنٌ مَاكِدٌ) فظن أنه بمعنى الناقص ، وهو غلط ، والمعنى : حتى الجِلَادِ اللواتي درهن ماكِد أي دائم قد حَارَدَنَ أيضا ... ومثل هذا التفسير المحال الذي فسره الليث في مكدت الناقة مما يجب على ذوى المعرفة تنبيه طلبة هذا

(٧٢) القاموس ٣٠٤/١

(٧٣) التاج ٢٢٥/٨

(٧٤) الاساس ٢٢٣

(٧٥) التاج ٢٣٧/٩ والتكملة ٣٥٣/٢

(٧٦) المصدران السابقان وانظر : مقاييس اللغة ٤٧٦/٥

(٧٧) التاج ١٨٦/٩

الباب من علم اللغة عليه ، لئلا يتعثر فيه من لا يحفظ اللغة تقليداً للبيت ، قال : والصحيح أن يقال المكْداء والمكْوَد ، هي الدائمة الغزر الكثيرة ، والجمع مُكْدٌ وابلٌ مكائِدٌ ، (٧٨) • والذي نفيه من هذا أن (المُكْد) التي تعني القليلة اللبن كما قال الخليل ، قد وصلت الى ابن فارس بالنون خطأ فصرح بمعناها الذي نقلناه عنه ، والظاهر ان الزمخشري نقل عن ابن فارس هذا المعنى في (النُكْد) في معجمه (٧٩) • ولعل الازهري في المقابل توهم في (المُكْد) التي تعني اصلا القلة ، معنى (النُكْد) التي تعني اصلا الكثرة ، ففلط الخليل جهلا منه بالاصلين ، ذلك ان تفسيره لمعنى (ماكِد) في البيت يدل على عدم فهمه له كما فهمه الخليل ، والمعنى واضح ، اذ يريد الشاعر ان النياق قد قل لبنها حتى الجلود منها وهي أَدَسَم الابل لبنا ، فالقلة هي المقصود معناها في البيت • ومهما يكن من أمر فان هذه الآراء والمناقشات والردود ، تكشف لنا هي الاخرى عن قدم الفوضى في الجمع والتدوين ، وعن عدم التثبت الذي وقعت فيه مصنفات الاوائل مما أشرنا في أول الحديث اليه ، وعن تمكن الخطأ والتصحيف من مدونات اولئك ، كما تشير تنبهاهم الى تفسير المعاني المتضادة الى تحسّسهم بشككة التضاد في اللغة وضرورة تأمل ما ورد من هذه المعاني •

نخلص من ذلك الى أن معجمات اللغة القديمة تقدم لنا شيئاً مهماً من تاريخ اللغة ومراحل تطورها خلال عصورها الطويلة ، فاستقراؤنا لمواد الاضداد فيها أوقفنا على ألوان مختلفة وصور متنوعة من آثار تلك المراحل التاريخية ، من ذلك ما يتصل بالتطور الصوتي والابدال ، ومنها ما يتصل بالمواد الدخيلة العربية ، ومنها ما يتعلق باختلاف اللهجات ، وما يتعلق

• (٧٨) التاج ١٨٦/٩

• (٧٩) الاساس ٤٧٢

بالتطور الدلالي الخاص بالأصل القديم الشامل ، والتطور الدلالي العام الذي يشمل جميع مواد اللغة ومنها الأضداد أما عن طريق المجاز أو انتقال مجال الدلالة للعلاقة السببية بين المجالين ، ومن ذلك أيضا ما يتصل باختلاف الصيغ والعوارض الصرفية التي أضاعت بمرور الزمن الفوارق المعنوية بين الالفاظ، الى آخر ما هنالك من ملامح مهمة نستتير بها في استكشاف مجاهيل هذه العَرَبِيَّة العَرِيقَة •

الخاتمة

خبرنا: البحث ونتائجه والجدول فيه

الخلاصة

العربية التي استقرت في نصوص القرن السادس الميلادي شعرا ونثرا ، عربية متطورة مكتملة ، حيث تفصح اشعار الجاهليين وخطبهم وأمثالهم عن مقدرة هذه اللغة في احتواء الفكر العالي والمفاهيم الناضجة وهي على هذا ليست العربية التي اكتشفت نصوصها في النقوش القديمة التي عثرت عليها ايدى المنقبين في جنوب الجزيرة ووسطها وشماليتها ، فين العربيتين بون واسع ، غمض علينا سير العربية خلاله وما قطعت من أشواط طويلة حتى سمعناها من أفواه الجاهليين قبل الاسلام بأكثر من قرن على الأقل . وقد وصلتنا هذه العربية نامية متسعة ، غنية بالمعاني والمفردات كثيرة الصور والأساليب ، ولم يكن ذلك شأنها ابتداء وانما اكتسبته بفعل عوامل معينة وطرائق خاصة ، فكان لها في سننها في القلب والابدال والاشتقاق والنحت والمجاز والتعريب والتوليد والاتباع والترادف والاشتراك ، ما فسح لها طرق التوسع والنماء والزيادة ، مما لم يكن مطردا في غير العربية من اللغات القريبة والبعيدة اطراده في العربية .



واذا كانت اللغة بصورة عامة قائمة على مبنى ومعنى هما اللفظة ودلالاتها ، فان مشكلات العربية المتعلقة بالدلالة أكبر وأعقد بكثير من مشكلاتها المتعلقة باللفظة ، ذلك ان الدلالة تتعرض للتغير والتبدل والتطور اكثر من تعرض الاصوات لذلك ، لان الشكل ارسخ من المضمون وأبقى في الاستعمال ، واذا كانت الالفاظ مجددة في نموها وزيادتها بعوامل خاصة تتصل بالاشتقاق والنحت والقلب والابدال ، فان المعاني لا تخضع لمثل هذا التحديد ، لان تطور وسائل الحضارة ونمو العقلية البشرية يستدعي نموا مستمرا وسريعا في المعاني ، قد لا تستطيع الالفاظ ملاحقته ومواكبته ، لان

الألفاظ محدودة والمعاني غير محدودة ، فتنشأ من جراء ذلك مشكلات عديدة كالاشتراك والتضاد وأشباههما ، لان المتكلم يضطر حين تدفعه الحاجة الى اطلاق لفظ على معنى جديد لا يملك ان يوجد له لفظا جديدا ، أن يستخدم في هذا المعنى الجديد لفظا قديما سبق ان اطلقه على معنى قديم ، فيكون لهذا اللفظ معنيان سابق ولاحق ، فاذا كان هذان المعنيان مختلفين أصبحت اللفظة من المشترك اللفظي ، واذا كانا متضادين أصبحت من الازداد .

على أن استعارة لفظ قديم لمعنى جديد لا تحدث اعتباطا ، وعلى غير أساس من صلة بين الاثنين قريبة أو بعيدة ، انما تتم هذه الاستعارة وفقا لقوانين لا شعورية في ذهن الانسان كالتعميم والتخصيص وقرب المجال والسببية والمجاز المقبول والمعاكسة وما الى ذلك مما يسوغ أن يكون اللفظ القديم لهذا المعنى الجديد ، كالذى رأيناه في مادتي (اللحن) و (المولى) وأشباههما . ومن هنا كان لاصوات اللفظة مدخلة كبيرة في انصرافها الى معنى من المعاني ، لان المتكلم في أحيان كثيرة ، يحاكي أصوات المعاني والاشياء في وضعه مسمياتها ، وبمرور الزمن اختصت بعض أصوات اللغة بمعان خاصة ، اذا توفرت هذه المعاني توفرت في ألفاظها تلك الاصوات ، والعلماء - الا - من شذّ منهم - مجمعون على وجود هذه الصلة بين الصوت والمعنى ، وقد ذهب الى القول بذلك اليونانيون والهنود من الاعاجم ، والخليل ومقلدوه من العرب . ومنذ أن وقف الدارسون على مشكلة الدلالة في العربية ، وهم في نشاط في البحث فيها وكشف أسرارها ، محاولة منهم لفهم هذه المشكلة ورغبة في الاحاطة بها ، فظهرت كتب كثيرة تتناول مسألة الدلالة من زوايا مختلفة ، منها كتب (المثلث) التي بدأ التأليف فيها قطرب ، وكتب (المشترك) التي كان أبرزها كتاب أبي العميش ، وكتب (الملاحن) وعلى رأسها كتاب ابن دريد ، وكلها تدور حول دلالة اللفظ

وما يتصل بذلك من شواهد وتعليقات وشروح وأمثلة •

★ ★ ★

ولعل أبرز ما وقفوا عنده من مسائل الدلالة وأهم ما عالجوه فيها هو ظاهرة التضاد ، اذ شغلته هذه الالفاظ التي تنصرف الى معنيين متضادين ، فراحوا يدرسونها ويجمعون مادتها ، ويحددون مكانها من اللغة ، فوضعها سيبويه - في تقسيمه المعروف لالفاظ اللغة - ضمن المجموعة التي تتفق في اللفظ وتختلف في المعنى ، وهي ألفاظ المشترك اللفظي ، وعنه أخذ كثيرون هذا التقسيم ذاهبين الى ان الاضداد نوع من المشترك ، الا ان قطربا جعلها نوعا متميزا من المشترك ، وجعل ابو خاتم التضاد نوعا من الاختلاف ، أما ابن الانباري وأبو الطيب فكانا دقيقين في تحديدهما لمعنى التضاد ، وتفريقهما العلمي بينه وبين الاختلاف • ولكنهما مع ذلك لم يقصرا ما دونهما من الالفاظ على هذا المفهوم الدقيق للفكرة ، وانما توسعا - كما توسع غيرهما - كثيرا في تلمس الضدية ولو في أبعد الوجوه • على ان هذا المفهوم لفكرة التضاد اختلف النظر اليه والوقوف عنده بين اللغويين من جهة وبين الاصوليين والمتكلمين والمناطق من جهة ثانية ، فهو عند الاخيرين مسألة عقلية غير خاضعة للاستقراء والاستشهاد والرواية ، ومن هنا كانت تناولاتهم لفكرة التضاد المنطقية تناولات جافة بعيدة عن روح الدرس اللغوي •

ولما كانت الاضداد تعبّر بطبيعتها عن آثار المراحل اللغوية التي مرت بها العربية ، والتي ولدت بشكل من الاشكال الفاظا تحمل في ظاهرها فكرة الضدية ، وذلك انطلاقا من الايمان بعدم اصالة ضدية اللفظة عندما وضعها الواضع الاول ، لمنافاة ذلك لطبيعة اللغة التي تقوم على الوفاء بحاجات المتكلم التي يقف على رأسها التفاهم مع الآخرين ، ذلك التفاهم الذي لا يتم بوجود أضداد أصيلة الضدية ، أقول : لما كان الواقع كذلك ، فلا بد من دراسة الظروف التاريخية وغير التاريخية لتفسير وجود الاضداد في اللغة ،

وهذا ما فعلناه اذ وجدنا أن لاختلاف اللهجات العربية واختلاف الاصول السامية وغيرها من اللغات المجاورة ، وللتطور المستمر في دلالة الالفاظ ، وللتطور الصوتي وما يتصل به من احتمال التصحيف والخطأ ، ولشباع التفاضل والتطير والتهمك ، ولطبيعة تصاحب المعاني المتضادة بالذهن ، ولاختلاف الصيغ والعوارض الصرفية ، ولاختلاف الاصول الثنائية المتحدة ، وللمجاز وما يتعلق به من استعمالات بلاغية في قلب التركيب والمقابلة والتقديم والتأخير ، ولطريقة الاستعمال الخاصة ، وللاختلاف في تفسير مؤدى اللفظة في السياق أو مؤدى العبارة كاملة ، وللتعسف في تكثير المادة واخضاعها للتضاد ، وأخيرا لقانون وحدة وصراع المتضادات • كان لكل واحد من هذه الاسباب والعوامل دور كبير في نشأة الاضداد واكتساب الالفاظ صفة الضدية ، حيث عملت هذه الظروف الطبيعية وغير الطبيعية على أن توجد في اللغة أربعمائة لفظة يشتم فيها هذا اللون من الدلالة ، وأخذ هذه الظروف جميعا بنظر الاعتبار من شأنه ان يلغي أصالة الضدية وينفي عنها قدم التضاد ، وهو ان لم يفسر نشأة جميع الاضداد ، فانه على الاقل يفسر أغلبها الاعجم ، بحيث لا يبقى منها الا الفاظ معدودة قد تكون ضديتها سحيفة القدم ، بحيث يعسر علينا الوقوف على الظرف الخاص الذي نشأت فيه ، ولانعدم أن نجد مثلها في غير العربية من اللغات الحية •

★ ★ ★

واختلفت مواقف الدارسين من الأضداد وتباينت مناهجهم في تناولها ، فانقسموا الى مدافعين ومنكرين ، وتشعبت الطرق لكل من الطائفتين في في تأييد موقفها من الفكرة ، فكان من المدافعين من اعتمد الرواية والنقل في اثبات صحة ورود الأضداد عن العرب كابن فارس ، ومنهم من لجأ الى المحاكمة المنطقية في اثبات ذلك كابن سيده ، ومنهم من ذهب الى تفسير

نشأتها مدلا على عدم اصالة الضدية فيها الا انها أضداد الآن كابن الانباري •
أما المنكرون فمنهم من عاب على العربية احتواءها للأضداد لأن ذلك دليل
عدم الابانة في هذه اللغة وهم الشعوبيون وكانت نيتهم سيئة • ومنهم من
أنكر الأضداد وأرجع كل معنيين متضادين الى أصل واحد كابن درستويه
والأمدي وآخرين وكانت نياتهم حسنة - وقد بحثنا ذلك أيضا في الكلام
على كتبهم - ، ومنهم من ذهب الى تفسير الأضداد ودراسة عوامل نشأتها
المختلفة ، وذلك لنفي اصالة الضدية وتبرئة العربية من العيب الذي وصمت
به من عدم الابانة والغموض الاصليين وهم المحدثون من المستشرقين والعرب •
فبعضهم أرجع ذلك الى عامل واحد كآبل ولجوست والأب مرمرجي ،
ومنهم من أرجعها الى عدة عوامل كرد سلوب وجيز وعبدالفتاح بدوي
ومنصور فهمي وابراهيم السامرائي وغيرهم • كما أنهم جميعا - قدماء
ومحدثين - اختلفوا في عدد الأضداد ، فمنهم من أنكرها كلها ، ومنهم
من أنكر أكثرها ومنهم من أنكر ما يقرب من نصفها ، كما أن المدافعين لم
يتفقوا على عدد الأضداد فمنهم من لم تتجاوز أضداده المائة كالأصمعي ،
ومنهم من وصلت عنده الاربعمائة تقريبا كأبي الطيب ، الا أنهم جميعا
متفقون على قلتها وظرافتها في كلام العرب ، ومتفقون أيضا على استبعاد
قسم منها ، وتشترك أغلب تفسيراتهم في الاهتمام بـ (الأصل) الذي يرجع
اليه المعنيان المتضادان •

* * *

وقد حفظ لنا العلماء الأوائل مواد اللغة ومفرداتها بالتدوين المبكر
لها ، فظهرت كتبهم ومعجماتهم زاخرة بهذه المواد مملوءة بالمفردات ،
ابتداء من أواخر القرن الثاني الهجري ، اذ شمل هذا التدوين مختلف
جوانب اللغة وبمختلف المناهج والطرق ، فمن المصنفات ما غني بجمع
الألفاظ وتصنيفها تصنيفا معجميا على الحروف كالعين والجمهرة والبارع

والتهذيب والمحيط وغيرها ، ومنها ما غني بالموضوعات التي تندرج تحتها
جمهرة من ألفاظ العربية كموضوع خلق الانسان ، والخيال والسلاح ،
والنخل ، والدارات ، وغيرها ، ومنها ما غني بالمعاني وذلك بجمع وتصنيف
الألفاظ المنصرفة الى الدلالات المختلفة ، ومن أمثلتها كتب المشترك
والمترادف والأضداد ، لما وجد علماء اللغة في هذه المواد من طرافة وغرابة
ومشكلة لغوية تركها لهم تاريخ العربية •

فتوالت كتب الأضداد تجمع مواد هذا النوع من الألفاظ مشيرة الى
غرابته في اللغة وطرافته في اللسان العربي معتمدة في ذلك أول الأمر على
الرواية والنقل عن العرب ، فكان نتيجة ذلك ما يقرب من ثلاثين كتابا في
الأضداد ، بدأت بكتاب قطرب (ت ٢٠٦هـ) وانتهت بالكتب الحديثة
المعاصرة ، وجدير بالذكر أن الرواية عن العرب في الأضداد قد توقفت
بعد صدور مؤلفات الجيل الأول في هذا الموضوع ، اذ كان هؤلاء هم
الرواة المشافهون أو أنهم الذين سمعوا من الرواة مادتهم المروية كقطرب
والفراء وأبي عبيدة والأصمعي وغيرهم ، لأن الذين جاءوا بعدهم اعتمدوا
كتبهم في تصنيفهم في الأضداد ، ناقلين عن هذه الكتب ما شاءوا من مادة
وشاهد وتعليق ، متأثرين بمنهج شيوخهم آخذين برواياتهم في ذلك ،
فظهرت في كتبهم الملامح انذهبية متفاوتة الوضوح الا أن منها ما كانت
المصادر قد وجهته الوجهة المدرسية بشكل يبين ككتابي ابن الانباري وأبي
الطيب من الكوفيين وكتابي ابن درستويه والآمدي من البصريين •

★ ★ ★

وليس من الغريب أن نجد أن الرغبة في خدمة القرآن كانت الدافع
الاساس عند أوائل الاضداديين لوضع كتبهم ، عندما وجدوا أن من ألفاظ
القرآن الكريم ما يفسر بأكثر من معنى يوهم بتضادها ، لذلك حفلت كتبهم
بآيات الكتاب المقدس يستشهدون على بعضها البعض الآخر ، واقفين من

معانيها موقف الحذر والتقديس والاحترام ، دون أن يجروا على البوح
بالمعنى الذي تنصرف اليه اللفظة القرآنية ، لأنه يخالف ما ينبغي أن يكون
عليه هذا المعنى في القرآن لأنه منزّه عنه ، غافلين عن أن الأساليب العربية
لم تكن قد استقرت بعد حين نزول القرآن ، فكان القرآن صدى لعدم
الاستقرار اللغوي هذا بما احتواه من استعمالات تلاشت بعدئذ
من الأساليب العربية ، ودارس لغة القرآن يلمس هذا بوضوح في مسألة
التذكير والتأنيث مثلا وفي التصريف والاستعمالات القرشية الخاصة والتقديم
والتأخير والحذف والاختصار وما الى ذلك مما كان من بقايا اللهجات التي
وحدّها القرآن وزادت في توحيدها الدراسات اللغوية والنحوية في القرنين
الاول والثاني . فاذا قرأ الدارس المسلم (ظَنَّ) في آية من القرآن ،
الاولى فيها أن تكون يقيناً ، حرصاً على المعنى المقدّس ، قال انها تأتي شكاً
ويقيناً فهي من الأضداد ، غير عابئ بأن يكون القرآن قد أراد معنى قريباً
من اليقين ولم يرد اليقين الكامل ، لأن في الظن مقدار كبير من العلم .
ومثلها (عَسَى) فهي الاخرى تأتي شكاً ويقيناً على نفس المنطلق ، وكذلك
(أَسْرَ) و (فَوْق) و (بَيْنَ) و (عَسَعَسَ) و (القراء) و
(أَخْفَى) و (القِسْطُ) وغير ذلك كثير من الألفاظ التي بحثت في
كتب الأضداد من عهد قطرب الى الصغاني وتضادّها مزعوم بسبب هذه
النظرة المثالية للغة القرآن .

لذلك كانت كتب الرعيّل الاول مختصرة نوعاً ما قليلة المادة ، لان
الجهود منصّبة على خدمة لغة القرآن بالدرجة الاولى ، مشيرة أحيانا لتضاد
ألفاظ واردة في شعر أو نثر ، ولكن حتى هذه الألفاظ متصلة بشيء من
علاقة بألفاظ القرآن الكريم ، ولكن الرغبة في الاحصاء والاستيعاب والزيادة
بدأت تنمو مع ظهور دراسات الأضداد ، حتى دفعت هذه الامور كثيراً من
الأضداديين الى تكلف التضاد واصطناعه في ألفاظ بعيدة جداً عن الأضداد

ولا تتوفر فيها فكرة التضاد الا بالتفسيرات البعيدة المتمحلة مستعينين في ذلك بالقراءات القرآنية ولهجات القبائل العربية وأساليب اللغة في المجاز والاستعارة وسعة المدلول وتداخل التصريف ، ليصلوا بهذه الطريق الى الكثرة المنشودة ، فكانت كتب التوزي وابن السكيت والسجستاني وابن فارس وغيرهم مصداق هذا الاندفاع ، وصحيح أن كتب ثعلب وابن الانباري وأبي الطيب فيها شيء من هذا ، الا انه يجب أن لا يغيب عن البال أنهم - بحكم منهجهم المدرسي - آخذون بالرواية والنقل أخذاً أساسياً ومبدئياً ، لذلك فانهم اعتمدوهما اعتماداً كبيراً فتضخمت كتبهم على هذا الشكل ، يضاف الى ذلك أن ابن الانباري مثلاً صرح بأن من أسباب وضعه الكتاب هو الردّ على الشعوبيين الطاعنين في حكمة اللغة المتقنين منها دقتها ، فلا بدّ أن يكون الردّ موسعاً مستفيضاً ليفي بغرضه ويسدّ الحاجة اليه •

ومن جانب آخر ولد هذا التوسع غير المدروس ردود فعل كثيرة لدى الدارسين ، فانبرى بعض البصريين المغالين - مع ما وجدوه في أنفسهم من دوافع التعصب المدرسي - يردّون على هؤلاء الشكّريين من رواية الأضداد ، ويناقشون الألفاظ ويبتلون دعوى المؤيدين لتضادها ، مسرفين في انكارهم اياها اسراف اولئك بقولهم بها ، وعلى رأس هؤلاء ابن درستويه في كتابه (ابطال الأضداد) الذي نهج نهجه في هذا الموقف الأمدي في كتابه (الحروف من الأصول في الأضداد) ، والحقيقة أن كلا الفريقين أخطأ الطريق وزاغ عنه ؟ باعتراف اولئك على لسان ابن الانباري بأن هناك أسبابا كثيرة خلقت الأضداد ، ذكر منها اختلاف اللهجات ، والسياق ، وشمولية المدلول الأوّل ، وباعتراف هؤلاء على لسان ابن درستويه بوجود القليل النادر من الأضداد في اللغة ، الذي لا يمكن جحده وتجاهله بعد أن صحّت روايته عن العرب •

ونتيجة لكثرة الكتب المؤلفة في الأضداد ، وصعوبة الاطاحة بها من قبل المتعلم الجديد ، أخذ جماعة من اللغويين على عاتقهم تأليف مختصرات نافعة في الأضداد ، لا يزيدون فيها على ذكر اللفظة ومعنيها المتضادين دون الخوض في ذكر الشواهد أو التعليق عليها أو الاستطراد في الكلام ، كالذي فعله ابن الدهان والصغاني في كتابيهما ، ليسهل على من يريد الوقوف على ألفاظ الأضداد الرجوع اليها وحفظها ان شاء ذلك ، ونهجت نهجهما كتب محدثة ككتابي (رسالة في بعض الألفاظ المستعملة في الضدين الموجودة في القاموس) و (منبه الرقاد في ذكر جملة من الأضداد) ، إلا ان التأليف في الأضداد بعد الصغاني سار على طريق رغبة المؤلف في المشاركة ، التي تقوده الى أشياء لاجدوى منها ولا نفع ، بسبب ضرورة تقليد السابقين وترسم خطاهم في التأليف ، دون أن يضاف الى بحوث الأضداد شيء جديد يكون مثار اهتمام ، إلا من ناحية الشكل كمنظومة (دورق الانداد) للإياري ، أو (مختصر أضداد ابن الأنباري) للتميمي وغيرهما . اما كتب العناقي والمدني وملا حسن والخليجي والتكائني ، فهي من كتب المشاركة الضعيفة والمحاكاة الجافة ، لعدم احتوائها كما يبدو إلا على أشياء من المادة القديمة الموجودة في كتب الأضداد .

* * *

وكانت كتب الأضداد قد أولت الشاهد عناية كبيرة ، واعتمدت عليه فيما تذكره من أضداد ، حتى صرح بعضها باستبعاد ما لم يذكر له شاهد ، على أن بعضها الآخر أهمل ماتوفر من شواهد بعض الالفاظ ، وطائفة ثالثة تركت الاستشهاد البتة ، ولعل هذا التباين في الموقف من الشاهد كان صدى للمدرسة التي ينتمي اليها هذا الدارس أو ذاك . والبحث في هذه الشواهد - التي كان على رأسها الشعر والقرآن - يوقف على أن الأضداديين لم يلتفتوا الى ما يجب أن يلتفت اليه في الشاهد ، ففي الشعر أهملوا النظر الى قيده العروضي والى احتمال التصحيف والوضع فيه ، والى الجهل بالقائل ،

والبيئة اللغوية التي يتسبب اليها هذا القائل ، والى التطور الدلالي الذي يمكن أن يستجلى في شعر البيئة الواحدة ، وغير ذلك • وفي القرآن كذلك أهملوا الالتفات الى اختلاف القراءات في الآية ، ولغات القبائل فيه ، وقاسوا الاستعمال القرآني على الشعر ولم يقيسوه على القرآن نفسه واستفادوا من اختلافهم في تفسير الآية معنى التضاد في اللفظة ، وأهملوا في جميع ذلك النظر الى السياق العام للبيت أو الآية ، الذي يحدد معنى اللفظة تحديدا دقيقا ، فكان من جراء ذلك ما وجدناه من ألفاظ زعموا توفر الضدية فيها وهي وليدة هذه الاسباب والعوامل التي لم يدققوا النظر فيها عند تناولهم للاضداد •

والمعجمات اللغوية هي الاخرى تهدي دراستها واستقراء مادتها الى الوقوف على أشياء من تاريخ اللغة الطويل ، فهي وان كانت كتباً ضخمة تحصي مفردات اللغة ، الا أنها تقدم خلال ذلك أشياء تتصل باستعمالات اللهجات المختلفة ، وبالمفردات المعربة ، وبالمعاني المجازية ، وبطور دلالة الألفاظ ، وما الى ذلك مما يلقي الضوء الكاشف لتبيين المراحل التاريخية التي تركت آثارها في العربية ، وبالتالي الاستفادة من ذلك في تفسير الظواهر اللغوية ، ومنها ظاهرة (الأضداد) •

النتائج العامة والخاصة

نستطيع أن نستخلص من هذه الدراسة النتائج العامة التالية :

١ - غموض المراحل التاريخية القديمة للعربية ، اذ أن أقدم ما وصلنا من نصوص اللغة لا يمكن أن يعبر عن بداية العربية • فيمكن ارجاع كثير من الظواهر والاساليب والصور التي لاتسجم مع طبيعة اللغة واطرادها في الصوت والدلالة والتركيب الى آثار تلك المراحل القديمة •

٢ - خضوع مفردات اللغة لسنة التطور والتغير ، حيث شملت هذه

السنة أغلب ألفاظ اللغة وعملت على الابتعاد بها شيئاً فشيئاً عن مجالها الدلالي
الاول ، فعلقت بهذه الألفاظ معان جديدة ، فكان من نتائجها وجود ألفاظ
تضادت معانيها فسميت بـ (الأضداد) •

٣ - قلة عدد الاضداد في اللغة ، ونمو هذه القلة بمرور الزمن
وتبضح الدراسات اللغوية ، اذ لم يردنا عن الرواة الأوائل الا شذور
منها ، أخذت في الازدياد حتى أحصى الأضداديون المتأخرون المئين منها
في كتبهم •

٤ - الاستطراف وخدمة القرآن هما الدافعان الاساسيان لوضع الاوائل
كتبهم في الاضداد ، فالأول دافع خاص بالأضداد لا نعهد مثله دفع اللغويين
لوضع مؤلفاتهم الاخرى ، وقد صرح به قطرب وابن الانباري ، ذلك ان
توفر الضدية في اللفظة مما يدعو الى التأمل فيها والاستغراب منها وبالتالي
استطراف وجودها في اللغة • أما الثاني فهو دافع عام يشمل كل ما صنّفه
المسلمون الأوائل في مواضيع اللغة وظواهرها ودراسة أساليبها ومفرداتها
واستعمالاتها المختلفة بخدمة للغة القرآن ومحاولة للوقوف على معانيه ومؤدى
آياته الكريمات ، لأن تحديد ذلك متوقف عليه تحديد الحكم الشرعي •
وحين توهموا الضدية في بعض ألفاظ القرآن راحوا يدرسون هذه الألفاظ
تحديدا لمعانيها بهذا الدافع الذي لأجله وضعت كتب الأضداد الأولى ، وقد صرح
به أبو حاتم • الا ان توالي الدراسات على الموضوع الواحد من شأنه أن
يضعف الدافع الأصلي الذي دفع المؤلف الاول للتأليف في هذا الموضوع ،
لذا نجد ضمور هذه الرغبة في خدمة القرآن واضحا في مؤلفات الجيل
الثالث والرابع الذي لم يعنه من موضوع الأضداد الا انها مفردات ينبغي
ان تجمع في مؤلف صغير خالية من الاستشهاد والتعليق ككتابي ابن الدهان
والصفاني •

٥ - وضوح التعسف في حمل الأغلب الأعم من الاضداد المذكورة في الكتب الكبيرة على التضاد ، وتجاهل هذه الكتب للظروف التاريخية الفاعلة في نشأة الأضداد . مما دفع العلماء الى اعادة النظر في هذه المواد والوقوف منها موقف الانكار الذي لم يفهم حقيقته الدارسون فظنوا فيه النيل من اللغة ووصفها بالغيب والتقصان . وهو في واقعه تعبير عن السخرية بهذه المكائنة والمفاخرة اللتين حملتا الاضداديين على اندفاع في هذه السبيل .

٦ - اهتمام القدماء بالأضداد اهتماما لانجد مثله في سائر الظواهر اللغوية الاخرى ، اذ لم تقف في الترادف أو الاشتراك أو النحت أو القلب أو الابدال أو الاتباع على نيف وعشرين كتابا تتناول كلا من الظواهر السابقة تأبيدا وانكارا كالذي وقفنا عليه في الاضداد . وهذا يوحي الينا انهم تحسبوا في الاضداد مشكلة اعمق من مشكلات سواها من مفردات اللغة ، ومثل هذا ما نقوله في دراسات المحدثين . ولعل في اهتمام القدماء بالأضداد سببا آخر ، ذلك اننا نجد أن قسما مهما من كتب الأضداد قد تم تأليفه على ايدي غير العرب من الدارسين الذين عاشوا في ظل اللغة العربية ، وهي حقيقة تشير الى رغبة العناصر الاجنبية التي اعتنقت الاسلام في تعلم لغة دينها الجديد وكتابها المقدس ، ليكون لها في المجتمع العربي مقاعد آمنة وحياة مستقرة ومكانة مرموقة .

٧ - جلاء المنهجين المدرسين البصري والكوفي في كتب الأضداد . حيث نجد ان كتب الاضداديين البصريين يغلب عليها طابع الدرس البصري الى حد ما ، ذلك انها تقلل من الاستشهاد بل تهمله أحيانا في بعض الالفاظ بالرغم من توفر شواهدا كما مر بنا في صنيع أبي حاتم . وقد ألغت الكتب البصرية المتأخرة الاستشهاد أساسا واكتفت بالسرد المعجمي للالفاظ ككتابي ابن الدهان والصغاني ثم ان هذه الكتب قللت من الاهتمام بالقراءات

والاستشهاد بآراء المفسرين والفقهاء والحديث النبوي ، ولم تتعرض الى اختلاف الروايات في الشاهد الواحد ، ولم تكثر من النقل عن الرواة والاعراب وما الى ذلك مما كان يخالف المنهج الكوفي الذي يقوم على الاهتمام بهذه الامور جميعا وعلى رأسها الاتساع في الراوية والنقل والأخذ بالشواهد أخذاً شديداً يصل الى درجة الاعتماد على الشاهد اليتيم لاثبات ضدية لفظة • ومن هنا كانت كتب اولئك مختصرة قليلة المادة ، وكتب هؤلاء واسعة متضخمة •

٨ - اختصاص البصريين بانكار الأضداد كما مرّ ذلك في عمل ابن درستويه والآمدى ، واختصاص الكوفيين بالدفاع عنها كما توضّح لدى ابن الانبارى وابن فارس • وهو صدى آخر من أصداء المدرسة التي ينتمي اليها كل منهم ، اذ يدفع الاهتمام بالرواية لدى الكوفيين الى الدفاع عن النصوص العربية المروية التي نطقت الفاظها بالتضاد ، وبعكسهم البصريون الذين لم يجدوا حرجا في الطعن بهذه المرويات •

٩ - تخلي أغلب الشواهد التي ذكرتها كتب الأضداد عن تأييدها لما تريده منها هذه الكتب • حيث أهمل الأضداديون النظر الى عدة اعتبارات اساسية في هذه الشواهد ، فلم يعنهم منها الا انها كلام نطق به العرب أو نطق به على اساليب العرب ، ولم يهتمهم بعد ذلك ما تفصح عنه هذه النصوص من اختلاف اللهجات والتطور الذي يحصل في البيئة اللغوية الواحدة ، واحتمال الخطأ والتصحيف والوضع ، واختلاف قراءات الشاهد القرآني ، وقياسه على الشاهد الشعري ، وتخصيص السياق للمعنى • وتغيّر مؤدى اللفظة بتغير التفسير وما الى ذلك مما كان يجب التنبيه اليه في الاستشهاد • هذه هي أهم النتائج العامة التي أسفرت عنها دراسة (الاضداد في اللغة) وهناك في المقابل نتائج خاصة ينتهي اليها البحث ، وقد أشرت اليها في تضاعيف الرسالة ، وهي تشكل الهدف من هذه الدراسة وخطها البياني

المشترك ، وهي :

١ - الايمان بقلّة الأضداد الحقيقية وبعدم أصالة الضدية فيها عند وضعها الأول .

٢ - ضرورة البحث بدقة عن الألفاظ التي قيل انها من الأضداد ، والتأكد من عددها في اللغة ومن صحة ورودها عن العرب .

٣ - وجوب تخصيص كل ضد من الأضداد الحقيقية بأشهر معنيسه في الاستعمال الحديث .

٤ - تنقية اللغة باطراح الالفاظ التي جرى التعسف في عدّها من الاضداد ، وارجاع كل منها الى معناه الأصلي في اللغة بعد التثبت والتمحيص .

٥ - الاطمئنان الى انقراض كل الأضداد التي هجرها الاستعمال وزوالها من معجم الاضداد ، وهو مصير لقيته أكثر الأضداد التي ذكرتها الكتب القديمة .

الجديد في هذه الرسالة

لعل أهم جديد في هذه الرسالة أنها أول دراسة جامعية تبحث ظاهرة الاضداد بحثاً مستوعباً ، مستقصية علل وجود هذه الالفاظ في اللغة وأسباب نشوئها متعرضة لآراء الأقدمين والمحدثين فيها ومواقفهم منها ومناهجهم في درسها ، واقفة على الكتب المؤلفة فيها وقفة درس وتتبع ، مناقشة ماجاءت به من مواد وشواهد . يحدوها في كل ذلك الاستقلال في البحث والموضوعية في الدرس وعدم التحيز في الرأي . فكانت بمجموعها مصداق قول كوتولد فايل : « وان رسالة تجمع الأضداد وتتميز بالاستقلال في البحث ، مع العناية باللهجات المختلفة واللغات المتقاربة ، لتمدنا بمعلومات هامة تعيننا في فهم تاريخ الحضارة [دائرة المعارف الاسلامية ٢ / ٢٩٥] » أما المفردات المنهجية

الجديدة في هذه الرسالة فأهمها :

١ - العناية باللهجات العربية وتحديد بيئاتها اللغوية ، ومقارنة استعمالاتها القديمة باستعمالات اللغات السامية واليمية والفارسية المتاخمة التي تأثرت ببعضها العربية الى حد بعيد ، والتي اتحدت مع بعضها الآخر في الأصل اللغوي القديم • مستعينين في ذلك بالجغرافية التاريخية لهذه المجموعة من اللغات •

٢ - استيعاب أسباب نشأة الأضداد وتزايدها ، ودراسة علل وجودها في اللغة ، والنصر على أغلب الأضداد التي تفسر نشأتها بهذا العامل أو ذاك، للوصول الى النتيجة المطلوبة من تحديد عددها الحقيقي في اللغة •

٣ - المشاكة في تفسير الأضداد بتطبيق نظرية (صلة الاصوات بالمعنى) القديمة ، واستيعاب دلالة الضد بوساطتها • وبتطبيق قانون (وحدة وصراع المتضادات) الحديث ، للوقوف على مدى شموله لنشأة الأضداد وتفسيرها به •

٤ - دراسة كتب الأضداد واستقصاء آراء العلماء والباحثين في موادها وتبيين مواقفهم منها وتحديد اتجاهاتهم ومناهجهم ومصادرهم في تناولها ، وتتبع الآثار المدرسية - البصرية والكوفية - في توأليهم وبحوثهم ، سواء منها ما كان دفاعا أو انكارا •

٥ - جمع آراء من ضاع كتابه في الأضداد واقتفاؤها في كل المصادر المتوفرة ، ومحاولة العثور من خلالها على منهجه الخاص وعلى مقدار تأثيره بغيره وتأثيره فيه ، لانا نبحت هذه الآراء على أنها صورة قريبة لكتابته الضائع •

٦ - القول بنسبة كتاب في الأضداد للفراء وآخر لشعرب خلافا لمن نفى ذلك ، وتأكيده نسبة كتاب الاصمعي له خلافا لمن جعله نسخة اخرى

من كتاب ابن السمكيت ، والقول بسرقة التوزي وابي حاتم كتابيهما من كتاب
أبي عبيدة ، واثبات الوهم في نسبة كتاب الأضداد لابن قتيبة وآخر
للشعالبي ، والبرهنة على خطأ نسبة كتاب الأضداد لأبي عبيد القاسم بن سلام
ومثله لأبي البركات الأنباري خلافا لمن ذهب الى ذلك ، وكشف الوهم في
ذكر كتاب أضداد آي القرآن والصواب ان يكون عدد آي القرآن •

٧ - محاكمة الشواهد الشعرية والقرآنية التي اعتمدتها كتب الأضداد
والنظر الى ظروفها اللغوية والمعنوية ، واستقراء مواد الاضداد في المعجمات
اللغوية • والخروج من ذلك كله بعدة حقائق تاريخية تعيننا في فهم المراحل
اللغوية التي مرت بها العربية ، وما تركته فيها من آثار واضحة في الشعر
والقرآن وكلام العرب •

هذا أهم الجديد الذي احتضنته الرسالة ، وهناك أيضا ما هو أقل
أهمية مما ذكرنا ، تركناه للقارئ يرجع اليه ويقف عليه •
وانه جهدنا الذي نقدمه للمكتبة اللغوية ، نتوخى به خدمة العربية ،
والله ولي التوفيق •

فهرس المصادر والمراجع

المخطوطة :

- ١ - ابن درستويه وكتابه تصحيح الفصيح : عبدالله الجبوري - رسالة ماجستير - بغداد ١٩٧٢ .
- ٢ - ابن الشجرى ومنهجه في النحو : عبدالمنعم احمد صالح التكريتي - رسالة ماجستير - بغداد ١٩٧٢ .
- ٣ - اسماء الاضداد : المنسوب لابن قتيبة - مخطوطة مكتبة آل كاشف الغطاء العامة في النجف .
- ٤ - اسماء الأضداد : المنسوب للشعالبي - مخطوطة مكتبة آل كاشف الغطاء في النجف .
- ٥ - الأضداد : د. حسين نصار - مقالة مطبوعة بالرونيو لطلبة الدراسات العليا في القاهرة .
- ٦ - أمالي الزجاجي : مصورة مكتبة الحكيم العامة في النجف .
- ٧ - البارع لأبي علي القالي : تحقيق هاشم الطعان - رسالة ماجستير - بغداد ١٩٧٢ .
- ٨ - تصحيح الفصيح لابن درستويه - مصورة عبدالله الجبوري .
- ٩ - الحلل في اصلاح الخلل لابن السيد البطليوسي : تحقيق سعيد عبدالكريم - رسالة ماجستير - بغداد ١٩٧٢ .
- ١٠ - ديوان الأدب للفارابي - مصورة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد .
- ١١ - شرح السبع الطوال لابن كيسان - مصورة علوان مزهر الياسري .
- ١٢ - عدد آي القرآن لابي عبيد القاسم بن سلام - مصورتي الخاصة عن نسخة جستر بيتي بدبلن .
- ١٣ - العدة في الرجال للسيد محسن الأعرجي - مخطوطة مكتبة آل الاعرجي العامة في الكاظمية .
- ١٤ - العين للخليل بن احمد - مخطوطة مكتبة المتحف العراقي .
- ١٥ - الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام - مخطوطة مكتبة المتحف العراقي .

- ١٦- كليات مختلفة لغوية لمؤلف مجهول - مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب .
- ١٧- ماجاء على وزن أفعل من الأمثال لحمزة الاصفهاني - مصورة مكتبة الدراسات العليا .
- ١٨- محاضرات الدكتور ابراهيم السامرائي على طلبة قسم اللغة العربية - مدونتي الخاصة .
- ١٩- المحيط في اللغة للصاحب بن عباد - مصورة الشيخ محمد حسن آل ياسين .
- ٢٠- مشكل اعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : تحقيق حاتم صالح الضامن - رسالة ماجستير - بغداد ١٩٧٣ .
- ٢١- معاني القرآن للأخفش - مصورة عبدالأمير الورد .
- ٢٢- النخل لأبي حاتم السجستاني - مصورة الدكتور ابراهيم السامرائي .
- المطبوعة :**
- ٢٣- الابدال لأبي الطيب : تحقيق عز الدين التنوخي - دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٢٤- الابل للاصمعي : تحقيق د . اوغست هفتر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٠٣ م .
- ٢٥- ابن السكيت اللغوي : محيي الدين توفيق ابراهيم - مطبعة دار الجاحظ - بغداد ١٩٦٩ م .
- ٢٦- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : د . أحمد مكي الانصاري - القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٢٧- الاتباع لأبي الطيب : تحقيق عز الدين التنوخي - نشر المجمع العلمي بدمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- ٢٨- الاتباع والمزاوجة لاحمد بن فارس : تحقيق كمال مصطفى - القاهرة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
- ٢٩- أثر القرآن في تطور النقد العربي : د . محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر ١٩٦١ م .
- ٣٠- اخبار النحويين البصريين للسيرافي : تحقيق الزيني وخفاجي - مصطفى البابي بالقاهرة ١٩٥٥ م .

- ٣١- الادب العربي : د . عناد غزوان اسماعيل وجماعة - وزارة التربية
بيغداد ٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٣٢- ادب الكاتب لابن قتيبة : تحقيق محب الدين الخطيب - المطبعة
السلفية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ .
- ٣٣- اساس البلاغة للزمخشري : تحقيق عبدالرحيم محمود - مطبعة أولاد
اورثاند - القاهرة ١٩٥٣ م .
- ٣٤- أسرار العربية : أحمد تيمور باشا - مطابع دار الكتاب العربي -
القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .
- ٣٥- الاشباه والنظائر للسيوطي : مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر
آباد الدكن ١٣٥٩ هـ .
- ٣٦- الاشتقاق لابن دريد : تحقيق عبدالسلام هارون - مطبعة السنة
المحمدية ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- ٣٧- اصلاح المنطق لابن السكيت : تحقيق شاكر وهارون - دار المعارف
بمصر ١٩٥٦ م .
- ٣٨- الاصمعي حياته وآثاره : د . عبدالجبار الجومرد - مطابع دار الكشف
- بيروت ١٩٥٥ م .
- ٣٩- الاصوات اللغوية : د . ابراهيم أنيس - مطبعة لجنة البيان العربي -
القاهرة ١٩٦١ م .
- ٤٠- اصوات واشارات : أ . كوندراتوف - ترجمة أدور يوحنا - مطبعة
الجمهورية بغداد ١٩٧١ م .
- ٤١- الاضداد لقطرب : تحقيق هانس كوفلر - مجلة اسلاميكا المجلد
الخامس ١٩٣١ م .
- ٤٢- الاضداد للاصمعي : تحقيق اوغست هفتر - المطبعة الكاثوليكية -
بيروت ١٩١٣ م .
- ٤٣- الاضداد لابن السكيت : تحقيق اوغست هفتر - المطبعة الكاثوليكية -
بيروت ١٩١٣ م .
- ٤٤- الاضداد لابن الانباري : تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم - الكويت
١٩٦٠ م .
- ٤٥- الاضداد لابي حاتم : تحقيق اوغست هفتر - المطبعة الكاثوليكية -
بيروت ١٩١٣ م .

- ٤٦- الاضداد للصغاني : تحقيق اوغست هفتر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣ م .
- ٤٧- الاضداد في كلام العرب لأبي الطيب : تحقيق د . عزة حسن - دمشق ١٩٦٣ م .
- ٤٨- الاضداد في اللغة لابن الدهان : تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - مطبعة دار التضامن - بغداد ١٩٦٣ م .
- ٤٩- أطلس التاريخ الاسلامي : هارى و . هازارد وجماعة - تعريب حسن العروسي - مكتبة النهضة المصرية د . ت .
- ٥٠- الأطلس التاريخي : عدى يوسف مخلص - بغداد ١٩٧١ م .
- ٥١- الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي : د . عبد المنعم ماجد وعلى البنا - مطبعة الرسالة - القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٥٢- اعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه : دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٤١ م .
- ٥٣- الأعلام : خير الدين الزركلي - بيروت ١٩٦٩ م .
- ٥٤- الافصاح في فقه اللغة : حسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعیدی - مطبعة المدني - القاهرة د . ت .
- ٥٥- الافعال لابن القوطية : مطبعة بريل - ليدن ١٨٩٤ م .
- ٥٦- الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي : تصحيح عبدالرحمن بن يحيى وجماعة - دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ .
- ٥٧- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطلينوسي : تحقيق عبدالله البستاني - المطبعة الأدبية - بيروت ١٩٠١ م .
- ٥٨- اقليد الخزانة : عبدالعزيز الميمني الراجكوتي - جامعة بنجاب - لاهور ١٩٢٧ م .
- ٥٩- الاكمال لابن ماکولا : تحقيق عبدالرحمن العلمي اليماني - وزارة المعارف الهندية - حيدر آباد الدكن ١٩٦٢ م .
- ٦٠- الالفاظ الفارسية المعربة : أدنى شير - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٠٨ م .
- ٦١- الالفاظ الكتابية للهمداني : تحقيق لويس شيخو اليسوعي - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩١٣ م .

- ٦٢- أمالي القالي - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .
- ٦٣- الامثال لمؤرج السدوسي : تحقيق د . رمضان عبدالنواب - وزارة الثقافة - القاهرة ١٩٧١ م .
- ٦٤- انباء الرواة على انباء النحاة للقفطي : تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٠ م .
- ٦٥- الانساب للسمعاني : تحقيق عبدالرحمن المعلمي اليماني - وزارة المعارف الهندية - حيدر آباد الدكن ١٣٨٢-١٩٦٢ م .
- ٦٦- ايضاح المكنون لاسماعيل البغدادي : تحقيق يالتقايا وبيلكة - وكالة المعارف - استنبول ١٩٤٥ م .
- ٦٧- البئر لابن الاعرابي : تحقيق د . رمضان عبدالنواب - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٦٨- البحث اللغوى عند الهنود : د . أحمد مختار عمر - دار الثقافة - بيروت ١٩٧٢ م .
- ٦٩- بصائر ذوى التمييز للفيروزابادى : تحقيق محمد علي النجار-القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٧٠- بغية الوعاة للسيوطي : تصحيح محمد امين الخانجي-مطبعة السعادة- القاهرة ١٣٢٦ هـ .
- ٧١- البلغة في شذور اللغة : تحقيق د . اوغست هفتر والاب لويس شيخو اليسوعي - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٤ - انظر : شرح مثلثات قطرب .
- ٧٢- تأثر العربية باللغات اليمينية القديمة : هاشم الطعان - مطبعة الارشاد- بغداد ١٩٦٨ م .
- ٧٣- تاج العروس للزبيدي : وزارة الارشاد والانباء - مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥-١٩٧١ م .
- ٧٤- تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعي - مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .
- ٧٥- تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان - مطبعة الهلال - القاهرة ١٩٣٦ م .
- ٧٦- تاريخ الادب العربي : كارل بروكلمان - تعريب د . عبدالحليم النجار - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦١ م .

- ٧٧- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : دار الكتاب العربي (طبعة بالافست) بيروت .
- ٧٨- تاريخ ثغر عدن لابن أحمد بامخرمة : مطبعة بريل - لندن / هولاندة ١٩٣٦ م .
- ٧٩- تاريخ اللغات السامية : د . اسرائيل ولفنسون - مطبعة الاعتماد - القاهرة ١٣٤٨ - ١٩٢٩ م .
- ٨٠- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : تحقيق السيد احمد صقر - عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٤ م .
- ٨١- التطور اللغوي التاريخي : د . ابراهيم السامرائي - دار الرائد للطباعة - القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٨٢- التطور والتجديد في الشعر الاموي : د . شوقي ضيف - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٨٣- التفسير الكبير للفخر الرازي : المطبعة البهية بمصر د . ت .
- ٨٤- التكملة والذيل والصلة للصغاني : تحقيق عبدالعليم الطحاوي وجماعة - دار الكتب - القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٨٥- التنبيهات لعلي بن حمزة : تحقيق عبدالعزيز الميمني الراجكوتي - دار المعارف بمصر ١٩٦٧ م .
- ٨٦- التنبيه على اوهام ابي علي في أماليه للبكري : تحقيق الاب انطون صالحاني اليسوعي - دار الكتب المصرية ١٩٢٦ م .
- ٨٧- التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الاصفهاني : تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٧ م .
- ٨٨- تهذيب اللغة للازهري - تحقيق عبدالسلام هارون - دار القومية العربية للطباعة - القاهرة ١٩٦٤ م .
- ٨٩- ثلاثة كتب في الاضداد : تحقيق د . اوغست هفتر - انظر : كتب الاضداد للاصمعي وابي حاتم وابن السكيت والصفهاني .
- ٩٠- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري : مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤ م .
- ٩١- الجامع لاحكام القرآن للقرطبي (تفسيره) : الطبعة الثالثة ١٩٦٧ م .
- ٩٢- الجواهر المضية في طبقات الحنفية لابن أبي الوفاء : طبع حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٣٢ هـ .

- ٩٣- الحروف لابن السكيت : تحقيق د . رمضان عبد التواب - مطبعة
جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٦٩ م .
- ٩٤- خزانة الادب للبغدادى : طبعة بالاوفست عن طبعة بولاق - مكتبة
المثنى ببغداد .
- ٩٥- الخصائص لابن جني : تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب
المصرية - القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٩٦- دائرة المعارف الاسلامية : دار انتشارات جهان - طهران بوذر جمهرى .
- ٩٧- دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدى - مطبعة دائرة
معارف القرن العشرين - القاهرة ١٩٣٧ م .
- ٩٨- دراسات في فقه اللغة : د . صبحي الصالح - دار العلم للملايين -
بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٩٩- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري : د . فاضل صالح
السامرائي - دار النذير للطباعة ١٩٧٠ م .
- ١٠٠- درة الغواص في أوهام الخواص للحريرى : طبعة بالاوفست عن طبعة
لاينزك - مكتبة المثنى ببغداد .
- ١٠١- دروس اللغة العبرية : ربحي كمال - مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٦ هـ -
١٩٦٦ م .
- ١٠٢- دلالة الألفاظ : د . ابراهيم أنيس - مطبعة لجنة البيان العربي -
القاهرة ١٩٦٣ م .
- ١٠٣- دلالة الألفاظ العربية وتطورها : د . مراد كامل - معهد الدراسات
العربية العالي - القاهرة ١٩٦٣ م .
- ١٠٤- ديوان ابن مقبل : تحقيق د . عزة حسن - وزارة الثقافة والارشاد
القومي - دمشق ١٩٦٢ .
- ١٠٥- ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم - دار المعارف
بمصر - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ١٠٦- ديوان بشر بن أبي خازم : تحقيق د . عزة حسن - دمشق ١٩٦٠ م .
- ١٠٧- ديوان حاتم الطائي : طبع لندن ١٨٧٢ م .
- ١٠٨- ديوان حسان بن ثابت : المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٩ .
- ١٠٩- ديوان الخنساء (انيس الجلساء) : المطبعة الكاثوليكية - بيروت
١٨٨٨ .

- ١١٠-ديوان الفرزدق : مطبعة الصاوى - القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م .
- ١١١-ديوان لبيد : تحقيق احسان عباس - الكويت ١٩٦٢ م .
- ١١٢-ديوان النابغة : تحقيق شكرى فيصل - بيروت ١٩٦٨ م .
- ١١٣- ديوان الهذليين : دار الكتب المصرية - القسم الادبي - القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- ١١٤-الذريعة الى تصانيف الشيعة : آغا بزرك الطهراني - مطبعة الغرى في النجف ١٣٥٦ هـ .
- ١١٥-رواية اللغة : د . عبد الحميد الشلقاني - دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .
- ١١٦-روضات الجنات في احوال العلماء والسادات: محمد باقر الخوانسارى - المطبعة الحيدرية - طهران ١٣٩٠ هـ .
- ١١٧-زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والضاء لابي البركات الانبارى : تحقيق د . رمضان عبدالتواب - دار الامانة ومؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- ١١٨-سر صناعة الاعراب لابن جنى : تحقيق مصطفى السقا وجماعة - مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٤ م .
- ١١٩-سر الليال في القلب والابدال : احمد فارس الشدياق - استانبول ١٢٨٤ هـ .
- ١٢٠-سمط اللآلي لابي عبيد البكرى : تحقيق عبدالعزيز الميمنى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٣٦ م .
- ١٢١-شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي : مكتبة القدسي - مطبعة الصدوق الخيرية - القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ١٢٢-شرح ادب الكاتب لابي منصور الجواليقي : مكتبة القدسي - القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ١٢٣-شرح درة الغواص للخفاجي : نشر نظارة المعارف - مطبعة الجوائب- قسطنطينية ١٢٩٩ هـ .
- ١٢٤-شرح الرضي على شافية ابن الحاجب : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة د . ت .
- ١٢٥-شرح مثلثات قطرب للسنهورى : تحقيق هفتر وشيخو - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٤ م .

- ١٢٦- شرح المعلقات السبع للزوزني : تحقيق محمد علي حمد الله - المطبعة التعاونية دمشق ١٩٦٣ م .
- ١٢٧- شرح مقصورة ابن دريد للخطيب التبريزي : نشر المكتب الاسلامي للطباعة والنشر - دمشق ١٩٦١ م .
- ١٢٨- الشعر والشعراء لابن قتيبة : نشر دار الثقافة - بيروت ١٩٦٤ م .
- ١٢٩- شمس العلوم لنشوان الحميري : تحقيق ك. و. سترستين - مطبعة بريل - ليدن ١٩٥٣ م .
- ١٣٠- الصاحبى لابن فارس : نشر المكتبة السلفية - مطبعة المؤيد - القاهرة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م .
- ١٣١- الصحاح للجوهري : تحقيق أحمد عبدالغفور عطار - مطابع دارالكتاب العربي - القاهرة ١٩٥٦ م .
- ١٣٢- طبقات اعلام الشيعة لأغابزرك الطهراني : تحقيق علي نقي منزوى - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧١ م .
- ١٣٢- طبقات أعلام الشيعة لأغا بزرك الطهراني : تحقيق علي نقي منزوى - مصر د . ت .
- ١٣٤- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم - مطبعة الخانجي - القاهرة ١٩٥٤ م .
- ١٣٥- طرق تنمية الالفاظ في اللغة : د . ابراهيم أنيس - مطبعة النهضة الجديدة - القاهرة ١٩٦٦ م .
- ١٣٦- عبقري من البصرة : د . مهدي المخزومي - وزارة الاعلام - بغداد ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ١٣٧- عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب لابي بكر الحازمي : تحقيق عبدالله كنون - القاهرة ١٩٦٥ م .
- ١٣٨- العربية : يوهان فك - تعريب د . عبدالحليم النجار - مطبعة دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٥١ م .
- ١٣٩- عرض موجز للمادية الديالكتيكية : بودوستنيك وياخوت - دار التقدّم - موسكو ١٩٧٢ م .
- ١٤٠- العلامة اللغوي ابن فارس الرازي : د . محمد مصطفى رضوان - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٥٩ م .

- ١٤١- علم اللغة : د . علي عبدالواحد وافي - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ١٤٢- علم اللغة : محمود السعران - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٢ م .
- ١٤٣- العمدة لابن رشيق القيرواني : تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - مطبعة السعادة بمصر - القاهرة ١٩٥٥ م .
- ١٤٤- العين للخليل بن أحمد : تحقيق د . عبدالله درويش - مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٧ م .
- ١٤٥- غريب القرآن لابي بكر السجستاني : مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده - القاهرة ١٩٦٣ م .
- ١٤٦- الفائق في غريب الحديث للزمخشري : دار احياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- ١٤٧- الفاضل للمبرد : تحقيق عبدالعزيز الميمني - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- ١٤٨- فتيافقيه العرب لابن فارس : تحقيق د . حسين علي محفوظ - المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٨ م .
- ١٤٩- فروق اللغات للسيد نور الدين الجزائري : تحقيق أسد الله الاسماعيليان - مطبعة النجف - النجف ١٣٨٠ هـ .
- ١٥٠- الفعل زمانه وأبنيته : د . ابراهيم السامرائي - مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٦ م .
- ١٥١- فقه اللغة : د . علي عبدالواحد وافي - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة د . ت .
- ١٥٢- فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك - دار الفكر - بيروت ١٩٦٨ م .
- ١٥٣- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي : نشر المكتبة التجارية الكبرى - مطبعة مصطفى محمد - القاهرة ١٩٣٨ م .
- ١٥٤- الفلاكة والمفلوكون لشهاب الدين الدلجي : نشر مكتبة الاندلس - بغداد - مطبعة الآداب - النجف ١٣٨٥ هـ .
- ١٥٥- الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية : جرجي زيدان - مطابع دار الهلال - القاهرة د . ت .

- ١٥٦- الفهرست لابن النديم : طبعة المطبعة الرحمانية بمصر د . ت . وطبعة
فلوجل . وطبعة دانشگاه طهران - تحقيق رضا تجدد - طهران
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- ١٥٧- فهرس دار الكتب المصرية : طبعة دار الكتاب - القاهرة ١٣٥٧ هـ -
١٩٣٨ م (الجزء ٧) .
- ١٥٨- فهرس المخطوطات المصورة : تصنيف فؤاد سيّد - دار الرياض للطبع
والنشر - القاهرة ١٩٥٤ م .
- ١٥٩- فهرسة ابن خير الاشبيلي : تحقيق زبيدين وطرغوه - نشر المكتب
التجارى ومكتبة المثنى - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- ١٦٠- فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی : تحقيق : محمد محيي الدين
عبد الحميد - مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١ م .
- ١٦١- الفوائد الرضوية للقمي : نشر كتابخانه مركزى - طهران ١٣٢٧ هـ .
- ١٦٢- في التناقض : ماوتسي تونغ - دار النشر باللغات الاجنبية - بكين
١٩٦٨ م .
- ١٦٣- في اللهجات العربية : د . ابراهيم انيس - المطبعة الفنية الحديثة -
القاهرة ١٩٦٥ م .
- ١٦٤- القاموس العبرى العملي : رضوان عبده رضوان - مكتبة النهضة
المصرية - القاهرة د . ت .
- ١٦٥- القرآن الكريم .
- ١٦٦- القرطين لابن مطرف الكناني (مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة) :
نشر مكتبة الخانجي - القاهرة ١٣٥٥ هـ .
- ١٦٧- القلب والابدال لابن السكيت : تحقيق اوغست هفتر (الكنز اللغوى)
المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣ م .
- ١٦٨- القول المقتضب لابن أبي السرور : تحقيق ابراهيم سالم - المؤسسة
المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة ١٩٦٢ م .
- ١٦٩- الكامل للمبرد : تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم والسيد شحاته
- دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة د . ت .
- ١٧٠- الكتاب لسيبويه : المطبعة الكبرى الاميرية - بولاق ١٣١٦ هـ .
- ١٧١- الكشف للزمخشري : مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٦٥ هـ .

- ١٧٢- كشف الظنون لحاجي خليفة : تحقيق يالتقايا والكليسي - وكالة المعارف - استنبول ١٩٤١ م .
- ١٧٣- الكنز اللغوي في اللسن العربي : تحقيق اوغست هفتر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٠٣ م . انظر : الابل للاصمعي والقلب والابدال لابن السكيت .
- ١٧٤- الكنى والألقاب : عباس بن محمد رضا القمي - مطبعة العرفان - صيدا ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
- ١٧٥- لب اللباب في تحرير الانساب للسيوطي : طبعة بالاوفست - مكتبة المثني ببغداد .
- ١٧٦- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : د . عبدالعزيز مطر - دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٧ م .
- ١٧٧- لحن العامة والتطور اللغوي : د . رمضان عبدالنواب - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٧ م .
- ١٧٨- لحن العوام لأبي بكر الزبيدي : تحقيق د . رمضان عبدالنواب - المطبعة الكمالية - القاهرة ١٩٦٤ م .
- ١٧٩- لسان العرب لابن منظور : نشر دار صادر ودار بيروت - بيروت ١٩٥٥ م .
- ١٨٠- لطائف اللغة : الشيخ أحمد بن مصطفى اللبابيدي - دار الطباعة العامة . د . ت .
- ١٨١- اللغات السامية : تيودور نولدكة - تعريب د . رمضان عبدالنواب - المطبعة الكمالية القاهرة ١٩٦٣ م .
- ١٨٢- اللغة : فوندريس - ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٠ م .
- ١٨٣- ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد : تحقيق عبدالعزيز الميمني - المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ١٨٤- المأثور لأبي العميشل الاعرابي : تحقيق فريتز كرنكو - لندن ١٩٢٥ م .
- ١٨٥- المادية الديالكتيكية : جماعة من الاساتذة السوفييت - تعريب فؤاد مرعي وجماعة - دار الجماهير - دمشق .
- ١٨٦- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية : ستالين - دار دمشق للطباعة والنشر . د . ت .

- ١٨٧-المباحث اللغوية في العراق : د . مصطفى جواد - مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة ١٩٥٥ م .
- ١٨٨-مجاز القرآن لأبي عبيدة : تحقيق د . فؤاد سزكين - مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٦٢ م .
- ١٨٩-مجالس ثعلب : تحقيق عبدالسلام هارون - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٤٨ م .
- ١٩٠-مجالس العلماء للزجاجي : تحقيق عبدالسلام هارون - وزارة الارشاد والانباء - الكويت ١٩٦٢ م .
- ١٩١-مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي : نشر أحمد عارف الزين - مطبعة العرفان - صيدا ١٣٣٣ هـ .
- ١٩٢ - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة : د . محمد حميد الله - دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ١٩٣ - مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه : تحقيق ج . برجستراسر - المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤ م .
- ١٩٤ - المخصص لابن سيده : طبعة بالاوفست - المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت .
- ١٩٥ - المخصص لابن سيده (دراسة - دليل) : محمد الطالبي - المطبعة العصرية - تونس ١٩٥٦ م .
- ١٩٦ - المدارس النحوية : د . شوقي ضيف - دارالمعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٨ م .
- ١٩٧ - مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : د . مهدي المخزومي - مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ١٩٨ - مراتب النحويين لأبي الطيب : تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم - مكتبة نهضة مصر - القاهرة ١٩٥٥ م .
- ١٩٩ - المرشد الى آيات القرآن الكريم وكلماته : محمد فارس بركات - المطبعة الهاشمية - دمشق ١٩٥٧ م .
- ٢٠٠ - المرصع لابن الاثير : تحقيق د . ابراهيم السامرائي - مطبعة الارشاد - بغداد ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

- ٢٠١ - مروج الذهب للمسعودي : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد -
مطبعة دار الرجا - القاهرة ١٩٣٨ م .
- ٢٠٢ - المزهري للسيوطي : تحقيق محمد احمد جاد المولى وجماعة - مطبعة
عيسى البابي الحلبي - القاهرة د . ت .
- ٢٠٣ - المسائل والاجوبة لابن قتيبة : نشر مكتبة القدسي - مطبعة
السعادة - القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ٢٠٤ - المصباح المنير للفيومي : تحقيق حمزة فتح الله - المطبعة الاميرية -
القاهرة ١٩٢٦ م .
- ٢٠٥ - معاني الشعر لاشنانداني : تحقيق عز الدين التنوخي - وزارة
الثقافة والسياحة - دمشق ١٩٦٩ .
- ٢٠٦ - معاني القرآن للفراء : تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي
النجار - دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م (الجزء الاول) والدار
المصرية للتأليف والترجمة - مطبعة سجل العرب - القاهرة د . ت
(الجزء الثاني) .
- ٢٠٧ - معجم الادباء لياقوت الحموي : نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي -
وزارة المعارف العمومية - القاهرة ١٩٣٦ م .
- ٢٠٨ - معجم ألفاظ القرآن الكريم : مجمع اللغة العربية في القاهرة -
الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٢٠٩ - معجم المطبوعات العربية والمعرّبة : يوسف اليان سركيس - مطبعة
سركيس - القاهرة ١٩٢٨ م .
- ٢١٠ - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي - دار
الكتب المصرية - القاهرة ١٣٦٤ هـ .
- ٢١١ - معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة - نشر المكتبة العربية - مطبعة
الترقي - دمشق ١٩٥٧ م .
- ٢١٢ - المعجمية العربية على ضوء الثنائية والالسنية الساميّة : الأب
مرمري الدومنيكي - مطبعة الآباء الفرنسيسيين - القدس ١٩٣٧ م .
- ٢١٣ - مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام : تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد - مطبعة المدني - القاهرة د . ت .
- ٢١٤ - مقاييس اللغة لابن فارس : تحقيق عبد السلام هارون - الطبعة
الاولى - القاهرة ١٣٦٦ هـ .

- ٢١٥ - مقدمة ابن خلدون : نشر ورثة الشيخ محمد عبدالخالق المهدي -
المطبعة الازهرية - القاهرة ١٩٣٠م .
- ٢١٦ - مقدمة في الاصول اللغوية المشتركة بين العربية والعبرية :
محمد حسين آل ياسين - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٧١م .
- ٢١٧ - مقدمة لدرس لغة العرب : عبدالله العلايلي - المطبعة العصرية بمصر
د.ت .
- ٢١٨ - المقلوب لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته والاضداد لابي حاتم
السجستاني : تحقيق اوغست هفتر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت
١٩١٣ . انظر : الاضداد لأبي حاتم .
- ٢١٩ - الملاحن لابن دريد : تحقيق ابراهيم اطفيش الجزائري - المطبعة
السلفية - القاهرة ١٣٤٧هـ .
- ٢٢٠ - من أسرار اللغة : د. ابراهيم أنيس - المطبعة الفنية الحديثة -
الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٦٦م .
- ٢٢١ - المنطق : الشيخ محمدرضا المظفر - الطبعة الثالثة - مطبعة النعمان -
النجف ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- ٢٢٢ - المنقوص والممدود للفراء : تحقيق عبدالعزيز الميمني - دار المعارف
بمصر - القاهرة ١٩٦٧م .
- ٢٢٣ - الموازنة للآمدي : تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف بمصر -
القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م .
- ٢٢٤ - النشر الفني في القرن الرابع : د. زكي مبارك - دار الكتب المصرية
١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م .
- ٢٢٥ - النجوم الزاهرة لابن تغري بردى الأتابكي : طبعة بلاوفست عن
طبعة دار الكتب - القاهرة .
- ٢٢٦ - نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي البركات الانباري : تحقيق د.
ابراهيم السامرائي - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥٩م .
- ٢٢٧ - نشأة اللغة عند الانسان والطفل : د. علي عبدالواحد وافي - دار
الفكر العربي - القاهرة ١٩٤٧م .
- ٢٢٨ - النشر في القراءات العشر لابن الجزري : تحقيق علي محمد الضباع -
مطبعة مصطفى محمد - القاهرة د.ت .

- ٢٢٩ - نشوء اللغة العربية ونموها واکتھالها : الاب أنستاس ماري
الکرملي - المطبعة العصرية - القاهرة ١٩٣٨ م .
- ٢٣٠ - نظام الغريب للربعي : تحقيق بولس برونله - مطبعة هندية
بالموسكي - القاهرة د٠ ت .
- ٢٣١ - النظرية الفلسفية العامة لتطور الكون والمجتمع : ستالين - تعريب
خالد بکداس - مطبعة القاعدة - بغداد ١٩٥٢ م .
- ٢٣٢ - النظرية المادية في المعرفة : روجيه غارودي - تعريب ابراهيم قريط -
دار دمشق للطباعة والنشر د٠ ت .
- ٢٣٣ - نفائس المخطوطات (المجموعة الاولى) : تحقيق الشيخ محمد حسن
آل ياسين - الطبعة الثانية - مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٣ م . انظر :
الاضداد في اللغة لابن الدهان .
- ٢٣٤ - نکت الهميان في نکت العميان للصفدي : وقف على طبعه أحمد زكي -
مطبعة الجمالية - القاهرة ١٩١١ م .
- ٢٣٥ - النوادر في اللغة لابي زيد الانصاري : تحقيق سعيد الخوري
الشرتوني - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ م .
- ٢٣٦ - نور القبس ليغموري : تحقيق رودلف زلهاييم - نشر فرانٹس
شتاينر - فسبادن ١٩٦٤ م .
- ٢٣٧ - هدية العارفين : اسماعيل البغدادي - نشر وكالة المعارف -
استانبول ١٩٥١ م .
- ٢٣٨ - هل العربية منطقية : الاب مرمجي الدومنيكي - مطبعة المرسلين
اللبنانيين - جونية لبنان ١٩٤٧ م .
- ٢٣٩ - الوافي بالوفيات للصفدي : تحقيق هلموت ريتز - نشر فرانٹز
شتاينر - فسبادن ١٣٨١هـ - ١٩٦١ م .
- ٢٤٠ - الوضع : محمد تقي الحكيم - مطبعة العاني - بغداد ١٣٨٥هـ .
- ٢٤١ - وفيات الاعيان لابن خلکان : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد -
مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٢٤٢ - يتيمة الدهر للشعالبي : طبع بنفقة علي محمد عبداللطيف - مطبعة
الصاوي - القاهرة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤ م .

الاجنبية :

٢٤٣ -

CHAIM RABIN: ANCIENT WEST-ARABIAN, LONDON 1951.

٢٤٤ -

DJAMBATAN: HISTORICAL ATLAS OF THE MUSLIM PEOPLES, AMSTERDAM 1957.

المجلات :

٢٤٥ - اسلاميكا Islamica : تصدر في المانيا - المجلد الخامس ١٩٣١م .

٢٤٦ - الاقلام : تصدرها وزارة الاعلام في بغداد - الجزء الرابع - السنة الاولى ١٩٦٤م .

٢٤٧ - الشريعة : تصدرها كلية الشريعة في جامعة بغداد - العدد الرابع ١٩٦٨م .

٢٤٨ - اللسان العربي : تصدر في المغرب - المجلدان الثامن والتاسع ١٩٧٢م .

٢٤٩ - المجمع العلمي العربي : تصدر في دمشق - المجلدات ٣٩ و ٤٠ و ٤٧ - ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٧٢م .

٢٥٠ - مجمع اللغة العربية الملكي : تصدر في القاهرة - الجزء الثاني السنة الاولى ١٩٣٥م .

٢٥١ - المكتبة : تصدرها مكتبة المثنى ببغداد - العدد (٥٥) السنة السابعة ١٩٦٦م .

٢٥٢ - المورد : تصدرها وزارة الاعلام في بغداد - المجلد الأول - العددان الاول والثاني ١٩٧١م .

Summary of This Research

The first scientists kept for us language materials and its words by early writings. Their books and dictionaries have shown to be full of these materials and words, beginning from the last decades of 2nd Hegra Century. Such writings covered various aspects of language in different way. Some book concerned with collecting words and their classification like dictionaries as to alphabetical method like Al-'Ain, Jamhara, Barie, Tahthib and Al-Muhit etc. Some concerned with subjects which include many of Arabic words like creation of man, horses, weapons, Palats & so on. Some concerned with meaning by collecting and classification of words showing different data of these, books of common, similarity and opposites. This was because language experts have found in these surprising and strange anathems and linguistic problems left by Arabic language history.

Books of appositives continued collecting these sorts of words referring to their strange in the language and its surprising look in Arabic depending in that to story and extracts from Arabs. This resulted in writing about 30 books in appositives, starting at "Kotrob" 206 H. and ended at contemporary modern books. It is worth mentioning that story by Arabs on appositives has stopped after issuing of first generation books on this subject, because these story-tellers were those who heard from narrators their told material like Kortob, Al fara 'Abu obaida, 'Asmaie and others, Because who came after them depended on their books when writing in these subjects quoting from them whatever they wanted. Their books shown different sects of which some were school directed in a clear sort like Ibn Anbari & Abu Al-Tayeb from Kufa and Ibn Darastawayh & Amedi from Basrah.

It is no surprise to see the wish in serving Qoran was the basic incentive of oppositists for writing their books, when they saw that some of Qoran words can be interpreted at more than one meaning vaguing at opposite. There fore, their books were filled with texts

of holy book artifying to their simxilarity and having respect, caution to their meanings without interpreting their exact meanings of the Qoran words because it may differentiate from that intended in the Qoran which is sacred, ignoring that Arab methods had not yet been settled after a while of Qoran inspiration. Therefore, the Qoran was an echo for non-settlement of language because of its content of usages which vanished afterwards from Arab methods. Reader of Qoran language feels this clearly in the matter of male and female in grammar and special Quraishi usages and in advancing and later adjectives and cancelling. etc. Which was of remnant dialects unified by Qoran and increased their unfication grammar and linguistic studies in the first and second centuries. If the Moslem student sead "Dhanna" in a Qoran text, the first will be belief, as keen on its solemnity, be would say it is doubtful and belief; therefore, it is of opposites, without thinking that Qoran wanted it a meaning near to belief, though not fully, because in "thinking" a large part of Knowledge. Like it "Asa" which comes also as doubt and belief as the former. Also "Asarr", "Foq", "Bein", "Asas", "Al-Qor", "Akhfa", "Qist" etc. of words which discussed apposites in such books from "Qotrob" to "Al-Saghani" and its opposity is socalled because of such ideal look to Qoran tonque.

Therefore, the books of first fatch summarized and of little material because the efforts were concentrated to serve Qoran language in the first place, referring to the apposites in prose or poetry, but eventhese words had some relation at Qoran words. And the wish in statistics and increment began growing after opposites studies which pushed some of writers to undertake a difficult task in words for from apposites and had no idea in opposites unless by remote interpretations assisted by Qoran readings and Arab tribes dialects and language methods in fugirative clauses to reach to the cherished majority. Withnesses for such push were the books of Al-Tuzi, Ibn Sekkit, Sajustani, Ibn Faris & others. It is true that books of Tha'xlab, Ibn Anbarie & Abu Tayeb, included much of this, yet it is to be recalled that as their scholastic programme, have considered story and quotation basically and principally; therefore they depended

it fully and their books were enlarged to such shape. Further, Ibn Anbari, for instance stated that some reasons for writing his book was to replay to strangers who criticized the wisdom of language and its clarity. Therefore, the reply should have been detailed to meet the need.

On the other hand, this un studied expansion, resulted in reactions with some students. Some jealous Basrawis, with some fanaticism, replied to those who wrote much on opposites, delated the words and stopped those who confirmed their case. Of these was Ibn Darastawayh in his book (Ceasing the apposites) which was followed by Al-Amedi in his book (Latters from origins in Opposites). In fact both has mistaken and deviated the way by their admittance as Ibn Anbari said, there are many reasons which created the opposites of which he mentioned differentiation of dialects, methods and clarity of data who were only few whose were admitted by Ibn Dartawayh. These, however, cannot be denied follwing their true stories of Arabs.

As a result of so many books written on opposites and the difficulty of knowing them all by a newly educated man, a group of linguistts have undertaken to write short and useful book in apposites in which they only mention the word and its meanings without giving withnesses or commenting on them as done by Ibn-Dahhan and Al-Saghani in their books in order to be easy for those who want to comment on opposite words and keep them by heart. Their method was followed by modern books like "A Booklet in some words used in opposites found in Al-qamoos" and "Munabbih Al-Ruqqad in mentioning some of opposites". Yet writing in opposites after Al-Saghani went on as wish of the writer in partnership which lead him to useless things because of traditional follow-up of formers' steps in writing without adding to their researches new things unless from the aspect of shape as "Dauraq Al-Andad" by Al-Abiary, or "Short in opposites of Ibn Anbari" by Al-Timimi and others. As to the writings of Al-Ataiqi, Al-Madani, Mulla Hassan, Al-Khaliji and Tankabini, these are of weak partnership and rough similarity because of not their containing, as it is clear, except some things of old material existing in opposite books.

فهرس مواد الكتاب

٤	لجنة المناقشة وتقدير الرسالة
٥	الاهداء
٧	المقدمة

التمهيد

العربية وطرائق نموها

١٣ - ٥١

١٥	تاريخ العربية
٢١	القلب
٢٣	الابدال
٢٨	الاشتقاق
٣٠	النحت
٣٤	الاتباع
٣٥	المجاز أو الاستعارة
٣٧	المعرب والدخيل
٤٠	المترادف
٤٦	المشترك

الباب الأول

٥٣ - ٢٩٩

الفصل الاول

الدلالة وتطورها في اللفظ والصوت

٥٣ - ٩٦

٥٥	الدلالة
٥٦	دلالة اللفظ
٦٥	تطور الدلالة : عوامله وخواصه
٧٥	دلالة الصوت
٨٧	ثلاثة نماذج قديمة من التأليف في الدلالة
٨٨	١ - مثلثات قطرب
٩٠	٣ - المأثور عن أبي العميشل
٩٣	٣ - الملاحن لابن دريد

الفصل الثاني

فكرة الأضداد وتفسيرها في اللغة

٩٧ - ٢٤٢

٩٩	مصطلح الاضداد
١١٤	أنواع الاضداد
١١٦	اختلاف اللهجات واللغة الموحدة
١٢٧	جغرافية القبائل العربية (خريطة)
١٣٨	تطور الدلالة وشمولية المدلول الأول
١٥٧	التطور الصوتي ومظاهر الخطأ والتصحيح
١٦٥	التضاد والدوافع النفسية والاجتماعية
١٧٥	اختلاف الصيغ والعوارض التصريفية
١٩٩	الثنائية واختلاف الأصلين
٢٠٧	المجاز والمقلوب من التراكيب
٢١٤	طريقة الاستعمال وضدية التفسير
٢٢٧	دور التعسف في تكثير الأضداد
٢٣٦	قانون وحدة وصراع المتضادات

الفصل الثالث

مواقف الدارسين من الاضداد ومناهجهم في دراساتها

٢٤٣ - ٢٩٩

٢٤٥	الدفاع والانكار
٢٤٦	الشعوبيون
٢٤٨	ابن درستويه
٢٥١	الحسن بن بشر الآمدي
٢٥٢	ثعلب
٢٥٤	ابن فارس
٢٥٥	ابن سيده
٢٥٦	ابن الانباري
٢٦٢	أبو الطيب
٢٦٥	آبل
٢٦٥	لجوست
٢٦٦	جيز
٢٦٩	ردسلوب

٢٧٢	فایل
٢٧٧	عبدالفتاح بدوي
٢٨٢	د ٠ منصور فهمي
٢٨٦	د ٠ ابراهيم السامرائي
٢٩٢	الاب مرمجي الدومينيكي
٢٩٥	الشيخ محمد الخضري

الباب الثاني

٣٠١ - ٥٤٧

الفصل الأول

تدوين اللغة ورواية الأضداد

٣٠١ - ٣٢٧

٣٠٣	تدوين اللغة
٣١٢	قائمة كتب الأضداد
٣١٩	رواية الاضداد
٣٢٥	شجرة الرواية البصرية
٣٢٦	شجرة الرواية الكوفية
٣٢٧	شجرة الرواية العامة

الفصل الثاني

دراسة كتب الاضداد

٣٢٩ - ٥٠٤

٣٣١	كتاب قطرب
٣٤٠	كتاب الفراء
٣٥٣	كتاب أبي عبيدة
٣٦٥	كتابا الاصمعي وابن السكيت
٣٧٨	كتاب أبي عبيد
٣٨٤	كتاب التوزي
٣٩٦	كتاب أبي حاتم
٤٠٦	كتابا ابن قتيبة والثعالبي
٤١٢	مصورة المخطوطة المنسوبة اليهما
٤١٦	كتاب عسل بن ذكوان
٤٢٠	كتاب ثعلب
٤٣١	كتاب ابن الانباري

٤٤٥	كتاب ابن درستويه
٤٥١	كتاب أبي الطيّب
٤٦٦	كتاب الآمدي
٤٧١	كتاب ابن فارس
٤٧٥	كتاب ابن الدهان
٤٨٢	كتاب أبي البركات الانباري
٤٨٥	كتاب الصغاني
٤٩٤	كتاب العتّاقى
٤٩٥	كتاب المدني
٤٩٦	كتابا التميمي وابنه مّلا حسن
٤٩٧	كتابا الأبياري وكتاب الخليجي
٥٠١	كتاب التنكابني
٥٠٢	كتابان لمجهولين
٥٠٣	كتاب أزداد آي القرآن

الفصل الثالث

محاكمة الشواهد والنصوص القديمة

٥٠٥ - ٥٤٧

٥٠٧	قيمة الشاهد عند الاضداديين
٥١٠	الشعر
٥٢٣	القرآن
٥٣٤	المعجمات اللغوية

الخاتمة

خلاصة البحث ونتائجه والجديد فيه

٥٤٩ - ٥٦٦

٥٥١	الخلاصة
٥٦٠	النتائج العامة والخاصة
٥٦٤	الجديد في هذه الرسالة
٥٦٧	فهرس المصادر والمراجع
٥٨٤	خلاصة هذه الدراسة بالانكليزية
٥٨٧	فهرس مواد الكتاب

تنبيه للقارئ الكريم

وقع سهو طباعي في ص ٢٢ إذ وضعت الكلمات العبرية مقلوبة .
ومثل هذا السهو وقع في ص ٢٦٩ إذ وضعت الكلمتان العبريتان الواحدة
مكان الاخرى . وقد وجب التنبيه الى ذلك . كما ان هناك أغلاطاً طباعية
اخرى أقل أهمية من هاتين آثرنا عدم النص عليها لعدم خفائها على القارئ
المدقق .